علـــم النـــص

مدخل متداخل الاختصاصات

تأليف

تون أ. فان دايك

ترجـــمة وتعليق

دكتور/ سعيد حسن بحيرى

أستاذ علوم اللغة

بكلية الألسن - جامعة عين شمس

١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م

علـــم النـــص

مدخل متداخل الاختصاصات



اسم الكتاب :	علم النص مدخل متداخل الاختصاصات
اسم المؤلف :	تون ا. فان دايك
ترجمة وتعليق :	الأستاذ الدكتور / سعيد حسن بحيرى
سنة النشر :	٢٠٠١
عدد الصفحات :	٤٨٣
الطبعة :	الأولى
رقم الإيداع :	٣٦٦٢
الترقيم الدولى :	I. S. B. N. 977 - 314 - 127 - 6
الناشر :	دار القاهرة للكتاب
العنوان :	١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة
البلد :	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
تليفون :	٣٩٢٩١٩٢
فاكس :	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٣٩٣٣٩٠٩

هذه ترجمة عربية مصرح بها لكتاب :

Teun A. van Dijk,

Textwissenschaft, eine interdisziplinäre Einführung

Deutsche Übersetzung von Christoph Sauer dtv 1980

وافق المؤلف، البروفيسور فان دايك، على هذه الترجمة عند لقائى به فى القاهرة يوم الخميس ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٠، فى مؤتمر « النقد الأدبى على مشارف القرن العشرين »، ووعد بإرسال موافقة كتابية تؤكد إجازته لى بنقل كتابه إلى اللغة العربية، ولكننى للأسف لم أحصل عليها بعد، فربما حالت ظروفه ومشاغله دون إرسالها . على أية حال كانت موافقته الشفوية حافزاً مهماً لدفع هذه الترجمة للنشر العلنى .

إهـــــداء

إلى أســاتذتى الأجــــلاء الذين لم يبخـــلوا عـــلىّ
بعلمهم ووقـتهم، وأكن لهم كل تقــدير واحـــــترام،
إلى زمــلائى الأحـــباء الذيـــن لم يضــــــنوا علىّ
بنصحـهم ومساعدتهم، وأكن لهم كل حـب ومودة،
أهـــدى إليهم جـــميعاً ثمرة غرســـــهم ...

الصفحة

تصــــدير

لا يختلف الباحثون فى الدراسات النصية حول قيمة كتاب (علم النص) لفان دايك وأثره فى الدرس النصى، فقد نهل منه كثيرون منهم سواء المشتغلون بالدرس اللغوى أو الدرس النقدى . ومن فضل القول الخوض فى التعريف بالمؤلف ودراساته الغزيرة فى مجالات متنوعة (انظر القائمة فى ذيل الترجمة) . والحق أنه بدأ تعرفى على مادة الكتاب سنة ١٩٨٥ حين بدأت أتحول إلى مجال علم اللغة النصى أو علم لغة النص، وأقرأ فيه، وأتعمق فى مفاهيمه واصطلاحاته وتصوراته وأفكاره ونظرياته، إذ يعد فان دايك واحداً ممن شغلت بكتاباته الواضحة العميقة فى هذا التخصص، غير أن غلبة الجانب اللغوى لدى رجحت اهتمامى بدرسلر ودى بوجراند وسونيسكى وبتوفى وڤاينريش وفوندرليش وهاينه مان وغيرهم ممن عنوا بدراسة النص دراسة نصية تجمع الجوانب التركيبية والدلالية والبراجمالية .

بيد أننى بعد تشكلت لدى رؤية واضحة حول هذا التخصص أتيحت لى فرصة العودة إلى هذا الكتاب مرة أخرى فى أثناء إعارتى إلى الكويت المحررة، فقرأته مراراً، ثم وجدت أن فى الترجمة إضافة إلى المكتبة العربية، ونفعاً للمشتغلين بهذه المباحث التى عنى بها فان دايك فى كتابه وبخاصة نظريته حول الأبنية الكبرى والقواعد الكبرى وكيفيات تطبيقها على نصوص مختلفة وإمكان تعديلها أو الإضافة إليها، وهو أمر لا نشك فى أن المؤلف يسعده ذلك فقد أشار إلى ذلك مراراً فى تطبيقاته .

وانتهيت من الشكل الأول للترجمة سنة ١٩٨٧ ، ولكنى لم أرض أن أظهر هذه الترجمة، وبعد فترة أنعمت النظر فيها مرة أخرى، فوجدت أننى يمكن أن أعدل المواضع التى تحتاج إلى إعادة صياغة، أما أغلبها فكان

مقبولاً، ولكن حالت شواغل الحياة والعمل وانشغالى بالترقية، وبخاصة أن الترجمة لا تشكل إلا جزءاً هامشياً يسمى الجهود العلمية فيها، كل ذلك حال دون إعادة النظر فيها، ومراجعة المواضع الغامضة، وتعديل ما يلزم تعديله وبخاصة أننى قد قطعت شوطاً أكبر فى معرفة مصطلحات البحث النصى معرفة دقيقة واعية ومعرفة الفروق بين استعمالات الباحثين وبعد أن انفتحت أمامى مغاليق كثيرة كانت غامضة فى البداية ولم أهتد إلى تفسيرات لها إلا بعد جهد مضنٍ ومراجعة متأنية لزمن طويل .

ظلت الترجمة حبيسة الأدراج زمناً طويلاً إلى جوار كثير من الترجمات الأخرى التى يحول التردد دون إظهارها . وفى الحقيقة لم يدفعنى إلى إظهار هذه الترجمة التى بذلت جهداً كبيراً فى تصويبها إلا أمران : الأول ظهور بعض الترجمات لمؤلفات أخرى شوهت الاصطلاحات وأفسدت المعنى الحقيقى المراد لانحرافها عن الترجمة الصائبة للجملة بحيث يمكن أن تعد فى الحقيقة ترجمات للمعنى العام . ولا يخفى أن ذلك يضيع كثيراً من الفوائد الجليلة فى النصوص ذاتها وغير ذلك من أشكال الانفصال عن النص الحقيقى مما يستتبع هذا اللون من الترجمة . والثانى جرأة بعض الباحثين على النقل دون رحمة من تلك المؤلفات فى علم النص دون ذكر لمصادرهم وخلط لغتهم بلغة المنقول، بحيث لا تستطيع أن تهتدى إلى رأى واضح حول السؤال الذى يثار فى مثل هذا المقام باستمرار وهو هل يمكن أن يهتدى باحث ليس له باع طويل فى هذا المجال إلى مثل هذه المقولات والتصورات الناضجة . هذا فضلاً عن هجوم باحثين آخرين على المشتغلين بعلم النص ونصحهم لهم بأنه من الأولى لهم بدل أن يترجموا أجزاء متفرقة أن ينقلوا أعمالاً كاملة إن كانوا قادرين على ذلك !!

ولكن ذلك لم يشغلنى قدر انشغالى برغبة بعض الباحثين الشبان، بل إلحاحهم المستمر على نشر ترجمتى، وبخاصة أنهم غير قادرين على العودة

إلى النص الأصلى فى لغته الهولندية أو اللغة الألمانية التى ترجم إليها . وبرغم علمى أنه نقل إلى لغات أوربية أخرى، فإن النص فى اللغة الألمانية أقرب إلى الأصل لما بين بين الألمانية والهولندية من وشائج قوية معروفة للغويين . فاستجبت لهم راجياً أن تلقى هذه الترجمة قبولاً حسناً وأن يتمكنوا من معرفة أفكار فان دايك معرفة عميقة، ومعرفة آرائه ومقولات نظريته وعناصرها التى صيغت فى هذا الكتاب صياغة محكمة .

ولا يخفى على القارئ المتمرس الصعوبات التى تواجه المترجم، وبخاصة حين يكون النص المترجم نصاً متداخل التخصصات ومنفتحاً على عوالم معرفية مختلفة، تتطلب أن يكون المترجم ملماً بمصطلحات وأدوات ومعارف فى تخصصات مختلفة . هذا بخلاف النص ذاته ومشكلاته العسيرة فى مواضع كثيرة التى حاولت التغلب عليها قدر طاقتى.وقد كنت حريصاً على التعليق على المواضع الشائكة التى تستوجب الوقوف عندها وإيضاحها وبيان قصد المؤلف قدر المستطاع، كما أننى قد حرصت كذلك على إثبات الصفحات المقابلة للترجمة فى النص الأصلى بوضع أرقامها فى الهامش جهة اليسار . ورأيت أنه ربما تكتمل الإفادة بإلحاق الترجمة بقائمة المصطلحات التى وردت فى الكتاب مضافاً إليها ما رأيت أنه غير معروف للقارىء العربى، وأخيراً ذيلت الترجمة بملاحق عن المؤلف وأعماله ومشروعاته وإسهاماته العلمية فى مجالات مختلفة، وبعد فإن كنت قد أصبت فقد كان ذلك بفضل الله وتوفيقه، وإن كان غير ذلك فالكمال لله وحده، وأطمع أن يمدنى القرّاء بملاحظاتهم وتوجيهاتهم لاستدراك ما يلزم استدراكه فى طبعات تالية بإذن الله .

سعيد حسن بحيرى

القاهرة فى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م

/ يعنى المرء فى تخصصات علمية مختلفة بوصف النصوص إلى VII جانب أشياء أخرى أيضاً . يحدث هذا انطلاقاً من وجهات نظر مختلفة ومن خلال معايير كثيرة . وفى بعض الحالات يهتم المرء قبل أى شيء بأبنية النص المختلفة؛ وفى حالات أخرى يمتد الانتباه إلى وظائف النصوص وتأثيراتها، فى حين تكون العلاقات بين وظائف النصوص وتأثيراتها من ناحية أخرى غالباً موضوع البحث .

لدينا منذ القدم علم الشعر وعلم البلاغة اللذان عُنِيا بأبنية خاصة ووظائف جمالية أو إقناعية لنصوص أو أقوال أدبية، كما يحدث فى علم الأدب وعلم الأسلوب أيضاً . ويشتمل علما اللاهوت والقانون على أشكال من النصوص أيضاً التى تحتم فى كلتا الحالتين « فهماً ما »، غير أنها تعد أساساً لأفعال محددة . وقد عنى المرء، فى علم اللغة بوجه خاص، بالبنية النحوية للجمل والنصوص، بل بشروط استخدامها وسماتها فى سياقات مختلفة أيضاً .

ويعنى المرء فى علم النفس وعلم التربية / التعليم بالطرق المختلفة لفهم نصوص وامتلاكها أو عمق استيعابها . كذلك يرتكز علم النفس الاجتماعى وبحث الاتصال الجماهيرى بوجه خاص على تأثيرات النصوص داخل الاتصال الجماهيرى، وعلى آراء المتلقين وطرق سلوكهم، فى حين يحلل علم الاجتماع أخيراً نصوصاً فى التفاعل الاجتماعى، وبخاصة فى أحاديث يومية وأشكال نصية واتصالية فى مواقف ومؤسسات مختلفة .

وعلى الرغم من أن ذلك الحصر لفروع العلم التى تعنى بالنصوص بصورة مباشرة أو غير مباشرة لم يتم بأية حال من الأحوال،إذ يجب أن

يضاف بكل تأكيد الطب النفسي - فإنه يمكن أن يصير واضحاً أن تحليل أبنية النصوص ووظائفها يتطلب منهجاً متداخل الاختصاصات . ويسري هذا كذلك بشكل أكثر عمومية على دراسة الاستخدام اللغوي والاتصال .

لقد أدى التطور في السنوات الأخيرة إلى أن مشكلات تحليلات النصوص وأهدافها في فروع علمية مختلفة سبق ذكرها قد شكلت بصورة حتمية موضوعاً معرفياً متداخلاً، وهو في إطار علم ، مترابط داخلياً ، متداخل الاختصاصات جديد، علم النص .

ويرى علم النص أن مهمته هي أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال ويوضحها، كما تحلل في العلوم المختلفة، في ترابطها الداخلي والخارجي .

VIII / ويحقق علم اللغة بغير شك وعلى وجه التحديد علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي أيضاً جزءاً من هذه المهمة، وبرغم أن علم النص يتداخل مع علم اللغة إلى حد ما، أو هو على الأقل قد بني عليه فإن علم اللغة - على سبيل المثال - لا يناقش حتى الآن إلى حد كبير بطريقة غير مباشرة أو بصورة عامة أبنية نصية بلاغية أو أسلوبية أو أدبية أو جدلية أو سردية أو إنه يقتصر على وصف أبنية الجمل أو استعمالها .

ومن المفيد - بشرط أن يوجد الاستعمال اللغوي والاتصال والتفاعل في شكل نصي خاصةً - أن تحلل في علم للنص متداخل الاختصاصات تحليلاً منظماً أشكال نصية وأبنية نصية مختلفة وشروطها ووظائفها وتأثيراتها المتباينة : المحادثات اليومية والأحاديث العلاجية والمواد الصحفية والحكايات والقصص والقصائد ونصوص الدعاية والخطب وإرشادات الاستعمال والكتب المدرسية والكتابات والنقوش ونصوص القانون والتعليمات وما أشبه، برغم أن الأشكال النصية هذه تكتسب في العلوم المختلفة انتباهاً خاصاً، وينتج عنها أوجه طرح مختلفة للقضايا .

ومدار الأمر فى علم النص أساساً الكشف عن الخصائص المشتركة، وسمات الأبنية والوظائف . ومن ثم إنشاء ارتباط كذلك - فى الوقت نفسه - بين علوم نظرية وعلوم اجتماعية .

ويكمن هدف هذا الكتاب فى الغوص فى علم النص بطريقة منهجية . وبالنظر إلى خاصية تداخل هذا التخصص مع فروع أخرى، وعليه فأهميته للطلبة والمحاضرين، وعناية كل اتجاهات الدراسات الممكنة والكليات والتخصصات بالعلوم النظرية والاجتماعية توضح على نحو حتمى تقريباً أن الجوانب المتباينة للنصوص والاستعمال النصى لا يمكن أن تعالج إلا بصورة موجزة وأساسية فى إطار غاية واضحة لمناهج متميزة ومفسرة لفروع العلم السابق ذكرها .

وينبغى إذن أن يتعلق الأمر بمدخل حقيقى فى الاتجاهات الأساسية لوصف النص، وعلى سبيل المثال حول مستويات تحليل مختلفة (دلالية وبراجماتية وأسلوبية) وحول أوجه الترابط الأكثر جوهرية بأنواع السياقات المختلفة، وعلى وجه الخصوص بالسياق النفسى والاجتماعى .

ومن المأمول أن نعرف فى مدخل آخر تالٍ بصورة أدق المشكلات الاجتماعية والاجتماعى - النفسية، والمشكلات المتعلقة بعلوم الاتصال الجماهير والمشكلات القانونية والأنثربولوجية الخاصة عن الاتصال والتفاعل النصى . ومع ذلك فقد أعد فى هذا الكتاب الأساس لامتداد تال لعلم النص .

لقد تحددت مما قيل آنفا الجماعة المستهدفة من هذا الكتاب : الطلاب المتخصصون وكليات علوم اللغة والأدب وعلوم الاجتماع، وكذلك كل من يتعامل مع تحليل النص لأسباب مهنية، مثل المعلمين وعلماء التربية وعلماء النفس وعلماء الطب والعلاج النفسى وعلماء اللاهوت والقانون والاجتماع والأنثربولوجيا .

ولا تشترط معارف علم اللغة (بما فى ذلك علم اللغة النفسى والاجتماعى) ، ومع ذلك يوصى بأن تقرأ / ، اتصالاً بهذا الكتاب، مداخل فى المجالات المذكورة، وبخاصة المداخل اللغوية . وسوف يحال إلى تحليل آخر لأشكال نصية خاصة، مثل نصوص الدعاية أو الأدب، وإلى النشرات كذلك. IX

وستظهر بعض الإحالات والإشارات بخاصة فى الملاحظات وليس فى النص نفسه المتصل بالموضوع؛ لأن هذا المدخل يرتكز أساساً على ظواهر وإشكاليات معينة، ولا يصف أعمال علماء آخرين فى مجال علم النص .

وبديهى أن تستوعب هنا نتائج البحث فى النص، حيث ستذكر الدراسات الأساسية فى الملاحظات . وتسمح طريقة العرض هذه بالإفادة من قراءة الكتاب . وفضلاً عن ذلك يقوم جزء من الكتاب على دراسات خاصة . ولا ريب أن هذا يتطلب تماسك هذا المدخل . وقبل هذا يمكن ـ من جانب آخر ـ أن يقوض بناء مفهومى موحد تبعاً للتطورات فى علم بكر مثل علم النص . ومن ثم يمكن فى جملة من النقاط أن تبدو وجهات النظر مألوفة إذا لم تكن تأملية، وفى حاجة بكل تأكيد إلى تصحيح أو استكمال فيما بعد . ولذا يكون الترحيب بالملاحظات والنقد ترحيباً حاراً .

جامعة امستردام، ديسمبر ١٩٧٨ ، واكتوبر ١٩٧٩

ت. ا. فان دايك

١ علم النص

١ - ١ علم النص علم جديد متداخل الاختصاصات

١ - ١ - ١ قد ورد موضوع علم النص فى المقدمة بإيجاز . وينبغى فى هذا الفصل الأول توضيح موقع علم النص من العلوم الأخرى على نحو أكثر دقة، وينبغى أن تعالج الظواهر والمشكلات والمهام الخاصة المتعلقة بالأبحاث الخاصة بعلم النص معالجة تفصيلية . وفى الفصول الأخيرة سيوجه الانتباه بصورة منهجية إلى المجالات الفرعية المختلفة لعلم النص .

١ - ١ - ٢ إن مفهوم « علم النص » ليس بالغ القدم، غير أنه قد ترسخ منذ عشر سنوات تقريباً؛ ففى المجال اللغوى الفرنسى سمى (علم النص = Science du Texte) وفى الانجليزية سمى (تحليل الخطاب = discourse analysis) .

ومع ذلك فقد عرفنا منذ زمن أبعد كثيراً، وبخاصة فى الدراسات اللغوية، مصطلحى « تحليل النص »، و « تفسير النص » حيث كانت العناية مع ذلك فى الغالب موجهة إلى الوصف المادى للنصوص الأدبية بوجه خاص .

ويستهدف علم النص ما هو أكثر عمومية وأكثر شمولية؛ فهو يتعلق - من جهة - بكل أشكال النص الممكنة، وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها، ويعلى - من جهة أخرى - بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية .

كذلك ينظر إلى ظهور علم النص مرتبطاً أيضاً بظواهر ومشكلات تعالج فى علوم ومناح أخرى للبحث، وبخاصة فى علم اللغة العام، فى الدراسات الألمانية (بوجه خاص هنا فى المجالات التى تهتم بالنصوص

الواقعة فى دائرة الاستخدام وبالمهارات اللغوية العامة، على نحو ما يمكن أن يكون ذلك مهماً لوظيفة المعلم)، وفى علم الأدب، وعلم الأسلوب، وأخيراً فى علم النفس وعلوم الاجتماع مثلما يكون الشأن فى علم الاتصال الجماهيرى . وقد عرف من خلال علوم الاجتماع قبل كل شىء منهج للبحث، هو منهج تحليل المحتوى (content analysis) الذى يمكن أن يندرج ضمن مجال علم للنص متداخل الاختصاصات . ويسرى مثل ذلك أيضاً على ما يسمى بتحليل المحادثة أو الحوار فى الطب النفسى والعلاج النفسى وعلم الاجتماع (فى إطار ما يسمى بعلم الأجناس البشرية) وفى علم اللغة أيضاً منذ وقت قريب .

ويتبين لنا من ذلك أن مرد نشوء علم جديد لتحليل عام للنصوص يواكب تطورات حادثة فى عدة فروع علمية، ومن ثم عرض ما نتج من تقدم فى اتجاه معين هو دراسة الاستعمال اللغوى والاتصال دراسة متداخلة الاختصاصات .

١ ـ ١ ـ ٣ عادة ما تنمو علوم جديد بوصفها تخصيصاً لعلوم أخرى نشأت من قبل . فقد ظهرت اتجاهات البحث اللغوية فى وقت كان ينظر فيه فى إطار الدراسات اللغوية الجرمانية واللغات والآداب الأجنبية إلى المناهج التاريخية والفيلولوجية والواصفة على أنها قاصرة، ومن ثم وجه انتباه خاص إلى « اللغة بوصفها نظاماً »، وعلم اللغة النظرى . وقد حدثت تغيرات مماثلة فى علوم الاجتماع : فقد تطور علم الاتصال أو علم الصحافة على سبيل المثال انطلاقاً من علم السياسة أو علم النفس الاجتماعى .

وفى حالات كثيرة لا يحدث فى أثناء مرحلة نشوء اتجاه علمى جديد تخصيص للاتجاه الأصلى فحسب، بل تتحقق غالباً أشكال ترابط انتقالية متداخلة الاختصاصات أيضاً، إذ يتغير من خلال ذلك تقسيم أو توزيع موضوعات ومشكلات فى تخصصات عدة سواء فيما بينها أو علاقتها بالعلوم

المتاخمة . ويصدق ذلك على علم النص أيضاً؛ فقد حللت النصوص فى عدة تخصصات بصورة متوازية، ويأخذ كل علم فى اعتباره العلم الآخر على نحو ما . ويعد علم النص بلا شك انطلاقاً من وجهة النظر هذه اندماجياً، وبخاصة فيما يتعلق بالموضوعات والمشكلات الممكن مقارنتها، وهى بنية النص واستعمال النص فى سياقات تواصلية مختلفة .

وحين يتحرر علم عن العلم الأم فإن هذا لا يرجع إلى أشكال التقدم فى مناهج البحث أو النتائج الجديدة فحسب، بل إن هذا العلم الجديد يجىء استجابة لتطورات اجتماعية محددة أدت بدورها أيضاً إلى تغيرات فى البنية المؤسسية للجامعات . وحين ظهرت ـ بناء على تطورات اجتماعية كلية، وبخاصة فى المجال السياسى ـ الاقتصادى، اهتمامات جديدة أو ضروريات اجتماعية فإن ذلك يمكن أن يعرف غالباً (يرى على المدى البعيد) من تغيرات فيما تطرحه الجامعات من دراسات، حيث تتبلور معرفة جديدةأو مناهج جديدة أو نتائج بحث جديدة توظف فى إطار مسارات ثقافية جديدة للطلاب فى يسر خاصة حين يجابهون بمتطلبات مهنية واضحة فى قطاعات اجتماعية جديدة .

ومع ذلك يمكن أن يلاحظ غالباً التطور المضاد بدقة، حيث يتبين أن بنية العلم فى مؤسساتها أميل إلى التراخى : فقد أثار تقسيم جديد للعمل فى إطار العلم وفى الجامعات نتيجة لظهور علم جديد متداخل الاختصاصات معارضة شديدة إلى حد يهدد التخصص الجديد بأن يصير قزماً، ليس من خلال قيود مادية أو شخصية قائمة فحسب بل من خلال الإحجام عن التنازل عن مجالات جزئية محددة لهذا العلم الجديد، إذ تعمل هذه الآلية حتى حين لا تمس التخصصات المجاورة أو تمسها مساً طفيفاً فحسب (حال عدم إعارة موضوعات العلم الجديدة أدنى اهتمام إلى الآن) .

كانت هذه الملاحظات العامة حول تطور العلم / والقصور الذاتى ٣ للمؤسسات ضرورية، حتى تتوفر لنا نظرة عامة حول المكانة الخاصة لعلم النص ومصاعب تطوره . وسوف نعمق ذلك فى تحليل موجز لعلاقات علم النص بالتخصصات الأخرى، التى نشأ عنها أو التى انبنى عليها . وينبغى أن نبرز هنا بوضوح تارة أخرى، وربما بصورة زائدة فى غير حاجة، أن أشكال الترابط الانتقالية التى عنى بها علم النص لاستقراره لا تمس إطلاقاً استقلال فروع العلم القائمة . ويمكن كذلك أن تكون هذه الترابطات الانتقالية موضوع تخصصات أخرى متداخلة الاختصاصات، مثل علم اللغة أو علم الاتصال أو علم العلامات .

١ ـ ٢ علم النص وعلم اللغة وعلم الأدب

١ ـ ٢ ـ ١ يصور علم النص فى المقام الأول لوناً من التعميم إزاء علم الأدب والدراسات المتفرقة القائمة على لغة ما (الدراسات الإنجليزية الخ)، وإزاء علم الأدب العام (والمقارن) الذى ما يزال يدرس فى بعض المعاهد . ويؤكد علم النص طبيعة أكثر اتساعاً فى الموضوعات المدروسة : ومثل ذلك الاتساع لمجالات الدراسة يمكن أن يتحقق منه أيضاً فى أشكال الدفاع المتكررة داخل علم الأدب الحديث [١] : فقد أدرك المرء أن سمات كثيرة للنصوص الأدبية تتطابق مع سمات نصية عامة أو على الأقل مع أشكال نصية محددة، مثل الحكايات اليومية أو نصوص الدعاية، وقد وقف فى

---

(١) أقيم دفاع عن تأسيس نصى لتحليل الأدب لدى كتاب فان دايك (1971 a, b و 1972 a, b) van Dijk وغيره حيث ورد فيه إشارات أخرى إلى تطورات فى علم الأدب العام : وقد تطور علم أدب قائم على أساس نصى فى ألمانيا خاصة، قارن أيضاً شميت : (1973) Schmidt، وبلت (1975) Plett والإحالات هناك .

الوقت ذاته على أن الأبنية والوظائف الأدبية لا يمكن أن توصف عادة وصفاً مناسباً إلا حين يرتكز على وجهات نظر معينة حول السمات الأكثر عمومية للنصوص واستعمالها . وقد تطورت على نحو مماثل العلاقات بين الأدب واللغة من خلال تحليل الاستعمال اللغوى فى نصوص أدبية (٢) .

ومن اللافت للنظر الفصل التقليدى بين علم اللغة وعلم النحو فى الدراسات اللغوية من جهة / والمعالجة المحدودة لنصوص أدبية على نحو ما من جهة أخرى، ولم تلق أشكال الاستعمال اللغوى وأشكال الاتصال الأخرى إلا انتباهاً عابراً، مثل نصوص الصحف والنصوص الموجودة فى وسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى والنصوص السياسية والتاريخية الخ . وبغض النظر عن الدور المتواضع نسبياً للأدب (بمفهوم ضيق له) داخل السياق الثقافى والاتصالى فقد سادت دراسة هذا الأدب : ثمة نصوص أخرى تقرأ على أقصى تقدير على أنها معلومة أساسية خلفية، وسياق اجتماعى - ثقافى للأدب وتاريخه .

وإذا غض النظر عن ضيق الأفق العلمى لهذا التقليد فإنه يلاحظ فى ذلك الشكل السائد والمحدود للنصوص الأدبية مجموعة من المثالب التعليمية والاجتماعية أيضاً . إن مهمة معلمى الألمانية واللغات فى المستقبل آخر الأمر

---

(٢) توجد تحليلات لغوية لنصوص أدبية، وبخاصة للاستعمال اللغوى فى الأدب، فى صورة حدسية منذ زمن طويل، غير أنه قد كان لظهور النحو التحويلى التوليدى لتشومسكى وآخرين الذى وفر حافزاً لنشأة علم أدب لغوى، قارن فى ذلك أيضاً : فان دايك (a, b 1971 ، a, b 1972) وإيوه (1972) Ihwe والمجلد المختار الضخم لايوه (محرر) (١٩٧١/ ١٩٧٢) يقدم نظرة عامة حول علم الأدب البنائى الفرنسى والإنجليزى والأمريكى، والدور الجوهرى لعلم اللغة فيه : قارن : كلر Culler (1975) . ومن أوائل المجلدات الجامعة التى طبق فيها علم اللغة الحديث على الأدب هو : سيبوك (Sebock (1960) (ed. .

أن يوصلوا لطلابهم سلسلة ممتدة من المهارات والآراء الاتصالية، بحيث يكون إنتاج أشكال نصية مختلفة وتأويلها ذا أهمية قصوى [٣] . وبعبارة أخرى: فإنه إلى جانب البناء اللغوى والأدبى تعد المكونات النصية والاتصالية الثابتة فى العلوم النظرية ضرورية .

١ - ٢ - ٢ إن استمرار توسيع البحث من مفهوم نصى أدبى إلى مفهوم نصى عام يعنى فى الوقت ذاته غلبة الهوة الفاصلة بين علم الأدب وعلم اللغة وبين علم أدب عام وعلم لغة عام - وكما لوحظ تقتصر الدراسة اللغوية فى الغالب على نحو (تقابلى) للغة محددة . وما يزال لا يفكر فى تحليل منظم لأشكال وسياقات مختلفة للاستعمال اللغوى إلا نادراً . وفى إطار علم لغة النص يمكن أن تختص هذه الأشكال من الاستعمال اللغوى بانتباه أكبر بشكل منظم فى حقيقة الأمر، بحيث تعالج مقالات الصحف ونتاجات وسائل اتصال أخرى والمحادثات والمواقف والمؤسسات الاجتماعية فى لغة أو ثقافة معينة أيضاً .

يتجنب علم اللغة العام لطبيعته الأكثر عمومية والمتداخلة مع علوم عدة سلسلة من القيود التى فرضت على التخصصات اللغوية . والحق أن النشاط البحثى الغالب ما يزال يوجهه التحليل النحوى والنظريات النحوية ./ •
ومع ذلك فقد وجد فى السنوات الأخيرة خاصة ميل متنام لدراسة الاستعمال

---

(٣) يعد النظر فى الأبنية ووظائف النصوص بوصفها جزءاً جوهرياً فى مهارات الاتصال للطلاب مهمة جوهرية فى ثقافة المعلم، ومن ثم فى الدراسات الجامعية اللغوية والأدبية أيضاً، وقد عرضها فان دايك (١٩٧٦ b) van Dijk بالتفصيل عن طريق تحليل الأهداف التعليمية للدرس اللغوى والأدبى فى المدرسة . وعولجت فيه أيضاً المحاولات المدرسية والمناقشات والنماذج المدرسية فى مجال الدرس النصى والاتصالى وبخاصة فى ألمانيا .

في السياق النفسي والاجتماعي؛ وهو تطور حدث من قبل في علم الأنثروبولوجيا، يتعلق بالسياق الثقافي .

وفي الحقيقة أبقت التوسعات في علم اللغة على الاستثناء إزاء التحليل اللغوي بمفهومه الضيق . وسوف يتضح في الفصل الثاني على سبيل المثال أن علم النحو ما يزال في الغالب يقتصر على وصف جمل أو أجزاء من جمل منعزلة، ولا ينظر إطلاقاً أو نادراً ما ينظر إلى التحليل النحوي لتتابعات الجملة أو النصوص .

ويسري مثل ذلك أيضاً مع تغيرات ضرورية على الاستعمال اللغوي : إذ تحلل العمليات النفسية لفهم الجملة واكتساب اللغة (أو قل : اكتساب النحو) والفروق اللغوية بين اللهجات أو استعمالات اجتماعية، غير أن هذا كله يقع على مستوى نحو (الجملة) في الغالب . ومن خلال وجهات نظر عدة تتشكل هذه القيود دون نظام وتعتمد على وضع العلم : فلو عرف الكثير عن البنية النحوية للنصوص - حيث يتوسع بكل تأكيد في مفهوم « النحو » أيضاً - فإنه يمكن أن تنسحب دراسة اللغة والاستعمال اللغوي في علم اللغة بشكل أيسر، وأجدر على النصوص أيضاً .

ولكنه حتى في هذه الحال ظل التحليل اللغوي مقتصراً على مستويات ووحدات وأقسام نحوية وقواعد خاصة بنظام اللغة والاستخدام اللغوي . أما السمات غير اللغوية الأخرى للنصوص فقد ظلت خارج مجال علم اللغة [4] . إن « الأبنية العليا » الخاصة في أشكال السرد والجدل وغيرها هي أمثلة نمطية . وكذا حين يعبر عنها من خلال اللغة فإنها نفسها ليست ذات طابع

---

(4) الأمر هنا ليس على هذا النحو، وهو أن كل اللغويين يقبلون بوجه عام ذلك التقييد لعلم النحو وعلم اللغة . وباستثناء نموذج النحو التوليدي السائد مدة ستين عاماً، ولدى لغويين ومدارس اتجاه أكثر اتساعاً، ومن ثم عنوا بالاستعمال اللغوي والنصوص أيضاً، مثل : بايك (1967) Pike وهاليداي (1967) Halliday .

«لسانی» أو «لغوی» بالمفهوم الضيق لهما : ذلك أن بنية الحكى يمكن أن يعبر عنها من خلال الرسوم أيضاً .

وكذلك يشغل تحليل «الأسلوب» مجالاً هامشياً فی علم اللغة، مهمة علم الأسلوب أو الأسلوبية المستقلة نسبياً . وينسحب مفهوم «الأسلوب» على الاستعمال اللغوى أيضاً، ولكنه فی هذه الحال يشير إلى خصائص مميزة وانفرادية فی سياقات اجتماعية معينة وإلى وظائف وتأثيرات / آثار معينة فی عملية الاتصال . ولما كان الأسلوب لا يمكن أن يدرس درساً جدياً على أساس كلمات أو مركبات أو جمل متفرقة، بل يعنی بالمنطوق اللغوى بوصفه كلاً فإنه فی هذه الحال يمكن أن يكون الإطار اللغوى النصی أكثر ملاءمة .

٦ وأخيراً فإن الأبنية البلاغية / للنص ذات علاقة وثيقة بالأبنية الأسلوبية للنص أيضاً، ويعرف جزء منها تحت اسم «صور الأسلوب» . ويتعلق الأمر هنا أيضاً بأبنية أو عمليات محددة تارة أخرى، تبدو كأنها لغوية غير أن مقولاتها ليست نحوية أو لغوية . فمقولة «التكرار» مثلاً لصوت وكلمة ومعنى الخ ليست فی الأساس مقولة لغوية (*) . ويسرى مثل ذلك على المقولات التى تشتمل على التقسيم الكلی لمنطوق لغوى . ويمكن أن تشكل تلك الأبنية أيضاً موضوع علم النص الأكثر اتساعاً، حيث يجب ـ بداهة ـ أن توضح العلاقات مع البنية النحوية للجمل والنصوص .

ونظراً للتوجه العام لعلم اللغة، ونظراً لاهتمامه الخاص أيضاً باللغة بوصفها نظاماً، وبالنحو وبالسمات العامة للاستعمال اللغوى فإن علم اللغة نادراً ما عنى بوصف أنواع مختلفة من أشكال الاستعمال اللغوى، مثل : نصوص تتحدد فيها مثلاً السمات الخاصة للمحادثات ونصوص الإعلان والتقارير الصحفية وكتابات الدعاية والعقود والقوانين وإرشادات الاستخدام ... الخ والوظائف المختلفة لكل منها .

(*) قارن الهامش ٤ .

وبعد هذا العرض للعلاقات بين علم النص وعلم اللغة ننتهي بشكل تلقائي إلى النتيجة القائلة بأن علم اللغة وعلم النص يمكن أن يتطابقا إذا أمكن أن يتسع علم اللغة وأن يتشعب نظرياً وتجريبياً، وأمكن أن يصف الملامح النصية المذكورة ووظائفها وآثارها . بيد أنه على نحو مماثل، كما يتحقق استقلال علم الأدب من اهتمامه الخاص بأبنية النصوص الأدبية ووظائفها يمكن أن يدافع أغلب اللغويين في الوقت الحاضر كذلك عن اقتصار علم اللغة على الخصائص اللغوية بصورة أحرى في النظام اللغوي والاستخدام اللغوي، أي علم النحو، وبذا يبقى مجال كافٍ لعلم النص مستقل لدراسة الخصائص الأخرى للمنطوقات وأشكال الاتصال .

١ ـ ٢ ـ ٣ إذا استعرضنا في إيجاز تاريخ العلوم الإنسانية المختلفة فإننا نرى أن البلاغة القديمة؛ برغم العناية بها سواء في القدم أو في العصور الوسطى أو في العصر الحديث حتى نهاية القرن الثامن عشر، قد فقدت مكانتها إزاء العلوم الأخرى التي يطلق عليها السبل الثلاثة (Trivum) *، وهي النحو والجدل فقداً كلياً تقريباً في العلوم النظرية [٦] . فبينما يشغل علم اللغة وعلم المنطق بوصفهما الأشكال الحالية لعلم النحو وعلم الجدل / موقعاً مستقلاً، وكذلك يلعب علم الأدب بوصفه الشكل الحديث للشعرية دوراً خاصاً، فإنه لا يكاد يوجد اهتمام مستحق للمشكلات والظواهر التي كانت موضوع البلاغة القديمة . ولما كانت البلاغة تعنى في المقام الأول بالوصف

٧

(*) يتكون هذا المصطلح في اللاتينية من جزءين : tri = ثلاثة و via = سبيل، طريق .

(٦) فكما عرض في الفصل الرابع تعد البلاغة مع الجدل والنحو جزءاً من المنهج المدرسي في العصور الوسطى، حول تطور البلاغة بوصفها علماً متميزاً قارن أيضاً المحاضرات في : Communications 16 (1970) والملاحظات الواردة في الفصل الرابع، قارن أيضاً : Ueding (1976) .

(المعيارى) لفن القول فقد برزت على وجه السرعة أشكال بديلة للاستعمال اللغوى والاتصال، حيث تلعب الخاصية المعيارية التى توجه فى حقيقة الأمر إلى الكلام « الجيد » أو « المؤثر (ars bene dicendi) » إزاء الكلام الصحيح الذى كان موضوع علم النحو (ars recte dicendi) دوراً جد جوهرى دائماً . ونلقى هذه الخاصية البراجماتية للبلاغة، كما سنناقشها فى الفصلين الرابع والخامس، تارة أخرى فى التطورات الحديثة لعلم اللغة وعلم الأسلوب .

ويمكن أن نعد البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص إذا ما تأملنا التوجه العام للبلاغة القديمة إلى وصف النصوص ووظائفها المتميزة، إلا أنه لما كان اسم البلاغة يرتبط غالباً بأشكال ونماذج أسلوبية معينة وأشكال ونماذج أخرى فإننا نؤثر المفهوم الأكثر عمومية، علم النص .

وما تزال توجد فضلاً عن ذلك اتجاهات دراسية باسم البلاغة Rhetorik أو منتشرة فى الداخل والخارج وبخاصة فى الولايات المتحدة [٧] . ويتصل الأمر هنا اتصالاً وثيقاً بأقسام الكلام، كما فى هولندا مثلاً، ففى إطار الدراسات الهولندية يوجد الاتجاه الدراسى المسمى (Taalbeheersing) ، أى المهارات اللغوية وأنظمة الاستعمال اللغوى، منذ بضع سنوات . ويوجد اهتمام بالبلاغة القديمة ذاتها، على نحو ما كان من قبل، فى الآداب التاريخية المختلفة وعلمى اللغة والأدب الكلاسيكيين . إن علم النص يمكن أن يقدم إطاراً عاماً لدراسة متجددة لجوانب بلاغية فى الاتصال .

١ ـ ٣ علم النص وعلم النفس الإدراكى

١ ـ ٣ ـ ١ بينما كان الحديث فى علم اللغة والأسلوبية وعلم البلاغة وعلم الأدب فى الأساس عن ملامح (وتراكيب وخصائص) محددة

---

(٧) قارن أيضاً : بيتزر وبلاك Bitzer & Black (1971) (ed.) حول مكانة البلاغة وعلاقاتها بدراسات الكلام والاتصال فى الولايات المتحدة الأمريكية .

للنصوص ذاتها، حتى حين يتعلق الأمر بمعايير ووظائف محددة داخل سياق إدراكى واجتماعى، فإننا نريد أن نتناول بدقة هذه الوظائف فى التخصصات المتداخلة مع اللغة، أى : العمليات التى تحدث عن فهم أشكال لغوية محددة وعند إنتاجها .

إن أى نحو يصف النظام المجرد للقاعدة بدرجة أو بأخرى، وهو ما يقوم عليه استخدام لغوى « مثالى » وتنظيمى . / ويعنى علم اللغة النفسى ٨ (الإدراكى) بإيضاح الأداء الفعلى لهذا النظام اللغوى المجرد . ومن ثم فسوف توصف من خلال مفاهيم معينة أحوال وعمليات إدراكية معينة؛ كيف يكتسب هذا النظام اللغوى وبخاصة القواعد والاستراتيجيات التى تطبق حين ينتج مستخدم لغة ما نصاً أو يفهمه . وبالنسبة لعلم النص فإنه من المهم أن يظفر المرء بإيضاح لكيفية إمكان مستخدم لغة ما أن يقرأ أو يسمع منطوقات لغوية معقدة مثل النصوص وأن يفهمها، وأن يستخرج « معلومات » محددة، وأن يخزن هذه المعلومات (على الأقل بصورة جزئية) فى الذاكرة وأن يعيد إنتاجها مرة أخرى . كل هذا بغير معزل عن مهام أو مقاصد أو مشكلات محددة أخرى .

ومنذ بضع سنوات فقط بدىء فى علم النفس فى طرح تلك القضايا، وإجراء تجارب واقتراح نماذج وتطوير نظريات لوصف هذا النمط من السلوك اللغوى الأشد تعقيداً وتوضيحه . وتصور إحدى المشكلات المهمة للغاية الحقيقية المنطقية القائلة بأنه لا يمكن لمستخدم اللغة العادى أن يحتفظ فى ذاكرته بكل البيانات النحوية والمضمونية لنص ما على نحو يمكن معه استرجاعها ثانية، بحيث يكون من الضرورى وجود اختيار ما أو عملية أخرى لاختزال المعلومة . وبهذا يثور السؤال التالى : ما هذه العمليات وما القيود والشروط التى يمكن من خلالها أن يتسع تأثيرها ؟

١ ـ ٣ ـ ٢   هذه الأسئلة المطروحة جوهرية بالنسبة لقائمة من المشكلات سواء داخل علم النفس أو خارجه؛ فإذا عرفنا بشكل محدد ما البيانات التى يستخرجها مستخدمو اللغة من النصوص بوجه خاص، ويختزنونها فى الذاكرة؛ وهى تتعلق بمضمون النص وبنيته والمعارف المسبقة والاهتمامات والتدريب ... الخ فضلاً عن الوضع الخاص لمهامهم وموقفهم المميز، فإننا نمتلك بذلك أداة مهمة لفهم عمليات التعلم، وربما توجيهها أيضاً . ويجب بكل تأكيد أن نعرف أيضاً البنية المعرفية التى يمتلكها مستخدم اللغة، ويجب أن نحاول أن ندرك كيف تتغير هذه المعرفة بناءً على معلومة نصية جديدة؛ وهى مشكلة تندرج أيضاً تحت ما يسمى بالذكاء الاصطناعى .

ومن جهة ثانية تمكننا معرفة العمليات الإدراكية لاستيعاب النص من أساس لتحليل عمليات اجتماعية . وأخيراً يتصرف فرد ما وفق معارف عارضة وإن كانت عامة واصطلاحية، يقف عليها أقرانه والمجتمع بوجه عام . وهذه المعرفة قد تشكلت من تفاعل وإدراك، وبخاصة من خلال نصوص لا نهائية، عرضت له فى مواقف اتصال كثيرة .

١ ـ ٤   علم النص وعلم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع

١ ـ ٤ ـ ١   ها نحن قد وصلنا إلى حقل العمل المركزى فى علم النص / ، ألا وهو علم النفس الاجتماعى [٨] فالناس أفراد اجتماعيون : إنهم لا   ٩

---

(٨) لن نستطرد فى هذا الكتاب فى علم النفس الاجتماعى الخاص باستيعاب النصوص والتحليل الآخر للنص من خلال سياقه الاجتماعى، بل إن ذلك ربما يكون موضوع بحث نصى بالغ الاتساع . قارن حول مجال الآراء والاتجاهات رؤية عامة فى كتاب: فيشباين وايازن Fishbein & Ajzen، وكتاب : هيملفارب وإيجلى Himmelfarb & Eagly (1974) (eds.) حول ما يتصل بالاتصال الجماهيرى، انظر هامش ١٢ فى الفصل الأول .

يتحدثون لكى يعبروا عن معرفتهم ورغباتهم وأحاسيسهم فحسب، لا يسجلون ما يقوله الآخرون بشكل سلبى فحسب، بل يسعون إلى إيجاد اتصال من خلال تفاعل اجتماعى بوجه خاص، حيث ينبغى أن يؤثر المتحدث فى السامع من خلال المنطوق، النص على نحو محدد . نريد أن يعرف (السامع) ما نعرف نحن (نقدم له معلومات)، بل إننا نريد بناء على ذلك أن يفعل ما نقول . فنحن نطلب ونأمر ونوصى، وحين نعبر عن ذلك فى نص فإننا نقوم حدثاً اجتماعياً؛ نحن نهنىء أو ننهر أو نحيى أو نلوم، وحين تكون لدينا سلطة أو دوراً أو وظيفة فإننا نستطيع من خلال حدث لغوى أن نتهم أو نبرئ وأن نعمد أو أن نقبض على . ووصف تلك الأحداث اللغوية، التى تسمى أيضاً « الأفعال الكلامية »، وأبنيتها المميزة المرتبطة بخاصية المنطوق هو مجال مهام البراجماتية التى تنتمى إلى علم اللغة كانتمائها إلى علم النفس الاجتماعى والفلسفة . وسوف نناقش فى الفصل الثالث المشكلات البراجماتية .

ومن البدهى أن نتائج هذا النوع من الأفعال اللغوية بالنسبة للمعرفة والآراء والمواقف وسلوك رفاقنا المترتب على ما سبق، مهمة لعلم النفس الاجتماعى . فالأفعال اللغوية يمكن أن ينجزها فرد، كما أن تنجزها مجموعة أو مؤسسة . ويمكن أن توجه إلى فرد أو مجموعة أو جمهور واسع أو مؤسسة . ومن ثم يمكننا الحديث عن « الاستيعاب الاجتماعى للمعلومات » . وعند طرح هذه المشكلة يبرز دور علم النص، إذ إنه يدرس فى إطارها العلاقات بين بنية نصية محددة وتأثيراتها فى المعرفة والرأى والمواقف وأفعال الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات . إنه يبين لنا كيف يمكن أن يؤثر شخص ما من خلال مضمون معين يعبر عنه بطريقة أسلوبية محددة وعمليات بلاغية محددة وجنس نصى محدد .

إن علم النص يسعى إلى إيضاح كيف يتلقى أفراد أو جماعات تلك

« المضامين » ويستوعبونها من خلال هذه الأبنية النصية الخاصة، وكيف تؤدى هذه المعلومة إلى بناء الرغبات والقرارات والأفعال، مثل : كيف نغير سلوكنا الشرائى تحت تأثير نص دعائى معين، أو نغير سلوكنا الانتخابى بسبب خطاب سياسى أو معلومة فى الصحيفة أو أية وسيلة أخرى، وكيف نعزف عن تفاعلنا مع مجموعات معينة تالية فى المجتمع بسبب المعرفة التى نمتلكها عن أناس آخرين / من هذه المجموعات، وأخيراً كيف تتشكل أو لا تتشكل عاداتنا وأحكامنا ومعاييرنا وأعرافنا وتقييماتنا من معلومة نصية . ١٠

تلك التساؤلات هى مهام علم النص فى إطار علم النفس الاجتماعى، إنها كذلك المجال الذى يمكن أن يطبق فيه علم النص تطبيقاً مثمراً للغاية .

١ ـ ٤ ـ ٢ لا تتأثر بنية النص ضمن سياق الاتصال فقط بمعرفة الفرد أو مقاصده أو بوظائف النص فى تأثيرها فى مواقف أفراد آخرين وسلوكهم، فإن جماعات ومؤسسات وطبقات تتواصل أيضاً تواصلاً جماعياً أو عبر أفرادها من خلال إنتاج النص . ويبرز كذلك مكان الفرد ودوره ووظيفته فى هذه الأبنية الاجتماعية من خلال سلوكه اللغوى . وقد رأينا أن الفرد يجب أن يتصرف من خلال سلطة أو وظيفة محددة أيضاً لإنجاز أحداث لغوية معينة، مثل القاضى أو الراهب أو المدير . ويسرى مثل ذلك على مضمون النص وشكله المعبر عنه . وبذلك نصل إلى دور علم النص داخل علم الاجتماع (٩) .

---

(٩) على حين توجد أعمال كثيرة للغاية فى مجال علم الاجتماع اللغوى وعلم اللغة الاجتماعى، فما تزال النظرة العميقة فى الأبنية والوظائف الخاصة للنصوص داخل السياق الاجتماعى محددة نسبياً، قارن أيضاً سندو (.ed) (1972) Sundow والإحالات الواردة فى المقالات المجموعة هناك . حول جوانب مختلفة فى علم اللغة الاجتماعى، قارن مداخل ديتمار (1973) Dittmar وأبل Appel وهوبرز وماير ـ

ويمكن تحديد المؤسسات وتحليلها من خلال مراعاة ألوان النصوص التى تنتجها، فضلاً عن أشياء أخرى . فالمؤسسة الكيمائية تنتج نصوصاً مختلفة عن النصوص التى تنتجها الكنيسة الكاثوليكية أو المحكمة الإقليمية، فليس لهذه النصوص مضمون مختلف فحسب، بل يختلف أسلوبها، والعمليات البلاغية الأخرى أيضاً . وفى كل الأحوال تختلف الوظائف البراجماتية والاجتماعية كذلك . وتتضح العلاقات بين الأفراد فيما بينهم داخل هذه المؤسسات من خلال أنواع النصوص التى تنتجها وأشكالها ومضامينها؛ فمدير المصنع ينتج نصوصاً للمدراء المتعاونين معه مختلفة عن النصوص التى ينتجها لمرؤسيه (عبر سلسلة من الوسطاء) . فإذا رغبت فى طلب شىء ما من صديقى فإننى أعمل شيئاً مختلفاً عن رفع التماس لدى العمدة . ومن ثم يجب أن يبين علم الاجتماع الخاص بكيفية استيعاب النص بوصفه مجالاً فرعياً من علم الاجتماع الاتصال العام، فله مهمة مميزة، وهى كيف تتضح علاقات السلطة والتدرج والقسوة والوظائف والأدوار والمستويات والطبقات فى الأبنية الممكنة لنصوص الأفراد أو المجموعات أو المؤسسات المعنية بذلك . وينبغى أن نتحدث جزئياً عن ذلك فى هذا الكتاب (فى الفصل السابع)، وذلك من خلال تحليل المحادثات من داخل التفاعل الاجتماعى - الأصغر .

١ - ٥ علم النص وعلوم القانون والاقتصاد والسياسة [11]

١ - ٥ - ١ رأينا أنه توجد فى البنية الاجتماعية مؤسسات وأنظمة جزئية محددة تتميز كلها من خلال وسيلة محددة عن كيفية التواصل على المستويين الداخلى والخارجى وعن النصوص النمطية التى تستخدم أيضاً، ويختلف معيار عملية التقنين لهذه الأشكال من أشكال الاتصال .

- قارن نظرة عامة حول العلاقات بين اللغة والنص والمجتمع : Hubers & Meijer . بوبنسون (1972) Bobinson .

وربما يعد أحد الأنظمة المقننة غالباً النظام القانونى أو نظام العدل الذى يعمل فى معظمه على أساس من النصوص : إذ تصاغ القوانين، وترفع محاضر الشرطة، وتبرم العقود، وتعلن أوامر تفتيش المنازل وتصدر الوثائق ... الخ . وتبعاً لذلك فإن هذه النصوص يمكن أن يدان فيها (س) أو يدافع عن (س) أو يحكم على (س) أو يفرج عن (س) . وفى كل هذه الحالات تكون للنصوص - سواء أكانت مكتوبة أو شفاهية - صيغة اصطلاحية قانونية ثابتة دقيقة للغاية، مع تعبيرات خاصة وقواعد مميزة تعتمد على الوظائف القانونية الدقيقة لهذه النصوص . وعلى هذا فإنه يمكن لذلك أن تنشأ صلة وثيقة بين علم النص وعلم القانون [10] .

ويمكن أن يسرى ذلك بشكل مطابق على العلوم السياسية؛ [11] فخطب الساسة ومناقشات البرلمان والأخبار السياسية فى وكالات الأنباء والتعليقات والاتفاقيات الدولية والمؤتمرات والدعاية وبرامج الأحزاب تمثل آخر الأمر التحقق « النصى » للنظام السياسى . وليس من قبيل المصادفة أن تشغل

---

(10) إن تحليل النصوص وتأويلها مهمة جوهرية فى القانون بشكل واضح إلى حد بعيد. ولذلك توجد بضع أعمال تعنى بالأبنية النصية الخاصة والاستعمال اللغوى فى القوانين، ونصوص أخرى مهمة قانونياً وبأشكال الاتصال فى القضايا : قارن ليودولتر (1975) Leodulter وحول تحليل سجين، قارن أيضاً : رافى وآخرين (1971) Rave et al. .

(11) أورد لاسول(1949) Lasswell, Leites et al. (eds) حول النص والاستعمال اللغوى والاتصال داخل سياقات سياسية فى المقام الأول فى مجال تحليل المضمون والاتصال الإقناعى وما أشبه، أعمالاً مهمة . قارن أيضاً مقالات أخرى فى : De Sola, Pool, Schramm et al. (eds.) (1973)، ويطرح كلاوس وغيره (1971) Klaus منظوراً آخر . ويحلله تسيمرمان (1969) Zimmermann مثلاً بصورة موضوعية، وحلل هوند هاوزن (1975) Hundhausen الدعاية .

تحليلات الاتصال الجماهيرى وعلم الصحافة والنشر (١٢) مكاناً بصفة دائمة تحت سقف سياسى / ، حتى ولو لزم أن تتبع هذه العلوم علم النفس الاجتماعى . وربما استحقت منذ مدة طويلة أن يكون لها وضع مستقل . ومن هنا فإننا سوف نتناول ما سمى بتحليل المضمون والعلاقات بين النصوص ومواقف المتلقين، فى المقام الأول، بمساعدة نصوص دعائية وأشكال أخرى للاتصال السياسى .

١٢

لا ريب أن الموضوع المحورى للاقتصاد (١٣) ليس شكلاً من أشكال الاتصال النصى أو اللغوى، وإنما هو تبادل المنافع والمال والخدمات والعمل، بالإضافة إلى المظاهر النصية المختلفة للأبنية الاقتصادية (مثل أخبار البورصة والميزانيات السنوية وما أشبه ذلك) . إن الإنتاج والاستهلاك والخدمات توجد أساساً داخل سياقات تفاعل اجتماعية، أى فى التجارة وفى المؤسسة وفى المكتب وفى المصنع . ومن ثم فمن المهم سواء بالنسبة لعلم الاجتماع أو علم الاقتصاد الاجتماعى معرفة كيف توجه تلك التفاعلات

---

(١٢) لا شك أنه أولى اهتمام كبير لتحليل « الرسالة » سواء داخل بحث الاتصال - - الجماهيرى أو فى إطار تحليل المضمون : قارن جربنر وآخرين .Gerbner et al (eds.) (1969) ، وهولستى (1969) Holisti وغيرهما . والواقع أنه قد عنى به فى المرجع الضخم فى بحث الاتصال لـ (1973) De Sola ، بيد أنه لا يعثر على أى أثر أو أثر محدود لاتجاه علم اللغة أو علم النص الذى ربما يجعل تحليل الرسالة أكثر تنظيماً . ويبدو هنا أيضاً أن البحث فى ألمانيا قد تقدم فى سلسلة فى النقاط . وينصح كذلك بأعمال : Prokop (ed.) (1972/ 1977), Aufermann, Bohrmann & Sülzer (eds.) (1973) وغيرهما المقدمات والعروض الكثيرة، ويقدم فرسج Wersig (1969)قائمة مراجع مفصلة حول تحليل المضمون . وربما يعرض Lisch & Kriz (1978) أحدث تطور . ومع ذلك ليس من الممكن فى هذا الموضع كذلك أن تقدم قائمة مراجع متميزة لأشكال النص المختلفة، مثل الإعلان والدعاية والأخبار الصحفية وما أشبه .

(١٣) لا أعرف أية بحوث منظمة، تعنى بأشكال الاستخدام اللغوى والنصوص داخل سياقات اقتصادية .

اتصالياً، فليست كل المؤسسات تتصل فيما بينها فحسب، بل العاملون داخل المؤسسة أيضاً، وأصحاب العمل مع العاملين ... الخ . وبذلك تحدد العلاقات المتدرجة بصورة صارمة الأحداث اللغوية الممكنة والأشكال النصية والأسلوب . ونذكر مثالاً على ذلك، ففى الأساس تصدر التكاليف وكذلك الأوامر « من أدنى » . أما الطلبات فتتجه من أدنى إلى أعلى فى الغالب .

بيد أنه من الصعب أن تدرج المنتجات والخدمات فى بنيتنا الاقتصادية دون أن تتأثر اللافتات ونصوص الدعاية الإعلامية أحياناً والموجهة غالباً بالمعرفة والرأى والموقف والحاجات والرغبات فى تحديد السلوك الاقتصادى .

وهكذا نرى أن العلوم النظرية والاجتماعية المختلفة ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً من خلال الدور الجوهرى للاتصال النصى، فالاتفاقات الضمنية أو المعاهدات أو إمكانات الجزاء ترصد من الناحية التشريعية فى قوانين وتوصيات، ويتشكل سلوك سياسى بشكل متنام من اتصال فعلى، ويتحدد تفاعل البيع والشراء من خلال عقود ... الخ . وقد حدث - إذا نظرنا من الناحية التاريخية - تحول ما يزال يتنامى باستمرار، بدءاً من الأحداث المباشرة والتفاعلات وصور إنتاج البضائع إلى الاتصال النصى الذى يوجه ما سبق ويعرضه .

١ - ٦ علم النص وعلم التاريخ

١ - ٦ - ١ إن ما قيل آنفاً حول دور علم النص بالنسبة لموضوعات وقضايا فى العلوم النظرية والاجتماعية / يمكن أن يمتد فى الأساس سواء فى الزمان أو فى المكان . ولهذا فإن علم التاريخ بادى الأمر لا يضم فى الغالب شيئاً آخر خلاف نصوص ذات طبيعة متباينة (وثائق ومؤرخين ومصادر

١٣

ومذكرات وأخبار وأوصاف ... الخ) عن وقائع الأزمنة المبكرة، الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها) (١٤) .

١-٦-٢ ومن هذا المنظور ليس علم التاريخ نفسه شيئاً آخر تقريباً غير علم النص التاريخي، لأنه يمكن أن يحقق وضوحاً حول كيفية تغير أشكال النص المتباينة على امتداد الزمان، وتحت أى ظروف سياسية واجتماعية وثقافية يحدث ذلك التغير . ويمكن أن ينظر إلى اتفاقية فى العصور الوسطى على نحو مخالف لاتفاقية معاصرة . ويمكن أن يسرى ما يشبه ذلك على القضاء والحوار السياسى والوصف التاريخى. ومع ذلك فإنه يمكن أن يتضح فى الوقت ذاته أيضاً أن هناك ثوابت وامتدادات تاريخية، على نحو ارتباط قوانيننا باستمرار ارتباطاً وثيقاً بالقانون الرومانى، واستيعاب أدبنا باستمرار موضوعات وموتيفات من الأدب الكلاسيكى اليونانى، واستخدام نصوصنا الإقناعية عمليات بلاغية أيضاً استعملها خطيب قبل ألفى سنة فى الاجتماع الشعبى أو أمام محكمة .

١-٦-٣ أما ما يمكن أن يكون مهماً ليس بالنسبة لعلم التاريخ فحسب، بل لعلم النفس وعلم القانون وعلم الاجتماع فهو كيف يصب الناس إدراكاتهم ومعارفهم ومعايشاتهم طالما شملت أناساً آخرين أو أحداثاً أو أفعالاً أخرى، فى صور من الوصف والحكى والشهادة . إن إعادة تركيب الواقع المعاصر أو واقع تاريخى ما يرتكز هنا على عمليات تأويل معقدة يمكن أن تفسر بصورة متماسكة داخل علم شامل للنص .

---

(١٤) عالج دانتو وجراى Danto (1965), Gray (1971) وغيرهما الأساس النصى لعلم التاريخ وبخاصة دور الحكى .

١ ـ ٧ علم النص وعلم الأنثروبولوجيا

بينما يوضح علم التاريخ الاتفاقات والفروق الزمنية بين أشكال نصية مختلفة وفترات مختلفة، ويمكن أن يستخدم لإعادة تركيب التاريخ فإن علم الأنثروبولوجيا يعنى بالاختلافات المحلية والإقليمية والثقافية بين النصوص وأشكال النصوص واستعمال النص [١٥] .

١٤ / ومن الواضح أن كثيراً من النصوص والأنواع التى ذكرناها لم يرد إطلاقاً أو على الأقل فى الشكل المعروف لنا فى ثقافات أخرى . وعلى سبيل المثال فإن رواية ما أو ميزانية سنوية أو برنامج حزبى أو كتاب مقدس أو قانون لا يظهر لدى شعوب ذات بنية اجتماعية وسياسية أخرى، وأخيراً ذات أشكال اتصال شفاهية . وعلى النقيض من ذلك فإننا لم نعد نعرف الحكاية الملحمية الطويلة أو الأساطير فى الرواية الأصلية والشفهية التى ما تزال موجودة فى مكان ما، وبعبارة أخرى : ففى مكان آخر يحكى ويخبر على نحو مختلف، ويهدم بصورة مختلفة ويسب ويكافأ بطريقة مغايرة . ويعنى اتجاه بحثى داخل علم الأنثروبولوجيا، وهو « أثنوجرافيا التحدث » ، أساساً بوصف تلك الاتفاقات أو الاختلافات بين النصوص والاتصالات فى سياقات ثقافية مختلفة [١٦] . ولا يقتصر هذا التحليل على المقارنات الثقافية مع شعوب معينة، بل يمكن أن يمتد إلى ثقافات (تحتية) متباينة داخل بلد ما أو شعب ما .

---

(١٥) بينما يهتم علم الأنثروبولوجيا منذ مدة طويلة جداً باللغة والاستخدام اللغوى (فإن كتاب هايمز (1964) Reader von Hymes (ed.) ، فإنه تمثل كذلك فى السنوات الأخيرة أشكال اتصال نصية، كما فى « أثنوجرافيا الاتصال » Gumperz & Hymes (ed.) (1972) وفى « أثنوجرافيا التحدث » (انظر الهامش التالى) قارن أيضاً Amos & Goldstein (eds.) (1975) .

(١٦) أفضل ما يقرأ فى هذا المجال بلا شك هو كتاب :

Bauman & Scherzer (eds.) (1974).

وعلى سبيل المثال توجد أيضاً فيما يتصل بالاختلاف اللغوى وفقاً للاختلاف الاجتماعى أشكال نصية غاية فى التباين [١٧] .

وفى هذا الإطار ينبغى أن يهتم علم اللاهوت بوجه خاص بالكيفية التى تبنى بها مجموعات أساطيرها وطقوسها الخاصة بآلهتها أو بما هو خارج الأرض وفى السماء وتشكلها وتورثها، وكيف يبنى، داخل مؤسسات مثل الكنيسة، كتاب مقدس، التعاليم الدينية وخطب الوعظ والمزامير وكيف توظف[١٨] .

وفضلاً عن ذلك يرجع إلى علم اللاهوت فى العصور الوسطى شكل من أقدم أشكال « تفسير النص » ألا وهو « علم التأويل » [١٩] (للهرمينوطيقا) الذى يلعب فى علم الأدب إلى جانب علوم أخرى دوراً ما .

١ ـ ٨ مهام علم النص

١ ـ ٨ ـ ١ قد اتضح من سرد سلسلة من العلوم النظرية والاجتماعية

---

(١٧) يقدم " Sounding "مثالاً لشكل نصى آخر نمطى بالنسبة لطبقة اجتماعية، وقد حلله أيضاً Labov (1972c) .

(١٨) قد اشتغل فى علم اللاهوت أيضاً، الذى كان يعنى بداهة بصورة مكثفة دائماً بالنصوص وتحليل النص وتفسيره (شرحه exegese) فى السنوات الأخيرة بتطبيقات سيميائية وخاصة بنظرية السرد، وتطبيقات لغوية ونصية، قارن أيضاً المجلات : Linguistica Biblica (Bonn), Sémiotique et Bible (Lyon) و Semeia (جامعة مونتانا) .

(١٩) علم التأويل الذى يرجع أساساً إلى شرح الكتاب المقدس فى العصور الوسطى امتد أخيراً وبخاصة منذ عمل دلتاى Dilthey من جهة، وعلم الظواهر الفلسفى لهوسرل Husserl من جهة أخرى، إلى علوم نظرية واجتماعية أخرى . فقد أنجز جادامر Gad-amer (1960) العمل المهم فى هذا النموذج، ويوجد هنا كذلك اتجاهات غير مكتملة بشكل واضح، بدءاً من هايدجر (Heidegger) حتى جيجنبول (Gegenbol) لهوبرماس وابل .

١٥ مدى امتداد المجال الكلى المفترض / لعلم النص، ولم يكن السرد مكتملاً إذ صار واضحاً أيضاً أن علم النص بوصفاً بحثاً للاتصال النصى وبوصفه موضوعاً لا أهمية له بالنسبة للعلوم . ومع ذلك فإن أشكال الاتصال الباثولوجية (المرضية) مهمة كذلك بالنسبة للعلوم الطبية - السيكولوجية، وهى نصوص صادرة عن المصابين بالحُبْسَة أو الفِصام، لأننا نتعرف من خلال ذلك معرفة عميقة بالاضطربات النفسية . ويسرى مثل ذلك على المرضى بالأمراض العصبية أو المشكلات النفسية التى يخبر بها المريض طبيبه النفسى أو المعالج النفسى [٢٠] . وفى هذه الحالات لا تقدم المحادثة للطبيب النفسى معلومات حول أسباب ممكنة أو دوافع مفترضة للاضطراب فحسب، بل تمارس فى الوقت نفسه تأثيراً طبياً مهماً أيضاً، وتلك المحادثات والتقارير تمثل كذلك موضوع اهتمام علم النص، لأنها تمدنا ببيانات حول العلاقات بين الأبنية النصية والأبنية النفسية (التأثيرية والعاطفية) .

وإذا ما نظرنا آخر الأمر إلى الرياضيات والمنطق والفلسفة فإنه يمكن أن يتبين لنا أن الرياضيات والمنطق لهما كذلك علاقة بالنصوص، وبخاصة بالأبنية النصية ، الشكلية ، مثل الأدلة والاستنتاجات [٢١] . فالفلسفة، على النقيض من ذلك، وبخاصة نظرية الجدل (الحجاج) [٢٢]، تتناول بشكل

---

(٢٠) بالنسبة لدور النصوص فى العلاج النفسى قارن بوجه خاص الأعمال الموجودة حول ما يسمى بعلاج المحادثة، وحول الوصف المنظم قارن كذلك: Tausch (1974) ، وحول تحليل النصوص العلاجية قارن Labov & Fanshel (1977) .

(٢١) حول العلاقات بين الأبنية الشكلية للأدلة أو صور الاستنتاج من جهة والنصوص من جهة أخرى قارن أيضاً : Corcoran (1969) و Dijk (1974) .

(٢٢) ويمكن أن يشار إلى الفصل الخامس بالنسبة لكل الملاحظات والإحالات حول نظرية الجدل (الحجاج) .

مباشر البنية والمضمون واستراتيجيات النصوص، بغض النظر آخر الأمر عن الخاصية النصية للفلسفة بوصفها علماً في حد ذاته [٢٣] .

١ ـ ٨ ـ ٢ ربما قد اتضح بعد الفقرات السابقة أن مهمة علم النص لا يمكن أن تكمن في صياغة أو حتى في حل المشكلات الخاصة بكل العلوم النظرية والاجتماعية تقريباً، بل يدور الأمر حول عزل جوانب محددة في هذه التخصصات العلمية، أي الأبنية واستعمال أشكال نصية للاتصال وتحليلها داخل إطار متكامل ومتداخل الاختصاصات .

١٦ ويمكن أن يتحقق هذا التكامل في تحليل الملامح العامة / التي يجب أن يشتمل عليها أساساً كل نص في لغة ما، حتى يمكن أن يوظف بوجه عام بوصفه نصاً . وهنا يتصل الأمر بالأبنية النحوية (التركيبية والدلالية والبراجماتية) والأسلوبية والهيكلية، وعلاقتها المتبادلة . إذن يتصل بأداء النص وظيفته، أي تحليل خصائص إدراكية عامة، تمكن من إنتاج معلومة نصية معقدة وفهمها .

كذلك يمكن أن تصاغ معايير من خلال مصطلحات بنية النص والسياق، وعلى أساس ذلك تختلف النصوص بعضها عن بعض، بحيث يمكن أن تصنف في أشكال نصية مختلفة وكذلك من قبل مستخدم اللغة . وتنبغي الإشارة هنا إلى كيفية تحديد هذه الأشكال النصية المختلفة للسياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية أيضاً، وكيف تغيرها وكيف يكون

---

(٢٣) لا يجوز أن يفهم أن الفلسفة، بسبب غياب الأساس التجريبي، هي علم للنصوص (الفلسفية) خاصة، إذ يعبر عن جانب من هذا الرأي في الفلسفة التحليلية على وجه الخصوص التي تقوم إلى حد كبير على تحليل مفهومي ولغوي . ولا تعني إشارتنا ـ بداهة ـ أن الفلسفة لا يمكن أن تجعل بصورة مجردة مشكلات أو مفهومات محددة موضوعها (مثل الحدث واللغة والعقل والعلة ... الخ) التي يمكن أن ينظر إليها تارة أخرى على أنها قائمة على النص والسياق .

السياق على النقيض مما سبق محدداً لبنية النص . ونظراً لأن علم النص لا يمكن أن يمارس عمل علوم النفس والاجتماع والاقتصاد ... الخ ذاتها فإنه وحده يستخلص بعض أوجه النظر العامة حول الأبنية المميزة للنص والسياق فى عمليات الاتصال والتفاعل الملحوظة فى تلك العلوم . وفى إطار وجهة النظر هذه فـإن علم النص يمثل العلم الموازى لعلم اللغـة المتـداخل الاختصاصات، الذى يدرس الاستعمال اللغوى بمفهوم ضيق، على سبيل المثال فى سياقات اجتماعية مختلفة .

ويمكن بمساعدة هذه الرؤى والتحليلات أن تصاغ نظرية عامة للنص، يمكن أن تشكل الأساس لوصف واضح وشامل لأشكال نصية متباينة والعلاقات المتبادلة بينها . وبهذا تشكل نظرية اللغة ونظرية النص معاً النظرية العامة للاتصال الفعلى .

١ ـ ٨ ـ ٣ نظراً لأن علم النص يلزم أن يتطور هنا فى هذا المنحى فإنه لا توجد فى الوقت الحاضر ـ بداهة ـ إلا بضع قطع لمثل ذلك البرنامج البحثى الشامل إلى حد ما، إذ قدمت علوم اللغة والأدب والبلاغة ونظرية الجدل ونظرية السرد وعلم الأسلوب إسهامات فى وصف أبنية النص . ويمكن هنا أن يتحدث بشكل مؤقت عن علم النص بمفهوم ضيق، برغم أنه يصعب الحصول إلى حد ما على نظرة عميقة فى أبنية النصوص إذا لم تعالج أيضاً بصورة منظمة الشروط والوظائف والآثار، أى السياق فى صلته ببنية النص . ومن ثم فإن هذا المدخل سيقدم ابتداءً رؤية عامة عن أبنية نصية مختلفة، غير أنه يجب أن يقتصر على معالجة السياق الإدراكى والاجتماعى الأصغر، ويمكن فى مرحلة تالية فقط لعلم النص أن تدمج نتائج موجودة أو مستقبلية فى علم النفس الاجتماعى والأنثربولوجيا وعلم الاجتماع وعلم القانون وعلم التاريخ والطب النفسى . ومن الممكن كذلك إلى حد كبير أن يكون من

الأهمية بمكان من منظور هذه العلوم الأخرى التفريق بين مستويات التحليل والمقولات الأخرى وذلك فيما يخص بنية النص ذاتها أيضاً .

١٧ ١-٨-٤ لا يتناول البحث المتداخل الاختصاصات في اللغة والنص والاتصال وكما قيل إلا جوانب محددة فقط من الظواهر والمشكلات التي تشتغل بها العلوم المذكورة، وإن كانت هذه الجوانب أساسية في الغالب . وإذا ما كررنا هذه الملاحظة هنا فإننا نريد أن نبرز أنه يوجد في هذه العلوم عدد كبير من أنماط أخرى من الظواهر والمشكلات، التي تلعب في كل علم دوراً أكثر محورية من الدور الخاص بالاتصال النصي، وذلك مثل اللغة والسلوك والعمليات الإدراكية والتأثيرية والمواقف والوسائل والبنية الاجتماعية والطبقة والعمل وطرق الإنتاج والسلطة والقانون والمرض ... الخ . لا يقدم علم النص من جانبه إذن إلا إسهاماً بسيطاً في بحث ملامح محددة لهذه الجوانب المتعددة .

٢ ـ النص والنحو

٢ ـ ١ بعض مفاهيم جوهرية فى النحو

١٨

رأينا فى الفصل السابق أن علم اللغة العام قد اضطلع بوجه خاص بمهمة تطوير نظريات عن أنحاء لغات طبيعية . فالنحو ما هو إلا نظام من القواعد والمقولات والحدود ... الخ، التى تختص بنظام لغة ما [1] . وذلك النظام اللغوى مجرد نسبياً، ويتحقق فى إطار وصف متحدث مثالى . فليست معرفتنا اللغوية الحقيقية وتطبيقها فى اتصالات لغوية سوى تجسيد غير مباشر لهذا النظام اللغوى . وبعبارة أخرى : إن كل فرد أو كل مجموعة أو جماعة لغوية اجتماعية أو جغرافية تستخدم النظام اللغوى ذاته استخداماً متبايناً بقدر ما، ويرتبط ذلك الاستخدام بالظروف المختلفة وبالسياق الاتصالى .

يسعى النحو عادة إلى إعادة بناء النظام اللغوى العام والمجرد، حيث يجرد فى الاستعمال اللغوى من الفروق الفردية والاجتماعية والجغرافية والعارضة . ومن ثم لا يلتفت نحو للغة الهولندية، على سبيل المثال، إلى البناء الصوتى الخاص للهجة سكان امستردام وبنائها الجملى وثروتها اللغوية، كما لا يعنى نحو للغة سكان امستردام من جهته بالفروق بين التقسيمات المختلفة للمدينة . ومن البدهى ألا يعنى ذلك أن تلك الفروق فى اللغة ذاتها،

---

(١) عن العروض المفصلة لأهداف الأنحاء والنظريات والأشكال المختلفة قارن هلبج Helbig (1974) وهو صالح أيضاً لوصف موجز للمستويات الواردة فى النص فيما بعد، مثل المورفولوجيا والفونولوجيا والنحو والدلالة، قارن أيضاً بونتنج Bünting (1972) وفوندرليش Wunderlich (1974)، وتجد هنا أيضاً إحالة كافية إلى المجال الأصلى للبحث فى النحو النظرى وبخاصة إلى مؤلف تشومسكى . وفضلاً عن ذلك يراعى فى هذا الكتاب النتائج الأهم للنحو التوليدى وغيره، بيد أن معالجة أبنية النص محايدة فى قواعدها، بل إنها تقوم بالأحرى على المنطق الفلسفى والدلالة (اللغوية والمنطقية والإدراكية) .

برغم أن اللغة النموذجية الآن هى لهجة أو لغة طبقة، بل لايمكن ولا ينبغى أن توصف . فهذه مهمة من مهام علم اللغة الاجتماعى [٢] .

٢ ـ ١ ـ ٢ يوضح النحو نظام القواعد خاصةً، الذى يشكل الأساس لإنتاج منطوقات لغوية وفهمها فى لغة معينة . ويكون وصف بنية المنطوقات اللغوية على مستويات مختلفة، فيمكن فى المرحلة الأولى أن يوصف المنطوق اللغوى وصفاً فيزيائياً « محضاً »، على أنه سلسلة من موجات صوتية، أو وصفاً فيزيولوجياً على أنه عدد من حركات الجهازين النطقى والسمعى التى توجد أو تنتج المنطوقات باللغوية الفيزيائية . وتلك البحوث هى موضوع علم الأصوات؛ وهو علم يرتبط بعلم اللغة، أى ما يزال يرتبط بعلم النحو ارتباطاً محدوداً بدرجة أو بأخرى [٣] . ١٩

ويعنى علم النحو بمستويات المنطوقات اللغوية التى لها خاصية مجردة محددة وعرفية فى الوقت ذاته، بمعنى أن أغلب مستعملى اللغة يعرفون القواعد التى تميز هذه المستويات، ويفترضون حين يتحدثون أن المستعمل الآخر للغة يعرف القواعد ذاتها (تقريباً)، ويستطيع كذلك أن يفعل وفقاً لها؛ كأن يجيب من خلال ذلك على سؤال مثلاً .

---

(٢) ربما يكون تحديد تال هنا أمراً ضرورياً إذ إن من البدهى أن اللغة النموذجية وحدها بنية نحوية نظرية (إن لم يكن محض تصور) باعتبار أنها نتيجة للفروق الضخمة فى اللهجات ولهجات الطبقات داخل اللغة، ومن البدهى كذلك أن اللغة النموذجية فى أغلب المجتمعات تشكلت من لهجة صارت بناءً على عوامل اجتماعية ـ اقتصادية وتاريخية وثقافية (مثل السيطرة السياسية والثقافية) « لغة نموذجية »، مثل الهولندية بالنسبة للأراضى المنخفضة . حول تفاصيل هذا النمط ومشكلات نحوية ناتجة عن ذلك ومشكلات لغوية عامة، قارن أبل وآخرين : Appel, Hubers & Meijer (1976)

(٣) حول الوصف الدقيق لعلم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفى وعلم المورفولوجيا والنحو قارن أيضاً برنتنج Bünting (1972).

وهكذا فإن الفونولوجيا (علم وظائف الأصوات) يتناول مستوى الصور الصوتية فى نحو ما، فهو يصف مثلاً الملامح الفارقة التى تميز صوت / a / عن صوت / e /، وكيف يمكن أن تتضام هذه الصور الصوتية (الوحدات الصوتية) بعضها مع بعض فى تجمعات، وما الاختلافات التى يمكن أن تعتورها خلال ذلك .

وكذلك يعد المورفولوجيا (علم الصرف) جزءاً من النحو؛ وهو يتناول الصور اللفظية (الوحدات الصرفية) . فالوحدات الصرفية هى أصغر وحدات حاملة للمعنى فى النظام اللغوى، ومن ثم فهى تقدم الأساس لكل مستويات الوصف التالية، أى لكل الوظائف النحوية (النحو) والمعانى (الدلالة) اللذين نريد أن نقتصر عليهما هنا [4] .

وعلى هذا فإنه كما يمكن أن تترابط الأصوات (أفقياً) فى كلمات، يمكن أن تتضام الكلمات كذلك فى وحدات كبرى، تشكل هنا الوحدة الأساسية، ألا وهى الجملة . وفى النحو توصف المنطوقات اللغوية عادةً وصفاً دقيقاً من خلال هذا المعيار : أى توصف بنية الجملة . إن علم النحو (علم بناء الجملة) يوضح ما التكوينات اللفظية التى تشكل جملاً مفهومة فى لغة ما، وما التكوينات التى لا تشكل جملاً مفهومة .

ويحدث ذلك من خلال مقولات النظام والقواعد (النحوية)، فتتحدد إمكانات ربط الكلمات فى جملة ما / من خلال إمكانات ربط المقولات النحوية التى تتبعها الكلمات أو المركبات؛ فيمكن بعد أداة مثل : der (الـ المفرد المذكر) فى العادة أن يأتى اسم مثل : Mann (رجل)، ولكن تأتى

٢٠

---

(٤) على الرغم من أننا لن نتحدث هنا عن الفونولوجيا والمورفولوجيا فإن هذا لا يعنى أنه لا توجد على هذا المستوى سمات بنيوية خاصة بالنصوص، أى تنغيمات الجملة المميزة والنبر (التقابل مثلاً) أو أنماط لفظية محددة . قارن حول البحث التجريبى فى لغات عدة : لونجاكر (1976) Longacre (ed.)

الصفة أيضاً كما فى : der kleine Mann (الرجل القصير)، والظرف كذلك، مثل : der sehr kleine Mann (الرجل القصير جداً)، بينما تتبع المركبات الثلاثة المستخدمة مع الأداة المقولة النحوية ذاتها دائماً؛ وهى مقولة المركب الاسمى (فى الإنجليزية noun phrase، وتختصر إلى NP) . وحين تقدم مقولة المركب الاسمى يمكن أن تطرح المقولة الثانية على المستوى ذاته (مثل : المسند أو المركب الفعلى (فى الإنجليزية verb phrase، VP)، على نحو ماتعرف ذلك تقريباً من التقسيم الكلاسيكى للجملة . بيد أن النحو يحال بمقولات وقواعد واضحة، أى تعرف بدقة : أى القيود التى تقع من خلالها صور لفظية / ألفاظ أو مركبات معينة تحت مقولة ما، ووفق أى قاعدة يمكن أن تؤلف مقولات مع مقولات أخرى .

أما علم الدلالة فيقدم آخر الأمر وصفاً على مستوى معانى المفردات / المركبات ودور المقولات وتكويناتها بالنسبة لمعنى الجملة (*) . فالمعانى العامة والإدراكية للكلمات تتحدد فى المعجم أو فى قاموس لغة محددة، وعند وصف معان إدراكية لمعانى كل من gehen (يذهب)، و Laufen (يجرى) و reisen (يسافر) و Umziehen (ينتقل) ... الخ ، هو الحركة، ومعانى كل من « Mann (رجل)، و Pilot (طيار) و Madchen (بنت) و Held(بطل) ... الخ » هو تصنيف « إنسانى » . ويمكن ألا يشتق معنى بعض الألفاظ، مثل der – الـ للمفرد المذكر من المفهوم العلوى، بل إنها ليست لها وظيفة إلا من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما أو جملة ما أو وظيفة براجماتية معينة (انظر الفصل التالى) .

(*) نولى علم الدلالة اهتماماً كبيراً، لأنه ينبغى أن نجد هنا عدداً ضخماً من السمات النصية الخاصة، حول المدخل قارن ليونزLyons وكاتز (1972) Katz ، وليتش Leech (1969) ، والإحالات الواردة هناك حول علم الدلالة اللغوى، وحول علم الدلالة الإحالى المنطقى قارن فان دايك (van Dijk (1977a، والإشارات الواردة فى الهوامش التالية .

إن للمنطوقات اللغوية معنى محدداً، بمعنى أن مستعملي اللغة في جماعة لغوية ما بناءً على الاتفاق (المواضعة) خصصوا لها معنى ما . ويمكن هنا كذلك أن تلعب فروق فردية واجتماعية ومرتبطة بالموقف دوراً، غير أنهما سنجرد عنها ابتداءً . وتقع الأبنية والعمليات النفسية الدقيقة عند تخصيص معانٍ لمنطوقات، سواء في التعبير أو في الفهم، خارج نطاق النحو. وهكذا يصف علم الدلالة في إطار نظرة مجردة كل « تصورات المعنى » الممكنة (الأبنية المفهومية) التي يمكن أن تعبر عنها جمل ما . وبهذا يتجلى النحو إلى الآن في صورة مبسطة، باعتباره نظاماً قاعدياً يربط الصور الصوتية (عبر أشكال الجملة) بمعانٍ .

٢١ / أما فيما يختص بعلم الدلالة فإننا سوف نستكمل في الحال الخصائص الموجزة، إذ لا ينسحب علم الدلالة على معان عامة ومفهومية للكلمات والمركبات والجمل فحسب، بل على العلاقات بين هذه المعاني و « الواقع الخارجي »، وهو ما يسمى « بالعلاقات الإحالية »، فلا يعبر استخدام المركب (der kleine Mann الرجل القصير) عن وحدة مفهومية فحسب (بوصفها جزءاً من مجموعة خاصة بفرد، إنساني، ذكر ... مع خاصية أنه أقصر من الطول المقبول (...)) بل يمكن أن يحيل إلى شيء خاص، تتوفر فيه هذه القيود المفهومية، مثل : (meinen Bruder Peter أخي بيتر) . وهكذا يمكن أن يحيل الخبر «Läuft = يجري » إلى خاصية هذا الشيء وإلى مدة الزمن (الحال) التي يمتلك فيها هذا الشيء تلك الخاصية . ويمكن بوضوح تبعاً للمقولة النحوية أن يحال إلى أنماط مختلفة من الأشياء في الواقع الفعلي؛ كأن تحيل الأسماء إلى أشياء والصفات والأفعال إلى خواص هذه الأشياء، والظروف إلى خواص هذه الخواص (مثل « بسرعة » في : يجري هانز بسرعة) .

ويطلق على تخصيص الوحدات (الأشياء والصفات والعلاقات) من

الواقع الفعلى بمنطوقات لغة ما « التفسير »، ويتعلق الأمر هنا بتفسير جمل اللغات الطبيعية، ولا سيما بنائها المورفولوجى والنحوى، كما وصف من قبل. وهذا يعنى تخصيص مقولة نحوية معينة بنمط معين من الوحدات وعلاقةٍ بين الأنماط المختلفةِ للوحدات بعلاقة بين المقولات . ومن البدهى أن يقوم هذا التفسير المسمى « تفسيراً إحالياً » على تخصيص معانٍ ما بجمل ما، أى على الفهم، ولا نعرف إلى أى شيء تحيل مجموعة من المفردات حين لا نعرف ماذا تعنى . وسنعود ثانية إلى هذا الجانب وغيره فى علم الدلالة حين يتصل الأمر بتفسير تتابعات الجمل والنصوص . أما فى هذا السياق فمن المهم أن نوضح خواص معينة (علامات) للنصوص. وهى مضمون وموضوع وسياق ضمن غيرها. من خلال مفاهيم علم الدلالة، حيث تعالج الدلالات المسماة بالمفهومات، وكذلك الإشارة إلى المحيلات المسماة بالماصدقات . وسنعرف فيما بعد أننا نحتاج بجانب علم الدلالة اللغوى هذا سواء المفهومى أو الماصدقى إلى علم إدراكى أيضاً لوصف عملية تفسير النص، وهو الذى تلعب فيه إلى جانب غيره معرفة مستعمل اللغة بالعالم (Weltkenntnis) دوراً مهماً.

وفى علم اللغة الحديث تصاغ أبنية المنطوقات اللغوية على مستويات أشد تبايناً وكذلك على أساس أنظمة رياضية ومنطقية فى الغالب [٦] . فعلى سبيل المثال / سيعاد تقديم أبنية دلالية أحياناً فى لغة منطق المحمولات أو منطق الجهات * . وتمتاز هذه الإعادة بأنها واضحة فى الأساس وغير ٢٢

---

(٦) يمكن أن تستخدم صياغة النحو أنظمة رياضية ومنطقية مختلفة، فيمكن أن تقدم تراكيب نحوية وعلاقات مجردة وغيرها فى شكل جبرى أو من خلال نظرية الكميات، قارن أيضاً : برانت كورستيوس (1974) Brandt Corstius ويمكن أن تنعكس الأبنية الدلالية بصورة أفضل من خلال لغات منطقية، أى من خلال أشكال منطق المحمولات ومنطق الجهات والمنطق المفهومى وما أشبه .

* Model Logic منطق موجه أو منطق الجهات فرع من المنطق يعنى بالعلاقات الاستدلالية بين القضايا الموجهة .

مبهمة، وتمتاز تلك اللغة المنطقية بأنها ذات تفسير دقيق (علم الدلالة المنطقى)، ولكن ما يعيب ذلك أيضاً هو أن عدداً من الأبنية المهمة لغوياً لا يمكن أن تنقل ببساطة إلى لغة منطقية، وبهذه الطريقة خاصة يمكن أن يتحقق اقتراب من اللغة الطبيعية . ومع ذلك سوف نفيد من هذا المدخل بقدر محدود فى صياغة لغات طبيعية أو أبنية نصية . وإذا كان فى نصوص ما عدد من العلامات الفونولوجية والمورفولوجية والتركيبية الخاصة مثل تتابع تنغيمى معين أو نبر محدد، ومثل تتابعات كلمات مركبة وصيغ نحوية تتبع سواء الجمل السابقة أو الجمل اللاحقة، فإننا سنوجه إلى حد بعيد اهتمامنا إلى الوصف الدلالى داخل النحو، لأن وصف النصوص فى هذا المستوى يختلف عن وصف الجمل اختلافاً واضحاً، وسوف نحيل بالنسبة لوصف أبنية فونولوجية ومورفولوجية ونحوية ودلالية إلى مداخل عامة فى علم اللغة .

٢ ـ ٢ تتابعات جملية

٢ ـ ٢ ـ ١ يمكننا أن نتقدم خطوة فى الوصف النحوى للمنطوقات اللغوية، فكثير من المنطوقات اللغوية ليس لها البنية المجردة للجملة، بل سلسلة من الجمل . ومن ثم نفترض أن أى نحو ينبغى أن يصف جملاً مثلما يصف تتابعات الجمل أيضاً، إذا لزم أن يتضح أنه توجد بين جمل منطوق ما علاقات محددة، كما توجد أيضاً علاقات بين الكلمات والمركبات داخل الجملة . ويجب أن توصف هذه العلاقات بين الجمل على المستويات النحوية ذاتها (الصوتية،الصرفية والنحوية والدلالية) كأبنية الجمل .

ونظراً لأن أى تتابع يمكن أن ينشأ من جملة فيجب أن يشتمل أى نحو لوصف التتابع فى حقيقة الأمر ـ على نحو لوصف الجملة . فالنظر العميق فى بنية الجمل ضرورى للغاية إذا ما وضع فى الاعتبار أن العلاقات على

نحو ما ترد فى التتابعات لا تقوم فى الأغلب على علاقات بين عناصر الجمل المنفردة (المختلفة) .

ويجب أن يقدم، انسجاماً مع أهداف النحو، وصف لتتابع الجمل يعد أساس المنطوق اللغوى؛ ما التتابعات الجملية الممكنة الموجودة فى لغة ما، وكيف تحدد البنية النحوية والدلالية لجملة أو عدة جمل فى التتابع البنية النحوية والدلالية لجمل أخرى، وكيف يمكن أن تشكل مجموعات معينة / ٢٣ من الجمل افتراضاً وحدات تكون لها مقولات خاصة تارة أخرى .

وعلى الرغم مما قيل أيضاً من ورود علاقات مورفولوجية وتركيبية بين جمل التتابع فإنه يتضح أن العلاقات بين الجمل ذات طبيعة دلالية فى الغالب، ومن ثم يستند فيها إلى معنى الجمل والإحالة .

٢ ـ ٢ ـ ٢ بادىء ذى بدء يجب لوصف التتابعات أن يتضح أن الجمل ذاتها يمكن أن يكون لها مثل تلك البنية « التتابعية » أيضاً، باعتبار أنها جمل مركبة . فتتكون تلك الجمل من مكونات، لها ذاتها بنية جملية مجردة، وتقوم بوظيفة الجملة الأساس أو الجملة التابعة فى الكل المركب . مثال ذلك فى :

(١) لأن الطقس كان جميلاً، ذهبنا إلى الشاطىء .

(٢) كان الطقس جميلاً، ومن ثم ذهبنا إلى الشاطىء .

ونظراً لأنه من الممكن أن تبنى جمل مركبة (طويلة بلا نهاية نظرياً ومعقدة)، مثل (١) و (٢)، فمن الطبيعى أن يلزم إيضاح على أى نحو ترد فروق أو تشابهات بين هذه الجمل أو هذه التتابعات الجملية المركبة، مثل :

(٣) كان الطقس جميلاً . لذا ذهبنا إلى الشاطىء .

(٤) كان الطقس جميلاً . ذهبنا إلى الشاطىء .

ويبدو من وجهة نظر حدسية أن الأمر كأنه هو ذاته؛ كأننا يمكننا أن

نعبر عن « المضمون » ذاته، أى المعنى ذاته، سواء من خلال جملة مركبة أو تتابع جملى . وعلى الرغم من أن الحال هى تلك غالباً فإنه توجد كذلك أمثلة لتتابع جملى لا يمكن أن يعبر عنها ببساطة بوصفها جملاً مركبة أيضاً :

(٥) هنا الجو حار جداً ! هلا فتحت النافذة بسرعة ؟

(٦) أتعرف كم الساعة ؟ ليس معى ساعة .

وعلى العكس من ذلك فإنه توجد أيضاً جمل مركبة لا يمكن أن يعبر عنها تارة أخرى بسهولة على أنها تتابعات :

(٧) لو كنت غنياً لاشتريت لنفسى خبزاً .

ويستنتج من ذلك أنه توجد بين الجمل المركبة والتتابعات سلسلة من الفروق النسقية، بحيث لا يمكن أن يسوى ببساطة بين وصف التتابعات ووصف الجمل المركبة [٧] . وسنبين فيما بعد أن هذه الفروق تنسحب بوجه خاص على استعمال الجمل والتتابعات / فى السياق الاتصالى على نحو ما ٢٤

---

(٧) غالباً ما تصور أن بنية تتابعات الجمل، ومن ثم النصوص يمكن أن تدمج بلا خلاف فى أنحاء الجملة القائمة، قارن أيضاً نقد فان دايك van Dijk (1972a) من خلال مجموعة مشروع علم لغة النص Textlinguistik (eds.) (1974) بقيادة Dascal & Margalit . يستنتج من هذا الفصل ومن أعمال نصية حديثة أيضاً ويتبين بوضوح أن الاختصار ليس مفيداً ولا ممكناً حول أعمال عامة حول نحو النص ولغته، قارن أعمال van Dijk (1972a, 1977a) و Schmidt (1973) و Petofi & Rieser (eds.) (1973) و Dressler (1972) و Kummer (1975) و Grimes (1975) و Kallmeyer e. a. (1974) و Petofi (ed.) (1979) و Dressler (ed.) (1973)، وأورد Dressler & Schmidt (1973) قائمة مراجع مفصلة فى مجال علم النص، وأورد Halliday & Hassan (1976) و Werlich (1976) وصفاً أكثر تجريداً للأبنية النصية للنحو (الإنجليزى) وفى كتاب van Dijk & Petöfi (eds.) (1977) يحلل علماء لغة النص النص ذاته، ويحلل Rommetveit (1974) نصوصاً / رسائل من خلال وجهة نظر علم النفس الاجتماعى .

وصفت البراجماتية ذلك بوجه خاص . أما الآن فإننا سنتجرد من تلك القيود، وسنفيض ابتداءً في العلاقات بين الجمل (أو بالأحرى بين الأبنية المجردة للجمل) حيث نعنى بالجمل المركبة وتتابعات الجمل أيضاً .

٢ ـ ٢ ـ ٣ , قد اتضح بإيجاز أن العلاقات بين الجمل في الجمل المركبة والتتابعات هي بوجه خاص ذات طبيعة دلالية [٨] . وتكون العلاقات النحوية تابعة لها أحياناً؛ فالأمر يتعلق في المقام الأول بوصف العلاقات بين معاني الجمل وتحديد معنى التتابعات (الجزئية) للجمل؛ أي توالٍ للجمل يعد مفهوماً وممكناً تفسيره ، وأي توالٍ غير مفهوم وغير ممكن تفسيره ؟ إن التتابعات من (١) إلى (٧) مفهومة ، بينما تعد التتابعات التالية بشكل إجمالي مفهومة بدرجة أقل أو تكاد تكون غيرمفهومة :

(٨) لأن الطقس كان جميلاً ، يدور القمر حول الأرض .

(٩) حين كنت غنياً ، ولد هانز في كولونيا .

(١٠) نجح يان في امتحانه ، قضت والدته إجازتها في السنة الماضية في إيطاليا .

(١١) كم الساعة ؟ فلتعطني إياها !

من الواضح أنه يوجد عدد من القيود التي تحدد أي الجمل (أي : معانيها) التي يمكن أن يرتبط بعضها ببعض في تتابع . إننا نعرف بوصفنا مستخدمين للغة الألمانية أنه في التتابعات (٨) ـ (١١) لا يوجد أي ترابط دلالي بين الجمل (أجزاء الجمل) .

إن قيود ترابط التتابعات متباينة ، فهي تقوم أحياناً على العلاقات بين معاني الجمل وأحياناً أخرى على العلاقات بين إحالة الجمل . وتتصل القيود

---

(٨) حول علم لغة النص قارن (van Dijk (1977a) بخلاف العناوين الواردة في هامش ٥) أيضاً .

اتصالاً تاماً بالعلاقات بين الجمل بوصفها « كلاً » والعلاقات بين مكونات الجمل . فربما يوجد التتابع ‹ $ع_{١}$ و $ع_{٢}$ ..... $ع_{ى}$ › *، ثم نميز العلاقات بين أزواج من الجمل المتتالية، مثل ‹ $ع_{س}$ و $ع_{س + ١}$) والعلاقات بين جمل وسلاسل جملية عشوائية، مثل : بين $ع_{١}$ و $ع_{٤}$ أو بين ‹ $ع_{٣}$ و $ع_{٦}$ و $ع_{١٠}$ ..... › أو بين ‹ $ع_{١-٨}$ › و ‹ $ع_{٨-٢٤}$ › .

٢٥ ٢ ـ ٢ ـ ٤ ونظراً لأن الأمر يتعلق هنا بأوجه ترابط دلالية أى بعلاقات معنوية وعلاقات إحالية فإننا لن نتحدث طويلاً عن الجمل التى تعبر عن هذه المعانى أو التى تستخدم كذلك لتحيل إليها، بل عن الموضوعات الدلالية ذاتها . ويطلق بشكل مجمل على معنى جملة مفردة « قضية » وهو مصطلح مستقى من الفلسفة والمنطق، وتتحدد القضية بوجه عام بأنها شيء يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً (فى موقف معين) . وغالباً ما يستخدم مصطلح (خبر) أيضاً (فى الإنجليزية : Statement)، غير أنه مضلل، لأن الاستفهام أو الأمر معنى أيضاً، أى يعبر كل منهما عن قضية (انظر الفصل التالى) .

لقد تحدثنا من قبل عن العلاقات الإحالية بين منطوقات اللغة ووحدات فى « الواقع الخارجى »، ونفترض هنا أن القضايا تبعاً لذلك ترتبط بوقائع بدلاً من ارتباطها كما هو معتاد بالحقيقة والكذب . فالجملة إذن تكون صادقة حين توجد واقعة تحيل إليها، وحين لا توجد فهى كاذبة [٩] .

---

* يرمز إلى التتابع بـ (ع)، ويمكن أن يتبعه رقم ترتيبى، أما ع ى فيعطى نهاية التقسيم .

(٩) ليس من المعتاد فى علم الدلالة الشكلى أن تقبل « الوقائع » بوصفها محيلات للجمل، بل بالأحرى قيم الحقيقة، مثل : صادق وكاذب . وبغض النظر عن الحقيقة القائلة بأن قيم الحقيقة تلك لا يمكن أن يطبق إلا على جمل خبرية تقريباً (أقوال)، فإنه ما تزال توجد أسباب أخرى للتحدث عن محيلات الجمل، مثل الوقائع، قارن van Dijk (1977a) لمناقشة ضافية لهذه الآراء .

ولعل علم الدلالة ما يزال فى الوقت الحالى فقيراً للغاية إذا اقتصر حديثنا عن الوقائع فى الوجود « الفعلى » فقط . ففى الجملة (٧) على سبيل المثال يتحدث مثلاً عن واقع « متوهم » حددته قضية « أنا غنى »، ويوجد من خلال هذا الواقع حقيقة شرائى الخبز . وهكذا فإنه يوجد إلى جانب ما يسمى بالواقع الفعلى ما يسمى بالوقائع البديلة أيضاً . أما المصطلح الفنى لمعطى الواقع فهو عالم (ممكن) [١٠] . ويجب أن يعد ذلك العالم شيئاً مجرداً، بنية دلالية . ومن ثم فليس الواقع الفعلى، التاريخى عالماً، بل واقع حلم أيضاً أو بوجه عام كل عالم يمكن أن نتصوره وإن لم يشبه عالمنا . وهكذا فالعالم مجموعة من الوقائع وتتكون الوقائع من أشياء ذات علامات محددة وعلاقات متبادلة، وترتبط العوالم الممكنة بعضها ببعض بصورة متبادلة، وذلك من خلال علاقة التبادل والانفتاح .

ونرى أن علم دلالة الإحالة يتيح إعادة بناء مجرد الواقع، بحيث يمكننا ربط وحدات مجردة فى اللغة / (كلمات ومقولات وعلاقات) بوحدات مجردة فى الواقع الخارجى؛ وذلك من خلال المعانى المفهومية لوحدات اللغة . وهكذا نمتلك العناصر التالية لبنية الواقع [١١] .   ٢٦

---

(١٠) يستخدم مصطلح « عالم ممكن » الموجود فى الفلسفة منذ أمد مصطلحاً فنياً فى إطار المنظور الصورى بوجه خاص . وفيما يتعلق بالعوالم الممكنة قدمت تفسيرات فى علم الدلالة هذا حول ما يتصل بإمكان كون الجمل صادقة أو كاذبة، حول المدخل إلى هذا المصطلح قارن (1968) Hughes & Cresswell وغيره، وحول تطبيقات فى علم اللغة قارن (1972) (eds.) Davidson & Harman و (1975) Keenan .

(١١) يطلق على السرد مصطلحاً متخصصاً هو « بنية النموذج »، وبنية النموذج هذه مساوية لإعادة تركيب مجرد للواقع، أى سرد كل العناصر التى تلعب دوراً فى تفسير منطوقات لغة معينة، وتشكل بنية النموذج مع وظيفة التفسير نموذجاً، وترشد هذه المصطلحات التى ترجع إلى نظرية النموذج الرياضية إلى أن علم الدلالة المنطقى غالباً ما يتصور على أنه علم دلالة خاص بنظرية النموذج أيضاً . أما أساسه الشكلى - كما رأينا - فهو علم الفئات (الكميات) . وبالنسبة لتفصيلات أخرى قارن : Hughes & Cresswell (1968) إن نمط بنية النموذج الوارد هنا يختلف عن النمط السابق، =

(١٢) أ - فئة عالم ممكن (م) .

ب - علاقة (ثنائية) تحدد بالنسبة لعناصر (م) وهى التبادل والانفتاح (ق) .

(جـ) فئة « أشياء » يمكن أن يتحدث عنها، وهى المجال (فى الإنجليزية domain، و universe of discourse (ل) .

وفى حالة وقوع مجالات العوالم المختلفة متباينة يمكن أن نفرق بين ل ١ و ل ٢ ... وهى فئات تشكل معاً المجال الكلى (ل) .

(د) فئة السمات والعلامات (س) .

(هـ) فئة الوقائع (و) .

ولنضيف هنا آخر الأمر أن الأشياء الفردية والملامح والعلاقات والوقائع لا تتحقق فى عالم أو عدة عوالم فحسب، بل من الأولى أيضاً أن تنشأ مجردة بوصفها تصورات . فيوجد مثلاً إلى جانب هذه المنضدة الخاصة تصور منضدة أيضاً، وانطلاقاً من ذلك تكون كل المناضد الممكنة فى كل العوالم (المواقف) الممكنة تحقيقات . وعلى نحو معين تكون هذه المنضدة الخاصة أيضاً تجريداً، لأنها تتشكل فى مواقف شديدة التباين، ويمكن أن تكتسب سمات مختلفة (مثل الألوان) . ولذا فإنه على الرغم من أن هذه المنضدة من خلال وجهة نظر فيزيائية يمكن أن تكون مختلفة بالنسبة لكل حال ممكن متوالٍ للعالم فإنها مدركة، أى إنها هى نفسها بالنسبة لإدراكنا وفهمنا . ويمكننا على نحو مماثل أن ننبه إلى الفرق بين الملامح الفيزيائية الخاصة لهذا اللون أحمر وبين اللون أحمر والمفهوم أحمر الذى يتكون منه

- لأنه يستوعب إلى جانب فئة الأفراد فئة الخصائص / العلاقات وفئة الوقائع أيضاً . ومع ذلك يمكن أن تحدد الخصائص أو العلاقات فى مصطلحات الأفراد وفق معيار نظرية الفئات (الكميات) أيضاً .

كذلك تحقيق خاص . أخيراً إن التصور المجرد للواقعة بالنسبة لنا هو الشيء ذاته على نحو ما عبرنا عن ذلك من خلال مصطلح قضية [١٢] . / ٢٧

وينتج عن ذلك أنه فى علم الدلالة هذا يرتبط المعنى والإحالة ارتباطاً شكلياً، فمعنى المنطوقات مساوٍ للتفسير المفهومى لهذه المنطوقات، وتكون العلاقة بأوجه تحقق لهذه التصورات فى العوالم الممكنة المختلفة فى أثناء إحالتها . ويطلق على تصور المنطوقات ـ كما رأينا ـ المفهومات، وعلى المحيلات إليها (فى عالم ما) ماصدقات هذه المنطوقات . وبعبارة شكلية : فالمفهومات هى الوظائف التى تحيل بالنسبة لعوالم ممكنة معينة إلى ماصدقات المنطوقات فى لغة ما [١٣] .

٢ ـ ٢ ـ ٥ بعد هذا الفاصل النظرى حول بعض المفاهيم الأساسية فى

---

(١٢) غالباً ما تحدد قضية ما بأنها شيء يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً، ولأن الجملة تعبر عن تلك القضية يمكن أن يطلق عليها صادقة أو كاذبة أيضاً، ولكن ثمة اضطراب معين هو النتيجة، وبخاصة حين يوضع فى الاعتبار أن الجملة ذاتها، المعبر عنها فى سياقات مختلفة يمكن أن تنسحب على وقائع مختلفة، وربما يمكن أن نعبر عن مكان وزمان السياق من خلال الجملة ذاتها أيضاً . ومن ثم سننطلق من الفرض القائل بأن القضية ما هى إلا تصور محدد، وهو تصور « لواقعة ممكنة » فى جملة ما يعبر عنها فى سياق معين، ولذلك ربما يبرز الربط بوقائع ملموسة فى عوالم ممكنة معينة . قارن أيضاً فان دايك (van Dijk (1977a . وبالنسبة لتأويل مشابه لمصطلح « قضية » قارن أيضاً : (1973) Cresswell ، وبالنسبة لمصطلحات مثل : تصور(مفهوم) فى الفلسفة المنطقية، قارن مونتاجو (1974) Montague . لن نقدم كلية أية إحالات إلى مصادر كثيرة حول مفهوم القضية .

(١٣) وفى الواقع ومن الممكن إلى حد بعيد أن تقوم الإحالة فى تعبير ما على معناه . ففى إطار مخالف لدى مونتاجو (1974) Montague تحلل تلك العلاقات بين المفهومات والماصدقات تحليلاً دقيقاً . فالمحيل إليه أو ما صدق تعبير ما وفق تلك المصطلحات هو إذن قيمة وظيفية للمعنى أو المفهوم، تحديداً، فى عالم ممكن معين (ومن المحتمل أن يتصل ذلك بسياق محدد للمنطوق) .

علم الدلالة (المنطقى) فنحن قادرون على قول ما هو أكثر دقة حول علاقات دلالية بين الجمل أو على نحو أفضل بين القضايا فى تتابع ما . وكما قيل يمكن أن تقوم هذه العلاقات على معان (علاقات مفهومية) أو على علاقات بين المحيلات أو المعانى الإحالية (علاقات ماصدقية) .

ونلاحظ بادىء ذى بدء الترابطات بين القضايا ، بوصفها كليات ، ثم نصوغ القيد التالى بالنسبة لربط القضايا :

(١٣) ترتبط قضيتان بعضهما ببعض حين ترتبط معانيهما الإحالية : أى أن الوقائع التى تحيل إليها فى تفسير ما مرتبطة بعضها ببعض .

ويعنى هذا بالنسبة لأمثلة من (٨) إلى (١١) أن القضايا المعبر عنها من خلال جمل التتابعات لا يمكن أن ترتبط بعضها ببعض، لأن الوقائع غير مرتبطة بعضها ببعض . فليس لواقعة (الطقس الجميل) أية علاقة بالواقعة (العامة) وهى أن القمر يدور حول الأرض، وواقعة ثرائى (فى عالم ممكن بديل) ليس علاقة بواقعة أن (هانز ولد فى كولونيا) [فى هذا العالم] الخ . ومن جهة أخرى ترتبط قيود ترابط الجمل والتتابعات / بعلاقات بين وقائع معينة فى مواقف معينة . فإن كان هذا القيد فى حقيقة الأمر ضرورياً فإنه يستنبط من التتابع التالى : ٢٨

(١٤) اجتاز يان امتحانه . ولد فى امستردام .

فعلى الرغم من أنه توجد فى الجملتين، التتابع، منطوقات تحيل إلى الفرد ذاته، وهى يان، وهو (فى ولد) يحيل إلى [يان]، فإن هذا التطابق الإحالى غير كاف[١٤] . فمن الضرورى على الأقل وجوب ارتباط واقعة « أن يان تجاوز امتحانه » بواقعة « أنه ولد فى امستردام أو لم يولد فيها » .

(١٤) ليس صحيحاً إلى حد بعيد أن يعد التطابق الإحالى للمنطوقات (وبخاصة لمنطوقات اسمية) ضرورياً و / أو كافياً للربط فى الغالب إلى حد أن تحليلات نحوية سابقة كثيرة لبنية النص على سبيل المثال قد وجهت إلى الضمائر بوجه خاص، قارن فان دايك : van Dijk (1972a, 1973).

يتبين من الجملة (١) أن الجمل يمكن أن تترابط بصورة مكتملة حتى حين يمكن ألا يتحدث عن تطابق الأفراد .

ويرغم أن تطابق العلامات يمكن أن يكون كافياً لربط التتابعات فى الغالب، كما فى : ر

(١٥) اشترى بيتر بيانو، وقد اشترى جيرد فى الأسبوع الماضى واحداً أيضاً .

ويمكن أن تتصور أمثلة أيضاً، يكون فيها الأمر أقل وضوحاً :

(١٦) تزوج هانز وجريته فى الأسبوع الماضى . الملكة بيتركس متزوجة من الأمير كلاوس .

ويرغم التحدث عن النمط ذاته من العلاقات (وقوع الزواج) يمكن مع ذلك ألا يتحدث فى (١٦) عن علاقة واضحة بين الوقائع . ويمكن - بشكل محتمل - أن يرد هذا فى (١٥) أيضاً، غير أن المتحدث يقارن هناك بين واقعتين بعضهما ببعض، بينما يدخل بيتر وجيرد فى دائرة المعروفين لدى المتحدث من قبل أيضاً .

وهكذا نرى أن قيود الترابط هنا لم تعد دلالية فحسب، لأن مصطلحات « متحدث » أو « معارف / معرفة المتحدث » لم تحدد فى الدلالة . وفى مسار آخر صار واضحاً أن تلك القيود للترابط يجب أن تدرس فى علم البراجماتية أو علم النفس . ويسرى مثل ذلك بوجه عام على العلاقة بين المشاركين فى المحادثة وعلى تصورهم عن الوقائع أيضاً . فالنسبة لبعض المتحدثين يمكن أن ترتبط حقيقتان بعضهما ببعض، وبالنسبة لآخرين لا يمكن ذلك تبعاً لمعرفتهم عن العالم وآرائهم ورغباتهم .

ومن ثم وجب فى القيد (١٣) فى إطار علم البراجماتية أو علم النفس أن يضاف : « نسبياً بالنظر إلى معارف (خبرات ... إلخ) متحدث ما ». بيد أن معرفتنا بالواقع وتفسيرنا له يقومان كذلك على أسس عرفية عامة : فليست

كل / الوقائع يرتبط بعضهما ببعض بطريقة عشوائية . وبناءً على ذلك فإنه ٢٩ حين يقدم متحدث ما اعتذاراً لتأخره :

(١٧) عذراً لأنى تأخرت هكذا، غير أنى ذو شعر أحمر .

فإن المستمع يمكن أن يرفض اعتذاره رفضاً تاماً لأنه هراء، لأن صاحب الشعر الأحمر لا يكون عادة علة اعتذار عن أوجه التأخير .

وبذلك نكون قد وقفنا على معيار من المعايير العامة التى تحدد ربط الوقائع؛ وهو علاقة السببية، إذ ترتبط الواقعتان أ و ب بعضهما ببعض ارتباطاً سببياً، حين يكون (أ) سبباً أو تعليلاً لـ (ب)، ولذا تكون (ب) نتيجة لـ (أ) (١٥) .

وتشكل تلك العلاقة بين الوقائع الأساس لاستخدام أدوات ربط (سببية)، مثل الروابط : لأن، وإذ ، وهكذا، وأن ... الخ، والظروف : من ثم، وعلى ذلك، وإذن، وتبعاً لذلك ... الخ . وعلى النقيض من ذلك نرى أن الروابط، التى تجعل القضايا فى اللغة الطبيعية قضايا مركبة، يمكن أن تفسر على أنها (إحالة إلى) علاقات بين الوقائع .

وبينما تقوم العلاقات السببية بين الوقائع على قوانين فيزيائية وبيولوجية وغيرها فى العالم الفعلى (كم من عوالم تشبهه)، والعلاقات التأسيسية على أسس المعرفة والاستدلال الصحيح، توجد كذلك علاقات بين الوقائع التى ما تزال أكثر التصاقاً؛ هى علاقات منطقية بوجه عام، وعلاقات مفهومية بوجه خاص، كما فى الجمل المترادفة، مثل :

(١٨) ليس لبيتر زوج، لأنه عزب .

---

(١٥) فى كتاب فان دايك van Dijk (1977a) طرحت محاولة لتحديد مفهوم السببية، الذى يلعب مثل المصطلح العام « التحقق » دوراً مهماً فى وصف ترابطات الجمل - بين مصطلحات علم الدلالة المنطقى . بالنسبة لنقاش فلسفى أكثر عمومية حول هذا المصطلح المعقد قارن : سوسا (1975) Sosa (ed.).

فلأن مفهوم « عزب » يتضمن أن « هذا ليس له زوج » تعد جملة مثل

(١٨) جملة صادقة فى كل العوالم الممكنة (حيث إن بيتر موجود وعزب) .
وبهذا يكون هذا النمط من الجمل أجزاء من مسلمات المعنى فى لغة ما أيضاً، التى تنعكس من خلالها البنية التصورية لمعانى الكلمات .

ويمكن أن تقدم العلاقات بين الوقائع على نحو ‹ أكثر ضعفاً › أو ‹ أكثر انغلاقاً › مما هى عليه الحال من خلال التضمينات السببية أو المنطقية - المفهومية . فعلى سبيل المثال يمكن أن يكون القيد الأول هو أن تقع واقعتان فى الموقف ذاته، أى فى الفترة ذاتها أو فى الوقت نفسه أو على نحو متتال، فى العالم الممكن ذاته، كما فى :

(١٩) كنا على الشاطىء ولعبنا كرة القدم .

(٢٠) اشتغلت ماريا بالإبرة . لعب جورج على البيانو .

٣٠ / ففى (١٩) ترتبط القضيتان من خلال أداة الربط (و)، ويتبين أن القضية الأولى تحدد على نحو بعينه الموقف الذى يجب أن تفسر القضية الثانية من خلاله (« لعب كرة القدم » واقعة فى عالم - متقدم - كنا فيه على الشاطىء، وهكذا فإن فترة لعب كرة القدم قد تتبع فترة البقاء على الشاطىء) .

وفى (٢٠) يقع كلا الحدثين اللذين تستند إليهما كلا الجملتين فى الوقت نفسه تقريباً . ومع ذلك فهذا القيد فى العادة ضعيف جداً لربط التتابعات فى :

(١) اشتغلت ماريا بالإبرة، والأرض تدور حول الشمس .

فبرغم أن الزمن الذى تدور فيه الأرض حول الشمس يتضمن الزمن الذى تشتغل فيه ماريا بالإبرة، فيمكن أن يكون التتابع (٢١) فى العادة غير مقبول . ويسرى ما يمكن مقارنته بذلك على الفصل المعبر عنه من خلال « أو » :

(٢٢) أذهب إلى السينما أو   أذهب لزيارة العمة أنّـــا .

(٢٣) أذهب إلى السينما أو   سأصير محامياً .

فعند الفصل يستلزم بالدرجة الأولى ألا توجد الواقعتان فى الوقت نفسه فى العالم ذاته (ما دام المتحدث يستطيع أن يلحظهما، أى يمكن أن يوجد مدخلاً إليه من عالمه المعاصر، السياق الاتصالى ‹)، بل توجدان فى عوالم بديلة . ويضاف إلى ذلك أن كلتا الواقعتين نفسيهما بديلة أيضاً على نحو أو آخر، أى يمكن المقارنة بينهما، فربما تكون الواقعتان حدثين للمتحدث، حدثين يؤديهما على نحو نمطى فى وقت الفراغ، أى أن ذلك ليس حدثاً مختصراً بسيطاً (كفتح الباب) وحدثاً معقداً وطويلاً للغاية (كبناء جسر) . وبعبارة أخرى : يجب أن يتوفر أساس لإمكان مقارنة الوقائع . ولذلك يمكن أن تفسر (٢٠)، لأن كلتا الواقعتين ترجع إلى مجال شغل وقت الفراغ، فالحدثان يكونان فيه، بينما لا يمكن أن تفسر (٢١) لهذه الأسباب .

وفى الحالات التى لا تصف فيها القضية الأولى إطار الواقعة التى تعبر عنها القضية الثانية يمكن أن يتوقع أن توجد قضية ثالثة متضمنة (أو سلسلة من القضايا)، ويمكن استناداً إليها أن تفهم وتفسر كلتا القضيتين الأصليتين، مثل : بعد الأكل ذهبت ماريا وجورج إلى حجرة العمل بالنسبة إلى (٢٠)، وسأرحل مساء اليوم بالنسبة لـ (٢٢)، غير أن هذا غير ممكن بالنسبة لـ (٢٣)، فتلك القضية الثالثة ستقع فى الغالب فى مقدمة النص أو هى جزء مما يعرف المتحدث أو السامع عن السياق أو عن العالم بوجه عام .

إذا وردت قضيتان ق و ك تفسران على أنهما الواقعة أ أو ب فإنه يمكن أن نقول مؤقتاً أن بين هذه القضايا يوجد رباط داخلى، سواء عبر عنه هنا من خلال أدوات ربط / أم لا، إذا ترابط أ و ب على النحو التالى :   ٣١

(٢٤) (I) أ علة ب (= ب نتيجة أ) .

(II) أ سبب ب (حيث ب حدث أو نتيجة حدث) .

(III) أ و ب تحدثان في الموقف ذاته (أي ازدواج في زمن العالم (ل ١ و ج ١)) * وتتبعان المجال التصوري ذاته؛ فيسوغ الآتي :

- أ متزامنةٌ مع ب؛
- أ تقع في فترة جزئية من ب (أو العكس بالعكس) ؛
- أ و ب تتابعات (كما هي الحال في العلاقة السببية) ؛
- أ و ب تتداخلان .

(IV) أ على نحو حتمي (منطقياً وتصورياً) جزء من ب أو على العكس.

(V) أ جزء عادي (تصوري) من ب أو على العكس .

وتسري في كل الحالات هذه القيود نسبياً بالنظر إلى كم القضايا ج الذي يضم أساس المقارنة والمسلمات العامة والقوانين والمعرفة العامة، ولهذا يمكن ويجوز أن يتصور متحدث ما علاقات بين الوقائع . ويتضح على سبيل المثال من الجمل التالية أن المعرفة التصورية عن المواقف ومجريات الحدث النمطية ضرورية :

(٢٥) لم يكن مع بيتر مال، بحيث لم يدخل الحانة .

(٢٦) لم يكن المحصول جيداً . لم تمطر الصيف كله .

وحتى تكون هذه التتابعات مقبولة دلالياً ترتكز على معرفتنا العامة؛ فالمرء يجب أن يدفع عادة للأكل والشرب في الحانة، وعدم نزول المطر يمكن أن يكون سبباً للمحصول الرديء . ويطلق على وحدات هذا النمط من المعلومة التصورية عن المواقف والأحداث النمطية المحددة الأطر)

---

* ل = عالم، ج = جزء من عالم .

Frames [١٦] . وتحدد تلك الأطر على سبيل المثال القيد المذكور آنفاً، حين يكون شيء ما « جزءاً » من واقعة، مثل « الدفع « جزء من دخول الحانة » .

وسنرى فيما بعد أن الكم ج - إذا ما فسرت قضيتاه على أنهما مترابطتان - يجب أن يشتمل كذلك على معلومات حول موضوع التتابع، فلا يجب أن تترابط الوقائع التى يتحدث عنها، بعضها ببعض فحسب، بل ما نتحدث عنه أيضاً يجب أن يترابط على نحو معين، أى أن يتضمن تعاقباً معيناً مستنداً دائماً إلى موضوع الحوار .

٢ - ٢ - ٦ تتوفر لنا الآن معرفة سطحية عن كيفية ترابط قضيتين بعضهما ببعض بوجه عام فى صورة ثنائية، وتتحدد هذه / القيود كذلك، ٣٢ متى أمكن أن يعبر عن قضايا فى جملة واحدة، ومن ثم يترسخ أيضاً استخدام أدوات ربط طبيعية . وفى الفصل التالى سنرى أن أدوات الربط ليست دلالية فحسب، بل هى براجماتية أيضاً، بمعنى أنها لا تقتصر على توضيح العلاقات بين الوقائع فحسب، بل توضح العلاقات بين الأحداث اللغوية أيضاً، التى يمكن أن ننشئها، وننتج من خلالها منطوقاً لغوياً .

بيد أن ترابط التتابعات لا يتشكل من الربط المباشر بين القضايا وحده، كما أوضحنا من قبل . ولذا يمكن أن يرد على سبيل المثال فى تصوير لإجازة بيتر من أجل رياضة الشتاء، التتابع التالى :

(٢٧) (...) سافر بقطار المساء (ج ١)*، كانت مريحة (ج ٢) .

---

(١٦) عولج مصطلح الإطار فى الفصل السادس بالتفصيل، حيث ترد إشارات أخرى إلى المصادر فى مجالى علم النفس و « الذكاء الاصطناعى » اللذين استخدم فيهما هذا المصطلح .

* كما يتضح من كلام المؤلف البنية الكلية أو التتابع العام (ع) الكلى ينقسم إلى تتابعات صغرى أو جمل، وقد اخترت الرمز لها بجملة (ج) لأن كل جملة تعبر عن قضية .

فى صباح اليوم التالى استجم بيتر فى مكان إجازته (ج ٣) . أمطرت برداً (ج ٤) . وقع الفندق على حافة القرية (ج ٥) . وجد منظر جميل على الجبل (ج ٦) . أحس منذ البداية بتحسن (ج ٧) (...) .

من الواضح أن الجمل فى هذا النص (المبتذل إلى حد ما، غير أنه نمطى إلى حد بعيد) ليست أفقية، ولا تحقق قيود الربط الداخلى فى صورة ثنائية، على نحو ما صيغت آنفاً . وفى الحقيقة يعبر فى ج ٢ عن قضية تحيل إلى علة للواقعة المعروضة فى ج ١ - علة (II) ، غير أن ج ٢ لا ترتبط بـ ج ٣، بل ترتبط ج ١ بـ ج ٣ فى الأغلب عند استخدام العلة (III): هى أحداث تقع متتابعة، داخل مجال التصور ذاته (هنا الرحلة) . ومع ذلك فليس لـ ج ٤ أية ارتباطات مباشرة، ولا يمكن أن تفسر إلا من خلال الموضوع العام للفقرة، وهو رياضة الشتاء . وتتعلق ج ٥ أيضاً على نحو ضعيف فحسب بقضايا أخرى، ولا يمكن أن تفسر إلا من خلال معلومة الإطار الخاصة، وهى : »» حين يسافر المرء لرياضة الشتاء يقيم على الأقل فى فندق، ويحجز مسبقاً فى الغالب فى هذا الفندق «««، و ج ٦ مهمة أيضاً بصفة خاصة بالنظر إلى معلومة من إطار رياضة الشتاء (وهى أن رياضة الشتاء تقام على الجبال)، وفضلاً عن ذلك فإن ج ٦ يمكن أن تعبر كذلك عن قيد ضعيف لـ ج ٧، بينما ج ٧ كذلك تمثل نتيجة (زمنية) للواقعة التى تحيل إليها ج ٣ .

وفى الواقع يمكن من خلال هذه الفقرة أن يقال الكثير عن الترابط، فقد تبين - ابتداءً - أن علاقات الربط الداخلى لا يجب أن تكون مستمرة، بل يمكن أن توجد بين قضايا ليست متتابعة تتابعاً مباشراً، فإذا وجد ربط داخلى فإنه موجود بصورة غير مباشرة - من خلال موضوع الفقرة (الذى سنفيض فى الحديث عنه فيما بعد إفاضة شديدة) أو من خلال إطار معرفى عرفى معين (حول شتاء / رياضة) .

ومن اللافت للنظر أيضاً أن التتابع لا يعبر بصورة صريحة عن عدد

من القضايا فحسب، بل يجب أن ترد معلومات ضمنية أيضاً حتى يمكن تفسير تتابع مثل هذا، أى : حتى يمكن أن ترتبط القضايا بعضها ببعض .

وبالمعنى الدقيق يمكن أن / يقال إن « بيتر يمكن أن يكون فى مكان إجازته فقط حين يصل القطار فى الواقع إلى هناك». ولأن معرفتنا عن قطار / سفر تخبرنا بأن الحال هى عادة كذلك، فإنه يمكن بداهة أن تترك مثل تلك المعلومة . ٣٣

سنرى فيما بعد أنه توجد لذلك علل براجماتية (،، لا تزيد عن كونها مفسرة أو زائدة أكثر من كونها ضرورية، و « لا تعرض شيئاً ، لا يعرفه المستمع منذ أمد طويل) ، إذ يشترط استخدام أداة المعرفة الـ فى ج ه أن ثمة معلومة متضمنة موجودة، ووفقها يوجد على الأقل فندق (على سبيل المثال: ذهب إلى الفندق الذى حجز فيه) ، ويجب أن يتضح من الآن فصاعداً أن المنظر فوق الجبل يصح من الفندق وأن بيتر يشعر بتحسن من البداية فى الفندق، وليس فوق الجبل / فيه، وإن ذكر ذلك فى النهاية . فهذه الشروط ضرورية حتى يمكن أن يفسر المنظر تفسيراً صحيحاً .

وباختصار فإنه للتفسير الصحيح لكل قضية فى تتابع ما ـ يعد عدد كبير من القضايا العامة ضرورياً؛ وهى مسلمات المعنى فى اللغة ومعرفة المستمع العامة عن العالم، ويمكن بناءً على ذلك أن يشتق عدد من القضايا المتضمنة الخاصة معاً مع القضايا الصريحة فى التتابع . ولا يجوز أن يكون التتابع ممكناً تفسيره تفسيراً تاماً دون تلك القضايا المتضمنة . وإذا قبلنا ابتداءً مصطلح نص فيمكننا أن نطلق على سلسلة القضايا التى يعد التتابع النصى أساساً لها الأساس النصى، ومن ثم يفرق بين أساس نصى ضمنى وأساس نصى صريح . ففهم نص ما يجب أن نعيد إدراكياً (أى نظرياً أيضاً) بناء الأساس النصى الصريح الكامل بناءً على الأساس النصى الضمنى، كما

يتضح فى تتابع الجملة . وعلى العكس من ذلك تسرى هنا القاعدة العامة (البراجماتية)، وهى أنه لا يحتاج إلى أن يعبر عن كل قضايا الأساس النصى الصريح (فربما تظل ضمنية) إذا استطاع المتحدث أن يفترض على نحو معال أن المستمع يقف على هذه المعلومات . ولكى يستبعد أى اضطراب فالأساس النصى الصريح هو تتابع القضايا، ويظل جزء منها متضمناً عند ، نطقها (التعبير عنها) « بوصفه تتابع للجملة . وعلى العكس من ذلك يتحقق الأساس النصى الضمنى فى مجموعه مباشرة بوصفه ، نصاً « من خلال الاستغناء عن القضايا « المعروفة »؛ ومن ثم فليس الأساس النصى الصريح سوى بناء نظرى، وربما يكون إعادة بناء لعمليات تفسير إدراكية أيضاً (انظر الفصل السادس) .

٢ ـ ٢ ـ ٧ بينما يقوم ربط القضايا فى (٢٧) على ما يسمى بالعلاقات بين الوقائع، يمكن أن يقرر كذلك تضمن وحدة محددة إلى جانب ذلك، من خلال تطابق الشخص (بيتر) الذى تحيل إليه عدة جمل فى التتابع . ونطلق على مثل ذلك المحيل فى الفقرة محيلاً نصياً (محيلاً خطابياً) . ويمكن أن يكون ذلك المحيل بداهةً موضوعات أخرى أيضاً، مثل: قطار (أو من الأفضل مفهوم قطار) فى ج ١ و ج ٢ ، وهو ما يمكن من ربط كلتا الجملتين .

٣٤ / نريد الآن أن نفترض أنه توجد إلى جانب الربط بين قضايا كلية علاقات بين أجزاء القضايا أيضاً، أى : بين معانى الأفعال أو بين معانى الأسماء أو محيلاتها .... الخ . وفى فقرتنا النصية يوجد التحاول (الإحالة المشتركة) الذى ذكر بين هو وبيتر فى ج ١ و ج ٣ و ج ٧، وفى هذه الحال يتعلق الأمر بتطابق المحيلات، غير أن علاقات أخرى بين محيلات النص ممكنة أيضاً، برغم أنه لا يوردها معنى الفعل (المحمول)، كما هى الحال

بين بيتر والقطار، أى بين شخص فاعل (فاعل الفعل (سافر)) وأداة أو أداة نقل تمكن من هذا الفعل . ويسرى ذلك بوجه عام على العلاقات الممكنة عبر المحمول بين الأدوار أو الوظائف المختلفة للمحميلات (فاعل، مفعول مباشر، أداة، زمان، مكان، هدف ... الخ) . وهكذا يمكننا أن نضيف إلى الفقرة (٢٧) بسهولة جملة مثل :

(٢٨) قد أعطته أمه شيئاً للأكل فى أثناء الطريق .

فقد ورد هنا محيل نصى « أم » بمساعدة ضمير ملكية (ـه)، يحيل إلى بيتر . فـ (أمه و بيتر) إذن مترابطتان بوصفهما فاعلاً ومفعولاً (مباشراً) : ›› لبيتر أم ‹‹ (قضية يجب أن يعبر عنها صراحةً بناء على قاعدة ـ المعرفة العامة) .

ونرى بذلك أننا يمكننا أن ندخل فى التتابع محيلات جديدة من خلال علاقة متحققة ضمنياً أو مباشرة بمحيلات واردة من قبل . فى الحقيقة يجب أن يكرر هنا أن هذا ممكن من خلال القواعد العامة للربط فقط، أى : يجب أن ترتبط الواقعة الكلية مع واقعة أخرى أيضاً . وعلى الرغم من أن (أم بيتر) ترد فى الجملة التالية :

(٢٩) أمه ولدت فى امستردام .

فإن (٢٩) ـ لأنها ليست جملة ممكنة فى (٢٧) ـ تظل غير مقبولة .

إذن ثمة حالة مهمة لتطابق المحيلات تقع حين لا يكون للتطابق صلاحية فى عالم معين، بل فى عوالم مختلفة . وفى هذه الحال يرد ما يسمى بالتطابق التصورى بين فرد ما ومقابله (نظيره) [١٧] . فعلى سبيل المثال فى قضية الجملة التالية :

---

(١٧) يرجع مفهوم (counterpart) الذى أدخله لاكوف Lakoff (1968) إلى علم اللغة أيضاً، إلى علم الدلالة الصورى، وهو يتعلق بالعلاقات بين الأفراد (أنفسهم) فى =

(٣٠) يحلم بيتر بأنه ربما يقع له حادث تزلج .

يحيل المنطوقان (بيتر) و (هو = الضمير في الفعلين) كلاهما إلى (بيتر)، غير أنه في الحال الأولى إلى بيتر في العالم الواقعي، وفي الحال الثانية إلى نظيره/ في عالم الحلم . بيد أن هذا النمط من تطابق النقل - من عالم إلى آخر، على نحو ما حدد بالتعبير المناسب، يتطلب أن يتعلق كلا العالمين، كل منهما بالآخر (عن طريق المحمول (يحلم) مثلاً، كما هي الحال هنا)؛ وهكذا يجب أن يكونا متاحين في اتجاه محدد، وكما كان العالم الحقيقي لا يمكن النفاذ إليه من عالم الحلم فإن إجازة بيتر يجب إذن أن تتعثر من خلال حلمه فقط . ٣٥

وهكذا فالعلاقات بين المحيلات النصية، كما رأينا ضرورية لربط الفقرة النصية، حين ترتبط الوقائع بعضها ببعض أيضاً في الوقت نفسه . وفي هذه الحال يعني هذا أن معاني أجزاء جمل أخرى أيضاً (الأفعال والصفات والظروف ... الخ) التي تؤدي من خلال هذه المحيلات، يمكن أن تترابط . ففي بعض الحالات يمكن أن يكون المحمول هو نفسه لعدة قضايا، أي يمكن أن يحيل إلى السمة ذاتها أو العلاقة ذاتها للمحيلات، غير أنه في أغلب الحالات يتعلق الأمر بمحمولات مختلفة (لمجموعة) المحيلات ذاتها.

بينما يمكن أن تظل المحيلات النصية في زمان محدد ›› هي ذاتها ‹‹ فإن المحمولات تقدم بصورة حدسية معلومات جديدة باستمرار تعني بتوالي الحدث . ويصلح شرطاً هنا أن المحمولات يجب أن ترد في واقع الأمر أيضاً من المجال التصوري ذاته - يسافر : يعطي للأكل في أثناء الطريق في (٢٨) - كما تحدد معرفتنا العرفية ذلك (أطر هذا المجال) - وبذلك نكون مع

---

٣٥ عوالم ممكنة مختلفة . وفضلاً عن ذلك فالمصطلح إشكالي، لمناقشته قارن لويس (1973) Lewis، وريشر (1975) Rescher .

العلاقات بين الوقائع تارة أخرى، وفى الحقيقة حين يكون للمحمول سمة محددة تتشكل من ذلك واقعة .

إلى جانب هذه العلاقات (كالتطابق مثلاً) بين الأفراد و / أو سماتهم توجد آخر الأمر علاقات بين الزمان والمكان والعوالم الممكنة أيضاً يقدم من خلالها الأفراد / السمات والوقائع، وذلك نحو : التتابع والتطابق والتشابه وكذلك الانفتاح أو التبادل؛ علاقات نصادفها مع قيود أوجه الربط الداخلى . ويمكن أن يتضح فى جملة (٧) أن تشابه العوالم أيضاً يلعب دوراً فى ربط النص : يجب أن يفترض بداهةً أننى فى العالم البديل أكون غنياً، عندى أمنية أيضاً أن أشترى خبزاً . ولهذا يجب أن يتشابه العالم الثانى مع عالمنا إلى حد ما .

وفى الواقع ربما يكون هذا العالم الثانى كذلك بشكل مجمل هو نفسه ماعدا حقيقة أننى غنى هناك. ويجب لذلك أن نفترض أن عدداً من العوالم التى توجد فيها وقائع، تحيل إليها جمل نص ما مترادف على نحو ما، أى أن لها الكم ذاته من المسلمات الخاصة بالقواعد والقوانين بهذه العوالم . ولذلك فالفرق بين العوالم فى مثل ذلك الكم المترادف فى واقع الأمر ليس إلا عرضياً : إذ يمكن أن أكون غنياً فى هذا العالم ببعض الحظ حين تكسب ورقة يا نصيبى الجائزة الأولى . ومع ذلك يمكن أن ترد فى أدب الخيال العلمى عوالم تقدم بشكل واضح مسلمات فيزيائية وبيولوجية مختلفة ./ ولذلك يمكن أن تترابط هناك وقائع بعضها ببعض، توجد ما ليس فى عالمنا الخاص. وإن كانت موجودة بوجه عام . ومن ثم فإن كيفية ترابط النصوص تحدده كذلك معرفتنا بكم العوالم المعنى وبمسلماته الأساس .

٣٦

٢ ـ ٢ ـ ٨ تحدثنا فى المباحث السابقة عن العلاقات بين قضايا كلية (ومن ثم بين وقائع)، وعن علاقات بين أجزاء من قضايا . غير أنه كما رأينا نظراً لأن القضايا يمكن أن تصير مركبة، فإنه توجد علاقات قضوية

أيضاً بين أجزاء من القضايا، مثلاً بين القضية ق و ك والقضية ق و ل . ويمكن لذلك في جملة معينة أن يحال إلى واقعة، أوردت من قبل في النص بوصفها محيل نص، وربطت في جملة ما ذات واقعة أخرى بواقعة « مركبة» جديدة . فعلى سبيل المثال في :

(٣١) لأن الفندق (وقع) * على الشاطىء . توفر لبيتر منظر جميل على الشاطىء .

(٣٢) لأن الفندق (وقع) على الشاطىء . شعر بيتر بتحسن .

(٣٣) عرف بيتر أن الفندق (يقع) على الشاطىء .

(٣٤) (وقع) هذا الفندق أيضاً على الشاطىء .

بدء في هذا الجمل دائماً من واقعة متصدرة؛ وهي أن الفندق (هو نفسه أو فندق آخر) وقع على الشاطىء . ويزعم أن هذه الواقعة علة أو سبب لواقعة أخرى (توفر منظر جميل ، أن شعر بيتر بذلك، أن لبيتر رأياً أيضاً، أنها تتوام مع واقعة أخرى) .

ونطلق على القضية التي تفسر بوصفها تلك القضية المتصدرة الواردة من قبل فرضية مسبقة (Präsupposition) [١٨]، في القضايا المركبة الواردة من (٣١) إلى (٣٤)، ولأن الفرضية المسبقة تحيل إلى واقعة قد وردت، فإن

---

* يصح في العربية إسقاط هذا الفعل، ويصح كذلك الإبقاء عليه، وإن كان الأول أكثر مقبولية، ولكني رأيت الإبقاء عليه، لأن ذلك يوضح ما أراد المؤلف .

(١٨) قد لعبت الفروض المسبقة دوراً محورياً في علم الدلالة الفلسفي واللغوي في السنوات العشر الأخيرة، وبخاصة من خلال مشكلات تحديدها ـ حيث تختلط غالباً وجهات نظر دلالية وبراجماتية قارن فان دايك (van Dijk (1980b ، وثمة دراستان حديثتان نوقشت فيهما المشكلات المعنية هما دراسة كمبسون (1975) Kempson وولسون (1975) Wilson ، وقدم بتوفي وفرانك (1975) (.Petõfi & Frank (eds تنظيماً جديداً لمباحث مختلفة .

هذا الجـزء من الجـملة صـادق فى الأسـاس، وإن كـان من الممكن أن تكون الجملة الكلية صادقة وكاذبة أيضاً . وعلى مستوى البراجماتية الذى يتحدث فيه عن معرفة المتكلم والسامع ينسحب المصطلح الدلالى الفرضية المسبقة كذلك على فروض المتكلم عن معرفة السامع : إذ يفترض أن السامع يعرف هذه الواقعة بناءً على القضايا السابقـة فى التتابع أو بناءً على القضايا التى تستنتج من ذلك منطقياً أو تستنتج من خلال المعرفـة العامـة عن العـالم . وحين نزعم شيئـاً (أو نسأل أو نوصى ... الخ)، نصوغ من خلاله مـثلاً الجـمل من (٣١) إلى (٣٤) فإن / هذا الزعم لا ينسحب بـالمعنى الدقـيق إلا على قضية « جديدة »، أى : على ما لم يعرفه المستمع بعد، ويقوم وصف هذا الزعم خـاصـة بأنه صـادق أو كـاذب على وجـود القـضـيـة المفـسـرة أو عـدم وجـودها . وحين يزعم متكلم ما أن ق هى المسألة برغم أنه يعرف أن ق ن هى المسألة (أو على الأقل أن ق ليست المسألة) فإن هذا الزعم غير صحيح . ولكن حين يقول إن ق هى المسألة، وأن ذلك يظن حقاً أيضاً، غير أن ق فى الحقيقة ليست القضية، فإن زعـمـه صـحيح ولكنه كـاذب [١٩] . فـفى اللغـة الطبيعية يوجد كم كبير من الإمكانات لكى نعرفها ونقدم أن واقعة معينة أو فرداً أو سمة قد تصدرت أو ضُمِّنت بناء على المعرفة الخاصة أو العامة، على سـبيل المثـال من خـلال جمل تابعة مـبدوءة بأن مـع المحـمـولات المخـتلفـة (المسماة واقعية) - يعرف، ويقع ويرى ويسمع، ولكن ليس مع يزعم ويحسب ويظن، ومن خلال بناء نحوى أى من خلال موقع متقدم فى الجملة، ومن

٣٧

---

(١٩) اسـتـخـدمت إلى جـانب المصطلحين الدلاليين الموجـودين (صـادق) و (كـاذب) مصطلحات أخرى أيضاً مثل (يتم)، ومن الأفضل عن الناحية البراجـمـاتية - إلى جانب مصطلح تخصيص المستخدم فى الفصل التالى - مصطلح « الصحة » الذى يقوم على معرفة المتكلم أو السامع وهو فى السياق يتصل بالوقائع الواردة، قارن جرونن دايك وشتوكهوف Groenendijk & Stokhof (1975, 1978) .

خلال استعمال ضمائر أو أدوات تعريف ... الخ . ولذا لا يمكن أن يحيل المنطوق (الفندق) فى مثالنا إلا إلى فندق معروف من قبل أورد ضمنياً من خلال الإشارة إلى أن بيتر يجوز احتمالاً أنه قد نزل فى فندق .

٢ـ٢ـ٩ يبرز من هذا العرض الموجز للدور الذى تلعبه الفرضيات المسبقة فى التتابعات أن الحدود بين الدلالة والبراجماتية لا يمكن أن تحدد تحديداً صارماً إلا بصعوبة بالغة . وفى الحقيقة سنلتزم فى صرامة تامة بمبدأ أن علم الدلالة يعنى بالمعانى والإحالات، حتى وإن حددت تلك من خلال علاقات بين المتكلمين والسامعين فى السياق الوارد . وفى الحال الأخيرة يتحدث أيضاً عن علم الدلالة السياقى [٢٠] . وحينما يتحدث عن معرفة المتكلم والسامع، ونُعنَى بصدق المنطوقات أو صحتها أو مقبوليتها فإننا نتحرك فى مجال البراجماتية .

من البدهى أنه ربما يكون المتكلم أو السامع (أو عناصر أخرى فى السياق) هما موضوع الإحالات أيضاً، على نحو ما فى الحكايات (أنا ... أنا ...)، ونحن هنا نظل أيضاً فى مجال علم الدلالة (السياقى) .

٣٨ ٢ـ٢ـ١٠ / نرى أخيراً أن نعود فى إطار منطقة الحد بين علم الدلالة والبراجماتية إلى مناقشة الفرضيات المسبقة تارة أخرى، حيث يظل ترابط الفقرة كما فى (٢٧) بوجه خاص ماثلاً أمام العين . فقد رأينا أنه فى جملة ما يمكن أن يكون جزء من المعلومة معروفاً وجزء آخر جديداً، بمعنى أننا نعرف أن بيتر موجود وأنه فى خطوة تالية يقال شيء جديد عن بيتر؛

---

(٢٠) علم الدلالة السياقى، أى أن الدلالة تفسر فى الجمل تابعة لسياق المنطوق (المكان والزمان ... الخ) وقد برز بوجه خاص منذ عمل مونتاجو، قارن Montague (1974) الذى يطلق على هذه الدلالة « البراجماتية الشكلية»، وهو مصطلح فيه القليل مما يشترك مع ما يفهم فى موضع آخر. وفى الفصل التالى. تحت مصطلح «البراجماتية »، قارن لويس أيضاً (1970) Lewis، والمقالات فى كتاب كينن Keenan (eds.) (1995).

وهو أنه سافر بالقطار . هذه المعلومة الجديدة يطلق عليها غالباً تفسير (أو بؤرة) الجملة، والمعلومة المعروفة المحور[٢١] . وتستخدم هذه المصطلحات أحياناً أيضاً لتوضح جزء الجملة الذى يمثل تلك الوظائف المختلفة . ففى فقرتنا: هو فى ج ا المحور، وسافر بقطار المساء = التفسير . غير أننا نقرأ لفظة « قطار المساء » أيضاً فى المثال الأخير بنبر خاص على المساء، وفى هذه الحال يمكننا إذن أن نستنتج أن بيتر سافر بالقطار (بوصفه محوراً) وأن المعلومة الجديدة تكمن فى أن الأمر يدور حول « قطار المساء » . وربما تصاغ قاعدة عامة مستقلة تماماً عن أى كمال، وهى : أن المحور فى الجملة يعكسه الفاعل (غالباً المجموعة الأولى الاسمية الواقعة فى البداية)، بينما تكون بقية الجملة تفسيراً . وحين يؤكد على أجزاء محددة فى المنطوق (بيتر، ليس ماريا، سافر بالقطار) يمكن أن نقول كذلك : فلأن بيتر أو واقعة أن شخصاً ما سافر بالقطار أمران معروفان (وهذا ما نطلق عليه س) يمكن أن نصف الواقعة الجديدة (المزعومة) بأنها تفسير أن بيتر = س .

ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن لمحور جملة ما وظيفة، وهى أن يُختار من كم أكبر من معلومات معروفة عنصر محدد (واقعة، فرد، سمة، علاقة، فردان) وأن للتفسير- بناء على ذلك وظيفة أن يقال شىء عن ذلك، وهو ما كان غير معروف بعد . ولذلك فالبنية محور- تفسير تتضمن وظيفة مهمة فى الاستيعاب البراجماتى والإدراكى لمعلومة من منطوقات لغوية .

ومن الملاحظ أن المحور يمكن أن يتغير باستمرار فى التتابع، فالمحور

---

(٢١) يشكل مصطلحاً محور- تفسير واحدة من المشكلات الأكثر تعقيداً فى علم اللغة الحديث إذ يضم وجهات نظر دلالية وبراجماتية وإدراكية أيضاً، حول المصادر العامة وإشارات أخرى، قارن سجال وآخرين : Sgall, Hajicova & Bensova (1973) وعالجهما فى إطار النحو النصى والبراجماتية النصية فان دايك (ط 1980 و 1977a و van Dijk (1972a) .

فى ج ١ من (٢٧) يعبر عنه من خلال ضمير الغائب (هو)، ويوجد فى ج ٢ تبادل - للمحور إلى أداة التعريف (الـ)، وهو ما يحيل مفهومياً إلى «قطارات المساء» بوصفه محوراً، وفى ج ٥ يصير الفندق محوراً، ومع ذلك فإن ج ٤ ذات مشكلة : أمطرت برداً، لأن (Es) ضمير الغائب (أشبه بضمير الشأن) لا يحيل بوضوح إلى شيء معروف . ولنفترض هنا أنه لا يوجد محور أو أنه ليس هناك سوى عنصر لامعنى له فى ذاته، برغم أنه يمكن أن يقال أيضاً أن (es) / تحيل إلى الموقف الفعلى أو إلى الحال العامة للطقس .

٣٩

وتوجد المشكلة ذاتها فى ج ٦ : فالضمير (es) أيضاً له إحالة غامضة إلى مكان أو موقف معين (باعتباره تخفيفاً لـ (dort) هناك) . فربما يكون التفسير بقية الجملة (وجد منظر جميل على الجبال) [كما هى الحال فى العربية] *، وفى جمل مثل : كان ذات مرة رجل يعدو الشارع، يمكن أن يترك : كان ذات مرة es war einmal أيضاً، بحيث يمكن أن يتحدث فى الحقيقة عن محور « خالٍ »، برغم أنه يمكن أن يخمن ضمنياً هنا أيضاً أن المحور هو العالم الممكن المعين الذى يتحدث عنه (نصادف إحدى تلك الوظائف أى الوظيفة - المحور بصفة خاصة فى الجمل الأولى من الحكاية وبخاصة الحكايات الخرافية) .

وفضلاً عن ذلك يجب أن يتضح، حين تستخدم معايير حدسية، أنه يمكن أن تتحدد الوظيفة - المحور من خلال استفهامات، مثل : عن أى شيء أو من أي شيء أو من أو ما . وتتعلق الجملة الأولى فى تتابعنا ببيتر أو بقطار المساء، وفى تلك الحالات تعنى (بـ) غالباً إحالة . ينبغى كاختبار أن يسأل على الأقل : بم زعم شيء ما ؟ وفى الغالب يمكن أيضاً ألا تكون وظيفة -

---

* ليست هذه العبارة من النص، ولكن يلاحظ هنا تطابق ما يقوله المؤلف عن هذا الضمير مع ما يقوله النحاة العرب عن ضمير الشأن والقصة، إذ إنهم يتفقون على أنه ضمير مبهم غائب مفرد، يتصدر الجملة، يفسره ما يليه أو لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه .

محور مستمرة، أى تسقط فى أجزاء مختلفة من الجملة، كما حدث فى ج ه، حيث كان الفندق أو القرية معرفين (ضمنياً)، بينما العلاقة (وقع على حافة) وحدها قد أدخلت عنصراً جديداً، ومن ثم فإن لها وظيفة ـ تفسير . أما كلمتا (فندق / قرية) فتكونان إذن محوراً .

وأخيراً يمكننا أن نتساءل أيضاً عن أى شىء تدور الفقرة ككل . ونعنى بذلك موضوع النص Textthema ، وهو مصطلح لا يتحدد بالنسبة للقضايا المفردة والعلاقات بينهما، بل بالنسبة لتتابعات كاملة فقط . يتحدد الموضوع إذن من خلال مصطلحات الأبنية الكبرى للنصوص .

٢ ـ ٢ ـ ١١ نحن الآن قادرون تقريباً على تشكيل قيود ومعايير توضح التتابع باعتبار أنه مترابط . ويتعلق الأمر بوجه عام بتماسك دلالى، وإن كان للأمر، كما اتضح، صلة بالتماسك البراجماتى فى أغلب الأحوال . إن التماسك بشكل عام، الذى عولج هنا، أفقى : فهو يوضح العلاقات بين قضايا فردية وقضايا أخرى (أو مجموعات قضوية) داخل تتابع ما . وقد تحدد التماسك آخر الأمر سواء على مستوى المعانى (حين يتصل الأمر بالعلاقات بين التصورات ـ التطابق وإمكان المقارنة وتشابه المجال التصورى) أو على مستوى الإحالة /المحيلات .

وهكذا فإن التتابع متماسك دلالياً، حين يمكن أن تفسر كل قضية فى التتابع مفهومياً أو ماصدقياً، مرتبطةً بتفسير قضايا أخرى فى التتابع أو قضايا خاصة أو عامة متضمنة من خلاله . ومن ثم يوصف مفهوم التفسير النسبى بأنه مفهوم النص . أما كيف يترابط تتابع ما دلالياً فيعبر عنه بصورة أكثر شكلية كما يلى :

I الربط الداخلى بين القضايا . ٤٠

إن قضيتى أ و ب مترابطتان (أى بينهما ترابط داخلى)، حين

يرتبط تفسير كل منهما بالأخرى ـ بالنظر إلى متكلم (Si) وموضوع (ti) ومعرفة عامة (k) وقضايا أخرى (متقدمة) (D) ، متضمنة من خلال نص أو سياق والعالم (Wi / j) أى : I أ، م، ض، ف، ق، ع ١ و I ب، م، ض، ف، ق، ع ٢ : أى الواقعتان : و أ و و ب * .

ويمكن هنا أن ترتبط و أ مع و ب على النحو التالى :

(i) يوجد جزء من واقعة و ى من و ب، بحيث إن و أ - و ى (فرضية مسبقة) .

(ii) و أ قيد قوى (سببى، تعليلى) أو ضعيف لـ و ب؛

(iii) و أ و و ب بديلان يمكن المقارنة بينهما فى عوالم متبادلة : ع ١ # ع ٢، ع ١ R ع ٢؛

(iv) و أ و و ب جهتان من مجال تصورى متماثل فى عوالم ممكنة ذات صلة (فى العوالم / الأزمنة / الأماكن ذاتها أو متتالية) ،

II علاقات التماسك الأخرى

(i) تترابط المحيلات النصية لقضيتين أو أكثر بعضها ببعض من خلال التطابق (فى العالم نفسه أو عوالم بديلة) أو من خلال علاقة أخرى محددة (مثل جزء ـ كل، ومالك ـ ملكية ... الخ) .

(ii) علامات المحيلات النصية المتماثلة مترابطة، كما فى القيد I (iv)، ولكنها ليست متطابقة .

(iii) تترابط العوالم الممكنة (زمان، مكان ... الخ) بعضها ببعض: التطابق، التتابع، الانفتاح، التشابه .

ويصح هنا أنه يجب أن تتوفر بالنسبة لكل قضية فى التتابع علاقة

---

* متكلم (م)، وموضوع (ض) ومعرفة عامة (ف) وقضايا متقدمة (ق) والعالم (ع)، والواقعة (و) والرقم ١ المعلومة و ٢ لمعلومة أخرى .

على الأقل من تلك العلاقات بقضية أخرى على الأقل في التتابع أو بقضايا (متضمنة) تتضمن فيه .

الآن صار من الممكن بسهولة أن يتبين أن التتابع (٢٧) على سبيل المثال متماسك بناءً على هذه القيود، وبعبارة أخرى : كل قضايا هذا التتابع مهمة من جهة المضمون بالنظر إلى قضية أخرى أو سلسلة من القضايا .

وبشكل عام يرتبط قيد II (ii) بقيد الإبلاغ النمطي الدلالي - البراجماتي للتتابعات، الذي يحدد الوظائف - المحور والتفسير لكل قضية وكل جملة حيث تكون فئات القضايا التي تفسر بالنظر إليها في كل تفسير لقضايا متتالية أ ن و أ ن + ١ غير متماثلة : ق # ق'. فالمعلومة (ن) المعبر عنها من خلال أ ن + ١ هي جزء من ق'، أي أن لها وظيفة المحور، على حين خصصت وظيفة - التفسير للمعلومة الباقية المعبر عنها من خلال أ ن + ١، حيث تتغير ق، في ق" أيضاً في الوقت نفسه (وهو ما يمكن أن يكون أساساً لتفسير القضايا التالية) . ويمكن أن يتضح لنا بهذه الطريقة المعقدة، غير أنها ما تزال غير مكتملة، أننا يجب أن نقول في كل جملة في نص ما شيئاً «جديداً» .

٢ - ٣ الأبنية الكبرى للنصوص

٤١

٢ - ٣ - ١ ولما كنا قد استطعنا حالياً أن نسبر العلاقات بين الجمل في النص فإنه من الممكن أن نتقدم خطوة مهمة، إذ الجملة ليست في الحقيقة أكثر من سلسلة من المفردات وإن المرء يمكنه أن يحلل النصوص أيضاً على مستوى تكمن خلفه بنية التتابعات . لقد استخدم عن عمد في المباحث المعالجة آنفاً مصطلح « تتابع » غالباً، لأنه لم يكن قد تبين بعد بوضوح أن التتابعات التي تتشكل من جمل وتفي من جهتها بقيود الربط والترابط، تشكل

كذلك بوجه عام فى حقيقة الأمر نصاً ما وكان هذا أيضاً هو السبب فى أن الكلام كان دائماً ذا ترابط أفقى .

فعلى مستوى الوصف الذى نتحول إليه الآن لن نهتم فى المقام الأول بأوجه الربط بين جمل متفرقة وقضاياها، بل بأوجه الترابط التى ترتكز على النص بوصفه كلا، أو على كل حال بالوحدات الكبرى للنص . ونطلق على هذه الأبنية النصية العامة الأبنية الكبرى (Makrostrukturen) (٢٢) . ولذلك يمكن أن يطلق للتمييز على أبنية الجمل والتتابعات فى النصوص الأبنية الصغرى (Mikrostrukturen)، وفى الحقيقة سنتجنب كذلك هذا المصطلح .

وينص الفرض الذى نستند إليه بوصفه البداية على أن تتابعات الجملة فقط لها بنية كبرى سنحددها نظرياً بأنها نصوص (Texte) ، وبذلك يتغير لفظ نص فى مصطلح نظرى يتساوق بصورة غير مباشرة فقط مع استخدام هذا اللفظ فى الحياة اليومية، حيث يعنى بوجه خاص منطوقات لغوية مكتوبة ومطبوعة . وكما هو مألوف فى علم اللغة نستند إلى وصف نحوى أكثر ثراء لأبنية المنطوقات اللغوية، ونسلم كذلك بالوحدة المجردة ، نص ، إلى جانب (إعادة) تركيب أبنية وجمل (وقضاياها كذلك) وتتابعات مجردة فى النحو.

وسنفترض هنا كذلك أنه توجد أبنية نصية خاصة ذات طبيعة عامة،

(٢٢) لمزيد من وصف الأبنية الكبرى قارن فان دايك (1977a و 1972) van Dijk بالنسبة للأبنية الكبرى الدلالية، وفان دايك (van Dijk (1980b بالنسبة للأبنية الكبرى التداولية، وحول العلاقات بالمخططات العامة انظر الإشارات فى الفصل الخامس وكذلك ما ورد تحت نظرية الحكاية . وحول أهمية الأبنية الكبرى عند الاستيعاب الإدراكى للنص انظر الملاحظات فى الفصل السادس . وأعدت محاولة لتوليد هذا المصطلح داخل تحليل النص والإدراك والتفاعل (قارن فان دايك van Dijk 1980a) .

أى أبنية كبرى، وأن هذه الأبنية الكبرى وفق طبيعتها دلالية . ولذلك تتمثل البنية الدلالية العامة لنص ما بصورة مجردة فى البنية الكبرى، وعلى حين يجب أن تلتزم التتابعات قيود الترابط الأفقى، لا يجب أن تفى النصوص بهذه القيود فحسب (لأنها تبدو كأنها تتابعات جملية)، بل بتلك القيود الخاصة بالترابط الكلى .

٤٢ / ومن المهم هنا أن نوضح أن الأمر فى ذلك يتعلق بأبنية مجردة ونظرية، وإن كانت تقوم على مقولات وقواعد ذات طبيعة عامة وعرفية يعرفها مستعملو اللغة بصورة ضمنية، أى : يمتلكون ناصيتها ويستخدمونها . وقياساً على الخبرة التى مفادها أن مستعملى اللغة ينحرفون أحياناً عند إنتاج الجمل عن القواعد الدلالية والتركيبية، وبخاصة فى الاستعمال اللغوى الشفهى فى سياقات محددة، ويمكن أن تنحرف نصوص ما (ملفوظة) أيضاً عن قواعد الترابط الأفقى والكلى، يمكن أن يحدث هذا عن وعى تام (فى الشعر الحديث مثلاً) أو وعى أقل فى الحديث اليومى مع الجيران والأصدقاء.

٢ ـ ٣ ـ ٢ قد افترضنا أن الأبنية الكبرى للنصوص دلالية؛ فهى لذلك تصور الترابط الكلى ومعنى النص الذى يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية . وبذلك يمكن أن يشكل تتابع كلى أو جزئى لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية .

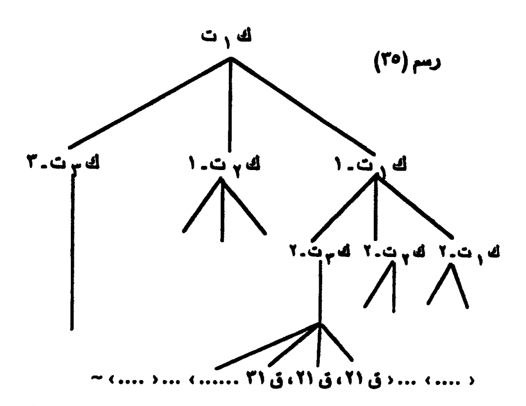
ونظراً لأننا نعد الأبنية الكبرى دلالية، فيمكننا (ويجب علينا) أن نصفها أيضاً فى مصطلحات علم الدلالة . ولذلك نتحدث هنا أيضاً تارة أخرى عن قضايا، لا تختلف فيها بنية كبرى من الناحية الشكلية عن بنية صغرى : فهى تتكون أيضاً من سلسلة من القضايا . ومن ثم فإن مفهوم البنية الكبرى يبدو نسبياً : فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة، نسبياً بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى ، أدنى ، آخر .

ويستنتج من ذلك أنه فى نص ما يمكن أن تصلح بنية ما أن تكون بنية صغرى، وتكون فى نص آخر بنية أخرى . وبوجه عام توجد مستويات ممكنة مختلفة للبنية الكبرى فى النص، بحيث يمكن أن يقدم كل مستوى «أعلى» (أعم) من القضايا فى مقابل مستوى أدنى بنية كبرى . ونطلق على البنية الكبرى الأعم الأعلى فى النص الكلى ببساطة البنية الكبرى للنص، على حين يمكن أن يكون لأجزاء نصية معينة أبنيتها الكبرى الخاصة بها، ونتيجة لذلك تتشكل بنية متدرجة ممكنة للأبنية الكبرى على مستويات متباينة، انظر الرسم التخطيطى (٣٥) .

ويتضح فيه أن سلسلة القضايا « ق ١ ، ١ وق ١ ٢ وق ١ ٣ ... » على سبيل المثال تقدم بنية كبرى (ك) على مستوى البنية الكبرى الأولى ... الخ حتى على المستوى الأعلى ك ت (ورقم المستوى يقع على يسار من ك، وهو ما يوضح فى كل قضية على المستوى الأكبر) .

ومن الممكن جداً هنا أن يكون المستوى صفراً (ت = ٥)، ويكون المستوى الأصغر مساوياً للمستوى الأكبر . ويكون ذلك تقريباً حين يتكون نص ما من جمل قليلة فقط أو من جملة واحدة .

٢-٣-٣ يجب أن تفى كل بنية كبرى مثل مستويات البنية الصغرى بالقيود ذاتها بالنسبة للربط والترابط الدلاليين : وهى أوجه الترابط الدلالية بين القضايا والتطابق بين المحيلات ... الخ . فلو لم تكن تلك هى الحال فإن المستوى الأكبر / لا يمكن أن يكون فى نص آخر مستوى أصغر، كما يتبين ذلك فى الواقع فى جمل النص . وبالنسبة لنظرية الأبنية الكبرى يجب أن يكون مهماً باستمرار ما القيد الذى يمكننا من إيضاح كيفية الوصول إلى « البنية الكبرى » حين ترد فى نص محدد . ٤٣



، .... ، ... ، ق ٢١ ، ق ٢١ ، ق ٣١ ...... ، ... ، .... ، ~

والرقم على يسار الرمز للمستوى والرقم أسفل الرمز لعد الأبنية

[ك = بنية كبرى، و ت = مستوى، و ن = معلومة و ق = قضية،]

يتطلب كل علم للنحو وعلم للدلالة جادين أن نصف بنية الوحدات والمستويات باستمرار بمصطلحات بنائها أو اشتقاقها من وحدات أو مستويات أخرى .

وهكذا نحتاج إلى قواعد لعمل ربط بين أبنية صغرى وأبنية كبرى، إذ الأمر يتعلق فى كلتا الحالين بأبنية دلالية قضوية تتشكل بوصفها سلاسل من القضايا مرتبطة بسلاسل من القضايا . فلهذا النمط من القواعد التى يطلق عليها شكلياً ناقلات (Abbildungen) شكل تحويلات دلالية : فهى تنقل سلسلة من قضايا إلى سلسلة قضايا (أخرى أو مماثلة) .

أما هذه القواعد فنطلق عليها من أجل التبسيط قواعد كبرى (Makroregln)، فإذا وجدت سلسلة من القضايا فإن سلسلة من قضايا تتوالى كذلك بين البنية الصغرى الفعلية والمستوى الأول من البنية الكبرى، وبين أبنية كبرى ذات مستويات مختلفة . ويمثل كل خط ربط أو بالأحرى كل

حزمة من خطوط الربط، تتشكل مع ك ن على مستوى أعلى إذن قاعدة كبرى . وسوف نصوغ بعد قليل بعض هذه القواعد الكبرى ونقدم بضع أمثلة، يمكن أن تصور النظرية .

٢ ـ ٣ ـ ٤ تكمن الوظيفة الدلالية للأبنية الكبرى والقواعد الكبرى فى بناء وحدات من سلاسل القضايا، وحين ننظر فى الرسم (٣٥) يمكن أن تفسر السلسلة (ق ١، ق ٢١، ....) بوصفها تابعة بعضها لبعض من خلال القضية الأعم ك ن ١، وتمكننا كذلك من إقامة علاقة بين سلسلة من القضايا بوصفها كلاً بسلسلة قضايا أخرى، مثل العلاقة ‹ ق ٢١ - ق ٤٠ › بـ ‹ ق ١١ - ق ٢٠ ›. ولم تكن لنستطيع دون القواعد الكبرى فى حقيقة الأمر إلا إقامة علاقة ق ٢٠ بـ ق ٢١ من كلتا السلسلتين . بيد أنه من الممكن إلى حد كبير للغاية أن كلتا القضيتين، برغم أنهما فى الأساس النصى تتواليان، ليس فيهما أى رباط أو أية علاقة تماسك أخرى . ويقارن ذلك بما يلى : حين أحيى جارى يمكن أن يقال بالكاد إن يدى تصافح يد جارى، وإن كانت اليدين جزءاً منى ومن جارى أيضاً . لذلك تنسحب بعض العلاقات على › كليات ‹ وليس على عناصر تلك الكليات فيما بينها .

٢ ـ ٣ ـ ٥ إن القواعد الكبرى هى إعادة بناء جزء من حصيلتنا اللغوية، التى نضيف بمساعدتها معان إلى كليات دلالية أكبر، أى : نجلب نظاماً إلى ما لا تكون للوهلة الأولى إلا سلسلة طويلة ومعقدة من العلاقات كما هى الحال بين القضايا فى نص ما . حين نتخذ قضايا لتمثيل مجرد لما نطلق عليه عادة معلومة (دلالية) فإن القواعد الكبرى تنظم إلى حد ما معلومة النص المعقدة للغاية . وعلى نحو معين تتضمن هذه الرؤية اختصار المعلومة بحيث يمكننا ـ حتى نتحدث عن المستوى الإدراكى ـ أن نعد القواعد الكبرى عمليات لاختصارات خاصة بالمعلومات الدلالية أيضاً .

وفى الفصل الخامس سنعود بمزيد من التفصيل إلى الدور الإدراكى

للأبنية الكبرى فى استيعاب النصوص، بينما نقتصر مؤقتاً (فى علمى اللغة والنحو) على الدور المجرد للقواعد الكبرى التى تشتمل عليه لتنظيم المعانى والتفسيرات .

٢ ـ ٣ ـ ٦ فى هذا الموضع يمكن أن تدرج أيضــاً مــلاحظة ذات طبيعة عامة : وهى أنه يجب أن يتساءل المرء، لماذا ينبغى أن تفترض فى الواقع تلك الأبنية الكبرى لوصف البنية الدلالية للنص . ما الظواهر التجريبية للاستعمال اللغوى التى توصف وتوضح بذلك ؟ ما المشكلات اللغوية التى يمكن أن تصاغ من خلال ذلك على نحو أفضل وأن تحل إذا لزم الأمر ؟ إن صياغة أسئلة من هذا النمط أمر قائم حقيقة فى كل نظرية، حين يراد أن تدرج مصطلحات جديدة ووحدات ومستويات وصفية وفروق وما أشبه .

ومن جانبنا فقد صنعنا هدفاً تجريبياً أولياً : وهو يجب أن توضح الأبنية الكبرى لماذا لا تصلح سلاسل الجملة، وإن التزمت قيود الربط الأفقى (الخطى)، بصورة حدسية دائماً بالنسبة لمستعمل اللغة، أن تكون نصاً مفهوماً ومقبولاً . وبدون البنية الكبرى يجب أن يتساءل مستعمل اللغة باستمرار، حين يسمع سلسلة من / الجمل : عم تتحدث ؟ ما الهدف منها ؟ ... الخ . ٤٥

إن أحد المصطلحات التى يجب أن تجليها الأبنية الكبرى هو مصطلح موضوع نص ما أو موضوع الخطاب (topic of discourse) أو موضوع الحوار (topic of coversaion) . يجب أن نتعمق فى القدرة الفعلية لمستخدم اللغة التى تمكنه من أن يجيب عن أسئلة فى نصوص طويلة جداً ومعقدة، مثل : عم كان الحديث ؟ ماذا كان موضوع الحديث ؟ وما أشبه . يمكن لمتحدث اللغة ذلك أيضاً حين يذكر فى النص بصورة غير صريحة الموضوع أو التيمة بوصفها فى حد ذاتها كلاً . يجب إذن أن يستنبط الموضوع من النص . ومن ثم تكون القواعد الكبرى إعادة بناء شكلى (صورى) لهذا

الاستنباط للموضوع، حيث يكون موضوع نص ما بدقة هو نفسه ما أطلقنا عليه البنية الكبرى أو جزءاً منها .

وبخلاف أن مستخدمى اللغة يفهمون ويفسرون أوجه ربط الدلالة الكبرى فى النصوص، وبخلاف أنهم يستنبطون موضوعاً أو عدة موضوعات من نص ما، فإنهم قادرون بوجه عام على تقديم مختصر للنص، أى إنتاج نص آخر، يشتمل على علاقات خاصة بالنص الأصلى، حيث إنه يقدم بإيجاز مضمونه . وبرغم أنه يجوز أن تقدم لمستخدمى اللغة المختلفين اختصارات مختلفة للنص ذاته، كما سنرى، فإنهم يفعلون ذلك باستمرار بناءً على قواعد عامة وعرفية، هى القواعد الكبرى .

وتنسحب تلك القدرة على استنباط تيمات أو وصف موضوعات نصية أو تقديم اختصارات وأداء وظائف أخرى بوجه إجمالى على ‹ مضمون › نص ما (أن يجاب عن أسئلة، أن يفسر، أو أن يترجم ... الخ)، ولها أيضاً استلزاماتها النحوية الخاصة . ويمكن أن يفرق مستخدم اللغة فى تفسيره للنص بين المعلومة التى تتبع البنية الصغرى للنص، الفعلية، البارزة، والمعلومة التى لا تقدم إلا لتنظيم هذه البنية الصغرى وتفسيرها . ولا يتحقق فى النص ألفاظ الموضوع (Themawörter)(الألفاظ المفاتيح) Schlüsselwörter فحسب، بل جمل الموضوع أيضاً (Themasätze)، التى تمثل مباشرة جزءاً من الأبنية الكبرى، ولتلك الجمل ، سمات نحوية خاصة : فلا يستطيع المرء فى العادة أن يربطها بجمل أخرى للنص (ولا بالروابط أيضاً على سبيل المثال) . سوف نناقش فيما يلى وظائف أخرى للأبنية الكبرى، وبخاصة فيما يتعلق بعمليات إدراكية لاستيعاب النص .

٢ ـ ٣ ـ ٧ حين يتوصل إلى الأبنية الكبرى للنصوص، تطبق فيها القواعد الكبرى على سلاسل القضايا، وسوف نتحدث عنا عن هذه القواعد الكبرى، وهى :

(٣٦) ١ ـ الحذف ٢ ـ الاختيار ٣ ـ التعميم ٤ ـ التركيب أو الإدماج

/ ومن الناحية الشكلية فإن كلتا القاعدتين الأوليين هما للإلغاء ٤٦ (الحذف) وكلتا القاعدتين الأخيرتين للإحلال (الاستبدال) على النحو التالي :

(٣٧) I ‹ أ، ب، ى › ⟵ ب

II ‹ أ، ب، ى › ⟵ س

ويجب فضلاً عن ذلك أن تفى القواعد الكبرى الأربعة بما يسمى مبدأ الاستلزام (التضمين) الدلالى . ويعنى ذلك أن كل بنية كبرى نصل إليها من خلال قواعد كبرى يجب أن تكون متضمنة دلالياً فى جملتها داخل سلسلة القضايا التى تطبق عليها القاعدة . وهكذا فالبنية الكبرى تتبع من ناحية المضمون البنية الصغرى (أو أحد الأبنية الكبرى الأخرى التالية) .

ويجب كذلك أن تفى كل بنية كبرى، كما رأينا، بقيود الربط / التماسك العادية لسلاسل القضايا . ويستنتج من ذلك ضمن ما يستنتج أننا يمكننا أن نحذف قضية كلية، حين تكون فرضية مسبقة لقضية (أخرى) على المستوى الأكبر ذاته، لأن ذلك المستوى فيما عد ذلك لم يعد من الممكن تفسيره تفسيراً تاماً .

إن القاعدة الكبرى الأولى وهى الحذف مألوفة إلى حد ما وتتضمن أن كل معلومة غير مهمة، غير جوهرية يمكن أن تحذف . وهذا يعنى وفق (٣٧) I أننا، حين يكون لدينا سلسلة القضايا ‹ أ، ب، ى › يمكن أن نحذف ببساطة أ، ى، حين لا تكون لهاتين القضيتين أية › وظيفة ‹ فيما بعد بالنسبة للنص، كأن تكون فرضية مسبقة لتفسير القضايا التالية . وهكذا يمكننا أن نختصر جملة : مرت فتاة ذات ثوب أصفر . التى تضم القضايا التالية :

(٣٨) ١ ـ مرت فتاة .

٢ ـ ترتدى ثوباً .

٣ ـ كان الثوب أصفر .

وفق القاعدة الأولى إلى :

(٣٩) ١ ـ مرت فتاة .

٢ ـ ترتدى ثوباً .

ونوجزها أكثر من ذلك إلى :

(٤٠) مرت فتاة .

فحين يكون من غير الضرورى لتفسير النص المتبقى أن يعرف أن الفتاة ارتدت ثوباً (وليس جينز ولا بلوزة) أو أن الثوب كان أصفر (وليس أزرق)، فى هذه الحال نطلق على هذه المعلومات فى حد ذاتها ليست مهمة، بل على أقصى تقدير إنها فى حقيقة الأمر ثانوية بالنسبة للمعنى أو لتفسير المستوى الأعلى أو الأعم . وسيتضح فيما بعد أيضاً أن هذه القضايا الثانوية عن الاستيعاب الإدراكى لا تنسى فى الواقع بشكل مفاجىء .

٤٧ / إن القضايا المحذوفة ـ فضلاً عن ذلك ـ غير أساسية، بمعنى أن العلامات الكامنة فى القضايا › عرضية ‹ و › غير لازمة ‹ . فليس جزءاً مهماً من مفهوم › فتاة ‹ أن ترتدى ثوباً، وليست سمة مهمة للثوب أن يكون أصفر . وبعد استخدام القاعدة الأولى نكون قد فقدنا بذلك بصورة مطلقة جزءاً من المعلومة الصغرى؛ ولا تجيز القاعدة بأن تطبق بطريقة أخرى للحصول على التفاصيل ذاتها تارة أخرى .

ومع ذلك فالأمر هو هو مع القاعدة الثانية وهى الاختيار، إذ يحذف هنا أيضاً كم محدد من المعلومات وفق (٣٧) I ، غير أنه توجد هنا علاقة بين سلاسل القضايا على نحو أكثر وضوحاً . فإذا تدبرنا السلاسل التالية للقضايا :

(٤١) أ. عدا بيتر إلى سيارته .

ب. ركبها .

جـ. سافر إلى فرانكفورت .

فيمكننا وفق القاعدة الثانية أن نحذف القضيتين (٤١) أ و (٤١) ب، لأنها قيود أو أجزاء أو فرضيات مسبقة أو توابع لقضية أخرى لا تحذف، وهى (٤١) جـ . وبناءً على معرفتنا العامة حول النقل وقيادة السيارة ندرك أن المرء يجب أولاً إذا رغب فى السفر من مكان إلى آخر أن يتجه إلى السيارة ثم يركبها .

وعلى نحو مماثل يمكن أن ندرك القضية : وصل إلى فرانكفورت أيضاً لأنه من البدهى أنه يجب أن يصل حين يسافر إلى مكان ما . وإذا لم تكن الحال هكذا لا يجوز لنا أن نحذف هذه المعلومة أيضاً، وتكون للقضية (غير أنه لن يصل أبداً) بكل تأكيد أهمية دلالية للنص كله، مثلاً فى تقرير عن حادث سيارة وقع لبيتر على الطريق إلى فرانكفورت .

تتطلب القاعدة الثانية تبعاً لذلك أن تتضمن القضية ب السلسلة (أ، ى) . بناءً على معارف أكثر عمومية عن المواقف أو الأحداث أو الحوادث (الأطر) أو بناءً على مسلمات دلالية بالنسبة للتصورات .

وعلى العكس من القاعدة الأولى يمكن أن تستعاد إذن المعلومة المحذوفة ثانية بشكل محدود (recoverable): حين تكون لدينا معلومة أن (س) سافر إلى فرانكفورت بالسيارة فإنه يمكننا أن نستنبط من ذلك أنه ركب أيضاً وانطلق وما أشبه . فجزء من هذه المعلومة مؤسس للمعنى أو الإطار المَعْلَمىّ، والمعلومات الأخرى فى الأحوال العادية مع ذلك غير أساسية، مثل أن ينظف الزجاج قبل السفر أو أن يطلب تذاكر إذا سافر بالقطار .

وتحذف القاعدة الثالثة وهى التعميم معلومات أساسية أيضاً إلى حد أنها تضيع (كما هى الحال مع القاعدة الأولى)؛ تحذف المكونات الأساسية

لتصور ما، وتحل من خلال ذلك قضية جديدة محل قضية (قديمة) وفق التخطيط (٣٧) II :

(٤٢) أ. على الأرض دمية .

ب.وعلى الأرض قطار خشبى .

جـ. على الأرض مكعبات .

/ يمكن أن تحل قضية جديدة محل هذه القضايا : ٤٨

(٤٣) على الأرض لعب .

لأن كل قضايا (٤٢) تتضمنها مفهومياً القضية (٤٣)، فإن يحل بذلك محل عدد من التصورات للتصور العلوى المشترك الذى يحدد بأنه الكم الكلى (الجنس) . ومن ثم يمكن أن يحل مفهوم « حيوان أليف » محل عصفور الكناريا والقطة والكلب ... الخ وفق هذه القاعدة أيضاً .

ويكمن الاختلاف عن القاعدة الأولى فى أنه تحذف هنا خواص تأسيسية (جوهرية) العلامة للمحيلات . ومن ثم يتحقق من خلال تعميمات هذا النمط ما نطلق عليه عادة تجريداً . ويكمن مغزى هذه العملية فى أنه على المستوى الأكبر تصير السمات المميزة الخاصة بسلسلة من الموضوعات غير مهمة نسبياً .

ولا تقتصر القاعدة على أوجه الحمل التى يعبر عنها فى العادة فى اللغة من خلال أسماء (قطة، وكلب ... الخ)، بل من خلال أفعال وصفات، فيمكن أن تختزل أوجه الحمل (يعد، ويوصى، ويهدىء) على سبيل المثال إلى » يقول « .

وتلعب القاعدة الرابعة وهى التركيب أو الإدماج دوراً مهماً، فهى تشبه القاعدة الثانية فى الوظيفة، غير أنها تجرى وفق التخطيط (٣٧) II ، بحيث تحل معلومة جديدة محل معلومة (قديمة) ولا تحذف ولا تختار .

ويوجد هنا أيضاً ربط لزومى بين المفاهيم على نحو ما يقع فى سلسلة القضايا التى تشكل المدخل للقاعدة : قيود مألوفة وأحوال ومكونات ونتائج وما أشبه لحال وحدث وعملية وفعل وما أشبه . النص ذاته يمكن أن يذكر سلسلة من هذه الجوانب، بحيث تشكل معاً مفهوماً أعم أو أعلى، كما فى :

(٤٤) أ ـ ذهبت إلى محطة القطار .

ب ـ اشتريت تذكرة سفر .

جـ ـ اقتربت من الرصيف .

د ـ صعدت إلى القطار .

هـ ـ تحرك القطار .

تحدد هذه السلسلة التى يمكن أن تتفرع أكثر من ذلك مجملةً فى القضية التالية :

(٤٥) ركبت القطار .

للقضايا فى (٤٤) عناصر ـ سواء أكانت تأسيسية أو اختيارية (أى : ممكنة، فهى ليست « إجبارية ») ـ لمعرفتنا العرفية، والإطار « السفر بالقطار » .

فهذه القاعدة مهمة إلى حد ما، لأن مفهوم « السفر بالقطار » نفسه لا يلزم أن يرد فى النص : إن من الواجب أن تذكـــر سلسلة من المكونات الضرورية للسفر بالقطار، حتى يمكن أن يستنبط هذا الرابط من النص .

يرى بوضوح فى هذه الحال أن المبدأ العام للاستلزام (التضمين) الدلالى / الذى ترتكز عليه قواعد مختلفة، ترسخت فى حقيقة الأمر أيضاً، ٤٩ فلا يجب أن يطبق بشكل منطقى صارم (تعليمى) بل بشكل استقرائى أكثر اعتياداً . إذا حصلنا على معلومة ›› ذهبت إلى المحطة وسافرت إلى باريس‹‹ فإننا نستنتج من ذلك عادة أن شخصاً ما ركب القطار إلى باريس، وإن لم

يستنتج ذلك منطقياً من المعلومة المعطاة . فكما رأينا عند التفريق بين المعلومات المتضمنة والمعلومات الصريحة فى النص، يشترط هنا مع هذه القاعدة أن تستخدم المعلومة غير المذكورة، ولكنها مستنبطة بصورة عقلية لبناء تصورات أعم، أى قضايا كبرى .

وعلى الرغم من أننا نقف بشكل غير محدد على صورة نظرية كاملة لقواعد كبرى متكونة، فإننا مع ذلك نرغب فى أن نبقى مؤقتاً معها عند أربعة قضايا أساسية . ويجب أن يضاف هنا آخر الأمر تقييد عام؛ إذ السؤال فى الحقيقة هو ما مدى قوة هذه القواعد، وما مدى إمكان استخدامها . ولذلك فمن المهم أن يحجز تجريد محدد وتعميم محدد دون أن يفقد المعنى « الحقيقى » الفعلى لنص ما من خلال ذلك . ويستلزم ذلك أن تعمل كل القواعد فى كل الحالات بشكل مقيد ما أمكن ذلك : يجب أن يختار عند التعميم والتركيب التصور الأكبر المتعلق بذلك، وهكذا لا ننتقل من حيوان أليف إلى حيوان ولا إلى كائن حى أو شىء بالتحديد . وحتى يظل الأمر واضحاً : يجب دائماً يتوصل إلى القضية الكبرى المستنتجة من خلال تضمين مباشر للقضايا الواردة .

ويكفل ذلك أيضاً أن تظل معلومة أجزاء النص الأكبر أيضاً فى كل مستوى خاصةً إلى حد ما إذ لا يمكننا أن نؤلف أى نص بالكلمات : فعل شخص ما مع شخص ما شيئاً .

٨-٣-٢ تسفر تلك النظرة للقواعد الكبرى عن النتيجة التالية : وهى أن عدداً كبيراً لا نهائى من النصوص المعينة يمكن أساساً أن يشكل عماد بنية كبرى محددة . وتحدد البنية الكبرى بأنها الكم النصى، أى كل النصوص التى لها المعنى الكلى ذاته، ففى أحد النصوص ترتدى الفتاة ثوباً أصفر، وفى نص آخر ثوباً أزرق، وفى نص ثالث ثوباً أسود ... الخ أو أنها

ذهبت إلى عمتها أو إلى المحطة أو إلى السينما . وربما يتعلق الأمر فى كل الأحوال بشكل مهم كلى، بأنى رأيتها ووجدتها حسنة الهيئة ووقعت فى حبها فقط، مثلاً . أما الباقى فهو أمر ثانوى من جهة المعنى . وتمكننا القواعد من أن نقرر بدقة إلى حد ما ما هو رئيسى وما هو ثانوى، تبعاً لمعنى النص فى مجمله .

وحين يمكن أن تنشأ بنيتان كبريان عند استخدام القاعدة فى المستوى ذاته، فإننا نتحدث عن نص أكبر- متعدد المعنى، حيث نريد أن نقول بذلك إن تفسيرين صحيحين ممكنان على الأقل من الناحية الشكلية .

٥٠ / يجب أن تتوفر تلك الإمكانية فى الواقع الفعلى، إذ يمكن أن يجرى مستخدمو لغة مختلفون تطبيقات مختلفة للقاعدة . وبالنسبة لأحدهما يعنى نص ما بوجه عام ك ن، وبالنسبة للآخر ربما يعنى ك ٢ ن تبعاً لعوامل كثيرة، مثل الاهتمام والمعرفة والرغبات والأهداف وما أشبه . وهو ما نرغب فى الحديث عنه بإيجاز أيضاً فيما بعد .

ونقتصر هنا على المعنى العام، العرفى الكلى أو مضمون النصوص، على حين يجب أن تقدم كل التصورات الفردية وفق جوهرها، وهو وظيفة هذا المعنى .

٢-٣-٩ قد أكدنا أن المفهوم الحدسى تيمة أو موضوع (محور) نص ما يجب أن يتضح من خلال مصطلحات الأبنية الكبرى . ولا تبدو التيمة (Thema) هنا شيئاً آخر غير قضية كبرى على مستوى تجريد بعينه، فتيمة سلسلة قضايا مثل (٤٤) هى فى الحقيقة أيضاً شىء مثل السفر بالقطار، أو ربما من الأفضل أيضاً القضية « يفعل » (أنا، سفر بالقطار) . وحين نفهم تيمة ما على أنها قضية تساوى بنية كبرى أو جزءاً منها فإن النص يتضمن التيمة أيضاً . ويلاحظ وفق القاعدتين الثالثة والرابعة كذلك أن هذه التيمة لا

يجب أن تذكر صراحةً فى النص . وإذا كانت الحال كذلك فإننا نتحدث عن لفظ التيمة (Themawort) أو جملة التيمة (Themasatz) اللذين يتضمنان كلاهما الوظيفة الإدراكية المهمة التى تهيىء القارىء أو السامع لأن يبنى التفسير الأكبر ، الصحيح ، للنص : فهو يتلقى بذلك وسيلة معينة لتخمينه، يمكن من خلالها أن يعالج النص .

وعناوين النص فى تلك الحالات نمطية، كما فى الصحيفة، وهى من جهتها على وجه التحديد جزء من البنية الكبرى، بحيث ندرك ما ينبغى أن يتحدث عنه فى هذا الخبر بوجه عام .

٢ - ٣ - ١٠ أخيراً يجب علينا أن نلاحظ قيداً مهماً لاستخدام القاعدة الكبرى أيضاً، فبرغم أن القواعد تتسم بطابع عام بوصفها أسس تنظيم واختصار عام للمعلومة يمكن أن تستخدم بصورة مختلفة بالنسبة لأشكال نصية مختلفة وفى سياقات براجماتية متباينة، فعلى سبيل المثال تتطلب القواعد العرفية للحكى أن حدثاً ما (عاما) يصير ضرورياً فى وقت محدد للحكى، ويصير هذا الحدث من خلال ذلك فى هذه الحال أكثر أهمية من ظاهر الأشخاص الفاعلين أو قيود الطقس . ولذلك ما يجب أن يفرزه استخدام القواعد الكبرى هو قضية حدثية، وليس وصفاً للحال، وسنرى فيما بعد كيف تقوم هذه القيود بوظائفها .

٢ - ٣ - ١١ صار عدد من أمثلة تطبيق معينة ضرورياً بالنسبة للقواعد الكبرى ولبناء بنية كبرى، وهى تلك التى ربما استخدمت لتصوير الشروط النظرية التى صيغت من قبل . ويجب بداهة أن ترد كل أشكال النصوص لبناء منظم للنظرية، / وأن تستخدم القواعد بصورة تلقائية محضة، أى من خلال رموز جبرية، على سبيل المثال بمساعدة الحاسب الآلى (الحاسوب)، حيث يجب أن نلاحظ القيود والشروط الواردة . غير أن ٥١

هذا فى اللحظة الحالية ما يزال مضللا . لذلك سيظل الاستخدام متوسط الوضوح فحسب .

وكمثال أول ينبغى أن نفصل الحكاية القصيرة التى أتينا بها فى (٢٧) لتحليل التماسك الأفقى للنص كما يلى :

(٤٦) ع١* قرر بيتر أن يسافر هذا العام لرياضة الشتاء .

ع٢ حتى الآن كان لا يسافر دائما فى الصيف فى الإجازة إلا إلى إيطاليا، غير أنه يرغب الآن فى أن يسافر لتعلم التزلج أيضاً، ويبدو له أيضاً أن جو الجبال صحى للغاية .

ع٣ ذهب إلى مكتب للسفر لكى يحضر نشرات بحيث يستطيع أن يختار المكان الذى يرغب (فى السفر إليه) ** على وجه أفضل .

ع٤ جذبته النمسا ـ فى الحقيقة ـ أكثر من غيرها .

ع ٥ حين وفق إلى اختياره عاد إلى مكتب السفر ثانية لكى يطلب الرحلة (الراغب فيها) وأن يحجز فى فندق قد رآه فى نشرة مكتب السفر .

ع ٦ من البدهى أن عليه أن يشترى أيضاً عدة التزلج، غير أن ليس لديه مال بحيث قرر أنه من الأفضل أن يستعيرها بنفسه فى المكان (الذاهب إليه) .

ع ٧ قرر حتى يتفادى الزحام الشديد أن يسافر بعد رأس السنة .

ع٨ حين طلع أخيراً اليوم المعلوم أحضره والده مساءً إلى المحطة حتى لا يتحتم أن يتجرجر بشنطة .

---

* أثر هنا أن يستخدم الرمز (ع = تتابع) لأن ما يرمز إليه يضم أكثر من جملة .

** ما وضع بين قوسين فى هذا النص إضافة منى لتستقيم الجمل .

وُضِع هذا النص ببساطة للغاية فى أسلوب خبرى إلى حد ما، وعلى أية حال دون أية تعقيدات، أدبية ، خاصة، ونفترض أن هذا النص (المصطنع إلى حد ما) يبدأ بـ ع١ . ومن خلال هذه الجملة أدخلت المحيلات: بيتر ورياضة والشتاء (أو من الأفضل : المفهوم ، السفر لرحلة الشتاء ،) . ولا يمكننا وفق هذه القواعد أن نحذف كل القضايا الأساسية لـ ع١ لسبب بسيط وهو على سبيل المثال ،، بيتر (أ) ،، هو فرضية مسبقة للجمل التالية للنص؛ فبيتر آخر الأمر هو المحيل المركز للنص، أى المحيل الذى أدخلت كل المحيلات الأخرى مراعية له .

ويجوز أن تحذف القضية ، القرار (أ، ق) ، لأن هذا قيد مألوف لإجراء حدث ما . ومن ثم فإنه حين نستخلص القضية ، السفر إلى (بيتر ورياضة الشتاء) ، ، فيمكن أن يحذف أو يدمج جزء كبير من ع١ وفق القاعدة الثانية أو الرابعة، وتحيل ع١ إلى علل أو موتيفات بيتر ، السفر لرياضة الشتاء ،، ما دامت هذه العلل نمطية، بوصفها جزءاً من إطار ،رياضة الشتاء ،، فيمكن أن تحذف عملية التكوين الموتيفى لحدث ما ذكر متأخراً وفق القاعدة الثانية .

ويسجل ع٣ أحداثاً تمهيدية لحدث أساسى، حيث لهذا الحدث التمهيدى ذاته هدف (إحضار نشرات)، / ونتيجة (البحث عن مكان الإجازة) . هذا ٥٢ الحدث التمهيدى نمطى بالنسبة لإطار- السياحة بوجه عام، ولكنه فى حد ذاته ليس قيداً ضرورياً للحدث الأساسى : يمكن للمرء أيضاً، دون مساعدة مكتب السفر أن يسافر لرياضة الشتاء، ومن ثم فإن أهمية هذه المعلومة ليست بالنسبة للنص الكلى إلا موضعية، ما دامت لا تؤثر فى بقية تفسير الأحداث .

ويمكن أن يحذف ع٤ مثل ع١ ، إذ تعد استعدادات (مشاركات) ،عقلية ، وموتيفات بوجه عام غير مهمة أو يتضمنها الحدث الأساسى . ومع ذلك فى هذه الحال تظل المعلومة الخاصة بهدف الحدث (السفر، النمسا)

قائمةً، بوصفها جزءاً من مقولة (مكان) لقضية عليا (يسافر بيتر إلى النمسا لرياضة الشتاء)، ويمكن أن يصوغها القارىء بوصفها فرضاً، وينسحب على ، موضوع ، النص .

وتسرد ع$_{٥}$ أحداثاً تمهيدية أخرى، بوصفها شروطاً مألوفة لإطار السفر والإجازة (طلب السفر، حجز الفندق)، ولكنها تقدم المحيل (الفندق) أيضاً الذى يحال إليه فيما بعد بأداة / اسم محدد . وبخلاف هذه المعلومة يمكن أن يدمج باقى المذكور فى ع$_{٣}$ فى التصور ، السفر ، .

وعلى نحو أكثر خصوصية يعد الجزء الأخير من ع$_{٦}$ فى إطار - رياضة الشتاء - ملائماً . ولأن الأمر يتعلق هنا أيضاً بمقاصد أو خطط تارة أخرى، يمكن أن يحذف ذلك وفق القاعدة الثانية أو يدمج وفق القاعدة الرابعة .

ويقدم ع$_{٧}$ للحدث (الأساسى) المخطط دلالته الزمنية، ويدرج بذلك ، الإطار الزمنى ، للنص، ومن ثم يقدم عنصر يتبع بداهة المعنى العام للنص الكلى، إذ ستقع كل الأفعال الأخرى فى هذا الزمن . إن تشكيل الموتيف (التعليل) لإتمام هذا الحدث فى أثناء هذه الفترة غير مهم نسبياً كذلك (فربما يكون من الأفضل أن يسافر قبل رأس السنة، لأنه لم يعد عنده تدريس، دون أن يؤثر ذلك فى النص الباقى) .

وهكذا تقدم الجمل من ع$_{١}$ حتى ع$_{٧}$ بوجه عام عدداً من الأحداث التمهيدية للتعرف (من بعض مكوناتها) للحدث الأساسى الذى أعلن عنه فى ع$_{١}$ ، بحيث إن ع$_{١}$ هى جملة موضوع، وفضلاً عن ذلك نسمع عن القيود العقلية (القرار والتخطيط) لإنجاز الحدث الأساسى الذى يبدأ بـ ع$_{٨}$.

ويتضمن ع$_{٨}$ قيداً ضرورياً مألوفاً لكل سفر بالقطار، وهو أنه يجب أن يذهب المرء إلى المحطة، مرتبطاً تارة أخرى بالمعلومة غير المهمة إلى حد ما؛ وهى شخص ما يساعده فى هذا الحدث . ويمكن أن يحذف المكون

العادى (الذهاب إلى المحطة) والحدث المساعد قبل ذلك، وفق القاعدة الثانية .

ونظراً لأن الرحلة تصور مكوناً رئيساً للإجازة فإننا لن نحذف ع١ من (٢٧)، ولكن ربما سوى المعلومة الخاصة بقطار المساء (القاعدة الأولى)، ويسقط تعليل ذلك أيضاً (٢٧) ع٢ وفق القاعدة الثانية . أما الـ ع٣ من (٢٧) فهو نتيجة مألوفة للحدث الأساسى، ولذلك يمكن أن يحذف / وفق القاعدة الثانية أيضاً . ويتضمن ع٤ عنصراً مألوفاً (الشتاء) تشتمل عليه رياضة الشتاء . غير أنه إذا لم تمطر برداً، وعلى ذلك تضيع أجازة الشتاء هباءً، فإن ذلك ربما يكون تفصيلاً للمعلومة، فهماً للنص الكلى . ويدرج ع٥ باعتباره مرحلة واقعية (تحديداً مكانياً) للفندق المعنى، وهو بوصفه مكان المكوث له أهمية للنص الكلى أيضاً . وتوضح الجملتان ع٦ و ع٧ الحال العقلية للمحيل المركزى، بيتر (صاحب الحكاية)، بيد أنهما لا يمكن أن يحذفا ابتداءً، لأن المتعة تشكل هدفاً من أهم أهداف إجازة (الشتاء)، وليس نتيجة ضرورية للإجازة . وربما تشكل هذه القضايا والقضايا المحتملة التالية القضية العامة «أعجب بيتر بها إعجاباً طيباً للغاية» .

ونعيد بناء هذه الفقرة على مستوى تجريد أولى على النحو التالى :

(٤٧) ١ ـ يرغب بيتر فى (السفر) إلى النمسا هذا العام لرياضة الشتاء .

٢ ـ اتخذ الاستعدادات الضرورية .

٣ ـ ركب القطار .

٤ ـ أعجبه الفندق فوق الجبال .

ويمكن أن تعمم هذه المعلومة أكثر من ذلك إلى :

(٤٨) ١ ـ سافر بيتر بالقطار إلى النمسا لرياضة الشتاء .

٥٣

٢ ـ أعجب بها إعجاباً طيباً للغاية .

ونظراً لأننا نعرف أنه من المألوف أن يسافر المرء لرياضة الشتاء بالقطار غالباً، فإننا يمكن أن نحذف هذه المعلومة أيضاً، ومن المحتمل أيضاً أنه موجود فى النمسا لأن إيضاح المكان لا مبرر لأن يكون مهماً للتفسير كذلك .

(٤٩) ١ ـ سافر بيتر لرياضة الشتاء .

٢ ـ عد ذلك أمراً رائعاً .

ونظراً لأننا نستخدم جملاً مألوفة للتعبير عن قضايا كبرى، فإنه يتضح مباشرة أننا يمكننا أن نختصر النص المعالج بناءً على قواعد كبرى أيضاً . وفى الحقيقة فإنه وفق القاعدة العامة يتضمن النص أيضاً تجريداً (٤٩) . ونستخدم لتصوير القواعد الكبرى مثالاً واقعياً : فقد أخذ النص من مجلة مصورة وقدم هنا كاملاً وهو : ›› عشرة قتلى على الدكة الطويل ‹‹ (انظر ص ٩٧ وما بعدها) . فى العمود الأول من الجدول ١ تقع (انظر ص ١٠١ وما بعدها) جمل هذا النص، وليست تلك القضايا التى تعبر عنها هذه الجمل، كما يجب أن تكون حقيقة . وبعبارة أخرى فى العمود الثانى توجد قضايا مركبة، ويقدم كذلك فى العمود الثانى أية قاعدة كبرى تطبق على هذه الجمل، وفى العمود الثالث تقع النتيجة، القضايا الكبرى للنص . ومن البدهى أن الأمر يتعلق هنا بقضايا كبرى على المستوى الأول .

ونظراً لأن القواعد الكبرى تكرارية (rekursive) ، فيمكن أن تطبق تارة أخرى على القضايا الكبرى ذاتها، فإننا نشير فى الجدول ٢ (انظر ص ١١٠ وما بعدها)، كيف يمكن أن يختزل النص مرة أخرى . / وكما يمكن أن تستنبط من الأعمدة المعنية قواعد كبرى لهذه الجداول يمكن أن تطبق فى بعض الحالات عدة قواعد كبرى للوصول إلى قضية كبرى .

٥٤

وتظهر هنا أحياناً إمكانات عملية أيضاً : فيمكننا أن نطبق القاعدة أولاً، أو يمكننا أن نطبق القاعدة الأولى أو القاعدة الثانية . ومن ثم تكونت. انطلاقاً من الوجهة النظرية أيضاً بوجه خاص، عدة أبنية كبرى ممكنة فى نص مـا . وفى الفـصل السـادس سنرى أن هذه هى الحـال من الناحـيـة الأمبريقية أيضاً : إذ يمكن أن يبنى قراء مختلفون تفسيرات كبرى مختلفة لنص مـا . ونظراً لأن لكل قـارىء، فى كل فـترة، معـارف وآراء ومـواقف واهتمامات ومهام وأهدافاً أخرى، فيمكن لذلك أن تختلف التيمات، أى ما يستشعر أنه مهم تبعاً لاختلاف القراء .

ومن البدهى أنه توجد أوجه اتفاق أيضاً : فبالنسبة لعدد كبير من القراء تتطابق أهم تيمـات النص . ويمكن للمرء أن يجرب ذلك، إذ يترك القراء مـخـتلفين عـمل اخـتـصارات لنص مـا . ومن المحـتمل أن تتـشابه هذه (الاختصارات) فى نقاط كثيرة . ولذلك فإن تحليلنا النظرى ما هو إلا نموذج لتفسير من هذه التفسيرات العامة . ويسرى ما يشبه ذلك على الاختصار (جدول ٣، ص ١١٢) الذى كتبناه بناء على البنية الكبرى للجدول ٢ .

وفضلاً عن ذلك فإن الاختصار يعد فى حد ذاته نصاً أيضاً، صيغت من خلاله البنية الكبرى على نحو مغاير نحوياً وأسلوبياً . وفى الحقيقة تختبر تأدية القواعد الكبرى وظيفتها بصورة صحيحة مرة أخرى من خلال ذلك الاختـصـار : فـهى فى الواقع تعنى بأن أهم مـا فى النص. من خـلال نظرة كلية يقدم ثانية . ولذلك نجـد جزءاً من هذا الاختـصـار فى العنوان الثانوى لخبر فى مجلة شتيرن أيضاً . وكما قيل يمكننا فى الواقع أن نفترض أن قارئاً ما ذا تصورات سياسية أخرى يبرز جوانب محددة فى إخباره أو يغطيها بقوة. ونرجح أن الأحداث المفاجئة فى معسكر الاعتقالات فى « فوجت »(Vught) تعطى « انطباعاً عميقاً » لدى قراء كثيرين . ومن ثم فمن الأولى أن تقع فى البداية بوصفها التطورات القانونية التى ذكرت فيما بعد فى النص .

وفى هذه الحال فمن المحتمل ألا يوجد من وجهة نظر بنيوية كبرى أى فرق بين كلا الجزءين النصيين (كلاهما يمكن أن يختصر إلى عدة قضايا كبرى) ، ومع ذلك توجد العوامل المذكورة سابقاً مثل الاهتمام والعواطف وما أشبه التى ترسخ الأحداث المحسوسة فى معسكر الاعتقالات على أفضل وجه فى الذاكرة بوصفها معطىً معاداً للنتائج القانونية . سنعود إلى ذلك مرة أخرى فى الفصل السادس . ومن جهة أخرى يمكن أن نتوقع أن السياسيين والقانونيين بسبب مواقفهم ومصالحهم وأهدافهم يوجهون اهتمامهم إلى الجانب القانونى لهذه المسألة .

ولذلك تكون المبادىء والقواعد العامة لبناء أبنية كبرى هى ذاتها، ولكن القواعد تطبق على نحو متباين - تبعاً للنص والقارىء وموقفه الإدراكى، بحيث يمكن أن تكون التفسيرات والاختصارات المختلفة العامة للنص هى النتيجة .

٥٥ / وفضلاً عن ذلك يجب أن نؤكد أن تحليلنا ليس إلا مثالاً؛ فكما ذكر من قبل يمكن أن تطبق فى مواضع كثيرة القواعد على نحو آخر أيضاً . وأخيراً فإن التحليل يعد شبه شكلى (صورى) ، فلو أمكننا أن نصوغ بدقة القضايا (مثلاً فى لغة صريحة، منطقية تقريباً) ، ولو أمكننا أن نصوغ قيودها بدقة فإنه يمكننا أن نثبت أن بنيتنا الكبرى يمكن أن تكون قد استنبطت من النص . وفى العمود الأخير من الجدول ١ ، ٢ دونا سلسلة من القيود؛ وفى الحقيقة يجب هنا أن تحدد بدقة شديدة معرفة العالم (وأوجه الاستنباط منها) تلك التى يحتاج إليها لتطبيق القواعد الكبرى . فنحن نحتاج مثلاً إلى معرفة تاريخية محددة حول الحرب ودور البوليس السياسى ليمكن فهم النص بوجه عام أيضاً؛ ويجب أن نعرف أن هولندا قد انقضت عليها قوات النازى فى الحرب (العالمية الثانية) واحتلتها، وأنه وجد فيها معسكر للاعتقال وثائرون،

وأن البوليس السياسى كان مشهوراً بأساليبه فى التعذيب الخ الخ . وفضلاً عن ذلك يجب أن نعرف أنه يوجد شكل من أشكال التعذيب حين يحبس عدد كبير من الناس فى زنزانة ضيقة، وما النتائج الممكنة التى يمكن أن يعقب ذلك الإجراء السوبارى .

وأخيراً يجب أن نعرف كيف يمكن إدراك الإجراءات القانونية الدولية ضد المجرمين النازيين، ويجب أن يتأكد لنا أيضاً أن السلطات المسؤولة أو هيئات تنفيذ العقوبة لم تكن نشطة دائماً بنفس القدر، حين تعلق الأمر بالبحث عن أولئك المجرمين وتقديمهم للمحاكمة . ويمكن أن تبين هذه المعرفة لماذا يشتمل هذا التقرير على قيمة إخبارية بوجه عام . لذلك من المهم للقارىء أن يعرف ما حدث فى الحرب وما فعل العدل بعد الحرب وما لم يفعل . وسنعود فى الفصل السادس إلى تنظيم ذلك النوع من معرفة العالم على نحو أكثر دقة، وعلى نحو تؤثر هذه المعرفة فى فهم النصوص .

٢-٣-١٢ نختم بهذه التحليلين مناقشتنا للأبنية الكبرى الدلالية، ومن ثم المعنى العام / مضمون النصوص وترابطها أيضاً . فقد اتضح لنا أن قضايا النص المترابط لا تترابط فيما بينها أفقياً فقط بناءً على علاقات بعوالم ممكنة ووقائع وموضوعات مفردة (محمولات الخطاب) وسماتها وعلاقاتها، بل على نحو أكثر شمولاً أيضاً . وهذا ممكن بفضل الحقيقة التى مفادها أن القضايا يمكن أن تفسر أيضاً على أنها وقائع تشكل وحدات كبرى، كما تبرز فى القضايا الكبرى . ولذا يمكن أن يتألف المعنى العام / الإحالة (س يسافر لرياضة الشتاء) من قضايا تصف مكونات الرحلة مثل الوصول والإقامة، وفضلاً عن ذلك فإن ثمة أحداثاً تمهيدية وتمهيدات عقلية (يرغب ويتمنى ويقرر ويسلك) وتتابعات مألوفة للفعل العام؛ كل هذه المعلومات يمكن أن تحذف، إذ إنها غير مهمة نسبياً بالنسبة للنص فى مجمله أو إنها تشكل / بلا شك ، مكوناً ، للمعلومة العامة، تابعاً هنا للإطار المعروف من قبل . ٥٦

ومن ثم فقد وجدنا بخلاف التحديد الضرورى للقواعد الكبرى، رغبةً فى أن نصوغ فى صراحة حقاً النظرية، أوصافاً دقيقة لبنية هذا النمط من الإطار ضرورية . ونحتاج بوجه عام إلى نظرة أعمق فى البنية المفهومية أو المحيط الدلالى للواقع الخارجى، البنية العامة للأحداث والأفعال وما أشبه تقريباً . وسنعود فى الفصل التالى إلى نظرية الحدث هذه بإيجاز . وأخيراً نحتاج أيضاً إلى نظرية خاصة للنمط النصى أو جنسه (الألوان النصية)، تحلل بدقة طريقة العمل الخاصة بالقواعد الكبرى بالنسبة لنصوص الصحافة مثلاً ـ أخبار حول أحداث فعلية فى السياسة العالمية، مثل التبديل بين معلومة عادية ومعلومة ذات تيمة .

وفى الفصل التالى سوف نعالج إلى أى مدى تتبع بنية النصوص وتفسيرها سياق الاتصال أفقياً، وسنحلل أيضاً الوظيفة البراجماتية للأبنية الكبرى .

شتيرن ٣٠ أغسطس ١٩٧٧، ص ١٦٨ ـ ١٦٩

(٥٠) العدالة

عشرة قتلى على الدكة الطويلة

أحد عشر عاماً قبعت ملفات حول الإجرام النازى فى هولندا لم ينظر فيها الادعاء الألمانى العام، ولم يكشف النقاب عنها إلا الآن ضد رجل البوليس السياسى . فقد أكد قبل أسبوعين وزير الخارجية الهولندى كريستوف فان دير كلاوف فى بون : أنه لا توجد أية مشكلات سياسية بين هولندا وألمانيا الغربية . وفى الخميس الماضى سافر المدعى العام الهولندى يونكر دى بوفورت إلى لود فيجسبرج ليعلن عن نقيض ذلك؛ إنه رئيس المحققين فى الجريمة النازية فى هولندا، وقد اعترض دى بوفورت لدى زميله الألمانى

رئيس النيابة د. البرت روكرل الذى يرأس المركز الرئيس فى الإدارة القانونية « لتوضيح الجريمة النازية »، بأن سلطات المقاضاة الألمانية الغربية سنة ١٩٦٧ و ١٩٦٨ حصلت على مادة ضد القائد الأعلى لهجوم البوليس السياسى ارنولد شتربيل . بيد أن الملفات الملغمة ظلت قابعة دون دراسة أو ترجمة : ولم يجر أى تحقيق ضد شتربيل بسبب أحداث مركز الاعتقال فى فوجت، حيث قتل عشر نسوة ذات مساء . ويعرف كل هولندى »، مأساة عنبر فوجت «، ففى الكتب المدرسية وفى وثائق التاريخ الرسمية : هولندا فى فترة الحرب للمؤرخ لودى يونج يوجد أن المناضلة نون فرستيجن فى معسكر الاعتقال قد جزت شعر خائنة عقاباً لها، وتضامنت السجينات الأخريات مع هذا الفعل . أما بالنسبة للبوليس السياسى فقد كان هذا عصياناً .

وفى مساء / ١٥ يناير ١٩٤٤ وضع رئيس معسكر الاعتقال جروتلد ٧٤ امرأة في زنزانة فردية مساحتها ٩,٥ م٢ ودفع هو نفسه الأخيرات فيها . وكان قائد معسكر الاعتقال الاحتياطى ارنولد شتربيل موجوداً هناك . وكتبت نون فرستيجن سنة ١٩٤٦ فى تقرير لها : « ومع مرور الليل صارت النسوة نباعاً بلا وعى، وكنا عطشى للغاية ولحسنا الماء المكثف الذى تساقط من السقف، غير أننا لسعنا بذلك شفاهنا، لأن السور كان جديداً واحتوى على ملح البوتاسيوم » . ويقرر المؤرخ دى يونج فى كتابه عن هذه الليلة : « حُووِل وضع النساء المغمى عليهن على الحائط حتى لا يسقطن . ساندت نساء كثيرات مستجمعات كل قواهن فى وقوف زميلاتهن السجينات لساعات، واستطاعات امرأة أن تسند أربعة أخريات لمدة طويلة حتى ماتت هى نفسها . وحين فتحت الزنزانة حوالى السابعة والنصف صباحاً بعد ١٣,٣٠ ساعة كان هناك عشر نسوة موتى، وكتب دى يونج : « هؤلاء النسوة العشرة شهيدات قضيتنا الوطنية » . كانت هذه الجريمة رمزاً للوحشية والفظاظة لإدارة المعسكر، بل لآلة القوة جمعاء للألمان أيضاً . وقد ثار البوليس السياسى

٥٧

الهولندى نفسه آنذاك ضد قتلة زملائهم الألمان . وفى هاج عقدت محاكمة للبوليس السياسى، وحكم على القائد جروتئلد بالسجن ثلاث سنوات ونصف، الذى وصل إلى المجر لاختبار الشجاعة، وهناك سقط (ميتاً) . ولم يتهم ارنولد شتريبل آنذاك، وبعد الحرب سنة ١٩٥٠ طالب الهولنديون بتسليمه لهم، غير أن سلطات الاحتلال الأمريكية رفضت . ونسى شتريبل مدة ٢٩ سنة، ثم قرأت نون فرستيجن التى كانت قد خرجت حية من معسكر الاعتقال، فى مارس ١٩٧٩ مسلسل شتيرن « طبيب البوليس السياسى والأطفال » (رقم ١٠ ـ ١٦ / ١٩٧٩)، قرأت اسم ارنولد شتريبل وعرفت أنه كانت له سلطة القيادة على المعسكر الخارجى للاعتقال فى مدرسة بولنهوزر دم فى هامبورج، حيث شنق فى ٢٠ ابريل ١٩٤٥، ٢٠ طفلاً، وعرفت أن شتريبل يعيش حراً فى فرانكفورت . أبلغت نون فرستيجن ذات الـ ٦٧ عاماً اليوم عن شتريبل بسبب الاشتباه فى قتله عشرات فى معسكر الاعتقال فى فوجت . وطلبت محاميتها بربرا هوستنج السلطات الهولندية مواد إدانة شتريبل، وقد عرفت مندهشة أن الملفات كانت قد أرسلت سنة ١٩٦٧/ ١٩٦٨ إلى المركز الرئيسى فى فيجسبورج، ومن هناك سلمت إلى الادعاء العام فى راينلاند بفلتشن فرانكنتال، وحين تحرت المحامية هناك، عرفت أنه توجد بين الملفات أدلة هولندية لم تترجم أحياناً وكان محتواها غير معروف . وحتى يثبت أن هذا يدين شتريبل يجب أن تترجم أولاً، إذ كانت المعارف اللغوية الهولندية ضرورية لذلك . وكذا كان النائب العام القائم آنذاك فيلى بايسفينجر (كان يعرف ذلك) . ورجت المحامية وزير العدل فى ماينتس أوتوتايزن أن يتأكد إذا ما كان هناك إسقاط للعقوبة فى الإدارة أم لا، لأن ملفات القتل لم تدرس مدة ١١ سنة، وثمة جنحة فى قانون العقوبات يقضى بستة أشهر حتى ٥ سنوات سجن . أعد المحامى العام فى تسفا يبروك هاينريش جاوف تقريراً للوزير، وكتب فى عجل رداً على محامية هامبورج : انشغالك بلا تعليل، لأن

المادة قد نظر فيها على يد « مترجم خبير » والمدعى العام . وقد تبين بعد ذلك أنه بسبب الوقت والتكاليف لم يترجم حرفياً جزء من مادة الأدلة . ومن البدهى أن وزير العدل قد عرف أنه لم تقدم أية إجابة إلى الآن على استفسار آخر للمحامية على نحو ما طلب المدعى العام المتحدث بالهولندية، ولم يستطع أيضاً أن يوضح لماذا لم ترد ملفات شتريبل كما كتب من قبل / إلى ٥٨ المركز الرئيسى فى لود فيجسبورج . ويريد أن يعرف جناح الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى مجلس مانيتس من وزير العدل من الحزب الديمقراطى المسيحى : لماذا لم تدرس ملفات القتل، وبصفة خاصة يرغب المدعى العام الهولندى دى بوفورت فى هذا التفسير . وفى هولندا تسود مأساة عابر فوجت منذ ثلاثة أسابيع عناوين الصحف . وفى إطار هذه الروح دعا الرئيس الاتحادى كارستنس الهولنديين إلى أن يطلقوا سراح آخر مجرمين نازيين من سجن بردا . وقد جلب الطلب الفظ (فى وصف نائب المجلس الاتحادى يوب فوجد) على كارستنس فى الصحافة الهولندية كلها إشارات إلى ماضيه الخاص فقط . وفى أثناء ذلك تلقى المدعى العام فى فرانكفورت حالة شتريبل، وأحضر المدعى العام بيتر بوته من فرانكفنال ملفات شتريبل، وينقلها الآن مترجم إلى الألمانية .

البرت ايكنار / جونتر شفاربرج

ظهر التقرير فى سبتمبر ١٩٧٩ فى مجلة شتيرن : « طبيب البوليس السياسى والأطفال »

الجدول ١ : تحليل أكبر ، لعشرة قتلى على الدكة الطويلة ، ٥٩

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
١	أكد قبل أسبوعين وزير الخارجية الهولندى كريسوف فان دير كلاوف فى بون : أنه لا توجه أيةمشكلات سياسية بين هولندا وألمانيا الغربية .	حذف	ك ١ لا توجد أية مشكلات سياسية بين هولندا وألمانيا الغربية .	
٢	فى الخميس الماضى سافر المحامى العام الهولندى يونكر دى بوفورت إلى لود فيجسبورج ليطن عن تقوض ذلك .	حذف	ك ٢ سافر المحامى العام الهولندى إلى لود فيجسبورج . ك ٣ توجد مشكلات سياسية بين هولندا وألمانيا الغربية .	مستنبطة من ١ و٢
٣	إنه رئيس المحققين فى الجريمة النازية فى هولندا .	اختيار	ك ٤ إنه رئيس المحققين فى الجريمة النازية فى هولندا .	
٤	اعترض دى بوفورت لدى زميله الألمانى ريتش النيابة د. البرت روكسول الذى يرأس المركز الرئيسى فى الإدارة القانونية للدولة الخاص بتوضيح الجريمة النازية، بأن سلطات المقاضاة الألمانية الغربية سنة ١٩٦٧ ، و١٩٦٨ حصلت على مادة ضد قائد الهجوم الكبير البوليس	حذف/ اختيار	ك ٥ اعترض على ك ٦، ٧ لدى زميله فى لود فيجسبورج . ك ٦ حصلت السلطات الألمانية سنة ١٩٦٧، ١٩٦٨ على مادة ضد القائد الأعلى للهجوم فى البوليس السياسى شتريبل، غير أنها تركت بلا دراسة . ك ٧ ولم يجر تحقيق	

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
	السياسى ارنولد شتريل، غير أن الملفات الملائمة ظلت قابعة دون دراسة أو ترجمة : لم يجر تحقيق ضد شيتريل بسبب أحداث فى معسكر الاعتقال فى فوجت، حيث قتل عشر نسوة ذات مساء .		ضد شتريل بسبب ك ٨. ك ٨ أحداث فى معسكر الاعتقال فى فوجت، حيث قتل عشر نسوة ذات مساء .	
٥	يعرف كل هولندى ، مأساة عنبر فى فوجت ، .	تعميم	ك ٨ ك ٩ معروفة جداً فى هولندا .	
٦	يوجد فى الكتب المدرسية وفى وثائق التأريخ الرسمية: هولندا فى فترة الحرب للمؤرخ لودى يونج: إن المناضلة نون فرستيجن فى معسكر الاعتقال قد جزت شعر خائنة عقابا لها .	تعميم اختيار	ك ٩ ك ١٠ عاقبت المناضلة ن. ف خائنة بجز شعرها. ك ١١ ك ٨ مثبتة تاريخياً .	تخصيص لـ ك ٩
٧	تضامنت السجينات الأخريات مع هذا الفعل .	اختيار	ك ١٢ تضامنت السجينات الأخريات مع ك ١٠ .	
٨	كان هذا بالنسبة للبوليس السياسى عصياناً .	تركيب	ك ١٧ .	٨ نتيجة عادية لـ ٧
٩	فى مساء ١٥ يناير ١٩٤٤ وضع رئيس معسكر الاعتقال جروتلد ٧٤ امرأة	حذف/ تركيب	ك ١٣ ترك قائد معسكر الاعتقال ٧٤ امرأة فى زنزانة صغيرة محبوسات.	

٦٠

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
	فى زنزانة فردية مساحتها ٩,٥ م٢ .			
١٠	دفع هو نفسه الأخيرات فيها .	حذف		
١١	كان قائد معسكر الاعتقال الاحتياطى ارنولد شتريبل موجوداً هناك وكتبت نون فرستلجن ١٩٤٦ فى تقرير:	اختيار	ك ١٤ شتريبل كان موجوداً هناك .	
١٢	ومع مرور الليل صار النسوة تباعاً بلا وعى .	تركيب	ك ٨ .	نتيجة عادية لـ ٩
١٣	كنا عطشى للغاية، ولحسنا الماء المكثف الذى تساقط من السقف .	تركيب تركيب	ك ٨ . ك ١٣ ك ١٥ تعذيب .	نتيجة عادية لـ ٩
١٤	غير أننا لسعنا شفاهنا بذلك لأن السور كان جديداً واحتوى على ملح البوتاسيوم .	تركيب	ك ٨ / ك ١٥ .	مكونات من ك ١٥
١٥	يقرر المؤرخ دى يونج فى كتابه عن الليلة : حول وضع النساء المغمى عليهن على الحائط بحيث لا يسقطن .	تركيب تركيب	ك ١١ ك ٨ / ك ١٥ .	

٦١

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
١٦	وساندت نساء كثيرات مستجمعات كل قواهن في وقوف زملائهن السوفيتات لساعات .	تركيب	ك ٨/ ك ١٥ .	
١٧	استطاعات امرأة أن تسند أربعة أخريات لمدة طويلة حتى ماتت هي نفسها .	تركيب	ك ٨ / ك ١٥ .	
١٨	حين فتحت الزنزانة حوالي السابعة والنصف صباحاً بعد ١٣,٣٠ ساعة، كان هناك عشر نسوة موتى .	حذف/ تركيب	ك ٨ .	
١٩	كتب دى يونج : هؤلاء العشرة هن شهيدات قضيتنا الوطنية .	تركيب	ك ٩ / ك ١١ .	
٢٠	كانت الجريمة رمز الوحشية والفظاظة لإدارة المعسكر، بل لآلة القوة جمعاء للألمان أيضاً .	تركيب	ك ٤ / ك ٨ / ك ١٣ / ك ١٥ .	ك ١٣/ ك ١٥ هي جريمة تسلية البوليس السياسي في معسكر الاعتقال
٢١	حتى البوليس السياسي الهولندي ثار آنذاك ضد فعلة زملائهم الألمان .	تركيب	ك ١٦ حتى البوليس السياسي الهولندي لم يرتض ك ١٣ .	
٢٢	في هاج عقدت محاكمة للبوليس السياسي وحكم	تركيب تركيب	ك ١٦ . ك ١٧ عوقب القائد .	

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
	على القائد جرونلد بالسجن مدة ثلاث سنوات ونصف .			
٢٣	وصل إلى المجر لاختبار الشجاعة وهناك سقط (ميتا) .	تركيب	ك ١٧ .	
٢٤	لم يتهم ارنولد شيرتيل آنذاك .	اختيار	ك ١٨ لم يتهم شيرتيل .	
٢٥	بعد الحرب ١٩٥٠ طالب الهولنديون بتسليمه لهم .	اختيار	ك ١٩ طالب الهولنديون بتسليم شيرتيل .	
٢٦	غير أن سلطات الاحتلال الأمريكية رفضت .	اختيار	ك ٢٠ رفض التسليم .	
٢٧	نسي شتريبل	اختيار	ك ٢١ نسي شيرتيل .	
٢٨	مدة ٢٩ سنة .	حذف		
٢٩	ثم قرأت فون فرستنجن التي كانت قد خرجت حية من معسكر الاعتقال في مارس ١٩٧٩ في مسلسل شيرن : « طبيب البوليس السياسي والأطفال » (رقم ١٠ ـ ١٦/ ١٩٧٩) .	حذف/ اختيار	ك ٢٢ ن. ف. قرأت اسم شيرتيل في تقرير عن البوليس السياسي .	
٣٠	قرأت اسم ارنولد شتريبل .	اختيار	ك ٢٢ .	

٦٢

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
٣١	عرفت أن له سلطة القيادة على المعسكر الخارجي للاعتقال في مدرسة في هامبورج : بوللهوزر دم حيث شنق في ٢٠ ابريل ١٩٤٥، ٢٠ طفلاً .	حذف/ تعميم	ك ٢٣ شيرتبل له ذنب في قتل آخرين .	
٣٢	وعرفت أن شتربيل يعيش حراً في فرانكفورت .	اختيار	ك ٢٤ شيرتبل يحيا حراً في فرانكفورت .	
٣٣	أبلغت نون فرستدجن ذات الـ ٦٧ عاماً اليوم عن شتربيل بسبب الاشتباه في قتله عشرات في معسكر الاعتقال في فوجت .	اختيار حذف	ك ٢٥ ن. ف أبلغت عن ش .	
٣٤	طالبت محاميتها في هامبورج بربرا هوستينج السلطات الهولندية بمواد إدانة شيرتبل .	تركيب	ك ٢٦ تحرت محامية ن. ف لدى السلطات الهولندية والألمانية .	قيد مألوف
٣٥	عرفت مندهشة أن : الملفات كانت قد أرسلت سنة ١٩٦٧ و ١٩٦٨ إلى المركز الرئيسي في لود فيجسبورج ومن هناك سلمت إلى الادعاء العام في راينلاند بفالتس فرانكتال .	اختيار/ حذف/ تعميم	ك ٢٧ عرفت ك ٦ .	

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
٣٦	حين تحرت المحامية هناك عـــرفت أنه توجـــد بين الملفـات مـواد أدلة إثبـات هولندية لم تترجم أحيـاناً، فكان مضمونها غير معروف .	تركيب	ك ٦ .	مكونات معتادة
٣٧	حـتى تثـبت أن هذه تدين شـيـرتبل يجب أن تـتـرجم أولاً، فـقـد كـانت المعارف اللغوية الهولندية ضرورية لذلك، وكـذا النائب العـام القائم آنذاك فيلى بايسفيدجر (قد عرف ذلك) .	تركيب	ك ٦ .	
٣٨	طالبت المحامية وزير العدل فى مـايندس أوتو تايزن أن يتـأكـد إذا مـا كـان يوجـد إسقاط للعقوبة فى الإدارة أم لا لأن ملفاتالقتل لم تدرس مدة ١١ سنة .	تعميم	ك ٢٨ هددت المحـامـية بطلب العقوبة .	
٣٩	فـثـمـة جنحـة فى قـانون العقوبات تقضى بستة أشهر حتى ٥ سنوات سجن .	تركيب	ك ٢٨ .	تخصيص علة
٤٠	أعـد المحـامى العـام فى تسفايبروك هايدريش جاوف تقـريراً للوزير وكـتب فى	تركيب	ك ٢٥ ادعـى الـوزيـر أن الملفات قد نظر فيها .	

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
	عجل رداً على محامية هامبورج : انشغالك بلا تعليل			
٤١	لأن المادة قد نظر فيها على يد : مترجم خبير، والمدعى العام .	تركيب	ك ٢٩ .	
٤٢	قد تبين أنه بسبب الوقت والتكاليف لم يترجم حرفياً جزء من مادة الأدلة الهولندية .	تركيب	ك ٢٩ .	
٤٣	من البدهي أن وزير العدل قد عرف أنه لم تقدم أية إجابة إلى الآن على استفسار آخر للمحامية على نحو ما طلب المدعى العام المتحدث بالهولندية .	تركيب	ك ٢٥ ك ٣٠ غير جديرة بالتصديق .	
٤٤	لم يستطع أيضاً أن يوضح لماذا لم ترد ملفات شيرتيل، كما كتب من قبل إلى المركز الرئيسي في لو فيجسبورج .	تركيب	ك ٣٠ .	
٤٥	يريد أن يعرف جناح الحزب الاشتراكي الديمقراطي في مجلس مايننس من وزير العدل من الحزب الديمقراطي المسيحي لماذا لم تدرس ملفات القتل.	اختيار/ تركيب	ك ٣١ انتقد الوزير في مجلس البرلمان المحلي.	

٦٤

	جمل النص	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود ملاحظات
٤٦	يرغب المدعى العام الهولندى دى برفورت بصفة خاصة فى هذا التفسير .	اختيار	ك ٣٢ يريد المدعى العام الهولندى تفسيراً لـ ك ٦ .	
٤٧	تسود فى هولندا «مأساة عنبر فوجت» منذ ثلاثة أسابيع عناوين الصحف .	تعميم	ك ٣٣ فى هولندا ثمة غضب .	
٤٨	وفى إطار هذه الروح دعا الرئيس الاتحادى كارستنس الهولنديين إلى أن يطلقوا سراح آخر مجرمين نازيين فى سجن بردا .	حذف/ تعميم	ك ٣٤ غضب (أيضاً) بسبب إطلاق سراح مجرمين نازيين .	
٤٩	وقد جلب الطلب الفظ (فى وصف نائب المجلس الاتحادى يوب فوجد) على كارستنس فى الصحافة الهولندية كلها إشارات إلى ماضيه الخاص فقط .	تركيب	ك ٣٤ .	
٥٠	تلقى فى أثناء ذلك المدعى العام فى فرانكفورت حالة شيرتيل .	تركيب	ك ٣٥ عولجت الحالة فى أثناء ذلك .	
٥١	وأحضر المدعى العام بيتر بوته من فرانكفال ملفات شيرتيل وينقلها الآن مترجم إلى الألمانية .	تركيب	ك ٣٥ .	

الجدول ٢ : تحليل أكبر آخر للقواعد الكبرى فى « عشرة قتلى على الدكة الطويلة »[٦٥]

	قضايا كبرى	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود
ك١	لم توجد أية مشكلات سياسية بين هولندا وألمانيا الغربية .	تركيب	ك ٢/١ يوجد توتر سياسى بين هولندا وألمانيا الغربية .	قيد عادى
ك٢	المدعى العام الهولندى سافر إلى ل .	اختيار/ تركيب	ك ٢/٢ كبير المحققين الهولنديين فى جريمة النازى اعترض لدى زميله فى ألمانيا الغربية ضد ك ٢/٣/٤ .	
ك٣	توجد مشكلات سياسية بين هولندا وألمانيا الغربية.	اختيار	ك ٢/١ .	
ك٤	هو كبير محققى الجريمة النازية فى هولندا .	اختيار	ك٢/٢	
ك٥	اعترض ضد ك ٦/٧ لدى زميله فى لم .	اختيار	ك٢/٢	
ك٦	تلقت السلطات الألمانية سنة ١٩٦٧ و ١٩٦٨ مادة ضد القائد الأعلى للهجوم فى البوليس السياسى شيرتبل، غير أنها تركت بلا دراسة .	اختيار	ك٢/٣ تركت السلطات الألمانية مادة إدانة ضد رجل البوليس السياسى شيرتبل بلا دراسة .	
ك٧	لم يجر تحقيق ضد شيرتبل بسبب ك ٨ .	اختيار	ك٢/٤ لم يجر تحقيق ضد شيرتبل بسبب ك٨.	
ك٨	حوادث فى معسكر الاعتقال فى فوجت حيث قتل فى ليلة عشر نسوة .	اختيار/ تركيب/ حذف	ك٢/٥ كان شيرتبل ضالعاً فى القتل الوحشى لعشر نساء فى معسكر الاعتقال فى فوجت .	
ك٩	ك ٨ معروفة جداً فى هولندا .	حذف		

	قضايا كبرى	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود
ك١٠	المناضلة ن. ف. جزت شعر خائنة في معسكر الاعتقال .	حذف/ تركيب	ك٢/٥	علة
ك١١	ك ٨ ثبتت تاريخياً .	حذف		
ك١٢	تضامنت السجينات الأخريات مع ك. ١ .	حذف		علة
ك١٣	حشر قائد معسكر الاعتقال ٧٤ امرأة في زنزانة صغيرة .	حذف/ تعميم اختيار	ك٢/٦، ك٢/٥ حيث حبست ٧٤ امرأة لليلة في زنزانة صغيرة .	قاسر
ك١٤	شتريبل كان هناك .	تركيب	ك٢/٦	ضالع
ك١٥	ك ١٣ تعذيب .	تعميم	ك٢/٦	قاسر
ك١٦	حتى البوليس الهولندي لم يستسغ ك ١٣ .	حذف		
ك١٧	عوقب القائد .	حذف		
ك١٨	لم يتهم شتريبل .	اختيار	ك٢/٧ لم يتهم، ولم يرسل إلى هولندا .	
ك١٩	طالب الهولنديون بتسليم شتريبل .	تركيب	ك٢/٧	قيد عادى
ك٢٠	رفض تسليمه .	اختيار	ك٢/٧	
ك٢١	نسي شتريبل .	حذف		
ك٢٢	ن. ف. قرأت اسم شتريبل في تقرير عن البوليس السياسي .	تركيب	ك٢/٨ اكتشفت الآن جريمة رجل البوليس السياسي شتريبل تارة أخرى واتهم .	
ك٢٣	شارك شتريبل في قتلى آخرين .	تركيب	ك٢/٨	جريمة البوليس السياسى
ك٢٤	شتريبل يعيش حراً في ف.	تركيب	ك٢/٨	قيد الكشف ١ والاتهام .

٦٦

	قضايا كبرى	قواعد كبرى	قضايا كبرى	قيود
٢٥	ن. ف أبلغت عن شتريل.	اختيار	ك٢/٨	
٢٦	تحرت محامية ن. ف لدى السلطات الهولندية والألمانية .	تركيب	ك٢/٨، ك٢/٣	مكونات عامة في طريقة الاتهام
٢٧	عرفت ك ٦ .	تركيب	ك٢/٨، ك٢/٣	نتيجة
٢٨	هددت المحامية بطلب عقوبة ضد السلطات .	تركيب	ك٢/٣ أجبرت السلطات أن تعالج القضية الآن .	علة/ قيد
٢٩	يزعم الوزير أن الملفات قد نظر فيها .	حذف		
٣٠	ك ٩/٢ غير جديرة بالتصديق .	حذف		
٣١	انتقد الوزير في البرلمان المحلي .	تركيب	ك٢/٩	علة/ قيد
٣٢	يريد المدعي العام الهولندي تفسيراً لـ ك ٦ .	تركيب	ك٢/٢	اعتراض
٣٣	في هولندا كان ثمة غضب.	تركيب اختيار	ك٢/١ ك٢/١٠ في هولندا كان ثمة غضب .	علة
٣٤	غضب (أيضاً) بسبب طلب إطلاق سراح المجرمين النازيين .	تركيب	ك٢/١	علة
٣٥	في أثناء ذلك عولجت القضية .	اختيار	ك٢/٩	

جدول ٣

موجز لـ « عشرة قتلى على دكة طويلة »

اعترض كبير المحققين الهولنديين فى الجريمة النازية لدى زميله فى ألمانيا الغربية لأن الادعاء الألمانى ترك مادة إدانة ضد رجل البوليس السياسى شتريبل حتى الآن بلا دراسة، وأغفل بوجه خاص إجراء تحقيق ضد شتريبل. فقد كان شتريبل قد شارك فى القتل الوحشى لعشر نساء فى معسكر الاعتقال فى فوجت . وحشرت آنذاك ٧٤ امرأة لليلة فى زنزانة صغيرة . لم يتهم شتريبل بعد الحرب، ولم يرسل إلى هولندا . الآن فقط اكتشفت جريمة رجل البوليس السياسى شتريبل وأبلغ عنه . كانت السلطات قد أجبرت بناءً على ذلك على تعقبه أخيراً . أدى غضب فى هولندا بسبب هذه القضية إلى توترات سياسية بين هولندا وألمانيا الغربية .

٣ - ١ ما البراجماتية ؟

٣ - ١ - ١ عنينا فى الفصل الأخير بشكل مفصل بالبنية « الداخلية » للنصوص التى سنعود إليها تارة أخرى من منظور آخر فى الفصل التالى . وفى الحقيقة قد أغفلنا هناك وجهة نظر نرغب أن نطرحها هنا للمناقشة، وهى أن : المنطوقات اللغوية (ومن ثم البنية النصية) تهدف فى العادة إلى الإسهام فى الاتصال والتفاعل الاجتماعى، ولذلك فهى لا تتضمن طبيعة ›إحصائية ‹ إلى حد ما فحسب، بل وظيفة › دينامية ‹ أيضاً فى عمليات معينة . ولذا يرى أن مصطلح « منطوق » متعدد المعنى أيضاً : فيمكن أن يعنى › شيئاً ‹ معيناً- مكتوباً أو منطوقاً، غير أن هذا يعنى أيضاً › حدثا ‹ ؛ حقيقة نطق هذا الشىء . وسوف نطلق باستمرار، لتجنب هذا التعدد فى المعنى، على الشىء المنطوق › منطوقاً لغوياً ‹، أما الأحداث التى تنجز من خلاله فنطلق عليها أحداثاً لغوية أو أفعالاً كلامية .

تختص البراجماتية بوصفها علماً بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها فى عمليات الاتصال بوجه عام . هذا العلم الذى بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة، له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى . وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثربولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضاً [١] .

---

(١) قارن حول المدخل إلى البراجماتية، قبل أى شىء، الكتاب المهم لسيرل Searle (1969) الذى ترجم إلى الألمانية أيضاً (١٩٧١)، وعمل أوستن Austin (1962) الذى يستند إليه . وبالنسبة لسلسلة المواد والمقالات حول الأفعال الكلامية والبراجماتية قارن: Cold & Morgen (eds.) (1975), Bar _ Hillel (1972), Wunderlich (ed.) (1972), van Dijk (ed.) (1972), : وانظر كذلك Mass & Wunderlich (1972), Wunderlich (1976), Sadock (1975), Sasse & Turk (eds.) (1978), van Dijk (1980b) وانظر كذلك أيضاً Schmidt (ed.) (1975) وقد قدم Schliben - Lange (1975), van Dijk (1975) مدخلاً أولياً .

وفى هذا الفصل سنعنى بالبراجماتية اللغوية، وتقترب هنا بوجه خاص اقتراباً شديداً من الوصف النحوى للنصوص . وفى الأصل كانت البراجماتية مكوناً من المكونات الثلاثة لعلم العلامات ؛ العلم الذى يعالج بصفة خاصة العلامات ونظام العلامات (فى شكل رموز ومعانٍ وأوجه اتصال)[٢] ـ وهو مكون إلى جانب النحو / (تحليل العلاقات بين العلامات) وعلم الدلالة (تحليل العلاقات بين العلامات والمعانى والواقع الخارجى) .

٦٩

ولذلك تعد البراجماتية فى حد ذاتها ابتداءً وصفاً للعلاقات بين العلامات ومستخدمى العلامات . ولأن مصطلح « علامة » ليس فيه خصوصية سنعنى بدلاً منه بالأبنية المألوفة، كما تصفها القواعد (أبنية النص)، بوصفها أساساً للحوار مع مستخدمى العلامات، أى : مستخدمى اللغة / مستخدمى النص .

٣ ـ ١ ـ ٢ سوف نضيق قليلاً مجال تحليل البراجماتية الموضح آنفاً . فإذا ما أريد أن تدرس بجدية كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات الاتصال والتفاعل فإنه يجب أن يعد علم اللغة النفسى وعلم اللغة الاجتماعى وجزء كبير من علم النفس وعلم الاجتماع ضمن البراجماتية . نحن لا نسعى إلى امتداد كهذا، برغم أنه توجد ـ بداهة ـ علاقات وثيقة بين البراجماتية وهذه التخصصات . فعلى حين اختص النحو بصياغة المنطوقات بناءً على

---

(٢) حظى علم العلامات أو علم العلامات العام وبخاصة داخل علم الأدب وعلوم الفن بإيثار عظيم، وخصوصاً بتأثير البنيوية الفرنسية (من خلال مؤلف بارت تقريباً) . وفى الحقيقة علم العلامات أصله إنجليزى، إذ يعد بيرس (قارن : Peirce 1960) مع غيره مؤسس علم العلامات الحديث، وموريس (Morris 1938, 1964) أهم ناشر للأفكار وممد لهذه النقاط العلمية للعلوم النظرية والاجتماعية . ويقدم ايكو Eco (1976) رؤية عامة حول علم العلامات المعاصر . قارن أيضاً المقالات فى مجلة : Semiotica .

قيوده ووفقاً لقواعده، والدلالة بأنها يمكن أن تفسر المنطوقات وفق قيودها (وينسحب ذلك على المعنى والإحالة أيضاً)، فسوف يناط بالبراجماتية مهمة معالجة القيود التى تكون المنطوقات اللغوية من خلالها ممكنة قبولها (acceptable) أو ملائمة أو مناسبة (appropriate)؛ وهذه الشروط الثلاثة تسرى على الموقف الاتصالى الذى يعبر من خلاله مستخدم اللغة . ونظراً لأننا بالنسبة لعلم الدلالة قد شغلنا بإعادة بناء مجردة مفيدة جداً للواقع الخارجى من خلال مصطلح ، عوالم ممكنة ‹، فإننا نريد هنا أيضاً أن ندرج بالنسبة لمصطلح ، موقف اتصالى ، تجريداً، وهو مصطلح السياق . وعلى ذلك فالبراجماتية تعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية (أو أفعال كلامية) وقواعدها بالنسبة لسياق معين، وبعبارة أكثر إيجازاً : تدرس البراجماتية العلاقات بين النص والسياق .

٣-١-٣ من البدهى أننا يجب أن نقف على رؤية عميقة فى بنية السياق أيضاً إلى جانب نظرة عميقة فى بنية النص . فإذا أردنا أن نناقش العلاقات بين النص والسياق مناقشة منهجية، فإن السياق كما وضح آنفاً هو تجريد لما يمكن أن نطلق عليه بصورة حدسية ، موقفاً اتصالياً ‹ . ولكن ما عناصر الموقف التى يجب أن ندرجها هنا فى مفهومنا عن السياق ؟ / بادى الأمر تعد الإجابة بسيطة : فقط العناصر التى تحدد قبول المنطوقات اللغوية (أو عدم قبولها) أو إصابتها (أو إخفاقها) أو كفايتها (أو عدم كفايتها) . وهكذا يتعلق الأمر مع البراجماتية بالترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالى الذى يرتبط به على نحو منهجى : إذ تشكل هذه العناصر معاً السياق . ٧٠

ولا تدخل فى السياق الحقيقة القائلة بأن المتحدث يصاب ببرد أو يهمس أوله شعر أحمر وإن ميز ذلك استعماله اللغوى بشكل غير محدد . فلا

توجد أية علاقات منظمة تقوم على قواعد عرفية لنمط أن امتلاك خاصية شعر أحمر يجذب إليه هذه البنية النحوية أو تلك أو هذا التفسير الدلالي أو ذاك[٣] .

وقليلاً ما تدخل السياق أيضاً سمات منظمة لعمليات اتصالية، على نحو ما يحللها علم الاجتماع أو علم النفس، مثل : الطبقة والتعليم والذكاء وقدرة الذاكرة وسرعة القراءة وتشكيل الحافز ... الخ . وبرغم أن كل هذه الأحوال تؤثر بكل تأكيد في عملية الاتصال فإن مدار الأمر هنا أيضاً حول قواعد عرفية تسرى على جماعة الاتصال كلها . وأخيراً يجب أن يعرف شخص ما ذو ثقافة معينة أوله قدرة ذاكرة معينة، القيود والقواعد ذاتها وأن يطبقها تطبيقاً دقيقاً حين ينتج منطوقات أو مفهومات، مثل أي شخص آخر . فإذا لم تكن الحال كذلك فإن المنطوق يرد على أنه غير ملائم أو غير مناسب حيث يبطل التفاعل .

تتمتع القواعد البراجماتية من خلال وجهة النظر هذه بالسمات ذاتها التي للقواعد النحوية والدلالية، وسنرى بعد قليل أيضاً أنه لا تخضع الأفعال الكلامية وحدها لأعراف، بل الأحداث الاجتماعية الأخرى أيضاً على مستويات مختلفة، وفي مجالات متباينة (المرور، والمحادثات ومواقف الزيارات وما أشبه) .

غير أنه تدخل في السياق إلى جانب المنطوق اللغوي ذاته، مقولات، مثل مستخدمي اللغة، أي : المتكلم والسامع والحدث الذي ينجزونه؛ فمن خلاله ينتجون منطوقاً أو يستمعون إليه، والنظام اللغوي الذي يستخدمونه أو

---

٣) يستخدم مصطلح عرف (Konvention) وعرفي (Konventionell) كثيراً في هذا الكتاب، بمعنى علمي (أي ليس بمعنى « تقليدي عتيق ») ويحدد مصطلح « عرف » بأنه المصطلح الأساسي لمصطلحات كثيرة، مثل : قاعدة، وقانون، واتفاق، ومعيار ... الخ بالنسبة لجمع اجتماعي معين، ولتحديد أكثر من ذلك قارن لويس : Lewis (1968) .

يعرفونه، وبخاصة ذلك الذى يعرفون فيما يتصل بالفعل الكلامى، ويقصدون، ويخططون . وإلى جانب ذلك ، مواقع ‹ مستخدمى اللغة فيما بينهم (من نمط العلاقات الاجتماعية بين ، الأدوار ‹) ، وفى المقابل أنظمة المعايير الاجتماعية والالتزامات والعادات، باعتبار أن هذه العناصر / تحدد بنية المنطوق وتفسره على نحو منظم وعرفى (بمفهوم القواعد) . ٧١

ولا يمكن أن يكون هدف هذا الفصل أن يقدم مدخلاً كاملاً للبراجماتية، بل هو تقويم عام لهذا التخصص لكى يجذب الانتباه إلى السمات البراجماتية الخاصة بالنصوص، وليس بالجمل فقط . فما تلك القيود الأخرى التى يجب أن تستوفى، وعلى ذلك يقبل منطوق لغوى ما، يتضمن بنية نصية ـ كما عرض من قبل، ويحقق فضلاً عن ذلك وظيفة اتصالية ملائمة، ومن ثم يقبله المشاركون فى المحادثة على أنه صحيح أو مناسب أو موفق ؟

٣ ـ ٢ الحدث والتفاعل

٣ ـ ٢ ـ ١ تكمن إحدى أهم المعارف فى الفلسفة اللغوية الحديثة، التى تشكل الأساس لتطور البراجماتية فى العلم بأن الاستعمال اللغوى ليس إبراز منطوق لغوى ما فقط، بل إنجاز حدث اجتماعى معين أيضاً فى الوقت نفسه؛ فحين أنطق الجملة : سأعيد إليك غداً المائة مارك . فإنى لم أنطق فقط جملة فى اللغة الألمانية (العربية هنا) سليمة الصياغة ويمكن تفسيرها، أى نحوية، بل إنى فعلت فى الوقت ذاته شيئاً يجذب إليه تضمينات اجتماعية معينة : مثلاً قد وعدت بشىء . وعلى هذا النحو توجد أحداث كثيرة، ننجزها من

خلال نطق جملة أو نص ما، أى باللغة : كالتهديد والرجاء والزعم والسؤال والنصح والاتهام والتبرئة والتمنى والشكوى .... الخ .

وتتضح الخاصية الاجتماعية لهذا النمط من الأفعال الكلامية (Sprechakte) فيما تتضح فى الحقيقة القائلة بأننا نريد من خلال ذلك أن نغير تلك المعرفة والرغبات، ومن المحتمل سلوك المشاركين معنا فى المحادثة، وفى الحقيقة القائلة بأن ذلك الفعل الكلامى ينطوى على التزامات معينة . فحين أعد شخصاً ما بشيء فإننى يجب أن ألتزم أساساً بوعدى، ويتطلب ذلك أيضاً أننى عند نطقى بوعدى أعلم أو لدى سبب لافتراض أنى سأكون قادراً على الوفاء بوعدى، ويجب أن أعرف أيضاً أن لشريكى فى المحادثة اهتماماً معيناً بالحدث، الذى أوشك أن أعد به : إذ يجب أن يتمنى هذا الحدث كذلك . فإذا لم يصدق ذلك، كما هى الحال مع الحدث الذى أنجزته من خلال النطق بجملة : غداً سأضربك ضرباً مبرحاً ! فإنى لا أعد بشيء، بل أنطق تهديداً أو تحذيراً .

وكما يمكن أن تكون جمل ما فى علم الدلالة (أو فى نصوص) ، صادقة ‹ أو › غير صادقة ‹، فإنه يمكن أيضاً أن › تصيب ‹ أفعال كلامية فى علم البراجماتية أو › تخفق ‹ فى سياق معين . فالأمر يتعلق فى البراجماتية ضمن ما يتعلق بصياغة تلك القيود لإصابة الأفعال الكلامية / ٧٢ وتنسحب هذه القيود، كما رأينا، على معرفة مستخدمى اللغة ورغباتهم والتزاماتهم .

٣-٢-٢ تحتم نظرة عميقة فى القيود التى تجعل أحداثاً كلامية ما موفقةً أو غير موفقة أن نعرف أكثر أيضاً عن الحدث بوجه عام . وترجع

نظرية الحدث تلك إلى الفلسفة . ونورد هنا ابتداءً بعض مفاهيم أساسية فى نظرية الحدث (Handlungstheorie) (٤) * .

وننطلق هنا من الشرط القائل إن الأحداث (Handlungen) نوع محدد من الحوادث (Ereignissen) . ومن ثم ينسحب مصطلح « حادثة » على التغير؛ أى التغير من حال إلى أخرى، ويطلق عليهما حال المدخل وحال المخرج . ويجب أن نتصور هنا أيضاً مصطلح « حال » تصوراً مجرداً، مثل مصطلح « عالم ممكن »، أى أنه يتألف من عدد من أشياء ذات سمات وعلامات معينة . وحين تدخل أشياء فى حال معينة أو تلغى أو حين تكتسب الأشياء خصائص أخرى، وتفصل علاقات أخرى بشكل متدرج فإن حدثاً ما يتم . ومن البدهى أن التغير للحال هو وظيفة خاصة بالزمن : فالحال المخرج لحدث ما تقع أبعد من حال المدخل . ويمكن أن تتم تغيرات الحال على مراحل متتالية مختلفة، أى : عبر عدد من الأحوال الوسطى التى تستمر فترة زمنية محددة . وأما إذا ما أريد أن يشار إلى تلك السلسلة المتصلة من تغيرات الحال بوجه خاص دون أن يراعى حال المدخل أو حال المخرج المعينة فإنه يتحدث عن عمليات (Prozessen) . ولذا فإن « تمطر » نمط محدد، عملية بينما « شرعت فى أن تمطر » أو « توقفت عن أن تمطر » حدث .

وحين يسقط فنجان من فوق المنضدة على الأرض، فإننا نطلق على

---

(٤) حول مدخل (موجز) إلى نظرية الحدث قارن فان دايك van Dijk (1977a)، وحول تطبيقها فى إطار البراجماتية قارن فان دايك van Dijk (1980b) . وترجع نظرية الحدث هذه وغيرها إلى مجالات الفلسفة والمنطق الفلسفى على يد فون رايت von Wright (1967) . وبالنسبة للكتب المدرسية المناسبة قارن : Care & Landes men (eds.) (1968), White (ed.) (1968) and Brinkley, Bronaugh & Marras (eds.) (1971) .

(*) يلاحظ أننى آثرت ترجمة مصطلح (Handlung) إلى حدث، برغم إمكان ترجمته إلى فعل، ولكن حتى أفرق بينه وبين مصطلح (Sprechakte) الذى ترجم إلى الأفعال الكلامية من جهة، وحتى يحافظ على الفرق بينهما إذ يرجع الأول إلى تصور فلسفى محض، والثانى إلى تصور فلسفى لغوى يميز من خلاله بين أفعال اللغة، غلبت الاستعمال الأول .

ذلك حدثاً، لأننا لم نهتم هنا كثيراً بالمراحل الوسطى المختلفة ، بل بتغير الحال من فنجان على المنضدة إلى فنجان على الأرض، ويتميز الكل من خلال تعبير › يسقط على الأرض ‹ . وعلى مستوى أعلى من مستويات التجريد يكون التغير داخل حدث أو عملية تارة أخرى حدثاً .

وحين يكون حدث ما نوعاً خاصاً من الحادثة فإنه يجب أن يلعب ›تغير الحال ‹ دوراً في الأحداث أيضاً . هذه هي الحال في الواقع، فحين نفعل شيئاً فإننا ندرك أنه يوجد عادةً تغير في حال جسمنا : نحرك أذرعاً أو أرجلاً، حين نفتح باباً أو نتلقف كرة . ونعني بوجه عام بلفظ › العمل Tun ‹ غالباً تغيرات جسمية خارجية (مرئية أو مدركة على نحو آخر)، ويمكن أن نتحكم فيها أساساً، أي : / نسيطر على بدايتها ومسارها ونهايتها . الحق أن ٧٣ نبضة القلب أيضاً هي تغير في حال جسمنا، غير أن هذا النمط من الأحداث أو العمليات لا يمكن أن نتحكم فيه في أحوال عادية . ولذلك لا يمكن أن نطلق على تغيرات جسمية أيضاً أحداثاً، تؤثر على أخرى لدينا (تجذبنا من خلال ذلك) أو نفعلها في أثناء النوم حين لا نكون على وعي بها . ويتطلب التحكم في تغيرات الجسمية أن نكون على وعي بهذه الأحداث . وثمة تغيرات جسمية أخرى يمكن أن نتحكم فيها أساساً (على سبيل المثال حين نغمز بالعين، وحين نحرك الأصابع ... الخ) . غير أننا لا نقوم بهذا التحكم بوعي باستمرار، ولا نطلق على تلك التغيرات الجسمية أيضاً في العادة أحداثاً. ونظراً لأنه لا يجب أن نذكر أننا نفعل شيئاً حين نغمز بالعين أو نحرك أصابعنا أو نلوح برأسنا أو نميلها، وإن لم نكن على وعي بذلك، فإننا سنطلق على تلك التغيرات الجسمية في الحال التي يمكن التحكم فيها أساساً عملاً، ولأن العمل لا يمكن أن يوجد إلا في موقف فإن أوجه التحكم (الذاتي) أو إمكانية التحكم الواعية ذات أهمية . ولا يتعلق الأمر هنا بجسم فقط، بل

بشخص وموضوع (Subjekt) . ولتبسيط ذلك نفترض أن الكائنات الإنسانية الحية وحدها هي التي يمكن أن تكون أشخاصاً، وإن جاز أن يظن أن حيوانات كثيرة أيضاً على وعي بعملها ويمكن أن تتحكم فيه .

٣-٢-٣ يجب أن نستخدم عدة مصطلحات لتمييز العمل الإنساني الذي يرجع إلى المجال العقلي أو الإدراكي؛ وهي الوعي والتحكم ... إلخ، ولا يمكن التنازل عن هذه المصطلحات من أجل تحديد مقبول لمصطلح « الحدث » . ويتجلى الفرق النمطي بين العمل (الغمز بالعين) ، والحدث (يغمز لشخص ما) أيضاً في الأمر التالي، وهو أننا ننجز مع الحدث عملاً محدداً عن وعي وتحكم، وبعبارة أخرى : لدينا مع الحدث نية أو قصد لإنجاز العمل . وحتى نتحى عن الطريق إلى حد ما المشكلات الفلسفية والإدراكية المهمة التي تظهر هنا، إذ لا يمكننا حلها بسهولة فإننا سوف نحدد الحدث بوجه عام بأنه تأليف بين مقصد وعمل .

وبعض أنواع العمل معقدة بحيث يمكن أن توجد أكثر من مرة دون تحكم عقلي في المقصد، مثل شراء كتاب أو طلب بيرة في حانة : فتلك الأحداث يمكن في العادة ألا تقع بشكل عرضي. ومن جهة أخرى فالتغير بصورة نمطية هو عمل أو حتى أنه ليس إلا حدثاً بجسمنا، لأنه ليس لدينا القصد عادة إلى التعثر . ويظل مهماً سواء في علم الأخلاق أو فلسفة الحق أننا أساساً مسؤولون عن أفعالنا، لأن على وعي بها، ويمكن التحكم فيها ويقصد إليها . ولا نحتاج هنا إلى نستمر في تتبع ما يعنيه مصطلح « مقاصد » بدقة .

٧٤ / ونفترض أن الأمر يتعلق بأحوال أو أحداث عقلية محددة، تنسحب على العمل اللاحق لشخص ما . فهي من هذه الناحية يمكن أن تقارن بخطة أو برنامج (« أجزاء غير ملموسة Software ») وهو ما يحتاج إليه تنشيط

عضلات وأجهزة ... إلخ (، أدوات مادية Hardware ،) وللتنسيق بينها وفق نماذج ثابتة على نحو ما .

وثمة جزء جوهرى آخر من الأحداث وهى ما لا ننجزها بلا شك من أجل ذاتها، بل ليتحقق من خلالها أو بها شيء آخر . ففى أثناء إنجاز حدث ما فإنه يكون لدينا هدف محدد أمام أعيننا، يكون لدينا تعيين لهدف أو نية محددة . ويتضمن مصطلح (نية Absicht) * أننا يجب أن نفرق بين النوايا والمقاصد، إذ إن المقصد ينسحب فقط على إنجاز عمل بعينه على حين تنسحب النية على الوظيفة التى يمكن أن تكون لهذا العمل أو هذا الحدث . فيمكننى أن أنجز الحدث (الغمز بالعين) عن وعى، وإن لم توجد لدى نية لتقديم علامة لشخص آخر . أما حدث « فتح الباب » فإننى أنجزه بنية أن أدخل أو أخرج . ومن ثم فإن أغلب الأحداث التى نقوم بها تتضمن نية . ولذلك تمتد تلك النية إلى الحال أو الحدث الذى نرغب فى إيجاده أو نأمل فى إيجاده بفعلنا أو من خلال فعلنا . ومن ثم يجب أن تعلل الحال المستهدفة أو الحدث المستهدف من خلال فعلنا - وهو مفهوم قابلناه فى علم الدلالة .

٣-٢-٤ نستطيع أن نصف الآن المفهوم المحورى لإصابة الأحداث وتوفيقها وصفاً دقيقاً، إذ يلاحظ أن حدثاً ما يصيب حين تتطابق حال مخرج العمل مع حال المخرج المنوية، ويخفق أو لا يصيب حين تكون الحال غير ذلك .

فإذا كانت لدينا النية « لرفع حجر »، وكمن عملنا فى أننا نمسك الحجر

---

* إن الفارق بين مصطلحى (Abischt) و(intention) دقيق للغاية، وربما يكون ما اخترته أقرب إلى المراد، وربما يقتضى السياق فى مواضع أخرى أن يترجم (Absicht) إلى قصد أيضاً وجمعها (قصود)، وفى الوقت نفسه نلتزم بترجمة (intention) إلى مقصد، وجمعها مقاصد .

من على الأرض فى الهواء، فإن حدث الرفع قد نجح . ومن ثم نطلق أيضاً على حالة المخرج للحدث نتيجة . غير أنه لأننا نريد أن نحقق بأفعالنا عادة أكثر مما تنجز فقط، فيمكن أن نتحدث بصورة أشد عن إصابة حدث ما حين نجعل نوايانا من خلال ذلك واقعاً . ومن ثم يمكننى أن أكون قادراً بداهةً على إنجاز حدث التصفير دون تحقيق الحدث المستهدف منه، وهو مثلاً أن أوقظ صديقى . ونقول غالباً أيضاً إن حدثاً ما بهذا المفهوم يوفق حين يجعل من هدف معين واقعاً، أى : حين تؤدى النتيجة إلى عاقبة محددة، وذلك حين يسقط المرء شجرة أو يقنع إنساناً بشىء ما .

ومن جهة أخرى توجد سلسلة كاملة من الأحداث ننجزها دون هدف خاص (أى ليس لإشباع رغبات أو لسد حاجات فقط) مثل التنزه والرقص والغناء . ومع هذه الأحداث تجتمع النية والقصد . الهدف والنتيجة هما / ٧٥ الشىء نفسه . بيد أن ثمة أحداثاً يمكن أن تتم عرضياً أيضاً حين تتحقق النتيجة التى « فى رأسنا »، ولكنها عاقبة لفعلنا : إذ يمكن أن يستيقظ صديقى، ليس لأنى أصفر له، بل لأن ديكة تَصيح، أيقظها من ثم صفيرى .

ونادراً ما يمكن أن يتحدث أيضاً عن أنى أنجزت حدث « الإصلاح » حين شددت عرضاً على السلك الصحيح لكهربة سيارتى . وأخيراً يجب أن يلاحظ أيضاً أن أحداثاً كثيرة تتضمن تغيراً متزامناً لحال أشياء أخرى، على سبيل المثال : حين أفتح باباً . فحين يفتقر ذلك التغير للحال إلى شىء آخر تحت سيطرة ذلك الذى يحدث (الفاعل) فإن تغير الحال يعد عملاً أيضاً، ومن ثم حدثاً .

وفى الحقيقة ليست الأهداف إلا نتيجة غير مباشرة لعملنا، ولذلك لا تخضع أساسنا لتحكمنا (حين لا يتعلق الأمر نفسه ثانية بأحداث، حين أفتح الباب حتى أستطيع أن أدخل الحجرة) .

٣-٢-٥ كما يمكن للمرء أن يرى بسهولة عند قيادة السيارة أو الأكل أو بناء بيت فإن ثمة أحداثاً تتركب غالباً من عدة أحداث (أساسية) . ويعنى ذلك فى الغالب أن الحال المخرج لكل حدث جزئى شرط لنجاح الحدث التالى . وفى هذه الحال نتحدث عن أحداث جزئية ضرورية . وفى حالات أخرى يجب أن ننجز سلسلة من الأحداث فى الوقت نفسه لكى تتحقق نتيجة محددة . ويمكن أن يفرق أيضاً بين أحداث ضرورية وأحداث غير ضرورية (ممكنة، اختيارية) . وهكذا يتم الحدث المركب حين تتطابق النتيجة، أى الهدف مع القصد العام، أى نية الفاعل .

وبذلك نصل إلى مسألة فى وصف الحدث، تذكر بوصف الجمل والنصوص المركبة التى لها معنى مقامى ومعنى عام أيضاً . ولذلك نفترض إلى جانب المقاصد المقامية للأحداث الجزئية وجود نية وقصد عامين سابقين . ونطلق على ذلك القصد العام خطة (Plan). وتربط خطة ما مسار الأحداث الجزئية المختلفة فيما يتعلق بالنتيجة النهائية المحددة التى ينبغى أن تتحقق . ويجب أن يركز هنا بشدة على أن حدثاً مركباً ما يعد حدثاً أيضاً، وهو متصل بإدراكنا أو وصفنا أو تأويلنا للحدث . ومن هذه الناحية ندرك أن تدخين الغليون حدثا وإن تكون من أحداث (جزئية) مختلفة : حبس وإحراق وسحب ... إلخ . وخلافاً للأحداث المركبة تضطلع الأحداث الجزئية فى سلسلة الحدث أو تتابع الحدث Handlungs - sequenz بدور أو وظيفة مستقلة بالنسبة للإدراك أو الوصف أو التفسير، كما فى التتابع › يصل إلى البيت ‹ ›يضع معطفه ‹ › يأخذ بيرة من الثلاجة ‹، › يدخن الغليون ‹ . ففى تلك الحالات لا يحتاج الحدث المتقدم / لشرط (ضرورى أو معتاد) للحدث التالى . ولذلك لا يجب أن يوجد أى قصد عام أيضاً . وما دام لسلسلة الحدث ذلك القصد العام والهدف العام نقول إن للسلسلة بنية كبرى، ولذلك يمكن أن

٧٦

يطلق على أحداث معقدة (بناء منزل أو سفر إلى نيويورك) أحداثاً عامة أو أحداثاً كبرى (Makrohandlungen) .

ومن طرف آخر لزاوية الرؤية نميز كأحداث أساس أو أحداث بسيطة الأحداث التى تنجز مستقلة، ويمكن أن تفسر فى حد ذاتها عرفياً . ولذلك يعد التلويح حدث أساس ذا وظيفة معينة (اجتماعية مثلاً) . ومع ذلك فتحريك الذراع ليس عملاً : لدى قصد للتلويح وليس قصداً لتحريك ذراعى .

وحتى تعقد مقارنة ببنية المنطوقات اللغوية مرة أخرى : يمكن أن يقارن الأساس بالوحدة الصرفية (أو الكلمة)؛ فهو أصغر وحدة حركة ذات معنى أو وظيفة عرفية، غير أنه لا يرد عادة إلا فى إطار (ليس له وظيفة إلا فى إطار) حدث (مركب أو غير مركب)، له هدف أو قصد معين؛ فالضغط على أكرة الباب حدث أساس، وهو جزء من الحدث البسيط لفتح الباب يمكن أن يكون بدوره جزءاً من حدث مركب أيضاً « دخول » أو «خروج »، ويمكن أن يكون الأخير مكوناً أصغر أيضاً لحدث أكبر « القيام برحلة الإجازة » .

٣-٢-٦ يمكن أن يستخلص من هذا التحديد لمصطلح « الحدث » الذى لم يعمق بعد على الإطلاق أن الأحداث ذات طبيعة قصدية، ولما كانت هى كذلك فلا يمكن إدراكها أو معرفة كنهها مثل العمل . إنها وحدات تقوم بالنسبة للإدراك أو بالنسبة للفهم على تفسير العمل، ويمكن مقارنتها هنا بوجه عام بالمعانى التى تقدم كذلك تفسيراً للأصوات اللغوية التى لها بنية عرفية محددة . فحين يدرك شخص ما حدثاً ما ويفسره ويصفه ينسب هذا الحدث إلى شخص ما ويطرح من خلال ذلك مقاصد الفاعل ونواياه . وحين أرى شخصاً ما ينجز عملاً، يتم من خلاله توقيع فيمكن أن أفسر هذا العمل على أنه حدث « الانتهاء من خطاب »، بل و « إتمام عقد » أو « شراء منزل »

أيضاً. ولذلك من الممكن أن يدفع عمل ما بعده تفسيرات بحيث نفهم بغير شك أشخاصاً آخرين فهماً خاطئاً حين لا ندرك ما هى مقاصدهم . وهنا أيضاً يتضح أثر الأعراف : فحين نلاحظ شخصاً ما يضغط على أكرة الباب فإننا نفترض أنه يريد أن يفتح الباب . ومن ثم يريد أن يدخل أو يخرج .

٣ ـ ٢ ـ ٧ لم نتعمق بعد تعمقاً شديداً فى النوايا والمقاصد الخاصة بوصف القيود العقلية للأحداث، غير أن الأمر يجرى فى العادة على النحو التالى، وهو أننا نقوم بأحداث فقط / تقوم على قرار عقلى يصور « نتيجة ، ٧٧ استدلال أو تعليل عقلى، حيث نحدد بذلك معرفتنا بالعالم ورغباتنا وميولنا بوصفها » مقدمات « . فحين نفتح باباً فإننا نتبع هنا (فى هذه الحال بلا وعى تقريباً وبصورة تلقائية) قراراً بناءً على معرفتنا؛ وهى أن المرء يمكن أن يفتح أبواباً ويمكن من خلال فتح الباب أن يدخل حجرة أو بيتاً أو يتركهما، أو بناء على رغبتنا فى أن ندخل أو نخرج . بيد أن كثيراً من رغباتنا لا تؤدى إلى بناء مقاصد، لأننا نعرف أننا لا يمكننا أن نحققها من خلال عملنا أو أن هذه الأحداث يمكن ألا تكون سهلة مع أحداث آخرين ورغباتهم أو مع رغبات الجماعة (المعايير والقوانين) .

ومن الضرورى لكى يتشكل قصد عقلى امتلاك معرفة مسبقة عن النتائج الممكنة، عن مجال الحدث، أى عن كم الأحداث التى يمكن أن ننجزها أساساً، عن خواص العالم الذى نجذب إليه حدثنا (لذا لا نكاد نحاول أن نرفع بيتاً بأيدينا) .

٣ ـ ٢ ـ ٨ أخيراً يجب أن نميز كذلك الأفعال التى لا تحدث أى تغير فى العالم، بل تحول دون ذلك التغيير أو توقفه، مثال ذلك أن تطلب من

شخص ما التوقف أو أن تلقف كوباً يهوى، بحيث يمكن أن يقع الحدث أو الفعل دون تدخل منا، كما هى الحال فى الأحداث الموصوفة آنفاً، فربما لا يقع مثل ذلك الحدث دون تدخل منا، إذ يتضمن كل حدث ذلك العنصر ذا التأثير المضاد . ويمكن أن يفسر اللا عمل على أنه حدث (مثل : ترك) حين نقصر ذلك اللا عمل، ويمكن فى العادة أو يجب أن ينجز الحدث . وفى هذه الحال نغير عاداتنا أو التزاماتنا غير أننا مسؤولون عن هذه الأحداث «السلبية » أيضاً .

٣ ـ ٢ ـ ٩ ليس الحدث وحده مميزاً للسلوك الإنسانى، بل الحدث الاجتماعى بوجه خاص، التفاعل، الذى يحدد بأنه سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين أو متزامنين . ويظهر هنا أيضاً إلى جانب الشروط المذكورة لنجاح الأحداث عدد من الشروط الاجتماعية، وهى أعراف ذات طبيعة مختلفة . ونقول الآن فى إطار الالتزام بتحديد إصابة الحدث إن تفاعلاً ما قد أفلح حين يتطابق الحدث مع مقاصد الأشخاص المعنيين . وفى الحقيقة يصير هذا التصور فى الواقع الخارجى أكثر تعقيداً : فيمكن أن يكون للأشخاص المعنيين القصد ذاته (مثلاً زحزحة منضدة)، / ويمكن أن تكون لهم مقاصد مختلفة (مثلاً أ يكسب أو ب يكسب فى الشطرنج) . ويمكن أن تكون لهم المقاصد ذاتها أو مقاصد مختلفة (مثلاً أ يذهب مع ب إلى السينما، أ يرغب فى أن يستمتع، وب يريد أن يشاهد فيلماً محدداً للغاية) . ولذلك فإن شرط نجاح تفاعل ما هو أننا نجد على الأقل إلى حد ما مدخلاً إلى معرفة شركائنا ورغباتهم ومقاصدهم ونواياهم . فلا يستطيع أن ينجز المتفاعلون معاً الحدث ذاته فحسب، بل ينجزونه فى الوقت ذاته أو بشكل متتابع، ويمكن لكل واحد أن ينجز حدثاً جزئياً أيضاً من الحدث المركب أو الحدث الأكبر (عند بناء بيت مثلاً) . ٧٨

وحين تكون المقاصد والأهداف هنا مختلفة أو متضادة فإن أحداث أ يمكن أن تتحقق للهدف، ويحول ب من جانبه دون الأحداث . وعلى النقيض من ذلك يمكن أن ينجز أ أحداثاً مساعدة فقط أيضاً بالنسبة للحدث من ب (أ يساعد ب)، تلك الأحداث بالتحديد التى تسوغ نجاح الأحداث (ـ الجزئية) من ب دون أن يكون لـ أ نفسه قصد ب أيضاً فى أن يحقق نتيجة معنية أو هدف نهائياً .

وتارة أخرى تتحدد أحداث أخرى بأنها بعينها تفاعل، ويمكن أن تنفذ مع أشخاص عدة (الزواج، الانفصال)، حتى وإن كان دائماً دون موافقة، أى : القصد ذاته للآخرين .

ويمكن أن يخضع توالى الأحداث فى التفاعل لقواعد عرفية، فيمكن أن يستلزم حدث ١ من أ حدثا ٢ من ب، مثل تحية وتحية مقابلة (رد التحية)، وإعطاء هدايا وشكر للحصول عليها، ومخالفات قواعد المرور، وكتابة إيصال الغرامة، وطرح الأسئلة وتلقى الإجابة . ويجب أن يلاحظ فى هذه الأمثلة أن متفاعلين معينين يقومون بدور أو وظيفة معينة . فالعالم لا يمكن أن يتأثر لأية مخالفة، بل الشرطى . لذلك يمكن أن تحدد وظيفة ما بأنها كم من أحداث ممكنة فى مجال الحدث الاجتماعى للشخص الذى يقوم بهذه الوظيفة .

وأخيراً ينبغى أن نذكر كذلك بالفرق بين التفاعلات بين الأشخاص والتفاعلات بين المؤسسات أو بين كليهما . فيمكننى على سبيل المثال أن أقدم طلباً لدى هيئة ما فصلت منها ويمكن أن تتعاضد المؤسسات أو تتنافس وهنا أيضاً تلعب الرغبات والميول والقرارات والمقاصد والنوايا دوراً، حيث يكمن الفرق غالباً فى أن هذه قد جعلت صريحة بحيث يتعرف عليها الأعضاء المعنيون بها .

٣ - ٢ - ١٠ احتجنا إلى هذه المعالجة الموجزة لمفاهيم مثل الحدث والتفاعل، ليس لفهم الأفعال الكلامية فحسب، بل لنظرة مؤقتة فى أهمية الأفعال الكلامية بالنسبة للتفاعل الاجتماعى بوجه عام أيضاً، وبذلك أرسينا الأساس لتحليل دور النصوص فى المجتمع أيضاً، وهو ما سيعالج بالتفصيل فى الفصل السابع .

٧٩

٣ - ٣ الأفعال الكلامية والتفاعل الاتصالى

٣ - ٣ - ١ تعد الأفعال الكلامية فى الواقع وفق وصف مفهوم الحدث أحداثاً . فنحن نعمل شيئاً، ننتج تحديداً سلسلة من الأصوات أو الحروف التى لها بوصفها منطوقات لغة معينة شكل عرفى يمكن معرفته، وننجز هذا العمل بقصد مساوق أيضاً، لأننا فى العادة لا نتحدث ضد إرادتنا، ويمكن أن نتحكم أيضاً فى لغتنا . ومع ذلك فإن المنطوقات اللغوية سلسلة كاملة من السمات الخاصة أيضاً . فهى ابتداءً تتألف فى العادة : أى ننتج أصواتاً عدة، تنتظم فى مجموعات صوتية على أساس قواعد عرفية (نحوية) للصوغ وتكوينات الأصوات والمجموعات الصوتية، وفى الوقت نفسه على مستويات مختلفة . فمن خلال إنتاج الأصوات نقوم فى الوقت ذاته بأحداث فونولوجية ومورفولوجية ونحوية مركبة . والحق أننا لسنا على وعى بكل هذه الأحداث عند النطق، غير أنها أساسية يمكن التحكم فيها (نستطيع أن ننجز وحدات صوتية ووحدات صرفية متفرقة، ونستطيع أن نختار إمكانية ما من الأبنية النحوية المختلفة) . ولأن الأمر يتعلق هنا بأحداث مركبة، فإننا لذلك نقف أيضاً على خطة غير واعية على نحو ما لإنجاز هذا الحدث الذى يطلق عليه فعل الكلام (locutionary act)* .

---

* يميز فى نظرية أفعال الكلام العامة بين ثلاثة أنواع من الأفعال؛ الأول هو فعل الكلام وهو اصطلاح مختصر يكافىء التلفظ بعبارة ما يكون لها معنى ومرجع . وهناك =

ونحصل أيضاً على حدث ذى نظام أعلى، نقيمه من خلال إنجاز الحدث الكلامى، وهو حدث معنوى أو حدث دلالى : نعبر بمنطوقنا اللغوى عن معنى معين، ويمكن من خلاله أن ننجز أخيراً حدثاً إحالياً : نحيل إلى موضع معين، ننسب إليه خاصية معينة، ونقيم بهذه الطريقة ربطاً بين المنظومة وعدد من الوقائع . وفى العادة تكون تلك الأحداث الدلالية مدركة : ندرك ما نقول، ونتحكم فيه من خلال صيغة المنطوق .

٢-٣-٣ نصل تلقائياً إلى البراجماتية حين نتوصل بوجه عام إلى النحو الذى يكون فيه لهذا النمط من الأحداث الكلامية والأحداث الدلالية قصد معين أيضاً . ولذلك يجب أن نتساءل إلى أى مدى تنجز الأفعال الكلامية تغيرات معينة أيضاً، وبخاصة لدى آخرين . ومن البدهى أننا لدينا حين ننطق شيئاً ما فى أغلب الأحوال أيضاً قصد؛ وهو أن يفسر أولئك الذين قد سمعونا أو يستطيعون القراءة هذا العمل على أنه فعل كلامى بناء على القواعد العرفية ذاتها . ويلاحظ بصورة أكثر دقة أننا لدينا قصد إلى أن يخصص السامع المعنى والإحالة ذاتهما للمنطوق الذى نقصد من خلال ذلك أن نعبر عنه، ونرغب فى أن يفهم (يستوعب) . ومن هذه الناحية فإن الفعل الكلامى يصيب حين نغير فى تساوق مع قصودنا معارف السامع، أى : أن يعرف أننا نتحدث، وننطق هذا النص، ونعبر من خلال ذلك عن معنى معين ونحيل إلى شيء ما .

/ ويرى بصورة إجمالية أن للأفعال الكلامية قصوداً أكثر ثراء ذات ٨٠

- المصطلحان يكافئان تقريباً ، الدلالة فى معناها القديم ، . انظر : نظرية أفعال الكلام العامة لأوستين، ترجمة عبد القادر قنينى ص ١٣١ ومن الملاحظ أن المؤلف يسوى هنا بين مصطلح الحدث الكلامى ومصطلح الفعل الكلامى إلى حد يصعب معه وضع فاصل دقيق بينهما .

طابع براجماتى خاص . ومن خلال ذلك يمكن أن يكون مع إحالتنا إلى واقعة معينة لدينا مقصود إلى أن السامع ينبغى أن يعرف أن هذه الواقعة موجودة فى عالم محدد . ومن ثم نرغب فى أن نبلغ السامع شيئاً ما، ونطلق على فعل كلامى ذى قصد إلى إبلاغ السامع شيئاً ما زعماً (Behauptung) * . ويصيب هذا الفعل الكلامى حين يوسع السامع فى الحقيقة تبعاً لقصودنا معرفته أو على نحو أدق : حين يدرك السامع بمفهوم دقيق أن قصدنا إبلاغه شيئاً ما، وإذا لم يصدقنا فإننا برغم ذلك قد زعمنا شيئاً ما . ودون التفسير الصحيح لقصودنا لن نعد أفعالاً أخرى للسامع من الأفعال الكلامية الحقيقية، وحتى حين تنشأ أفعال كلامية مختلفة تتضمن أن السامع ينجز حدثاً أيضاً (مثلاً يُقتنع) .

وفى مقابل الأفعال الكلامية المذكورة آنفاً التى يطلق عليها فى الإنجليزية speech acts أو illocutionary acts **، نطلق على تلك الأفعال " perlocutionary acts ": الأفعال الكلامية الاستلزامية (٥) .

---

* يترجم هذا المصطلح فى الفلسفة إلى تقرير أو إثبات، ولكننا اخترنا من الإمكانات الكثيرة الأخرى لترجمته ، الزعم ، لدلالته فى التراث اللغوى العربى .

** هذا هو النوع الثانى (من الأنواع الثلاثة) التى ذكرت آنفاً وترجمته إلى الفعل الكلامى الإنجازى . وفى كتاب أوستن السابق الذكر يترجم إلى قوى أفعال كلامية، كالإخبار وإصدار الأمر والتحذير ومباشرة الأمور وغير ذلك أعنى ضروب العبارات التى لها صفة (المواضعة) وقوتها وقيمتها . ص ١٣١ أيضاً . ويقصد بالأخير إنجاز ما ترتب عن فعل الكلام وما لزم عنه (نتائج وعواقب فعلى)، ص ١٢١، ١٢٢، ١٣١ .

(٥) إن الفصل بين الأفعال الإنجازية والأفعال الاستلزامية الذى عالجه كل من أوستن (١٩٦٢) وسيرل (١٩٦٩) (مثلاً : الاقتناع فى مقابل التوصية) قد أثار إلى حد ما كثيراً من الغبار . إن عقدة المشكلة تتمحور فى السؤال التالى : هل ينبغى أن تعد النتائج الممكنة للفعل الكلامى ضمن التعريف، أى : من قيود أو شروط الفعل الكلامى أم لا ؟ . ففى الفعل الكلامى الاستلزامى يحدث مثلاً تغير ما (عقلى) لدى السامع وفى الحقيقة من خلال التطابق مع قصود المتكلم وكعاقبة للأفعال الكلامية الإنجازية (الحدث اللغوى) .

٣ - ٣ - ٣ لكل نمط من أنماط الأحداث الكلامية قيوده العرفية الخاصة التى يصيب الحدث تبعاً لها . فثمة معرفة محددة ضرورية لحدث للزعم : حين لا نعرف أن ق هى الحال لا يمكننا أن نخبر عنها شيئاً أيضاً باستثناء أننا نكذب . ومن ثم فالكذب يشترط أننا نقول إن ق هى الحال، ولكننا نعرف أن ق ~ هى الحال بقصد أن نجعل السامع يظن أن ق هى الحال.

وبالنسبة لحدث الوعد (وهو ما يعبر عنه مثلاً بجملة : سأتيك غداً للزيارة) فثمة شروط أخرى ذات أهمية : إذ يجب أن يعرف المتحدث أنه يمكنه أن يقوم غداً بزيارة، ويجب فى الحقيقة أن يخطط أيضاً (أن يكون لديه مقصد) أن يأتى للزيارة ويجب أن يعرف أن السامع يقدر زيارة شخص ما له ... إلخ .

ويمكننا أن نسدى نصيحة إلى شخص بشكل موفق حين نرغب فى إنشاء حدث معين أو تركه إذا اشترطنا أنه لا ينفذ الحدث لأسباب خاصة وإذا افترضنا أن الحدث الذى نصح به داخل اهتمام السامع، وحين يكون لدينا فضلاً عن ذلك الحق أو الاستقلالية فى الحكم على ما يجب أن يعمل السامع أو يدع / فى مجال محدد (على سبيل المثال علم اللغة، بناء الحدائق، [٨١] الطهى) . ويتبين من ذلك أن تلك الشروط أو القيود تجعلنا قادرين على تصنيف أفعال كلامية مختلفة : وعلد النصح والطلب والعرض ينسحب المنطوق على فعل السامع المأمول المستقبلى، وعلد الوعد والوعيد والمصارحة ... إلخ ينحسب على فعل المتكلم المستقبلى، فالمتكلم يريد أن يبلغ بزعم وإخبار وتوضيح وإرشاد للاستعمال .

ويتضح من الأمثلة القليلة، على نحو ما أوردنا هنا، أن كل القيود يمكن أن يحددها عدد مما يسمى بالمفاهيم الأولية (التى يشترط أن تكون معانيها معروفة)، مثل : المعرفة والإرادة أو الميل والاتهام أو الاعتقاد

والقصد والالتزام ومكانة (أى استقلال) المتكلم والسامع . ومن الممكن جداً أن يحتاج إلى مفاهيم أولية أخرى .

٣ ـ ٣ ـ ٤ فى العادة لا يكون المشاركون فى الحديث سلبيين فى محادثة ما ـ باستثناء المنشورات والخطب والمحاضرات ... الخ ـ بل إنهم سيقومون بدور المتكلم بحيث يمكن أن ينشأ تفاعل لغوى، فالتفاعل يتكون من خلال سلاسل الأفعال الكلامية للمشاركين فى الحديث المختلفين، وتنظم تلك السلاسل وفق قواعد عرفية ضمن غيرها . وكما هى الحال بالنسبة للتفاعل أيضاً بوجه عام يجب أن تتطابق فى الأفعال الكلامية الحال المخرج للفعل الكلامى الأول مع قيود البداية للفعل الكلامى التالى له . وبالنسبة لأشكال الخبر يوجد إلى حد ما قيد مألوف وهو أننا فى الغالب نزعم الشىء نفسه مرتين متواليتين : فنتيجة الزعم الأولى تؤدى إلى عاقبة وهى أن السامع يعرف ق، ونظراً لأننا يجب أن نفترض أو نعرف ذلك أيضاً فإن الزعم الجديد لـ ق ليس صحيحاً . فحين نتمنى التوفيق لشخص ما فإننا ننجز من خلال ذلك الالتزام الأيسر بالنسبة للسامع بألا يتقبل ذلك أيضاً . فالقيود التى تحدد التفاعل لا تصلح فى هذه الحالات من الناحية اللغوية (البراجماتية) ولكنها تقوم على معايير سلوكية عامة إلى حد كبير، على سبيل المثال المتعلقة بالتأدب .

٣ ـ ٣ ـ ٥ لذلك يقال بوجه عام إن الأفعال الكلامية يجب أن تفى بأسس تعاون محددة، تعنى بمسار أمثل للفعل الكلامى [٦] . هذا يعنى : أننا ننطلق من ذلك إلى أن شخصاً ما يقول الحقيقة، نقدم كل المعلومات المرغوب

(٦) صيغت هذه الأسس الجوهرية الاجتماعية المشاركة فى كتاب جريس Grice (1967) وغيره .

فيها، وهى ليست قليلة للغاية، ولكنها أيضاً ليست كثيرة للغاية، ويتصل منطوقنا بموضوع المحادثة (كما قد حددنا ذلك من قبل بالنسبة للنصوص)، ولم نسهب ولم نوجز . وبمجرد أن تخترق هذه الأسس الغامضة للغاية يمكن أن يحدث ذلك أثراً خاصاً، ولا يوجد لذلك أيضاً قواعد عرفية محددة . ومن ثم / يمكننى أن أعبر من خلال إجابة لا تتعلق بالموضوع بأنه ليس لدى رغبة فى التحدث فى موضوع معين .   ٨٢

٣ ـ ٤ النص والسياق

٣ ـ ٤ ـ ١ يختص مفهوم « السياق » بأنه إعادة بناء نظرى لعدد من ملامح السياق الاتصالى، تلك الملامح التى تشكل جزءاً من القيود، التى تجعل المنطوقات، بوصفها أحداثاً كلامية، مصيبة . وهدف البراجماتية أن تصوغ هذه القيود، أى : أن تبين كيف تترابط منطوقات من خلال هذا السياق . ولأننا نصف المنطوقات نظرياً بأنها نصوص فإن الأمر يتصل هنا إذن بتمييز أوجه الربط بين النص والسياق، إذ تمتد أوجه الربط هذه فى كلا الاتجاهين : الأول وهو إمكان « أن تعبر » ملامح نصية محددة عن جوانب السياق أو حتى أن تتشكل، والثانى تتحدد بنية السياق، فى قسم كبير منها، من خلال تلك الملامح التى توفرها النصوص لكى تكون ـ بوصفها منطوقاً ـ مقبولة فى السياق . وسوف نجعل الآن هذه التحديدات التى ما تزال عامة جداً ملموسة من خلال سلسلة من الأمثلة .

٣ ـ ٤ ـ ٢ توجد فى المقام الأول سلسلة من أوجه الربط بين الجملة (النص) والسياق، التى تندرج ضمن مجال الدلالة، الدلالة السياقية، وهى التعبيرات الإشارية (indexikalische Ausdrücke) [٧] . ويقصد بذلك تعبيرات

(٧) حول علم الدلالة السياقى قارن هامش ٢٠ فى الفصل السابق . تحول التعبيرات =

تحيل إلى مكونات السياق الاتصالى (يستقى تفسيرها منه)؛ وهى المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه ... إلخ .

وهذا يعنى أن هذه التعبيرات غير مستقلة عن السياق (المتغير)، ولها دائماً محيلات أخرى . أما التعبيرات الإشارية فهى : أنا، أنت، هنا، هناك (وكل ما هو مركب مع هنا وهناك، مثل : من هنا، ومن هناك ... الخ)، وكذلك الآن واليوم وأمس وغداً، وكذلك أدوات (التعريف والتنكير) وضمائر الإشارة (الـ، هذا، هذه، ذلك، تلك، أولئك ... إلخ) *.

وتعقد من خلال أزمنة الفعل أيضاً (زمن الحال ... إلخ) صلات بالسياق الفعلى : فحين أقول : بيتر مريض فإن هذه الجملة صادقة فى لحظة نطقى لها، ومن المحتمل أن تكون غير صادقة لو نطقتها قبل أسبوع . لذا فإن الماضى والمستقبل أيضاً يحدد بالنظر إلى (آنية JETZT) السياق الاتصالى. وفى كل هذه الحالات يدور الأمر حول علاقات إحالية، وربما تكون ذات طابع خاص ومن ثم يندرج تحليلها داخل إطار علم الدلالة .

٣ـ ٤ ـ ٣ تشكل سواء العلاقات الدلالية أو العلاقات البراجماتية بين النص والسياق ما يسمى بالأفعال الآدائية (الإجرائية) (performative Verben) (٨) . وهى : يعد، ويأمر، ويوصى ... إلخ . ويقصد بذلك الأفعال التى يمكن أن تشكل جملاً أدائية (إجرائية) فى زمن الحال مع ٨٣

- الإشارية والقرينية إلى جوانب محددة من السياق الاتصالى مثلاً : المتحدث (أنا) والسامع (أنت، أنتم)، والزمن (الآن، اليوم)، والمكان (هنا، هنا ... إلخ) . هذه العناصر الاتصالية تحدد أيضاً قيمة الصدق فى جملة ما .

(*) يصدق هذا التقسيم على العربية أيضاً، كما أنه لا غرابة فى وضع (الـ) أيضاً ضمن ضمائر الإشارة، ففى بعض السياقات تحمل الدلالة ذاتها فى العربية .

(٨) حول تحليل الأفعال الآدائية (الإجرائية) قارن: Groenendijk & Stokhof (1976) ، والإشارات الواردة هنا .

الشخص الأول (المتكلم) مفرداً أو جمعاً، يعنى ذلك أنها جمل تفسر على أنها الأحداث التى تنجز من خلال نطق الجمل - فى سياق ملائم .

فحين يقال : أنصحك بكتابة خطاب إلى الوزير . فإن نطق الجملة هو فى الوقت نفسه النصيحة (حين يكون السياق مناسباً لذلك : حين يعنى ذلك حقيقةً أيضاً؛ حين يكون ما تضمنه النصيحة يكمن فى اهتمام السامع أيضاً ... إلخ) .

ومن البدهى ألا يكون لهذا معنى إلا حين يقع الفعل مع الشخص الأول (أى الذى يحيل إلى متكلم (متكلمين) وفى زمن الحال (أى يحيل إلى آنية السياق) . فجملة : قد نصحتك ... ليست نصيحة، وإنما هى تقرير، وربما حتى اقتراح . ويسرى مثل ذلك : نصحك / قد نصحك . وهو ما يعد إخباراً ذات طابع خاص . ففى الأمثلة الأخيرة، كما هى الحال فى كل الأفعال أيضاً التى تحيل إلى فعل كلامى، يتعلق الأمر بوصف فعل كلامى، وليس بعمل فعل كلامى، كما هى الحال فى للجمل الآدائية (الإجرائية) .

٣ - ٤ - ٤ إن الاهتمام بالأفعال الكلامية لا يمكن بلا شك أن يتطابق ببساطة مع الاهتمام (الدلالى) بمعانى أفعال مثل : يعد، ويرجو، ويهدد، ويتمنى التى تحيل إلى أفعال كلامية [٩] . ففى المقام الأول توجد سلسلة من

---

(٩) أجريت غالباً محاولات، مثل محاولة Lewis (1970), Sadock (1979)، لاختصار جوانب براجماتية محددة فى التحليل النحوى أو الدلالى يمكن أن يعرض فيه بصورة كافية الفعل الكلامى الخاص بالفعل الآدائى، مثل : (أعدك أن آتيك غداً بدلاً من آتى غداً)، وعلى الرغم من أن سلسلة من الجوانب البراجماتية يمكن على هذا النحو أن تبرر فإن مثل ذلك الاختصار غير ملائم لأسباب أخرى كثيرة . إنه من المفيد أيضاً أن يعمق تحليل مستقل للمعالجة البراجماتية، وأن يربط ذلك بشكل منظم بالنحو والدلالة ليمكن توضيح ظواهر لغوية مختلفة . لمناقشة مفصلة حول هذه المشكلة قارن van Dijk (1980b) .

أفعال كلامية تنشأ دون نطق للفعل الصريح ـ نقول : انتبه إلى السيارة ! ولكن ليس : أحذرك الآن : انتبه إلى السيارة ! ويمكن أيضاً فى حالات كثيرة أن يترك ذلك الفعل، ومع ذلك ينجز الفعل الكلامى مثل : سأرد لك المال غداً أو سأرسل خطاباً إلى الوزير ! وعد أو نصيحة . ولا تستخدم تلك الأفعال أيضاً مع أفعال كلامية غير مباشرة (indirekte Sprechakte) (١٠) ، أى مع التعبيرات التى تظهر فى التفسير الأول على أنها حدث أول، ولكنها تظهر فى التفسير الثانى على أنها حدث تالٍ .

٨٤ / فحين يقول أب لابنه الذى دخل المنزل بحذاء متسخ : قد مسحت الأرضية من قليل ! فلا يقصد بذلك إخباراً بل يقصد تحذيراً أو رجاء فى الوقت ذاته أيضاً . فنحن بشكل عام ننجز رجاوات مهذبة دائماً بصورة غير مباشرة : أتستطيع أن تعطنى الصحيفة ؟ أتستطيع أن تساعدنى ؟ هل يضيرك شىء لو رجعت قليلاً ؟ إن المتكلم لا يريد أن يعرف (فحسب) فى أية حالة من تلك الحالات : هل يستطيع السامع أو يريد أو يعترض على شىء وإنما يريد المتكلم بوجه خاص أن يعمل السامع شيئاً، فينجز فعلاً غير مباشر، ينطق من خلاله قيد مسبق (ضرورى) للفعل المبتغى .

٣ ـ ٤ ـ ٥ يتبين الترابط المنتظم بين الجملة (النص) والسياق أيضاً من خلال العلاقات بين معنى الجملة وقيود أفعال كلامية مصيبة . فأحد شروط الوعد مثلاً أن المتكلم لديه القصد أن ينجز فى المستقبل عملاً لأجل السامع . ويمكن أن يعبر فى أغلب الوعود عن هذا « الفعل المستقبلى » بصورة صريحة أيضاً : سأحضر غداً للزيارة . وعلى العكس من ذلك يمكن أن يستنتج مستمع ما يسمع جملة لها المعنى ذاته، مع معلومة أخرى من

---

(١٠) حول مصطلح «أفعال كلامية غير مباشرة» قارن: Searle (1975), Franck (1975) .

السياق، أن المتكلم يعده بشيء ما . ومن ثم لا يمكن لجملة مثل : كنت فى السينما أمس أن تقوم عادة بوظيفة الوعد . وسوف تفسر أيضاً جملة، تحيل إلى فعل مستقبلى للسامع، مثل : (لا تقبلنى، بل أحضر إلى الكتاب غداً) وفق السياق على أنها رجاء أو أمر أو توصية .

٣ - ٤ - ٦ إن أحد العوامل المحورية التى تحدد الملامح البراجماتية للمنطوقات هو معرفة المتكلم (أو ظنه) سواء بالعالم بوجه عام أو بالسياق أيضاً، وبوجه خاصة معرفته بالسامع . فحين أقول : ربما يكون بيتر مريضاً. فإنى أصنع خبراً . وذلك الخبر لا يكون فى الحقيقة صحيحاً إلا حين لا أعرف أن بيتر مريض ولا أنه سليم [11] . فما يجب أن أعرف هو إمكانية أن يكون مريضاً . ومن خلال مفاهيم دلالية : انطلاقاً من وجهة نظرى وما دامت على علم أنه يوجد عالم ممكن، يكون فيه بيتر مريضاً، فحين استخدم الكلمات « ضرورى » أو « محدد »، فإن بيتر يجب أن يكون مريضاً فى كل العوالم الممكنة التى تتساوق مع ما أعرف .

وتصدق تلك القيود بوجه عام على كل التعبيرات الجهورية) modale Ausdrücke (*، مثل : من المؤكد، ومن المحتمل، وكل الأفعال الجهورية (الصيغية)، نحو (يمكن أن يكون مريضاً) .

٣ - ٤ - ٧ نطلق على آخر مجموعة فى سلسلة التعبيرات التى تشير إلى علاقات نمطية بين المنطوق والسياق البراجماتى / ما يسمى بالأدوات ٨٥

---

(١١) حول (الصحة) قارن هامش ١٩ فى الفصل السابق .

(*) فى المنطق يستخدم الاسم والصفة (modal, Modality) للدلالة على خاصية فى القضايا تشير إليها بوصفها قضايا ثبوتية أو توكيدية أو احتمالية أو ضرورية أو ممكنة أو غير ضرورة أو ممتنعة . وغلب فى الاصطلاح اللغوى إطلاق مصطلح صيغى وصيغية عليهما .

البراجماتية، التى تستخدم بغزارة فى لغات مثل الألمانية والروسية والهولندية واليونانية [(١٢)] ، إذ يمكن بالكاد أن يتحدث هنا عن « معنى » ثابت، فقد استقر بالأحرى الحديث عن وظيفة براجماتية معينة . وترد هذه الأدوات بوجه خاص فى اللغة المنطوقة، ومن ثم فى المحادثات على نحو أكثر شيوعاً، وهى (فى الألمانية doch و gleich و eben و mal و einmal و nicht و ja و einfach و dann و nicht wahr ... الخ . وأمثلتها : أفعله ببساطة (einfach) . وأرغب فى أن أعرف حقاً (doch) أين يتسكع فى واقع الأمر . وفلتقم بذلك (doch mal) ، وهيا قل ذلك (mal) ، ولتعطه الكتاب حين يشاكس على هذا النحو، وإذن ليس كذلك (Dann eben) ، ولا أعرف ذلك حقاً أيضاً Ja auch nicht ... * الخ .

وتشير تلك الأدوات فى حالات كثيرة إلى علاقات خاصة (مثل : أفعال المتكلم) فى مقابل أفعال (لغوية) متاخمة للمتكلم والسامع، فمنطوق مثل : قد قلت لك : أين يسكن، يتضمن أن الإخبار فى الحقيقة فيه إطناب، لأن المتكلم يجب أن يفترض أن السامع لديه من قبل المعلومة المقدمة . ويمكن أن يلوم المتكلم السامع لوماً (يسيراً) من خلال هذه التذكرة بمعلومات معروفة من قبل، ويمكن للمتكلم أن يهدئ المستمع من خلال استخدام (بالتأكيد)، مثل : صحتها على ما يرام بالتأكيد، على حين يعنى استخدام (وحسب) عدم صبر المتكلم أو عنايته فى (أين يظل وحسب ؟) . وليس من اليسير وصف القيود الدقيقة لاستخدام هذه الأدوات، لأننا ما نزال

---

(١٢) حول تحليل الأدوات واستلزاماتها البراجماتية، قارن : Franck (1979) .

(*) يلاحظ هنا أن بعض هذه التعبيرات البراجماتية كما يقول المؤلف، لا تظهر عند الترجمة لأنه ليس لها ما يقابلها فى العربية وبعضها يظهر فى صيغة التشديد وبعضها يظهر فى الضمائر الإشارية . وقد حاولت أن أقترب منها دون أدنى تغيير، ورأيت مع ذلك أنه من الأفضل وضع التعبير المشار إليه بين قوسين فى نهاية كل جملة .

لا نعرف إلا القليل عن العوامل الدقيقة التى تلعب دوراً فى التفاعل الاتصالى.

٣ ـ ٤ ـ ٨ يمكن أن تكتسب ليس الكلمات والتعبيرات فحسب، بل أبنية نحوية معينة وظيفة براجماتية خاصة . والأمثلة النمطية لذلك هى الأبنية التى نعرفها بأنها جملة خبرية وجملة استفهامية وجملة الأمر، كما فى: قد أعطيته المال، وهل أعطيته المال ؟، واعطه المال ! حيث يرد مع جملة الاستفهام قلب بين الفاعل والفعل المساعد (فى الألمانية ... Hast du gegeben ?)، ومع جملة الأمر يترك ضمير الشخص الثانى (المخاطب) : أنت، وأنتم * . الحق أن أشكال الجمل هذه لا تتساوق مع الأفعال الكلامية : خبر واستفهام وأمر، غير أنها ربما تميز بين أقسام من الأفعال الكلامية التى تتضمن بعض الملامح الأساسية المشتركة، ويتضح ذلك من خلال : أريد أن تعرف ذلك، أو أريد معرفة ذلك أو أريد أن تعرفنى ذلك أو أريد أن تعمل ذلك. بيد أن قيود الأساس هذه ربما يمكن أن يعبر عنها أيضاً من خلال التنغيم أو أدوات : أعطيته المال حقاً . (لم تكتب همزة الاستفهام هنا لأن الاستفهام بالتنغيم) .

٣ ـ ٤ ـ ٩ بينما وصفت الأمثلة الخاصة بملامح المنطوقات الموظفة براجماتياً التى نظر فيها إلى الآن على مستوى الجملة، فإننا فى نظرية النص بخاصة نعنى بالملامح البراجماتية الخاصة بأبنية نصية . / ولذلك نبدأ ثانية ٨٦ من أوجه الربط الداخلى والروابط التى تميز تتابعات الجمل أو القضايا . ففى

(*) يلاحظ كذلك أن نظام الاستفهام فى العربية مخالف لنظامه فى اللغة الألمانية.ومن ثم فبنيته فى العربية تخالف بنيته فى الألمانية وفى اللغات اللاتينية بوجه عام وغيرها كذلك، ولا تستعين أصلاً بفعل مساعد . أما الأمر فلا اختلاف فيه .

علم الدلالة قد أوضحنا أن القضيتين تترابطان حين تترابط أجزاء الحقيقة التى تمثلهما . ويعد هذا الربط (Konnexivitat) ربطاً نسبياً بالنظر إلى موضوع معين (بنية كبرى) للنص أو لإحدي فقراته بل بالنظر أيضاً إلى المشاركين فى التفاعل الفعلى . وبرغم أنه توجد قواعد عرفية عامة لإنشاء علاقات بين القضايا والوقائع، فإن المنطوق آخر المطاف مترابط Konnex) (، حين تنشأ هذه العلاقات سواء بالنسبة للمتكلم أو السامع . ولأن الناس يمكن آخر الأمر أن تكون لديهم الأسباب الوجيهة لعمل شيء أو تركه فيمكن أن تكون تتابعات مثل : دفعت عشرة ماركات فقط لهذا الكتاب . لك شعر أحمر . مقبولة على سبيل المثال باعتبارها منطوقاً لرجل إلى زوجه حين حلت فى عين بائع الكتب الذى لديه ضعف تجاه النساء ذوات الشعر الأحمر .

وعادة ما يحتاج فى تلك الحالات إلى وصف الموقف الخاص وإلى التفسير المفيد للتابع بحيث يوجد الربط ثانية من خلال كم من قضايا وصف الموقف . وحين نعمم يجب أن نقول إن الربط يكون نسبياً بالنسبة لمعرفة المتكلم والسامع أيضاً . وليس فقط بالنسبة إلى معرفة غير نظامية خاصة بالمتكلم والسامع أيضاً، بل بالأحرى بالنسبة إلى معرفة نموذجية أكثر عمومية وعرفية أيضاً حول العالم على نحو ما نظمت من خلال الأطر المتحدث عنها من قبل .

وتتحقق علامة مهمة أخرى للنصوص فى الروابط نفسها، وهى فى الفرق بين الجمل المركبة وتتابعات الجمل . ففى علم الدلالة لم نعالج إلا العلاقات بين القضايا، ولم تراع ثم الحقيقة القائلة بأن بعض سلاسل القضايا يجب أو يمكن أن يعبر عنها من خلال جملة مركبة، وبعضها من خلال تتابع جملى :

(١) لأن يان كان متعباً، بقى فى البيت .

(٢) كان يان متعباً . بقى فى البيت .

(٣) بقى يان فى البيت . كان متعباً .

(٤) كان يان متعباً . لذلك بقى فى البيت .

(٥) كان يان متعباً . ومن ثم بقى فى البيت .

تعد هذه التتابعات بدرجة معينة متكافئة دلالياً . ومع ذلك نقيم فى الاستعمال اللغوى فرقاً نسقياً بين هذه المنطوقات، بحيث يجب أن نفترض أن لها على الأقل وظائف براجماتية متباينة . ففى الجملة المركبة (١) ترتبط واقعة : كان يان متعباً، بواقعة : بقى فى البيت، على نحو سببى (أو من الأفضل : على نحو تعليلى) . ويسرى ذلك أيضاً على كل الأمثلة الأخرى . ومع ذلك يمكن أن تدل (١) أن نصف الجملة الأولى يقدم قضية، كانت معروفة للسامع من قبل (فرضية مسبقة)، وعضدها المتكلم تارة أخرى / ٨٧ لكى يبين أية واقعة كانت واقعة : بقى يان فى البيت، نتيجة لها . وفى النصوص الأخرى كلتا الواقعتين غير معروفتين، بحيث إن كلتا الجملتين يعبر عنهما دائماً بوصف كل منهما زعماً منفصلاً . وتكمن الملاحظة الأولى التى يمكن أن توضع مع هذين النصين (٢)، و (٣) التاليين فى أن تسلسل النصوص فى التتابع هو تعبير عن العلاقات بين الوقائع . وفى الواقع فى (٣) تذكر النتيجة ثم العلة، بينما تجوز (٢) العلاقة النمطية سبب - نتيجة . ويمكن أن تكون إحدى علل (٣) أنه لا يراد أن يعبر كلية أو ابتداءً عن علاقة بين الوقائع بل عن علاقة بين قضايا (مزعومة) أى : بين أفعال كلامية .

وبينما كلتا الجملتين فى (٣) هما زعمان، يمكن أن تنسب إلى الجملة الثانية أيضاً وظيفة الإيضاح، ويمكن أن يخصص لذلك الإيضاح دور مزدوج: فى المقام الأول يدل على علة أو سبب واقعة معينة ولكن فى الوقت نفسه يوفر دعماً لزعم معين قد أدى من قبل، على نحو ما يرى ذلك بشكل أكثر وضوحاً فى

(٦) يجب أن يكون يان موجوداً فى المنزل . نوره مضاء .

ففى هذه الحال تقوم الجملةالأخيرة إلى حد ما بوظيفة مقدمات لما سمى من قبل نتيجة، ويعبر « يجب » عن حتميتها .

ويتضح من هذه الأمثلة أن العلاقات بين الجمل ليست ذات طبيعة دلالية فحسب، بل براجماتية أيضاً . وهكذا لا يتعلق الأمر بتعبيرات أوجه الربط بين الوقائع فحسب، بل بين الأفعال الكلامية أيضاً . وهذه الوظيفة المزدوجة تبينها الروابط ذاتها . فبينما يمكننا أن نقول مع (٤) إن (لذلك) تعبر عن علاقة بين الوقائع - وهو ما يمكن أن يؤدى أيضاً فى جملة واحدة : كان يان متعباً، لذلك بقى فى البيت أو على نحو ما فى (١) فإن للرابط (من ثم) فى (٥) وهو غالباً ما ينغم بقوة معينة، على الأحرى وظيفة براجماتية، إذ إن ذلك الرابط البراجماتى (من ثم) يعبر إلى حد ما عن نتيجة لزعم متقدم . ولذلك نفرق بين الاستعمال الدلالى والاستعمال البراجماتى للروابط (Konnetiva) : فالأول يشير إلى علاقات بين الوقائع، والثانى إلى تلك العلاقات بين الأفعال الكلامية (١٣) . فما يميز الروابط البراجماتية هو دورها الخاص بالنسبة للسياق الاتصالى : فهى تستخدم بشكل نمطى حين يكون للفعل الكلامى أهمية خاصة بالنسبة للموقف الفعلى، على سبيل المثال بوصفها شرطاً للأحداث القادمة وتفاعلات المشاركين فى المحادثة . ويتبين هذا بوضوح فى الحوار (Dialog) القصير التالى فى بداية اجتماع :

/(٧) أ : يان مريض . لم يأت .

ب : إذن يمكننا أن نبدأ ؟ *.

حيث استخلصت (ب) نتيجة من الزعم الوارد فى (أ) .

---

(١٣) أبرز الفرق بين الروابط الدلالية والروابط البراجماتية فى كتاب فان دايك van Dijk (1977a)، وفى صفحات مختلفة فى كتاب فان دايك van Dijk (1980b) .

(*) يلاحظ أنه يختلف معنى (also) باختلاف السياقات التى وردت فيها، فهى بمعنى (لذلك) و (من ثم) و (إذن) ... إلخ، ويلاحظ كذلك أن الاستفهام لا يعبر عنه بأداة ولكن من خلال التنغيم البارز فى بداية الجملة .

ويمكن أن يلاحظ مثل ذلك بالنسبة للروابط الأخرى أيضاً . فبدلاً من فصل (Disjunktion) الوقائع تعبر (أو) في النص التالي بالأحرى عن فرق ضئيل أو شك أو تصويب لحدث لغوى متقدم :

(٨) أتأتى مساء اليوم أيضاً ؟ أو ليست لديك رغبة ؟

(٩) بيتر ثمل . أو ربما قد دخن .

لا يمكن أن يعبر الرابط (و) على نفس النهج عن وصل(Konjunktion) دلالي، بل إكمال زعم ما أو استمراره .

(١٠) ذهبنا إلى حديقة الحيوان . و (وهناك ...) تناولنا آيس كريم .

وربما تكون (لكن / بل) رابطاً من الروابط البراجماتية النمطية، ولذلك تقوم بوظيفة أداة خاصة غالباً أيضاً :

(١١) أ : أتذهب إلى السينما ؟

ب : لكنك تعرف أنى يجب أن أؤدى غداً امتحاناً !

لا تشير (لكن) في هذه الحال إلى استثناء من العلاقة العادية بين الوقائع، بل إلى اعتراض على حدث (لغوى) متقدم، أو حتى إلى اللوم . ويلعب الرابط المؤكد (doch) دوراً مماثلاً إذ يستخدم لدحض حجج متقدمة :

(١٢) أ : فلتأت معنا ! (Geh doch mit) إن الجو جميل .

ب : سأبقى في البيت (بصيغة مشددة) Ich bleibe doch zu Hause .

وبينما تعد من الناحية الدلالية روابط، مثل (لكن / بل، غير أن، بيد أن، بلى– doch, aber) استثناءات من مسارات الأحداث (courses of events المألوفة) تتضح وظيفتها البراجماتية المقارنة من خلال خيبة الأمل تجاه المتوقع المثار لدى المستمع من خلال ذلك :

(١٣) شعرتْ بضعف شديد.غير أنها تستطيع أن تصل إلى الشاطىء.

ولذا يمكن أن نرى بوضوح أن نظام اللغة ليس له وظيفة أن يعبر عن حال الأشياء فحسب (وظائف إحالية أو عاطفية أو تعبيرية)، بل ينشىء أو يجلى علاقات بين الأفعال الكلامية فى التفاعل الاتصالى أيضاً .

٣ ـ ٤ ـ ١٠ قد عرضنا من قبل للجوانب البراجماتية فى علاقات التماسك الأخرى فى النصوص . إن الأساس العام الذى يحدد أننا يجب أن نقول فى تتابع ما شيئاً ، جديداً ، باستمرار يطرحه القيد القائل بأن محمولات من / جمل متوالية يمكن أن تترابط مفهومياً، ولكن لا يجب فى العادة أن يماثل بعضها بعضاً أيضاً، ويصدق أيضاً عكس ذلك : فكل جملة تقدم فى الأساس معلومات جديدة، ولكن تلك المعلومة الجديدة تبنى وترتبط إدراكياً بالمعلومة المعروفة التى يمتلكها السامع إذ يجب أن يقدم جزء من الجملة هذه المعلومة المعروفة أيضاً . ويحدث ذلك بصورة نمطية من خلال بنية محور ـ تفسير (Topic _ Comment) المتحدث عنها بالنسبة للجمل أو من خلال تعبيرات خاصة وأبنية نحوية، أى من خلال جمل تابعة غير أساسية بالدرجة الأولى، بمعنى تحقيق فرضيات مسبقة . وتكمن خاصيتها البراجماتية فى طرق الخطاب للفروض المسبقة (Vorannahmen) للمتكلم حول معرفة السامع . فقط حين تكون هذه الفروض المسبقة صحيحة يمكن أن تكون الأفعال الكلامية التالية للمتكلم مقبولة بالنسبة للسامع . وقد تبين هنا أيضاً أن العمليات البراجماتية للمعلومات واتجاهات التفاعل تحدد بوضوح دائماً ملامح بنية الجملة وبنية النص والعكس بالعكس . ٨٩

٣ ـ ٤ ـ ١١ يبرز من سلسلة الأمثلة الواردة من قبل أن العلاقات بين النص والسياق تجرى ضمن ما تجرى من خلال تبعية متبادلة بين تتابعات

الجمل وتتابعات الفعل الكلامى . ويمكن أن تنطق الجملة (١) فى ٣ ـ ٤ ـ ٩ قبل إنجاز حدث لغوى، من الممكن أن يكون مركباً، أى زعم حول علاقة معللة بين واقعتين . غير أنه يتبين من الأمثلة التالية لها أن استخدام عدة جمل يقدم فى الوقت نفسه إمكانية أن تنجز أحداث لغوية عدة وليس مزاعم متتالية فقط، بل زعم أيضاً يعقبه إيضاح أو زعم يعقبه تصحيح أو زعم يعقبه استنتاج أو زعم يعقبه اعتراض وإن لم يكن من المتكلم نفسه [١٤] . ويؤول هذا إلى نتيجة مهمة، وهى أن الجملة ليست وحدة نحوية دلالية فحسب، بل تلعب دوراً جوهرياً عند إنجاز أحداث لغوية، أى : يمكن أن تستخدم أساساً لأبنية براجماتية .

وبذلك نصل إلى نقطة تحدثنا عنها فى الفصل الأول وهى إمكانية أن تختصر تتابعات جملية إلى جمل مركبة . إن إحدى العلل، لما لا يكون هذا ممكنا دائماً حين يراد الإبقاء على المنطوقات مقبولة، هى الحقيقة القائلة بأن / بعض التتابعات الجملية تقوم بدور خاص لتحقيق تتابع فعل كلامى : ٩٠

(١٤) أتساعدنى ؟ لا أتبين الأمر وحدى .

(١٥) مر بى ! أأنت لا تخافنى ؟

(١٦) لتنتظر ! سأجهز حالاً !

تترابط هذه الجمل، ليس من خلال القيود المألوفة للتماسك الدلالى،

---

(١٤) يدور الأمر هنا فى حد ذاته حول أشكال من الزعم، ومع ذلك يمكن أن تكون له صلة بأفعال كلامية متقدمة ووظائف خاصة . ويوجد هذا النمط من العلاقات الوظيفية أيضاً فى دلالة تتابع الجملة، حين نقول إن جملة ما تخصوص لجملة أخرى . وأما ما يختص بالعلاقات بين الأفعال الكلامية فيمكن أن نتحدث على سبيل المثال عن استعداد أو حافزية أو إيضاح فيما يتعلق بحدث لغوى آخر . قارن جريماس Grimas (1975) وغيره حول سلسلة من العلاقات الوظيفية بين الجمل، وفان دايك van Dijk (1977a, 1980b) حول العلاقات الوظيفية بين الأفعال الكلامية .

ففى هذه النصوص يترابط بعضها مع بعض ترابطاً براجماتياً بسبب الأحداث اللغوية التى تحققها : يعقب الرجاء فى الجملة الأولى من (١٤) زعم، يقوم بوظيفة تحفيز (Motivierung) للرجاء . إنه رجاء أكثر قبولاً بل أكثر وضوحاً للسامع إلى الحد الذى لا يستطيع معه أن ينجز المتكلم / الراجى الحدث نفسه . وفى الجملة الأولى من (١٥) يكمل الدعوة على نحو مماثل سؤال (بلاغى بشكل ما) يبرز القيد الذى يجب أن يتمم الدعوات وهو أن المتكلم يفترض أن السامع يرغب فى الحضور للزيارة بكل سرور أيضاً . وأخيراً فى (١٦) يوضح الرجاء المنطوق فى الجملة الأولى كذلك من خلال الزعم القائل بأنه لا يحتاج أن ينتظر طويلاً، حيث قيل إن الرجاء يجب أن ينفذ بسهولة إلى حد ما . ويعبر عن هذا النمط من تخفيف أفعال كلامية رجائية خاصة ـ بالنظر إلى أحداث السامع التى يرغب فيها المتكلم، باستخدام أدوات وتعبيرات موجهة (صيغية) أيضاً (مثل : mal, doch, zufallig, konntest, hattest ... الخ) . ذلك التخفيف ضرورى لكى يؤكد للسامع على نحو كلاسيكى ـ بلاغى أنه يوائم الرجاء، ولكى يسمح له غالباً بالحرية الجلية فقط حتى ينجز الرجاء أو لا ينجز . ويتصل التخصيص الوارد هنا بوصف قواعد اجتماعية للتفاعل بوجه عام .

ينبغى أن تقودنا ملاحظة أخرى فى الأمثلة من (١٤) إلى (١٥) آخر الأمر إلى مستوى أكبر للأفعال الكلامية . فمن اللافت للنظر أنه، فى حقيقة الأمر، برغم أن الأمثلة تتكون فى كلٍّ من جملتين : هما فى حد ذاتهما حدث لغوى؛ فلا دور لكل مثال فيها إلا لفعل كلامى ـ أساسى، وهو الرجاء فى (١٤) والدعوة فى (١٥) والرجاء / الطلب فى (١٦) . ويعنى هذا أن : الحدث اللغوى الثانى فى هذه الأمثلة يلى براجماتياً الحدث الأساسى . وفى الواقع هذه هى الحال، لأن هذه الأحداث تفى دائما بقيد أو تحاول أن تفى به لنجاح الحدث الأساسى وهو التحفيز والاستعلام من الفرضيات المسبقة

وتخفيف الحدث الأساسي . ويمكن أن تنفذ تلك الأحداث اللغوية المركبة من خلال جملة في سلسلة من الحالات :

(١٧) لأني عندي وقت فراغ سآتي لزيارتك .

(١٨) إذا لم تغلق فمك في الحال فاترك حجرة الدراسة .

فيمكن أن تستخدم الجملة الأولى لتنفيذ وعد، ولكن جزءاً من الحدث يكمن في تقديم خبر (أو في فرضية مسبقة) ، إذ إن شرط تحقيق الوعد قد / استوفي، وهو ما جعل الحدث الأساسي اللغوي الفعلي أكثر جدارة بالتصديق. ٩١ إن للعلاقة الدلالية هنا كما في الجمل المركبة بوجه عام وظيفة محورية : فالأمر يدور حول ترابط شرطي بين، لديه وقت فراغ ‹ و › زيارة شخص ما ‹ . ولدينا في (١٨) مثال نمطي لتهديد مشروط، كما لدينا وعود مشروطة أيضاً . فقد وقع تهديد حقاً، ومع ذلك يرتبط تحقيقه بقيود معينة . وبعبارة أخرى : إن واقعة › ترك حجرة الدراسة ‹ أو إخراجه من حجرة الدراسة ‹ لا توجد إلا في مواقف ممكنة، تتحقق فيها حقيقة › لم تغلق فمك ‹ أيضاً . ولذلك يمكننا أن نعرف مضمون أحداث لغوية معينة حسب اختيار الزمان والمكان والظروف والأحوال ... الخ . وفي الحقيقة إن وعد (١٧) غير محدد، وسينفذ في كل › مسارات الأشياء ‹ المستقبلية الممكنة، لأن المتكلم يزعم أن يعرف الآن أن قيداً جوهرياً (لديه وقت) قد استوفي أو سوف يستوفي .

وبرغم أننا قد نظرنا في سلسلة من الأشياء تتحقق فيها أحداث لغوية بوصفها جملاً مركبة أو تتابعات فإن هذا لا يعني بأية حال من الأحوال أننا يمكننا أن ندرك القواعد الصحيحة، وفي الغالب الدقيقة التي تحدد الفرق بين الجمل والتتابعات . وباستثناء عوامل أسلوبية أو بلاغية واجتماعية ونفسية التي ما تزال تحدد ذلك الفرق من خلال الاستعمال اللغوي أيضاً، تلعب على مستوى النظام اللغوي والقواعد العرفية سلسلة من الشروط الدلالية

والبراجماتية دوراً . فمن الناحية الدلالية على سبيل المثال التناوب فى عالم ممكن؛ تناوب محيلات الخطاب أى إدخالها، وتناوب محور الخطاب أو المنظورات، من منظور خاص إلى عام (يرتدى جيتزه القديم ثانية . لا يرتدى مطلقاً أيضاً ما هو أنيق) . وتقدم الأسباب البراجماتية، لبدء جملة جديدة، الإمكانية التى تهيئها لإقامة حدث لغوى جديد، غير مستقل أو مستقل عن الحدث المتقدم . إن قيود إنجاز الأحداث المعنية من خلال أفعال كلامية وحدودها هى بالأحرى ذات طابع دلالى، ومن ثم يمكن أن يعبر عنها من خلال جملة مركبة أيضاً . وبوجه عام تستخدم جمل مركبة لإنجاز أحداث لغوية مركبة من نفس النمط، أى من جزءين (أزور عمتى وأسألها هل تريد أن تحلى بقطتنا ؟) وفى حالات أخرى، كما فى الجمل الفرعية التابعة أيضاً، وهى (١٧) ينبغى أن يتحدث عن حدث لغوى ينسحب على قضية مركبة، حين أقول هكذا :

(١٩) أزور عمتى أو أذهب إلى السينما .

٩٢ فإنى أصنع خبراً (وحيداً) من أفعالى المتناوبة المستقبلة / ولا أصنع الخبر الأول أو الثانى . فالفصل بين أحداث لغوية وفق التعريف غير ممكن، لأنى يجب أن أعرف من كل فعل أن أقيمه، ولا يكون الفصل ممكناً إلا مع وقائع ليست معروفة بعد . ولم نعرض فى هذا الموضع لمشكلات أخرى تتعلق بالتضمينات (بالاستلزامات) البراجماتية للجمل المركبة أو التتابعات الجملية [١٥] .

٣ ـ ٤ ـ ١٢ بعد أن أتممنا تحليل خواص ـ نصية براجماتية متوازية مع علم دلالة النص، يمكن أن يطرح السؤال التالى : على أى نحو يكون

---

(١٥) بالنسبة للعلاقات بين جمل مركبة وتتابعات جملية، قارن : van Dijk (1977 a, 1980 b) .

للأبنية الكبرى أيضاً وظيفة براجماتية . وعلى العكس من ذلك يبرز السؤال التالي : هل يمكن أن يتحدث بناءً على القواعد ذاتها أيضاً التي تطبق على معلومات دلالية معقدة عن أحداث لغوية كبرى .

قد رأينا في الأمثلة المذكورة آنفاً أنه يمكن أن يكون لسلسلة من الأحداث اللغوية بنية متدرجة على نحو أن يقوم حدث لغوي بوظيفة حدث - أساسي والأحداث اللغوية الأخرى بوظيفة الأحداث المساعدة . ففي هذه الحال يمكن أن يقال في الوقت نفسه إن نمط الحدث المنجز، بشكل عام، هو النمط ذاته للحدث اللغوي الأساسي . ويتضح ذلك من القاعدة الكبرى رقم (٣) (انظر الفصل السابق) : إذ تختار أهم واقعة من تتابع تترك فيه الشروط أو المكونات أو الاستنتاجات المألوفة .

ومن الممكن أيضاً وفق القواعد ذاتها، وبالتحديد القاعدة الرابعة (التركيب والإيضاح) أن ينشأ حدث لغوي أكبر دون أن ينجز هذا النمط للحدث اللغوي ذاته على نحو مباشر في زمن محدد في الحوار، وليس فقط في الحالات التي يتحدث فيها عن أحداث لغوية غير مباشرة (مثلاً : سلسلة الأخبار : الطرق متسخة، والألواح متعفنة ... التي تقوم بوظيفة أمر، فتعاد هذه ، الأحوال (إلى الوضع الصحيح) . هذا يعني أن الحدث اللغوي العام يجب أن يتكون من أحداث لغوية، يلزم أن تتحقق من خلالها قيود ومكونات ونتائج، مثلما هي الحال بوجه عام بالنسبة لوصف الأحداث الكبرى وتفسيرها (مثل : بناء منزل وسفر إلى باريس) . لذا يمكن أن يعد الحوار التالي عبر التليفون بين يان وبيتر رجاءً (أو استفهاماً) من يان إلى بيتر، ليحضر له محاضرة، أي : أن يقدم له المذكرات أو الملاحظات :

(٢٠) بيتر : ١ أهلاً ؟
يان : ٢ أه، بيتر أنت ؟ معك يان .
بيتر : ٣ أه مرحبا بك يا يان ! كيف حالك .

/ يان : ٤ حسناً . انتبه هنا . انصت . فى الأسبوع القادم . ٩٣
٥ يلقى جون سيرل محاضرة؛ أنت تعرف ذلك مسبقاً،
٦ عن أفعال الكلام (...) .
بيتر: ٧ نعم . سمعت ذلك . أين على وجه التحديد ؟
يان : ٨ فى المبنى الرئيسى . صالة الاستماع، لا أعرفها، ولكن ذلك .
٩ موجود على لوحة فى صالة المدخل .
بيتر : ١٠ أوه . نعم .
يان : ١١ لكن يجب أن ألقى فى الأسبوع القادم بحثاً صغيراً.
١٢ عن عمل سيرل الأخير، وذلك فى مجموعة .
١٣ مجموعة عمل عن ، البراجماتية ، ولذا يجب فى الحقيقة .
١٤ أن أذهب إلى محاضرته، ولكن فى الأسبوع القادم .
١٥ يجب أيضاً أن أغير سكنى ...
بيتر : ١٦ آه . نعم هذا صحيح .
يان : ١٧ لا بأس هذا ما توقعت، على أية حال حين .
١٨ تذهب وتشارك فى الكتابة ...
بيتر : ١٩ وهو كذلك . ذلك أمر بدهى . لا مشكلة .
٢٠ إذا كان عليك أن تقوم بشىء علمى .
٢١ كالبراجماتية .
يان : ٢٢ (يضحك) هذا ما تخيله . حسناً .
٢٣ تستطيع ذلك ... ألحصل على ملاحظاتك .
بيتر : ٢٤ سأرسلها على عنوانك الجديد .
يان : ٢٥ عظيم، وهو كذلك، أشكرك .
بيتر : ٢٦ ليكن كل شىء على ما يرام . سأذهب . وهو كذلك . إلى اللقاء .

٢٧ سألقى نظرة قريباً على سكنك الجديد .

يان : ٢٨ هذا ما يجب أن تفعله، ولكن كلمنى هاتفياً قبل ذلك، وإلا .

٢٩ فربما لا نكون فى البيت .

بيتر : ٣٠ حسنا إلى اللقاء . لا تنس أن تبلغ سلامى .

يان : ٣١ أوه نعم . وأنت أيضاً . وشكراً جزيلاً مرة ثانية إلى اللقاء .

يعد هذا الحوار القصير مصطنعاً إلى حد ما : فالحوار الحقيقى يسير على نحو آخر، حتى عبر الهاتف، حيث لا يوجد أى تفاعل مرئى (١٦) . وما يهمنا هنا هو نتيجة أحداث لغوية . أما ما يلفت النظر فى هذا الحوار فهو أن حدثاً لغوياً عاماً يحد ضمن ما يحد من خلال ، تضمنه ‹ فى أحداث اجتماعية أخرى : الاتصال هاتفياً، الذهاب إلى المحاضرة، مساعدة بعضنا بعضاً، زيارة بعضنا بعضاً ... الخ .

تميز هذه الخاصية الاجتماعية كذلك بنية تتابع الفعل الكلامى بوجه عام . وذلك يسوغ ابتداءً تحديد هوية (Identifizierung) عناصر التفاعل (الاستفهام والخبر فى السطر ٢) . بعد أن أنشىء الربط ذاته، إذ إنه على المرء أن يسعى بادى الأمر إلى تحديد الهوية . وتعد أشكال التحية التالية ذات الطبيعة المباينة شروط التفاعل العادية بالنسبة لعناصر التفاعل الذين يعرف كل منهما الآخر، ولم ير أو يسمع كل منهما الآخر لبضع الوقت . ولذا ربما يكون مطلع المحادثة آخر الأمر غير ممكن، لو كان بيتر قد اتصل قبل نصف ساعة .

/ ويبدأ بناء الحدث اللغوى العام الفعلى : الرجاء بالسطر ٤ ، حين كان ٩٤

(١٦) بالنسبة لمعالجة المحادثات وتفاعلات الحوار، انظر الفصل السابع والهوامش الواردة هناك .

على يان الدور للمرة الثانية، حيث لم تكن طريقة التعبير ، انتبه هنا انصت« مطبقة، بل طريقة عرفية، توجه الانتباه إلى موضوع (جديد) للحوار أو حدث لغوى خاص . فالخبر الذى أُدِّى ينشىء فرضية مسبقة للقيام بالرجاء . ويمكن أن يستفسر (= عملية التحديد) عن هذا أيضاً على المستوى المحقق إلى الآن، وأن يجاب عنه (معلومة) دون أن يعرف السامع، بيتر، ما الحدث اللغوى العام الذى يطرح فى الحقيقة للمناقشة . ونرى كذلك حين يكون على يان الدور للمرة الرابعة (السطر ١١) سلسلة من الأخبار التى تعد لتكوين حافز الرجاء : التزام يان بأنه يجب أن يفعل شيئاً، ولكن للأسف يحول دونه عمل آخر ضرورى ـ مع نتيجة : إذ يظل الالتزام قائماً . ويعقب ذلك فى نصه التالى » محور « الرجاء المتحدث عنه على نحو غير مباشر للغاية وحتمى؛ وهو الاقتراح غير المباشر بأن بيتر يمكنه أن يساعده فى أداء الالتزام الموضح .

وقد كسى الرجاء بغطاء مخفف، يبرز من خلاله الظن بأن بيتر لا يحب أن يحمل نفسه أية جهود خاصة، بل إن يان يحتاج على وجه الخصوص إلى إشراك بيتر فى الحدث الخاص به (حدث بيتر) : يحتاج إلى أن يحصل على نسخة من المحاضرة . قاطع بيتر يان ليبين له أنه قد فهم الرجاء، وتجاوز من خلال ذلك الموقف » المؤلم « ليان إلى حد ما، كى ينطق رجاء كاملاً وصريحاً . وفضلاً عن ذلك طمأنه يان أيضاً، حيث أوصل إليه تأكيداً مصوغاً فى صورة بلاغية بسيطة لحافز رجائه (» أنت لا تستطيع أخيراً (عمل) شىء آخر «) فى السطرين ٢٠ ـ ٢١ وهو ما أكده يان فى السطر ٢٢ . وأعقب ذلك نمط معين » الشكر «، وهو تقويم إيجابى لفعل بيتر المستقبلى أو شرطه (سطر ٢٢ ـ ٢٣) . الآن يكون يان قادراً على أن يؤكد النتيجة المحسوسة للحدث المصرح به (سطر ٢٣)، وبناءً على ذلك فلا ضرورة لأى تأكيد مباشر من بيتر، بل إخبار (سطر ٢٤) يفترض مسبقاً هذا

التأكيد . وأعقب ذلك شكر يان ومطلع ختام المحادثة (سطر ٢٥) . ويخفف بيتر مرة أخرى الالتزام بالشكر، فيذكر من خلال ذلك أنه يجب أن ينجز الحدث المطلوب وأن إرسال النسخة لا يمثل له أى مجهود خاص . وقد بدأ بيتر أيضاً باستعمالات خطابية ختامية، يشير من خلالها إلى زيارة قريبة فى السكن الجديد الذى قد أشار إليه فى المحادثة . ويؤكد يان هذا الاقتراح بتوصية ضعيفة (سطر ٢٨ - ٢٩) ينبغى أن تجنب بيتر المضايقات . وتتشكل خاتمة المحادثة اللاحقة من تحية إلى آخر (متضمن) أيضاً، ومع يان من خلال تقديم الشكر على الفعل الذى وعد بيتر به .

يبين هذا الوصف غير الشكلى لسلسلة الفعل الكلامى أن أحداثاً لغوية عامة يمكن أن تتم من خلال إنجاز / أحداث لغوية ضرورية ومعدة اختيارياً، ٩٥ تركيبية أو تتابعية، على المستوى الأصغر : رجاء لتحديد هوية، تحديد هوية، تحية، خبر بوصفه فرضية مسبقة للتحفيز، تأكيد / استفهام فيما يتعلق بهذا الخبر، وتخصيص للخبر، وإخبار بصور التحفيز للرجاء، وسؤال غير مباشر (إذا أنت على أية حال ...) بوصفه جزءاً من اقتراح كامل، تأكيد ووعد، تهدئة، شكر، سؤال صريح عن تتابعات الفعل الذى وعد به، وعد، شكر، تخفيف، التزام بالشكر، إعلان، قبول، دعوة، توصية، تحية، شكر، ختام .

إن جزءاً من الأفعال الكلامية له وظيفة محددة فحسب. على سبيل المثال عند تأكيد الفرضيات المسبقة، وعند تقديم توصية للإعلان عن زيارة أما الجزء الآخر فله وظيفة مباشرة بوصفها جزءاً من الرجاء ذاته، وذلك من خلال اقتراح شرط لتطور الحدث (فلنذهب) الذى يؤديه الآخر، وهو ما يعقب تحفيز مهم للرجاء ويعقبه وعد وشكر . وتعنى الأحداث اللغوية الأخرى بعوامل التفاعل العامة على الأرجح : وهى الاتصال، وتأكيد علاقات أخوية، وأشكال الإعلان عن أحداث تالية (زيارة)، وبالنسبة لعملية التشكيل الكلى (الافتتاح/ الاختتام) . وبخلاف الربط البراجماتى يضمن الحدث اللغوى

العام ›› يطلب بان من بيتر أن يشترك فى محاضرة من أجله ‹‹، التماسك الدلالى لهذه المحادثة فى الوقت ذاته بوجه عام . نريد أن نقول بذلك إن أشكال الحوار أيضاً بناء على تتابعات الفعل الكلامى وعلاقات الموضوع أيضاً يجب أن يحكم عليها بأنها بنية كبرى : إذ يشار على نحو لزومى إلى وقائع مترابطة وقيود وأجزاء ونتائج الاشتراك فى المحاضرات والتفاعل الأخوى المهذب بين المعارف / الأصدقاء بوجه عام . وللفعل الكلامى العام مثل كل فعل كلامى آخر مضمون دلالى أيضاً . ويجب أن يكون ذلك فى هذه الحال البنية الكبرى للنص . أما ما يقدم لنا دليلاً آخر على دعم الفرض فهو أنه يجب أن يسلم بالأبنية الكبرى فى وصف النصوص ، إذ يمكن أن توصف البنية الكبرى بأنها القضايا ، يذهب بيتر من أجل بان إلى محاضرة، ويترك نسخة من ملاحظاته، ومن المحتمل أن يتحدد ذلك من خلال ، ليس عند بان هذه الإمكانية، غير أنه يحتاج إلى نسخة من الملاحظات ‹ . هذه القضايا يمكن أن تستنبط من النص عن طريق القواعد الكبرى .

ويتضح لذلك، حتى على المستوى العام لوصف النص، أنه يوجد ربط وثيق بين المعنى ووظيفة التفاعل اللغوى، إذ إن النص والسياق يعتمد كل منهما على الآخر ـ على نحو ما استنتج ـ بصورة متبادلة .

٤ ـ أبنية أسلوبية وبلاغية

٤ ـ ١ أهداف التحليل الأسلوبى وقضاياه ٩٦

٤ ـ ١ ـ ١ ناقشنا فى الفصل الأول بإيجاز أن علم النص يقدم إطاراً أكبر للبلاغة الكلاسيكية والتخصص العلمى الذى استنبط منها بدرجة أو بأخرى أيضاً وهو الأسلوبية . ومن ثم سنعنى فى هذا الفصل بصورة أدق بكيف يكون التحليل الأسلوبى البلاغى الذى للغاية ضروريا للنصوص . ونفترض هنا ابتداءً أنه يمكن أن نتميز أهداف الأسلوبية والبلاغة وقضاياهما بعضهما عن بعض، ونسلم من خلال ذلك ببديل فعلى للبلاغة الكلاسيكية التى نريد أن نطلق عليها مع ذلك « البلاغة » أيضاً . وسوف نبحث بعد ذلك ما السمات النصية الخاصة التى لها بالأحرى طبيعة أسلوبية أو طبيعة بلاغية . إن المناقشة هنا فى هذا الفصل تسير على مستوى عام إلى حد ما (١) .

٤ ـ ١ ـ ٢ نظراً لأن مجال البحث فى الأسلوبية أو علم الأسلوب قد استقر بصورة أكثر كثافة مع الأبنية النصية التى قد وصفناها فى الفصول المتقدمة، على سبيل المثال من خلال مفاهيم نحوية وبراجماتية، فإننا سنقتصر هنا بوجه خاص على ما سنطلق عليه إيجازاً أسلوبية النص Textstilistik (٢) ، أى على بحوث تعنى بوصف الأسلوب فى نصوص لغة

(١) ستعرض بصورة نظامية فى هذا الفصل أبنية أسلوبية بلاغية أقل بما عرض للأبنية الأخرى فى الفصول الأخرى ويكتفى فى هذا الفصل بتقديم بعض أوجه الربط الأكثر إيجازاً حول طبيعة الأبنية والمشكلات وبخاصة أن الأدب فى مجال علم الأسلوب والبلاغة خاصة يبلغ مدى بعيداً . ويسرى ما يشبه ذلك على علم الأدب وما تسمى بالأبنية الأدبية للنصوص .

(٢) حول معالجة الظواهر الأسلوبية ـ الأدبية والأسلوبية اللغوية قارن سيبوك Sebeok (ed.) (1960) ، وفلور Fowler (ed.) (1966) ، وكركهوف Kerkhoff (ed.) (1962) ، وفريمان Freeman (ed.) (1970) ، وريفاتير Riffaterre (1971) ، وتشتمان =

طبيعية . فأسلوب › الوسائل الفنية ‹ الأخرى ظل من خلال ذلك خارج الملاحظة (وهى الرسوم والصور والبضائع الاستهلاكية واللباس وهندسة البناء ... الخ) وإن كان يجب أن تكون تلك الأشياء مهمة بالنسبة للأسلوبية العامة والمقارنة أيضاً، / وكذا للفن وعلم العلامات [٣] .

٩٧

بيد أنه لا توجد إلا بعض المصطلحات الغامضة الملبسة كمصطلح «أسلوب » إلى الحد الذى تجعل معه المعالجة الجادة، وإن كانت موجزة هنا، القيد الصارم فى أثناء استخدامه أمراً ضرورياً، ويشير استخدام مصطلح الأسلوب (بوصفه مصطلحاً فنياً) ضمنياً فى العادة إلى مصطلحات أخرى مثل تخصيص وتميز وانحراف ... الخ التى تطبق على الوسائل الفنيةالمتفرقة وفئات منها أيضاً، حيث تتميز هذه الوسائل الفنية من خلال منشئها نفسه أو مجموعة منشئيها أنفسهم أو الزمان أو المكان أو الثقافة . هذه الإيضاحات للمفهوم تجعل مصطلح أسلوب مصطلحاً نسبياً أساساً، فالوسائل الفنية أو فئات الوسائل الفنية أسلوب محدد بالنظر إلى الوسائل الفنية الأخرى أو فئاتها أو بالنظر إلى الملامح أو القواعد أو المعايير أو الأعراف العامة الأخرى التى تنتج وفقاً لها هذه الأقسام من الوسائل الفنية . ولذا يمكن أن يقوم الأسلوب ذاته على قواعد عامة أو خاصة، غير أنها مميزة دائما وفق طبيعتها، أى : بالنظر إلى نظام قاعدى آخر . وقد استخدم مصطلح ‹ أسلوب ›

= Chatman (ed.) (1971) ، وانكفيست Enkvist (1973)، وساندرز Sanders (1973)، وسوينسكى Sowinski (1973) ، ويقدم ساندج Sandig (1978) أسلوبية براجماتية . أما أوجه الربط بين بديل أسلوبى وبديل بلاغى ووظائفهما الاستراتيجية فى الحوار فقد نوقشت فى كتاب فرانك Franck (1979) من خلال الأدوات الموجهة (الصيغية) الألمانية نموذجاً، وحول الرؤية اللغوية الاجتماعية قارن ضمن غيره كتاب بنش وفاشيك Beneš & Vachek (eds.) (1971) ، وعالج كل من دوليتشل وبيلى Doležel & Bailey (eds.) (1969) وغيرهما علم اللغة الكمى .

(٣) عالج بيردسلى Beardsley (1958) وغيره مصطلح ‹ أسلوب › فى فنون أخرى .

على نحو مجازى بدلاً من الوسائل الفنية أو فئاتها لأولئك الذين أنتجوا هذه الوسائل الفنية أيضاً .

ولكى نعبر عن ذلك بصورة أكثر دقة : يمكن أن يكون لمنطوق محدد لدى مستعمل لغة بعينه أسلوب، مقارنة بمنطوقاته الأخرى أو يمكن أن تتصف منطوقاته الكلية مقارنة بمنطوقات مستخدمى اللغة الآخرين بأنها أسلوب، ويمكن أن يكون لمجموعة من مستخدمى اللغة أسلوب من خلال فئات منطوقاتها التى تتميز مقارنة بمنطوقات مجموعات أخرى و/ أو مقارنة بالاستعمال اللغوى للجماعة أجمعها . ولا يهتم هنا أحيانا على نحو غير مبرر إلا بأسلوب النصوص المكتوبة، وعلى الأخص النصوص المكتوبة التى لها وظيفة خاصة (المقالات والأدب) . وفضلا عن ذلك فمصطلح الأسلوب فى تلك الحالات عام بحيث إنه يستخدم أيضا لتحديد ملامح مميزة لتلك الأقسام النصية (الأسلوب الأدبى مثلاً) .

٤ ـ ١ ـ ٣ تكمن الوظيفة الأخرى فى تفسير تلك الأوصاف الإجمالية التقريبية، وفى الاستمرار فى تقييد مصطلح الأسلوب للحيلولة دون تطابق الأسلوبية مع النحو والشعر والبلاغة . ويمكن أن يتحقق أول تقريب لمصطلح الأسلوب مقارنة بالبنية النحوية للجمل والنصوص . ويلعب مصطلح اختيار أو عدم الإلزام دوراً مهماً هنا : على سبيل المثال اختيار الوحدات أو المقولات أو القواعد التى تعد من خلال وجهة نظر معينة على أنها متكافئة . ويتحدد هذا التكافؤ Äquivalenz غالباً من خلال مصطلحات دلالية؛ ويتحدث هنا عن متغيرات أسلوبية stilistische Variente ، حين يكون لمنطوقين أو أكثر التفسير ذاته، أى : المعنى والإحالة، / غير أن لهما بنيتين مختلفتين، ٩٨ ومن ثم فقد أنتجت من خلال قواعد فونولوجية أو مورفولوجية أو تركيبية أخرى أو/ ومن خلال وحدات معجمية أخرى (، كلمات ،) كما فى :

(١) ذهبت إلى إخصائى أمراض نساء .

(٢) توجهت إلى طبيب أمراض النساء (*) .

(٣) قالت إنها ربما تذهب إلى الطبيب فى اليوم التالى .

(٤) فى الغد ربما تذهب إلى الطبيب. هذا قولها (**) .

يدور الأمر فى (١) و (٢) حول متغيرات (بدائل) معجمية، وفى (٣) و (٤) حول متغيرات (بدائل) تركيبية . وفى الحقيقة من خلال الافتراض بأن معانى (١) و (٢) ومعانى (٣) و (٤) هى هى . ويفترض كذلك أن اختيار متغير (بديل) محدد له وظيفة معينة يمكن أن نتحدث عن متغيرات (بدائل) وظيفية funktionelle Variente .

ولكن ماذا يفهم تحت مصطلح « وظيفة » ؟ يمكن أن يحدد ابتداءً من خلال إمكان أن يكون لمنطوقين متكافئين دلالياً وظيفة مختلفة فى النص أو الحوار : ولذا فإن (٣) ممكنة (رداً) على السؤال : ماذا قالت ؟ ولكن (٤) ليست كذلك . وعلى هذا النحو يمكن أن توصف الجمل المتكافئة دلالياً أيضاً التى لها بنية محور- تفسير بشكل متباين أو لها بنية فرضية مسبقة - تقرير، بأنها متغيرات (بدائل) .

وثمة فروق وظيفية أخرى تفرزها البراجماتية : إذ تتحدد من خلال الاختلافات فى السياق الذى تستخدم فيه الجمل :

(٥) فلتنصت !

(٦) هلا تفضل سيادة السامع بالإصاغ إلى خادمه الخنوع ؟

(*) حاولت بهذا الاختلاف فى وصف الطبيب التفريق بين Frauenarzt و Gynäkologe لبيان قصد المؤلف .

(**) اضطررت إلى تعديل فى ترجمة هذه الجملة حتى يتضح قصد المؤلف، ففى الجملة الأولى يقع الفعل Sagte فى بداية الجملة، وفى الجملة الثانية فى نهاية الجملة، وإذا التزم الأصل لم يتضح قصد المؤلف، فوجب التعديل لإبراز الفرق بينهما .

هنا يدور الأمر بلا شك حول فروق دلالية أيضاً، بل إن قصد هذه المتغيرات (البدائل) أن تبين أن الحدث اللغوى المماثل، وهو الرجاء، يمكن أن ينطق بمضمون مماثل تقريباً بصورة أكثر اختلافاً تبعاً لموقف المتكلم والسامع ومجتمعهما وثقافتهما . إن الفروق الوظيفية إذن تنسحب على الأشكال النصية المحددة، ولذا نطلق عليها فروقاً نمطية (نصية) . ومن ثم فهى (١) ترد على نحو نمطى فى الأحاديث اليومية بينما يجوز ألا ترد (٢) إلا فى نصوص مكتوبة لها صياغة محددة . وبذلك تترابط بصورة غير مباشرة فروق اجتماعية وموقفية للوظيفة، تستنبط من الملامح الاجتماعية للمتكلم والسامع (الجمهور) والمجموعة أو الطبقة التى يمكن أن يلحقوا بها، كما فى (٥) و (٦) . ويمكن أن تختلف الوظائف الاجتماعية المتباينة اختلافاً نفسياً أيضاً وأن توضح حالات نفسية متباينة للمتكلم أو السامع .

(٧) اقفل خشمك نهائياً (اخرس) !

(٨) هلا أغلقت فمك ؟

/ يلعب هنا على سبيل المثال إلى جانب الفروق البراجماتية (الأمر ٩٩ فى مقابل الرجاء) عدم الصبر والتبرم والسلوك السابق للسامع دوراً .

وينتج عن هذا السرد الموجز للفروق الوظيفية الممكنة التى لها تعبيرات بديلة أسلوبياً بالنظر إلى النص ونمطه والسياق والموقف أن الأمر فى كل هذه الحالات يدور حول فروق فى الاستعمال اللغوى : هذا يعنى : أن البدائل المختلفة تعزا إليها وظائف مختلفة بناءً على تفسيرات شائعة .

بيد أنه يوجد أيضاً إلى جانب هذا النمط من الأسلوب العرفى والوظيفى الذى يمكن أن يسيطر مستخدم اللغة أساساً عليه، جوانب أسلوبية للاستخدام اللغوى، تطبق بلا وعى عادة فى الاتصال . ويتعلق الأمر هنا على سبيل المثال بأوصاف كمية للمنطوق : عدد الكلمات فى كل جملة،

وشيوع مقولات معينة، وشيوع أبنية نحوية محددة الخ . وفى هذه الحال يقدم المميز das Kennzeichnende لأسلوب معين (الخاص لمنطوق، لمستعمل اللغة) من خلال قيم متوسطة تأخذ بعين الاعتبار طبيعة الأشكال النصية واللغة ... الخ . ولذا يمكن أن يقال إن مستخدمى اللغة المتباينين يمكن أن يختلفوا داخل › إمكانات ‹ اللغة والأشكال النصية القائمة على قواعد وأعراف: أن يستخدم أحدهما جملاً أطول من الآخر، أن يستخدم ثروة لغوية أكبر من الآخر، أن يستعمل تكوينات تركيبية مغايرة . وبرغم أن ذلك الاختلاف يكون بلا وعى فى العادة، فإنه لا يستمر بالتأكيد بصورة عشوائية دائماً، ويمكن على سبيل المثال أن يعزا إلى أسلوب الاستعمال اللغوى الخاص بمجموعة أو طبقة معينة أو يحدده الأصل الاجتماعى أو الثقافة ... الخ [٤] . ويمكن أن يتسبب عن الموقف الاتصالى الخاص أيضاً تلك السمات الأسلوبية : فإذا تبرمنا أو كنا نافدى الصبر فإننا ربما نصوغ جملاً أقصر مما هو › معتاد ‹ أو مما هو فى مواقف كالمحاضرة مثلاً، حيث تقبل جمل أطول . وفى هذا الموضع يتضح شبه معبر إلى الأسلوب › الوظيفى ‹ الموصوف آنفا : فمن المحتمل أن نلتمس من خلال صياغة جمل أقصر أننا نافدو الصبر . لا ينفصل هذا الشكلان من الأسلوب ببساطة بعضهما عن بعض، ومع ذلك سنتحدث من أجل التبسيط بوجه خاص عن بدائل (متغيرات) الأسلوب الوظيفية، إذا أمكن أن يفسر عرفياً (وظيفياً) إلى حد ما شكل معين للاستعمال اللغوى فى/ سياق محدد . وفى الغالب ليست هى الحال بالنسبة لتلك الأشكال من الفروق مثل استخدام (١٥) كلمة بدلاً من (١٦) كلمة فى الجملة أو استخدام

١٠٠

(٤) تحدث برشتاين (١٩٦٦) Berstein عن فروق أسلوبية وخواص اجتماعية تتضح فيما يتضح من خلال ما يسمى بالشفرة المتشعبة أو المضغاضة، ودرسها وناقشها نقدياً كل من هاجر وآمون Hager, Ammon وهابرلاند وباريس Haber land & Paris ورفضها (تقريباً) لابوف (Labov (1972 a , 1972 b .

(٤) أسماء بدلاً من (٣) أسماء . ويرغم ذلك يمكن أن تميز تلك الملامح غير المقصودة للاستعمال اللغوى مستعملاً لغوياً معنياً، وهو ما يمكن أن يحققه خطه أو حركاته أيضاً .

وفى إطار ما يسمى ؛ بالأسلوبية الكمية " quantitative Stilistik " ستحلل تلك السمات الأسلوبية إحصائياً، وستحاول بوجه خاص أيضاً تحديد إلى أى حد تفترق من جهة المدلول عن قيم وسطى معينة (حين تدرك تلك القيم) [٥] . فإن درس من خلال ذلك النموذج الأسلوبى لنص ما أو لسلسلة من النصوص فإنه يمكن أساساً أن يحدد أيضاً : هل أنتج هذه النصوص مستخدم لغة/ مؤلف محدد، تلك التى وقف المرء على سماتها الأسلوبية الكمية من قبل، ويمكن أن تقاس أيضاً فروق أسلوبية لا تدرك عن وعى أو نادراً أو من خلال طرق حدسية للغاية فقط : لذا يمكن أن يستخدم أحد الشعراء صفات كثيرة نسبياً بينما لا يسجل الآخر الصفات إلا نادراً، بل يسجل جملاً تابعة مندمجة بدلاً من ذلك . وسواء أكان الأسلوب قصيراً ومترابطاً أو مرسلاً وقوياً وما أشبه فإن ذلك يرتبط فيما يرتبط بتلك الفروق التى يمكن أن تكون بداهة فى حالات كثيرة ذات طبيعة كيفية فى الوقت نفسه أيضاً، على نحو ما طُرِح سواء أوجدت أوصاف أو لم تستخدم .

٤ ـ ١ ـ ٤ نعود بذلك ثانية إلى المشكلة التى لم تتضح بعد فيما سبق وهى إلى أى حد يمكن أن نحدد أن تلك الفروق بين المنطوقات هى فروق أسلوبية . فقد افترضنا هنا أن شيئا ما على الأقل يجب أن يظل ، هو نفسه ، . وقد افترضنا هنا أيضاً أن بديلاً أسلوبياً يقوم على (شبه) تكافؤ دلالى : إذ يدل منطوقان على الشىء نفسه تقريباً، غير أن الأول ، أكثر استقامة ، مثلاً، والآخر ، أقل استقامة ،، والأول ، حذر ، والآخر ،

---

(٥) قارن دوليتشل وبيلى (1969) .Dolezel & Bailey (eds حول الأسلوبية الإحصائية .



تتابع الجمل والنصوص : حين يكون لتتابعين أبنية مختلفة (اختيار اللفظ والنحو) ، ولكن المعنى هو نفسه ، فإننا نتحدث عن متغيرات (بدائل) أسلوبية ، وتعد هذه المتغيرات وظيفية حين يرتبط الفرق بشكل منظم بفرق عرفى فى السياق الاتصالى . غير أنه حين نزعم كذلك أنه يجب أن يكون «المعنى » البراجماتى هو نفسه أيضاً، فإنه مع ذلك لا يجوز أن تكون هذه الفروق فى السياق الاتصالى فروقاً براجماتية، لأنه يلزم أن يتحدث إذن عن منطوقين (مختلفين) وليس عن متغيرات (أسلوبية) للمنطوق « ذاته » . ولذلك لا يمكننا أن نتحدث فى المثال التالى على وجه التحديد عن متغيرات (بدائل) أسلوبية :

٩ - (أ) كانت مارية مريضة فى هذا المساء، غير أنها مع ذلك ذهبت إلى الاجتماع .

(ب) برغم أن مارية كانت مريضة فى هذا المساء، ذهبت (برغم ذلك) إلى الاجتماع .

(جـ) ذهبت مارية، برغم مرضها فى هذا المساء، إلى الاجتماع .

(د) ذهبت مارية فى هذا المساء إلى الاجتماع، برغم أنها كانت مريضة .

ويكمن الفرق البراجماتى بين هذه المنطوقات، فيما يكمن، فى أنه فى المثال الأول ٩ (أ) وضع زعمان حول مارية، بينما لا يكون فى الأمثلة الأخرى على سبيل المثال إلا زعم واحد، إذا افترضت معلومة محددة هى معروفة من قبل وهى أن مارية كانت مريضة فى هذا المساء ٩ (جـ) أو لم تعد المعلومة الأخرى سوى معلومة غير مباشرة أو بالأحرى تابعة، جزء من الزعم الرئيس . ومن ثم فإن) (أ) غير مقبولة، بل وربما ٩ (ب، د)، حين يتقدم زعم فى نص أو حديث عن مرض مارية . وفضلاً عن ذلك

تبدو ٩ (أ) مقبولة تبعاً لسؤال مثل : ماذا فعلت مارية فى هـذا المساء ؟ وليس طبقـاً لسؤال مثل : أحضرت مارية إلى الاجتماع فى هـذا المساء أيضاً ؟ ويمكن أن يعقبه كذلك ٩ (ب - د) . وما تزال الفروق الأخرى/ بين ١٠٢ ٩ (ب - د) أكثر ضاءلة .

بينما يبدو فى (٩) (ب و جـ) أن الزعم بذهابها إلى الاجتماع هو الأهم فإنه يمكن أن يفسر ٩ (د) من خلال الدلالة بأن ذهابها إلى هناك برغم مرضها هو الأهم . ونحصل على هذا الفرق الأخير أيضاً حين لا يقع فى ٩ (جـ) التعبير (برغم مرضها) فى الجزء المقدم من الجملة أو حين يكتسب هذا الزعم تأكيداً خاصاً . وما دام إثبات أية فروق دلالية أو براجماتية من هذا النمط غير ممكن، فإن المنطوقات المختلفة هى متغيرات (بدائل) أسلوبية تختلف وفق مفهومنا الصارم للأسلوب . وحين لا نأخذ فى (٩) الفروق البراجماتية فى الاعتبار، فإن الأمر يدور إذن حول متغيرات (بدائل) أسلوبية (ذات معنى واحد) حيث يمكن أن يسوى بصورة محتملة بين الفروق البراجماتية والوظائف المختلفة لهذه المتغيرات (البدائل) . ومع ذلك سنتوقف هنا عند التفريق بين الوظائف الأسلوبية والوظائف البراجماتية للمنطوقات .

٤ - ١ - ٦ يمكن أن تستخدم الفروق بين السمات النصية للأسلوب على نحو دال لأشكال مختلفة من الحكى أيضاً، إذ إنه يمكن أن تسرد السلسلة ذاتها من الأحداث من منظورات مختلفة، كما فى :

١٠ - (أ) كان بيتر جائعاً . أينبغى أن يخطف موزة أم لا ؟ كان بائع الفاكهة آنذاك يخدم زبوناً . لم يستطع بيتر أن يكبح جماح نفسه مدة طويلة . فجأة اصطاد لنفسه موزة من السلة (...) .

(ب) بينما كان بائع الفاكهة يخدم آنذاك زبوناً، تساءل بيتر : هل يستطيع أن يسرق موزة إذ كان جائعاً . لما لم يستطع أن يكبح جماح نفسه مدة طويلة اصطاد لنفسه فجأة موزة من السلة (...) .

إذا ما غض النظر عن أن الملعومة فى القطعة الأولى قد عبر عنها من خلال جمل بسيطة، وفى القطعة الثانية من خلال عدد أقل من الجمل المترابطة، فإن ثمة فرقاً فى المنظور مع ذلك ماثل أيضاً، إذ إن الحدث فى ١٠ (أ) قد عرض بصورة أكثر من وجهة نظر بيتر [٦] . وفى هذه الحال لا يحتاج إلى أن توصف ظنونه أكثر من ذلك الذى حدث فى ١٠ (ب) - تساءل .... بل يمكن أن يعبر عنها تعبيراً مباشراً . ومن المألوف أيضاً أن تستخدم العبارات التى هى إعادة تشكيل لأفكار بيتر الخاصة مثل (يخطف) بدلاً من العبارات الواصفة الشكلية للحكى مثل (يسرق)، وذلك الفرق فى المنظور مألوف بوجه عام عند إعادة الكلام المباشر .

١١ - (أ) زعم يان أن ربما يجن بالمرأة إلى أقصى حد .

(ب) قال يان إنه ما يزال لديه الكثير نحو المرأة .

/ يمكن فى الحقيقة أن تكون (أ) و (ب) أيضاً خبر عن زعم يان : ١٠٣ أقدر المرأة تقديراً كبيراً . وفى الحقيقة يمكن أن يعنى مستعمل اللغة فى الحالة الأولى من خلال استعمال (يزعم) أنه يشك فى صدق ما قال يان، على حين يعين المشاعر أيضاً نحو امرأه أو المرأة ذاتها بعباراته الخاصة التى من الممكن أن تتضمن فى الوقت نفسه تقويماً محدداً . وإذا كانت الحال كذلك وإذا وجدت كما فى (١٠) فروق فى منظور الرد فإنه لا يتحدث إلا متغيرات

---

(٦) مفهوم « المنظور » فى السرد جزء مهم من نظرية الرواية الكلاسيكية، قارن أيضاً هامبورجر (1968) Hamburger وشتانتسل (1964) Stanzel ، ويعالج لدى كارودا (1975) Karoda من خلال وجهات نظرية لغوية إلى حد بعيد .

أسلوبية (وهى هنا ذات وظائف واضحة التباين) لمعنى (أساس) دلالى متكافىء بدرجة أو بأخرى .

٤ ـ ١ ـ ٧ قد عدنا الآن بمفهوم « الأسلوب » إلى ما يمكننا أن نطلق عليه « شكلاً متميزاً للاستعمال اللغوى » على مستوى الجمل والنص أيضاً . وقد ركزنا بوجه خاص على « أشكال التعبير » فى اللغة، أى : الملامح الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية للمنطوقات، وسوف نناقش بوجه خاص على اعتبار أنها قيد آخر الفروق المميزة فى الاستعمال اللغوى بوصفه أسلوباً، تلك التى لا تعبر فى الوقت نفسه عن فروق دلالية وبراجماتية أيضاً . ودون هذا القيد يجب أن تكون كل الفروق فى المنطوقات فى حد ذاتها «أسلوبية » . ومن ثم نضع نصب أعيننا أنه لا يمكن أن يستخدم مفهوم الأسلوب بصورة جادة دون أن يعد فى صورة متضمنة أو صريحة شيئاً ثابتاً أو متكافئاً، على سبيل المثال : معنى أو وظيفة براجماتية (فعلاً كلامياً) أو مقولات وقواعد محددة أو أعراف، يمكن أن يُحَد استناداً إليها بأنه أسلوب مميز .

وبعد هذا الإيجاز فى تقريبنا الحالى لمفهوم « الأسلوب » يمكن أن نتقدم الآن لتحديد مفهوم « الأسلوب » على مستويات أخرى من الوصف اللغوى والنصى أيضاً . فهل يمكن أن يتحدث مثلاً عن أسلوب دلالى أيضاً بعد أن كانت لنا علاقة بالأسلوب النحوى خاصة فيما سبق ؟ ربما توفر تلك الأشكال الفعلية للأسلوب المعجمى، أى : للأسلوب الذى ينشأ من اختيار لفظ محدد، إمكانية تحديد أشكال « مضمونية » للأسلوب أيضاً . فالأسلوب المعجمى يقوم أيضاً على المبدأ القائل بأن وحدتين صرفيتين (م س) و (م ص) (*) يمكن أن تكونا مختلفتين أسلوبياً استناداً إلى مكون دلالى جماعى

(*) يشير الرمز (م) إلى مورفيم، والرمز (س و ص) إلى الاختلاف .

(ك) كما فى البديلين المذكورين آنفا (يسرق) و (يخطف) . وباستثناء المكون المشترك ، يحصل على شيء بصورة غير شرعية ، يمكن أن يقال أيضاً إن ، المحول ، ذاته يتضح من خلال المنطوقين أيضاً، أى حدث محدد بشكل خاص . ولذلك يتقلص الفرق فى الموقف المحدد الذى تستخدم فيه أو يمكن أن تستخدم فيه طريقة التعبير هذه استخداما حقيقياً، ويمكن أن تكون هنا سلسلة خصائص مميزة للمتكلم (وفروض عن السامع) ذات أهمية، مثل نمط الموقف أو التفاعل أيضاً فى حديث يومى مثلاً أو حوار مع أصدقاء الفصل الدراسى نفسه .. الخ .

ويمكن فى مثالنا (١٠) أن يقول بيتر لأصدقائه/ إنه خطف موزة، ١٠٤ بينما يمكن أن يصر فى موقف آخر أمام محقق على أنه لم يسرق موزة، ونتعرف من خلال ذلك تارة أخرى سلسلة من المحددات الموقفية للمتغير الأسلوبى .

لذلك يتبين بالنسبة للسؤال المطروح من قبل، وهو هل يمكن أن يتحدث عن أسلوبى دلالى أيضاً، عن أن بدائل (متغيرات) المعنى أيضاً يجب أن تكون موجودة على مستوى الجملة أو النص، وفى الحقيقة هو مسبب عن السمات المذكورة أو السمات الموقفية الأخرى . ويعنى هذا إذن أن التضمينات القضوية والبراجماتية لقضية ما ولجملة ما أو لسلسلة من الجمل يجب أن تكون هى ذاتها، ومن ثم أوجه إحالتها والوقائع المعنية والأفعال الكلامية المقصودة أيضاً . وثمة مثال نمطى للغاية ألا وهو المتغيرات الدلالية - الأسلوبية فى أوجه الرجاء (الطلب)، فإذا رغب متكلم ما فى أن يطلب من سامع ما أن يعيد إليه مبلغاً محدداً من المال بسرعة ما أمكن فإنه يوجد عدد من الإمكانات الدلالية التى لها مكون قضوى مشترك واختلافاته فى الإشارة أو التعبير عن فروق الموقف، مثل التهذيب والخضوع والصبر ونفاد الصبر والوقاحة والقوة والاستقلال وفهم السامع .... الخ .

هذه الأشكال من مواقف المتكلم المعبر عنها بصورة مختلفة أسلوبياً تجاه السامع يطلق عليها غالباً أيضاً « نغمة المنطوق Ton der ÁuBerung»، والأمثلة هي :

١٢ - (أ) حول المال حالاً (على عجل/ بسرعة/ عاجلاً/ دون تسويف/ فى أقرب وقت) .

(ب) حول المال بسرعة ما أمكن .

(جـ) حول المال بمجرد أن تتمكن (من ذلك) .

(د) حول المال حين يكون لديك بعض الوقت .

(هـ) حول المال بمجرد أن تحصل عليه .

(و) حول سيادتكم المال (انظر من أ : هـ) .

(ز) أترغب فى أن تحول المال بسرعة (عاجلاً/ بسرعة ما أمكن/ ... الخ) ؟

(ح) أتحول المال (...) ؟

(ط) أرجوك أن تحول/ أن تتمكن من تحويل المال .

(ى) استسمحك فى أن تحول المال (...) .

(ك) إذا لم يضرك شيء تستطيع أن ... المال .

(ل) أتريد/ هلا سيادتك ... (ز : ك) .

(م) أيمكننى أن أنبه سيادتكم إلى أنى ما زلت سأحصل منكم على المال ؟

(ن) أوجه نظركم إلى أنكم لم تفوا بعد بالتزاماتكم .

(س) نظراً لأننى فى اللحظة الحالية مفلس أسألكم هل ...

(ع) أنت ما تزال مديناً لى بمائة مارك .

(ف) أتعرف حقاً أنى سأتلقى منك مالاً .

هذه الأمثلة يمكن أن تختلف على هذا النحو اختلافاً كبيراً من خلال تبديل الخطاب (التاء : كم)، وتنوع طرق التعبير الشكلية . ويجب أن يلاحظ هنا أنه يمكن أن ينتقل تدريجياً من الصيغ المباشرة « العادة »/ (وهى (أ ١) إلى صيغ « أكثر ليناً » تبعاً لمقولات الموقف السابقة الذكر، مثل التهذيب والحال/ القوة . وإلى جانب الأوامر/ الرجاوات المباشرة تعد الأوامر/ الرجاوات غير المباشرة ممكنة أيضاً (م وما يليها)، وبناءً عليها يمكن أن يستنتج السامع ما يتضمن الرجاء بدقة . ١٠٥

إن أحد الأسباب، أعنى لم لا تكون الرجاوات غير المباشرة فى التفاعل أكثر تهذيباً أو لياقة بوجه عام، يقوم على الحقيقة القائلة بأن يترك للسامع، على الأقل فى الظاهر، حرية محددة لتفاعل الرجاء . وكما رأينا يمكن أن ينفذ فعل كلامى غير مباشر إذا طرح شرط من شروطه أو كشف عنه . وبينما يمكن أن يتحدث فى كل الحالات عن تبديل معجمى أو دلالى، فإنه يوجد أيضاً تبديل براجماتى بين الأوامر فى (أ : و) تقريباً والرجاوات فى الأمثلة الأخرى؛ ثم يكون الأساس المشترك من الصيغة المباشرة «أرغب فى أن تفعل شيئاً/ أن تفعل سيادتكم شيئاً »، حيث يتحقق الفرق السياقى بوصفه فرق استقلال (Autoritätsunterschied) .

ويمكن أن تظهر تارة أخرى إلى جانب الاختلاف الأسلوبى المذكور على المستوى الدلالى للجملة فروق دلالية داخل النصوص أيضاً، كما فى علاقات الربط والتماسك الدلالى المتحدث عنها فيما سبق . فثمة شكل ممكن للاختلاف هو ذلك الذى يرتكز على درجة من الوضوح (التصريح) (Explizitheit) (*) . إننا ندرك بشكل حدسى أنه يمكن أن نعبر بوضوح أو بغير وضوح عن معلومة محددة، إذ إنه، كما رأينا، يظل جزء كبير من

(*) يقابل هذا المصطلح مصطلح عدم التصريح (أو التضمين Implizitheit) .

المعلومة - وهو ما يفترض المتكلم أن السامع يعرفه أو يمكن أن يستجمعه مما يقال - متضمناً :

١٣ - (أ) بيتر مريض . لم يأت .

(ب) بيتر مريض . ولذلك/ ومن ثم لم يأت .

يمكن في الأساس أن تحسب هذه التتابعات متغيرات (بدائل) أسلوبية، حيث يكمن الفرق بينها في أنه يعبر عن الربط السببي (أو من الأفضل : التعليلي) في (ب) ولكن ليس في (أ)، إذ يجب أن يستنتج السامع تارة أخرى من النص (أ) أن الواقعة المذكورة أولاً علة للثانية . وبهذه الطريقة يمكن أن تصير درجات مختلفة من الوضوح (التصريح) مهمة أسلوبياً . (من البدهي في حدود القواعد اللغوية : فلا يجوز أن يكون المرء صريحاً جداً أو غامضاً جداً أيضاً، لأن المنطوق في غير ذلك يصير أكثر إيجازاً أو غير متماسك، وهو ما يؤدي في كلتا الحالتين إلى درجة أدنى من المقبولية (Akzeptabilität) .

يرتبط بهذا النوع من الفروق الممكنة للأسلوب ارتباطاً وثيقاً تلك الفروق التي تقوم على التمام النسبي للمنطوق، بالنظر إلى الوقائع الموصوفة[٧] . وقد رأينا من قبل أنه يمكننا أن نصف حدثاً، لا نذكر فيه إلا الجوانب الأهم، ولكننا نسرد فيه أيضاً قائمة كاملة من التفاصيل، / تنحصر في ردود فعل مستخدم اللغة المقتضية ذلك . ويمكن اعتماداً على الموقف الاتصالي التعرف على الحد الأدنى والأقصى لهذا التمام (يمكن أن أحكي لزوجتي على سبيل المثال تفصيلات أكثر مما أحكي أمام غريبة) . بله الاختلاف الأسلوبي بينهما ممكن، وبعبارة محددة : الأول ممتد، والثاني مقتضب، ويمكن أن توصف الفروق الأسلوبية البارزة هنا بعد ذلك من خلال مفاهيم علم دلالة النص، على نحو ما عرضت بإيجاز في الفصول المؤخرة .

١٠٦

(٧) عالج فان دايك (van Dijk (1977a بإيجاز مفاهيم مثل (الوضوح (التصريح)، والتمام في أوجه الوصف ... الخ .

ومع ذلك يجب على هذا المستوى أن توضح مفاهيم حدسية، تتعلق بأسلوب النص، مثل « الوضوح » و « القصر » ... الخ . لذا يمكن أن ينسب إلى نص ما أنه بأسلوب موجز، حين تذكر وقائع كثيرة ما لزم ذلك وقليلةً ما أمكن ذلك، تلك التى تعد مهمة للتفسير والتفاعل (السياق) . ويجب أن يوفر الوضوح المعيار الأول بصفة خاصة والقيود الخاصة بنظام معين للمعلومة أيضاً، أى المقدمات فى استدلال ما أو الفرضيات المسبقة والجمل التى تشترط تلك الفرضية المسبقة .

إن الحالات التى تخترق فيها عمداً معايير دنيا محددة للتماسك والربط الدلالى ذات طبيعة خاصة لكى تحقق تأثيراً براجماتياً محدداً أو فى الأدب خاصة بوجه النظر إلى وظائف أدبية معينة، ففى القصة على سبيل المثال يمكن أن يوصف شخص ما « بشكل مبالغ فيه » بالنظر إلى أوصاف مقارنة فى الحكايات اليومية، بينما لا يتحقق فى صيغ محددة للشعر شروط التصريح الدقيقة غالباً ـ حيث يحول ذلك دون تفسير واضح أو متسرع . وفى حال كهذه ينبغى ألا يتحدث عن الأسلوب أكثر من الحديث عن سمات دلالية نمطية للاتصال الأدبى وإن عُيِّن ما يتميز به بوجه عام، أى بالنظر إلى الاستعمال غير الأدبى، ربما « من الناحية الأسلوبية » . فالأمر إذن لم يعد يتعلق باختلاف بين نصوص؛ نصوص لأشخاص محددين أو جماعات محددة، بل باختلاف أنماط النص .

وبينما تتعلق الأمثلة الواردة فيما سبق ببنية المعلومة الدلالية بوجه خاص (كيف يقال شىء ما) فإنه يتخطى بميزة التمام الحد إلى بعد تالٍ للاختلاف الدلالى (وهو ماذا قيل)، أى أن مستخدم اللغة له إمكانية اختيار محددة لقول أشياء محددة أو حتى عدم قولها، حيث يجب أن تتحرك هذه الاختيارات داخل حدود طبيعة براجماتية واجتماعية، بالتحديد من خلال الموقع والحالة والضابط ... الخ، إذ توجد حقاً ثقافات يتحدث فيها قليلاً بوجه عام، على حين يتحدث على العكس من ذلك كثيراً وبالتفصيل عن ثقافات

أخرى أو ثقافات لا يسمح فيها بالحديث للنساء أو الأطفال حتى سن محددة في مواقف بعينها أو أن فيها الموضوعات التي يمكن أن يتحدث من خلالها، / وهي تخضع لديهم لقيد محدد [٨] . ويسرى أيضاً ما يشبه ذلك على التفاعل بين الرجال والنساء، والزوجات والأزواج، والأسياد والعبيد والأطفال والبالغين .... الخ . ١٠٧

وفي هذا الفصل يتعلق الأمر بالحقيقة القائلة بأن فروقاً أسلوبية ممكنة بين النصوص يمكن أن تقدم بناءً على اختيار للتيمات أو موضوعات الحديث، أي : لأبنية دلالية كبرى . ومن ثم يمكن أن يبين ما يميز مستخدم لغة ما من خلال المجال وشيوع حقل التيمات وموضوعاتها التي تحددها تارة أخرى اهتمامات ورغبات واعية أو غير واعية ... الخ . ويعني علم الأسلوب من خلال وجهة النظر هذه، بصورة تقليدية، بتحليل الأسلوب، باستخلاص السمات الشخصية المميزة كما هي الحال على سبيل المثال في علوم الاجتماع . وبذلك نكون قد تجاوزنا مفهوم الأسلوب تقريباً . والحق أننا ما نزال نتحدث ببساطة على هذا النحو، فربما يميز أسلوب شخص ما أنه يتحدث أساساً عن النساء وسيارات السباق والمشروبات . ومع ذلك يتطلب مصطلح الأسلوب في استخدامنا العلمي له أن يظل شيء ما ثابتاً أو متكافئاً . ومن ثم يتطلب معيار يتحدد الأسلوب تبعاً له . وفي هذه الحال ربما يكون ذلك نصوصاً أو تيمات أحاديث « عادية » ترد باستمرار في مواقف محددة . ويلاحظ في الحال أن مصطلحات مثل معيار ومألوف وغالب وما أشبه تقوم لذلك باعتبارها علامات إشكالية - عرفية للاستعمال اللغوي تارة أخرى بوصف الأسلوب . ومن ثم لا ينشأ أي مسوغ لأن يقتصر مفهوم الأسلوب في تحليل الاستخدام اللغوي على ظواهر « سطحية »، مثل الصوت أو بناء الجملة أو اختيار اللفظ :

---

(٨) قارن حول الأساليب المختلفة للمحادثة في ثقافات مختلفة : جومبرز وهايمس Gumperz (eds.) & Hymes وباومان وشرتسر Bauman & Scherzer (eds.) (1972), (1974).

إذ يمكن إلى حد ما أن تختلف نصوص متفرقة أو أشخاص أو مجموعات فيما بينها من خلال المعنى والربط ومعالجة الموضوع (التيمة) Thematik أيضاً.

وأخيراً يتطلب البناء المنظم (النسقى) Systematik لنموذج الوصف اللغوى أن نسأل أنفسنا إلى أى حد يمكن أن نتحدث بصورة جادة عن الأسلوب البراجماتى للنصوص أو المحادثات أيضاً . ولما كنا قد تحدثنا عن إمكانات اختيار مختلفة للموضوعات فإنه يمكن أن يقال على نحو مماثل إن لمتحدث اللغة الاختيار ـ داخل القيود البراجماتية المعتادة للقبول فى السياق الوارد ـ الاختيار من أشكال مختلفة للأفعال الكلامية . وبادى الأمر توجد الإمكانية المتحدث عنها من قبل بين أفعال كلامية مباشرة وأفعال كلامية غير مباشرة، أى بين :

١٤ ـ (أ) نسيت ساعتى !

(ب) كم الساعة بالضبط ؟ أو بين :

/١٥ ـ (أ) لقد لمعت الأرضية للتو !

١٠٨

(ب) نظف حذاءك !

ويمكن كذلك أن يفرق بين المنطوقات فى المواقف التى يمكن أن تكون كلتا الإمكانتين مقبولة، كلٌّ حسبما تقدم طلبا أو أمراً، اقتراحاً أو نصيحة ... الخ .

ويبرز هنا ثانية السؤال عن الأساس المشترك إذن بالنسبة للاختلاف الأسلوبى، ففى الحال الماثلة سيحافظ على القصود والتتابعات المرتبطة بها مستمرة، على نحو : ينبغى أن يفعل السامع (ق) . ومن ثم فإنه فى حالة وجود قصد متفاعل محدد، يمكن للمتكلم أن ينتقى من أفعال كلامية ممكنة مختلفة فى سياق وارد، بحيث تكون النتيجة ـ فى حقيقة الأمر ـ فى كل

الحالات متطابقة . وتوجد فى الحقيقة فروق فى الاحتمال بناءً على الاختلاف الأسلوبى فى النصوص، بحيث يمكن من خلال ذلك أن تتحقق النتائج المرجوة . ومع هذا فإن ذلك فى الوقت نفسه يصور جانباً من الجوانب الأكثر جوهرية للبدائل (المتغيرات) الأسلوبية أيضاً، أى : أثر أو تأثير سمات مختلفة للأسلوب .

وبينما تختص البراجماتية فى الأساس بشروط تتعلق بكون منطوق ما فى السياق الوارد مناسباً (أو ملائماً) فإن الأسلوبية تتجاوزها بخطوة حيث توصف فيها قيود تتعلق بكون منطوق ما مؤثراً أيضاً، أى : يسهم بصورة مثلى فى تحقيق مواقف السامع وقصوده فى موقف بعينه .

وعلى الرغم من الفرق المنهجى بين موضوع البراجماتية من جهة وموضوع الأسلوبية من جهة أخرى فإن من الواضح أن كلا المنهجين يرتبط بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً . وفى أغلب النصوص لا تتبادل المتغيرات (البدائل) الأسلوبية (٥) و (٦) أيضاً ببساطة بعضها مع بعض . ومن هذه الناحية لا يوجد فرق فى التأثير فحسب، بل فى المناسبة أيضاً . ويؤدى هذا إلى أن شروطاً سياقية محددة، مثل التهذيب أو الحالة الاجتماعية للسامع الأعلى من حالة المتكلم، يبدو أنها تلعب دوراً من الناحية البراجماتية والأسلوبية أيضاً، وهو ما يعبر عنه فى المنطوق ذاته أيضاً .

بيد أن البراجماتية تقدم إيضاحاً حول : متى يعبر متكلم لغة ما عن زعم ورجاء ووعد ... الخ أو يمكن أن يعبر عنها، أى : تربط المنطوق بفعل كلامى . ولكن كيف يمكن أن ينجز نوع الفعل الكلامى ذاته على نحو مباين للغاية ـ كيف يمكن أن ينجز الفعل ذاته على نحو مختلف أيضاً ـ يتحقق ذلك من خلال المتغيرات (البدائل) الأسلوبية المختلفة . ومن البدهى أن هذا الاختلاف بالنسبة لنظرة وظيفية فى الظواهر اللغوية ـ عادة ـ ليس عرضياً . فكما قيل : يريد المتكلم أن يشكل فعله اللغوى بصورة مؤثرة بقدر المستطاع،

على نحو يغير فيه بدقة وجهة نظر السامع على نحو ما كان قصده فى الأصل : يرغب المتكلم أن/ يصدق السامع زعمه، وأن يأخذ رجاءه فى ١٠٩ الاعتبار، ويطمح فى الأغلب إلى أن يتم أيضاً رجاؤه أو توصيته أو اقتراحه نتيجة للتفاعل .

لن تتحقق تلك التغيرات لدى المتكلم ـ تغيرات المعارف والآراء والرغبات والتفاعل ـ من خلال ملامح الفعل الكلامى ذاته فحسب، بل من خلال خصائص محددة للفعل الكلامى أيضاً، كما أخبر عنها فى الفعل الكلامى المعنى . ولذا ينجز فى مواقف محددة طلب مصوغ « بأدب » بنجاح عن طلب مصوغ « بلا أدب »، وتقدم (١٢) أمثلة لذلك .

ومن زاوية التفسير لم يتكشف الكثير عما إذا كان للمتكلم موقف مهذب فى الواقع وإذا ما نبه إلى ذلك الموقف، بحيث يجوز للسامع أن يخمن أن المتكلم ودود . وإذا انطلق من هذا التخمين للسامع عن الموقف المتفاعل للمتكلم أو وجهة نظره فإن السامع يمكن أن يضمن هذا العامل فى اعتباراته التى تجعله آخر الأمر يتخذ قراراً يقبله المتكلم . وفى المواقف ـ حقيقة ـ التى يدرك أو يظن السامع فيها أن المتكلم يكن له موقفاً ودياً أو على الأقل طيباً، والعكس بالعكس، تكون طرق التعبير الأسلوبية الخاصة أقل ضرورة . ولذا يمكن بين الأصدقاء أو الأزواج أن يكون رجاء، مثل : اعطنى الجريدة . مناسباً بالتأكيد ومحايداً من جهة شرط الصداقة . ومن المعروف أن تلك الفروض المهمة للأحاديث اليومية تتغير فى مواقف يدخل فيها الأصدقاء أو الأزواج المذكورين فى شجار بعضهم مع بعض . ويمكن إذن أين يجاب عن ذلك الرجاء بـ : أحضرها بنفسك أيضاً .

٤ ـ ١ ـ ٨ تحدثنا فى مناقشتنا كثيراً عن وظائف (تأثيرات)

مختلفة للأسلوب، على سبيل المثال عن تغيرات خاصة بالسامع نتيجة للفعل الكلامى . بيد أنه قد اتضح أن هذه التغيرات لدى السامع تابعة لتخمينات حول خصائص المتكلم . ومن هذه الناحية لا يجب إذن أن يبحث عن وظائف الأسلوب من خلال التأثيرات أو النتائج فحسب، بل من خلال العلل أو الأسباب الخاصة بتغير أسلوبى محدد بوصفه تعبيراً عن خصائص محددة للمتكلم .

وهكذا فقد استقر أيضاً وصف تقليدى للأسلوب، يربط الأسلوب بوصف عام لمتكلم اللغة بعضهما ببعض . وقد تأكد هنا فرق بين الخصائص التى هى لمتكلم ما بصورة (شبه) ثابتة وتلك الخصائص التى تميز الموقف الاتصالى الفعلى فقط . فعلى سبيل المثال يمكن لشخص ما « جبلة » أن يكون غير ودود أو لا يكون غير ودود فى تلك اللحظة، ويسرى ما يشبه ذلك على عدم الصبر والأناة والتهذيب ... الخ أيضاً . فالأمر - فى الحقيقة - يتعلق بخاصية عامة لشخص ما من جهة، والسمات الخاصة بموقف اتصالى ومنطوق محدد من جهة أخرى ./ وعند وصف لغة ما لا يمكننا إلى حد ما أن نفرق بينهما . ١١٠

وسنرى فيما بعد أنه فى علوم النص الأخرى يعنى بالطريقة التى يمكن أن توجد المنطوقات وبخاصة أسلوبها سبراً لأغوار الخصائص المستمرة المندرجة تحتها الخاصة بمستخدم اللغة . وبذلك نصل إلى فرق ثانٍ فى خصائص مستخدمى اللغة التى تمثل شروطاً لمتغيرات (بدائل) أسلوبية - إلى السؤال بالتحديد عما إذا كانت هذه الخصائص عن قصد أو يمكن أن نتحكم فيها أم لا ؟ أما ما هو أكثر أهمية فهو هل يعد اختيار البديل الأسلوبى مقصوداً أم لا ؟ وغالباً ما ينطلق من هذا إلى أن سمات الأسلوب غير الجزافية وغير المتحكم فيها والتى لا يمكن التحكم فيها تؤدى إلى الاطلاع على خاصية المتكلم وشخصية، على سبيل المثال على الرغبات والمقاصد الخفية

خاصية المتكلم وشخصية، على سبيل المثال على الرغبات والمقاصد الخفية والمواقف والآراء . ويرغب المتكلم فى الحال الأخرى فى أن يلاحظ السامع، ما هى وجهة نظره (على سبيل المثال فى الصداقة) حيث يمكن أن يتحقق من خلال ذلك مقصد المتكلم (على سبيل المثال تحقيق رجاء) .

وبينما نتحدث عن أن حدثاً لغويا ما مناسب (ملائم) أو غير مناسب بالنظر إلى معارف المشارك فى الحديث ورغباته ومواقفه المحددة، يمكننا أن نتحدث عن أن منطوقاً ما أو فعلاً كلامياً ما مناسب (ملائم) أو غير مناسب بالنظر إلى عوامل موقفية أخرى، مثل موقف المتكلم من السامع .

لذلك نطلق على الحال الأولى السياق البراجماتى للمنطوق وعلى الحال الثانية السياق الأسلوبى للمنطوق . وبذلك يتشكل، كبناء أسلوبى، بناء من الشروط الموقفية المنظمة التى تحدد ملائمة (أو تأثيرية) المنطوق . وقد ذكرت من قبل أمثلة لمواقف مهمة أسلوبية : الصداقة والتكرم والصبر والتهذيب والأمان والغضب ... الخ . ومضاداتها أيضاً . وليس الموقفّ فى حد ذاته هو المهم وحده هنا، بل الموقف تجاه السامع بوجه خاص أيضاً، لأن هذا حاسم أخيراً بالنسبة لنوع التفاعل الاتصالى . فالسمات النفسية الدقيقة لهذه المواقف لا أهمية لها فى اللحظة الحالية، وكذلك العمليات الإدراكية (الاستراتيجيات ... الخ) التى تلعب دوراً فى إنتاج الأسلوب وتفسيره .

وتكمن المهمة الحقيقية للأسلوبية فى أن توصف علاقات نسقية بين السياق (الأسلوبى) المذكور، ومتغيرات (بدائل) البنية البراجماتية والدلالية والتركيبية والمورفولوجية - الفونولوجية/ المعجمية، للمنطوق . أما إلى أى حد يتطرق هنا إلى الحديث عن قواعد الأسلوب (فى الشكل التالى: إذا حققت ج البنية النحوية ح فإن هذه تعبر فى سياق س عن

الموقف ق) (*) فيمكن أن يترك هنا فى اللحظة الحالية بلا تفسير، إذ إننا لا نعرف بشكل مؤكد، هل يمكن لهذه القواعد أن تقارن مع القواعد الأخرى للنظام اللغوى . وعلى أية حال فسوف يفرق بين القواعد والاستراتيجيات فى الغالب؛ إذ إنه توجد قواعد للعب الشطرنج (بصورة صحيحة)، لكن توجد كذلك استراتيجيات محددة، أى استخدامات للقواعد تجعل شخصاً ما يميت الملك بسرعة، / ومن ثم توجد قواعد للتشكيل الصحيح للرجاء واستراتيجيات ١١١ لجعل شخص ما يرد على رجاء أو أمر أو توصية . فأسلوب النص الذى يقع فى › شكل ‹ و › مضمون ‹ جمل متفرقة، وفى › شكل ‹ و › مضمون ‹ نص كلى أيضاً، يبدو أنه يرتبط بتلك الاستراتيجيات الاتصالية ارتباطاً وثيقاً .

٤ ـ ١ ـ ٩ قد ناقشنا فيما مضى خصائص محددة للمتكلمين بصفة خاصة، وكمحددات فى السياق الأسلوبى، على سبيل المثال، المواقف أو الآراء بالنظر إلى السامع . بيد أنه يمكن مع ذلك أن يدخل المرء سلسلة كاملة من المقولات التى يمكن أن تكون محددة لتغير أسلوبى، وإليكم سرداً مؤقتاً لها:

(أ) أحوال خاصة (أحوال موقفية) للمتكلم (على سبيل المثال القلق، الغضب ...)؛

(ب) مواقف خاصة للمتكلم بالنظر إلى السامع (التهذيب، الاحترام ...)؛

(جـ) خصائص (شبه) ثابتة للمتكلم (خصائص الشخصية، مثل عدم الصبر، سلوك التحكم وما أشبه ...)؛

(*) يرمز ج إلى جملة (S) ، و ح إلى (G) بنية نحوية، و س إلى (K) سياق، و ق إلى (H) موقف .

(د) خصائص اجتماعية موقفية للمتكلم فى علاقته بالسامع (دور، موقف ... الخ)؛

(هـ) سمات اجتماعية (شبه) ثابتة للمتكلم (حالة، قوة ... الخ)؛

(و) نمط التفاعل/ الموقف/ التجمع الاجتماعى (المترو، الفصل الدراسى، الكنيسة، المكتب الخ) .

(ز) نمط المنطوق ووظيفة براجماتية (حديث يومى، إعلان، حكاية ... الخ)؛

(ح) موقف اجتماعى ـ اقتصادى (فئة، طبقة، ثقافة ...)؛

(ط) نمط الصيغة/ الوسيلة الاتصالية (شفهى، كتابى، خطاب، جريدة، تلفزيون ... الخ) .

(ى) موقف ثقافى ـ اجتماعى (عادات، تقاليد، أعراف) .

ويمكن أن نمضى فى صياغة هذه القائمة وتخصيصها، ومع ذلك فالأمر لا يتعلق إلا بعوامل موقفية متباينة للغاية يمكن أن تتحقق من خلال متغيرات (بدائل) أسلوبية . وعلى العكس من ذلك يمكن للسامع عند تفسير المنطوقات بناء على سمات الأسلوب أن يستنبط نتائج بالنظر إلى هذه العوامل، إلى جانب التفسير الدلالى ـ البراجماتى للمنطوق . ويمكن فى بعض المواقف أن يصير هذا التفسير الأسلوبى أكثر أهمية من التفسير الدلالى ـ البراجماتى : أى ليس ما قيل، بل كيف قيل يكون له الأهمية، ليس ما يريد المتكلم أن يعبر عنه أو ما يقصد إليه بمنطوقه، بل الخصائص/ السمات الأولية الأخرى للمتكلم التى تنبه إلى الأهمية الخاصة للسامع .

وينبغى فى الفصول التالية أن نميز هذه العلاقات فيما تميز بين الأسلوب وموقف الاتصال تمييزاً دقيقاً . ومع ذلك فالأمر يدور فى هذا

الفصل بوجه خاص حول بيان أن نصاً ما - إلى جانب بنيته النحوية -/ يمكن ١١٢ أن تكون له سمات بنيوية أخرى أيضاً، مهمة بالنسبة للتفاعل الاتصالى .

٤ - ٢ البنية البلاغية للنص

للبلاغة علاقة وثيقة بالأسلوبية بل إن كلاً منها يقع موقع الآخر أحياناً ولذلك تعد الأسلوبية المعاصرة من وجهات نظر عدة مكملة للبلاغة الكلاسيكية، التى لم تعد موجودة فعلياً كعلم مستقل منذ نهاية القرن التاسع عشر (٩) . وعلى العكس من ذلك كانت للبلاغة فى القدم وفى العصر الوسيط والعصر الحديث الكلاسيكى وظيفة مهمة إلى جانب «النحو» و «الشعر» و «الجدل» فبينما كان النحو يعد «فن الكلام الصحيح ars recte dicendi (loquendi) كانت البلاغة تعد «فن الاستخدام الجيد ars bene dicendi (loquendi scribendi)) . (*) وهكذا فالبلاغة لها فى الأصل، كما يبين الاسم، أهمية خاصة بالنسبة إلى خطاب الخطيب أمام المحكمة أو فى الاجتماع الشعبى .

ولذا عدت السمات «الجيدة» كيفاً للخطاب كامنة أيضاً فى تأثيره بإقناع القاضى أو الحزب المعارض . ونواجه تلك «العمليات الاستراتيجية» عند تخصيص متغيرات (بدائل) أسلوبية، حيث يعبر من خلال ذلك أيضاً عن المكونات المشتركة للبلاغة والأسلوبية الحديثة .

إن الأمر فى البلاغة يتعلق بصورة موجزة للغاية باستعمال واع

---

(٩) المرجع الأوفى بلا شك فى البلاغة الكلاسيكية هو كتاب لاوسبرج Lausberg (1960) .

(*) أطلق علماء العصور الوسطى اللاتينية على النحو والجدل والبلاغة مصطلح TRIVIUM ، وعلى الموسيقى والحساب والهندسة والفلك مصطلح Quadrivium ، وهى جميعاً تمثل الفنون السبعة المعروفة آنذاك .

وهادف ومحل لمعارف جمهور المستمعين وآرائهم ورغباتهم من خلال سمات نصية خاصة، أو الطريقة التى يتحقق من خلالها هذا النص فى الموقف الاتصالى .

ومن ثم لا يتعلق الأمر فى البلاغة بتحليل استخدام لغوى بوصفه منطوقاً (غير عشوائى) تابعاً للعوامل الموقفية المذكورة فى ٤ - ١ - ٩ وبخاصة العوامل الخاصة بالمتكلم الذى عدت وظيفته جزءاً من الأسلوبية .

ونظراً لأنه يمكن أن توضع فروق منهجية (نظامية) أخرى بين موضوع الأسلوبية وهدفها وبين موضوع البلاغة وهدفها أيضاً، فإننا سوف نورد أيضاً متبعين فى ذلك التطور البارز منذ عشر سنوات، صيغة حديثة للبلاغة، يطلق عليها غالباً ، البلاغة الجديدة ، أيضاً، غير أنه سيرمز إليها هنا بالاسم القديم [١٠] .

٤ - ٢ - ٢ على الرغم من أنه ليس من السهل (وربما من غير المجدى نهائياً أيضاً) فصل البلاغة عن الأسلوبية والبراجماتية، فصلاً دقيقاً، فإنه يمكن أن يقال إنها تعالج مجموعة من الظواهر وخصائص النص/ معالجة خاصة، وهى تلك التى لها طبيعة مغايرة إلى حد ما باعتبارها متغيرات (بدائل) للاستعمال اللغوى التى أطلق عليها متغيرات (بدائل) أسلوبية .

١١٣

لقد تبين فى المقام الأول أن الأسلوبية المدروسة يمكن أن توصف فى مقولات النحو والبراجماتية وقواعدهما فى الغالب : فالأمر يدور - انطلاقاً من

---

(١٠) ترجع الصيغة الأحدث للبلاغة إلى دوبوا وغيره Dubois (1970) . حول نظرة عامة فى تطور البلاغة القديمة وأشكالها المعاصرة قارن Communications, 16 (1970) ، و كوبرشميت Kopperschmidt (1977) ، وأودنج Ueding (1976) ، وبالنسبة للبلاغة الحديثة فى أمريكا قارن شتاينمان Steinmann (ed.) (1967) وغيره . أما البلاغة الروائية لبرلمان فهى علم للجدل، قارن الفصل التالى .

ظاهر النص ـ حول الاختيار المميز لوحدات معجمية وأبنية نحوية وعلاقات دلالية ... الخ .

فالأسلوب من وجهة النظر هذه هو شكل (نمطى) من الاستخدام اللغوى بمفهوم دقيق أيضاً، أى نهج النظام اللغوى كما يفسره النحو . ومع ذلك توجد إلى جانب ذلك أبنية نصية، يجب أن توصف من خلال مقولات وقواعد ذات طبيعة أخرى، وإن تعلقت بوحدات نحوية أيضاً . ونطلق على الأبنية الخاصة أبنية بلاغية، ففى بطون الكتب المدرسية فى عصرنا حافظت فى مستوى محدد للوصف البلاغى ما تسمى بصور الأسلوب خاصة (Figurae) على ذيوعها، وحصرت البلاغة أحياناً دون مسوغ فى إطار النظر فى تلك الصور وطرق إجرائها فقط .

ويبرز فرق ثان بين البلاغة والأسلوبية فى الحقيقة القائلة بأن البلاغة لا تدرس أبنية مميزة فى مجال الجمل أو تتابع الجمل فحسب، بل البنية العامة للنص أيضاً . فهى إذن تقدم قواعد ومقولات لتقسيم أنماط نصية محددة، أى الخطاب أو الحجاج، إلى أجزاء وظيفية ونظام ممكن لهذه الأجزاء . وليست هذه البنية العامة هى نفسها دائماً مثل البنية الدلالية الكبرى التى فصلناه فى فصل متقدم، ولكنها يمكن أن ترتكز عليها . وسوف نقدم أبنية عامة مختلفة من خلال مثال أنماط محددة (للحكى) فى الفصل التالى، بحيث نقتصر هنا ابتداءً على مميزات نصية بلاغية فى إطار الجملة والتتابع.

ويمكن أن يتشكل موجز إجمالى إلى حد ما للعلاقات بين الأسلوبية والبلاغة على النحو التالى : قد تركنا مع البلاغة الوصف النحوى للنصوص بمفهوم ضيق، ولذلك يجب أن ندخل مصطلحات بلاغية جديدة للوحدات والقواعد الخاصة، وكما يمكن أن ينطلق من هذا بوجه عام إلى أن أبنية بلاغية ما تقوم على أبنية نحوية، يمكن مع ذلك أن تكون لمتغيرات

(بدائل) أسلوبية محددة وظيفة بلاغية أيضاً، بوصفها جزءاً من الأبنية التى يستهدف من خلالها تحقيق تغير لدى السامع تغيراً مؤثراً . وبينما تظهر الأسلوبية لذلك أشكالاً لغوية مختلفة من وجهة نظر نحوية، وتربطها بخصائص السياق الأسلوبى، مثل الموقف والرأى والشخصية والعوامل الاجتماعية فإن البلاغة بناءً على ذلك تعرف أبنية أخرى بأنها أبنية مميزة، بل يوجهها بالأحرى عنصر كيفى، فيكون النص بناءً على ذلك مؤثراً تأثيراً أمثل . ومن ثم لا تكمن الأهمية فى الموقف إلا بقدر محدود، وفى القصود الاتصالية للمتكلم إلى حد كبير، / وبالتحديد فى التغير الذى ينشده لدى السامع . ١١٤

ومن هنا فإن « التلاؤم (التناسب) Adaquatheit يعد مصطلحاً أساسياً للأسلوبية، بينما يدور الأمر فى البلاغة حول تأثير (أمثل) للمنطوقات : فالمنطوق لا يجب أن يكون صحيحاً أو مناسباً فى مواقف محددة فحسب لكى يبدو مقبولاً، بل يجب أن يكون مناسبا تماماً لكى يقبل حقيقة على أنه قيد لحدث تالٍ أيضاً . ولم تتكشف بعد بالتأكيد بهذه المحاولة الأولى كل العلاقات بين علمين يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً (أوجه الاتفاق والاختلاف) . ومع ذلك نبقى على عموم النقاش هذا هنا؛ ولن نتحدث فيما يلى إلا عن الأبنية البلاغية الخاصة .

٣ ـ ٢ ـ ٤ إن اقتراح بلاغة حديثة يمكن أن يكون بلا جدوى ما دامت لم تؤخذ فى الاعتبار أهداف البلاغة الكلاسيكية وتصنيفاتها ومبادئها التى كان لها مستوى مذهل عند السفسطائية . وإذا كان من غير الممكن تقديم نظرة عامة عن البلاغة الكلاسيكية فى مساحة ضيقة فإننا نجتهد هنا مع ذلك لتقديم مجموعة المبادىء الأساسية لوصف بلاغى خاص للنص .

لا تتسم البلاغة الكلاسيكية بأنها نظرية إلا بقدر محدود، أى : بأنها علم (epistèmè, scientia)، بل بأنها وصفية - معيارية على الأرجح، أى : بأنها فن أو مهارة (techné, ars) . ومن ثم فإن قواعدها هى بالأحرى أشبه بالأحكام بالنظر إلى خطاب أو حديث مثالى . فقد حال فن الكلام (الخطاب) Redekunst ، (*) بنظرة خاصة إلى وظيفته فى السياق القانونى لقضية ما برغم أن الأحكام تسرى على أوجه خطاب أخرى أيضاً، كما فى الاجتماع الشعبى أو خطة تقريظ (مدح) ، وكما اتضح مما تقدم تعنى البلاغة بوجه خاص بالتغير فى القيود التى يمكن على أساسها أن يتغير موقف محدد، وفى الغالب وجهات النظر وتقديرات القاضى أو الجمهور . ومن ثم تعود الطبيعة الإقناعية أساساً إلى البلاغة .

والحق أنه من أجل هذا التفاعل الإقناعى الاتصالى قد أوليت بنية النص (الخطاب) نفسه عناية خاصة، بل إن الجوانب الأخرى للقضية (العملية) الكلية قد روعيت أيضاً . على سبيل المثال مراحل محددة فى أثناء العثور على الفكرة (التيمة) المناسبة (inventio) ، واختيار موضوعات محددة وتنظيمها داخل بناء التيمة (dispositio) وبناء (أسلوب ... الخ) المنطوق ذاته (elocutio) والطريقة التى يعرض من خلالها (pronuntiatio) والاستراتيجيات والأبنية الإدراكية فى الذاكرة أيضاً (memoria) (مع الكلام المحفوظ) .

ويهتم فى هذا الفصل بالبنية البلاغية للنص ذاته فى المقام الأول، بينما نرجىء معالجة الأبنية العامة (البلاغية وغيرها) للنص إلى الفصل التالى مختتماً الوصف النصى بها .

(*) ثمة أسباب كثيرة رجحت أن أترجم هذا المصطلح كما ورد فى المتن، برغم ميلى إلى عبارة العلامة الشيخ أمين الخولى المناسبة لهذا المصطلح وهى « فن القول »، وترجمة بعض الباحثين لها بفن الخطاب . وهى مناسبة أيضاً فى هذا السياق .

٤ - ٢ - ٤ من شأن الطبيعة المعيارية للبلاغة أن القواعد التى تسرى على بنية النص يجب أن تتبع مجموعة من/ معايير عامة، تحدد ١١٥ ›صلاحية ‹ النص . وقد واجهنا عدداً من هذه المعايير، حين ناقشنا مصطلحات حدسية محددة للأسلوب مثل الوضوح والشفافية، إذ ترد هذه المبادىء الأساسية فى أعمال حديثة حول تفاعلات اتصالية أيضاً . ويجب كذلك أن يكون الاستخدام اللغوى › نقياً ‹، أى : يوجد متوائماً مع النحو السائد وأعراف الاستعمال اللغوى الأخرى . وفضلاً عن ذلك يجب أن تراعى معايير الجمهور وقيمهم .

ويدور الأمر إلى جانب تلك المعايير المصوغة بصورة غامضة إلى حد ما داخل هذا الجزء « البناء (بناء البنية البلاغية) » بوجه خاص، حول ما يطلق عليه عادة « رشاقة » الكلام، سواء بالنظر إلى الموضوعات المعالجة أو فى الاستعمال اللغوى ذاته أيضاً . إنها الأبنية البلاغية التى يلزم أن تسعى إلى هذا التزيين (ornatus) قبل أى شىء، وهدفها العملى هو أن تحرك الجمهور وتثيره . ومن ثم فقد اتضح تقريباً بشكل بدهى أن هذا الجزء بصفة خاصة من البلاغة قد وجد مدخلاً إلى الشعر بسرعة كبيرة بوصفه مميزاً للعمل الفنى الأدبى . وعلى نحو لا مبرر له تعرض هذا الموضوع أحياناً للاتهام، حين اشتمل النص الأدبى بشكل إضافى على هذه الأبنية الخاصة، ونسى بذلك أن لها وظيفة اتصال أكثر عمومية، ويمكن أن ترد فى أنماط نصية شديدة التباين . وكما لوحظ تقوم الأبنية البلاغية على أبنية نحوية . ومن الأهمية كذلك أن تؤسس قواعدها النظامية (النسقية) Systematik على المستويات العادية المختلفة، مثل : الفونولوجيا والمورفولوجيا والمعجم والنحو والدلالة . فيتضح إلى جانب ذلك › مجال ‹ الأبنية البلاغية أيضاً، وهو مجال اللفظ والمركب والجملة والتتابع والنص . ويعنى علم الدلالة الكلاسيكى بوجه

خاص بالكلمة والمركب، على حين لم يول نحو الجمل الكاملة والتتابعات ودلالتهما إلا أهمية ضئيلة (التأليف compositio) .

٥ ـ ٢ ـ ٤ تتميز الأبنية البلاغية بوجه عام بمجموعة من العمليات الأساس، التى تعمل فى المستويات المذكورة آنفاً، وداخل الوحدات الواردة فيها، وهى :

(أ) الإضافة Hinzufügung

(ب) الحذف Auslassung

(جـ) النقل Umstellung

(د) الإحلال Ersetzung

ويمكن أن تحدد فى الأساس من خلال عمليات الأساس (Basisoperationen) تلك تغيرات أخرى فى البنية أيضاً (تحويلات Transformationen) ، مثل التكرار، على حين يمكن على العكس من ذلك أن تحدد عملية الإحلال أيضاً بأنها حذف عنصر ما وإضافة عنصر ما . وترد هذه العمليات التى لم تحدد إلا بالنظر إلى الأبنية النحوية فى علم اللغة التوليدى التحويلى أيضاً . ومع ذلك قد تكون/ العمليات البلاغية الواردة آنفا ١١٦ فى حد ذاتها غير نحوية وإن أجريت على وحدات ومستويات نحوية أيضاً . ويمكن أن تفسر العمليات بطريقتين؛ ابتداءً بوصفها عمليات نظرية مجردة لوصف أبنية محددة وعلاقاتها فيما بينها، ثم بوصفها ، إجراءات إدراكية Kognitive Prozeduren ، محددة لإنتاج المنطوقات وتفسيرها التى تشتمل على هذه الأبنية البلاغية . وفى هذا الفصل نعنى بالطريقة المجردة لوصف البنية . ويتحدد كذلك إلى مدى تنفذ هذه العمليات وفى أى موقع، وعلى أى نظام، مثلاً هل فى بداية وحدة بنيوية محددة أم فى وسطهما أم فى نهاياتها .

إن مخرج العمليات، أى : الأبنية البلاغية، يمكن أن يكون نحوياً أو غير نحوى، وفى الحال الأول تلحق (الأبنية البلاغية) بنية إضافية بالمنطوق النحوى كذلك، وفى الحال الثانية يمكن أن تتغير بنية نحوية «عادية» تغيراً شديداً بطريقة خاصة . ويكمن الفرق بين الأبنية النحوية البلاغية والأسلوب فى السؤال التالى : إلى أى مدى تطبق العمليات البلاغية المذكورة أو لا تطبق .

أما كيف يمكن أن يستنبط فى نظرية لغوية أكثر عمومية الربط الدقيق بين الأبنية النحوية من جهة والأبنية البلاغية من جهة أخرى فى نموذج توليدى فهو أمر لا يمكن أن يعالج فى هذا الموضع بتفصيل (١١) . وإذا أردنا أن تنتج بنية تكرار استهلالى Alliterations - Struktur فإن مخطط التماثل الصوتى يوفر اقتصاراً على الاختيار المعجمى (أى : اختيار الكلمة) بحيث تشترط الإضافة البلاغية الخاصة بالقصر الفونولوجى فى هذه الحال عملية نحوية للاختيار المعجمى . ينبغى أن توضع فى الاعتبار هنا أمثلة أخرى لهذا النوع من الإلحاق المتبادل للعمليات البلاغية والنحوية .

٤ ـ ٢ ـ ٦ ثمة مشكلة أخرى جديرة بالانتباه إليها . ومع ذلك لا يمكن أن يتحدث عنها هنا بصورة جذرية أيضاً، ألا وهى مشكلة الأساس التجريبى للعمليات البلاغية . ويمكن كقيد عام لذلك أن يؤكد المرء أن الأبنية البلاغية والأبنية النحوية تقوم على قواعد عرفية أيضاً . هذا يعنى أن : مستخدمى اللغة يعرفون تلك القواعد ضمنياً ويتمكنون منها ويستخدمونها أساساً عند إنتاج المنطوقات وتفسيرها . ولا شك أن لعدد كبير من الصور

---

(١١) حول العمليات الموصوفة هنا، التى يمكن أن يختص بها الأدب أيضاً، قارن فان دايك van Dijk (1972a) ، وبلت Plett (1975) ، وحول الاستعارة قارن فان دايك وبتوفى van Dijk & Petofi (eds.) (1975) وفان دايك van Dijk (1975a) أيضاً .

البلاغية (انظر فيما يلى) من البلاغة الكلاسيكية هذه الطبيعة العرفية .
ومن ثم نشأت لها فى الغالب أسماء خاصة أيضاً . ومع ذلك فإن لنظام العملية/ طبيعة إنتاجية، تجعل فى حد ذاتها عدداً لا نهائى من الأبنية البلاغية ممكناً . وفى الحقيقة توجد هنا قيود امبريقية إدراكية : فحتى تكون فى حد ذاتها مدركة أيضاً ـ يجب أن تفى الوحدات والعلاقات ـ القوافى مثلاً ـ بقيود تقوم من جهتها على الإمكانات الإدراكية للاستيعاب . ١١٧

ويجب إلى جانب ذلك أن نتساءل : كيف تكتسب تلك القواعد البلاغية فى إطار جوانب اجتماعية ونفسية ؟ هل سنتعلمها أو ستمكن منها ـ بصورة صريحة أو ضمنية ؟ أو بصورة أعم : ما الأبنية البلاغية التى تستخدم فى الحقيقة بصورة مطردة فى الاستعمال اللغوى » العادى «؛ من أى مستخدمى اللغة وفى أى أنواع من المواقف ؟

ثمة مشكلة تنطوى على تضمينات تجريبية ونظرية أيضاً وهى تحديد أبنية بلاغية خاصة . ويمكننا أولاً أن نتحدث عن أبنية خاصة، تضاف إلى الأبنية النحوية حين يكون الأمر بصدد اطراد معين ومحدد عرفياً، ومن ثم ليس عرضياً . ويستلزم هذا فيما يستلزم أن لدينا ضمنياً (فى الاستعمال اللغوى) وصراحة (فى نظرية النص) فروضاً محددة حول معايير وقواعد غير بلاغية، يمكن أن تتحدد استناداً إلى الأبنية البلاغية . وحين يكون فى صحيفة ما على سبيل المثال لكلمتين متواليتين صوامت المطلع ذاتها عرضاً، فإننا لن نتحدث مع ذلك من خلال وصف النص ضرورةً عن بنية بلاغية (تكرار استهلالى) . وينتج عن ذلك أن فروضاً عن مقاصد المتكلم وأنواع النص ووظائف النص الإدراكية تلعب دوراً عند تخصيص أبنية بلاغية . ولذلك يحتاج لوصف أسلوبى وبلاغى إلى توضيح مفاهيم مثل » معيار «، و » استعمال لغوى محايد «، وما أشبه، بناءً عليها ينبغى أن توصف المتغيرات (البدائل) الخاصة للأسلوب والأبنية البلاغية .

ولذلك يجب مرة أخرى أن يركز على الأبنية الأسلوبية والبلاغية التى تحمل عند وصفها وإدراكها دائما معنى نسبياً، استناداً إلى ما يصلح فى موقف محدد بالنسبة لمتكلم أو سامع محدد، وبالنسبة لنمط نصى محدد ... الخ، بوصفه معياراً عرفياً (مرتبطاً بالقاعدة) أو بوصفه معياراً محتملاً (وهذه هى الحال غالباً) . ونمس بتلك الأفكار المشكلات المهمة، بخاصة ذات الطبيعة المنهجية حول العلاقات بين المعرفة ، المثالية ‹ لأنظمة لغوية أو علاماتية أخرى من جهة والاستعمال الفعلى لتلك الأنظمة والفروض الحاصلة من هذا الاستعمال من جهة أخرى .

وكما أنه لا يمكن أن تناقش هنا العلاقات الدقيقة بين القواعد. الأبنية النحوية والبلاغية إلا بصورة محدودة، فإنه يمكن إلى حد ما أن تقدم أيضاً الحالة الفعلية لقواعد / أبنية بلاغية فى مقابل أنظمة علاماتية أخرى (أدبية وجمالية ومرئية وشكلية ... الخ) . ولذلك نقتصر لوصف نصوص لغة طبيعة على الأنظمة والأبنية المهمة .

٤ ـ ٢ ـ ٧ يمكننا الآن مع الأفكار العامة الواردة فيما سبق حول تأريخ البلاغة ونظامها، وبخاصة حول نوع العمليات التى تعد أساساً للأبنية البلاغية (على مستوى الجمـ - والتتابع) أن نقدم سلسلة من الأمثلة لتلك العمليات . ويفرق من خلال الإرث اللغوى بين العمليات التى تتعلق بالكلمة المفردة وتلك التى تتعلق بتكوينات لفظية . ومع ذلك فإن تلك الفروق على الأقل فى سلسلة من الحالات ذات إشكالية، إذ يقال من وجهة نظر سطحية إن الاستخدام المرادف هو إحلال ـ أو تبديل ـ لفظة ما، وأن قافية ما تتطلب على الأقل عدة كلمات، ولكن حين نستخدم على سبيل المثال صوراً، وربما أشهرها الاستعارات يصير هذا الفرق فى الواقع أكثر صعوبة . وحتى حين يدور الأمر حول إحلال كلمة محل كلمة مستخدمة استخداماً استعارياً فإن هذا ١١٨

لا يصح إلا فى سياق استعارى خاص للغاية . وبعبارة اخرى : إن الاستعارة فى حد ذاتها لا تدرك ولا توصف ولا تفسر إلا مقارنة بمنطوقات فى جملة أو قطعة نصية . فإذا كان من الممكن أن تكون متضدة ومائدة فى نصوص ومواقف محددة مترادفتين فإن هذا لا يسرى بالتأكيد على نصوص أخرى وسياقات أسلوبية أخرى . ولذلك فإن التحويلات البلاغية محددة سياقياً؛ ومن ثم يمكن أن يقال إن عنصراً أو عدة عناصر من بنية محددة تعتورها عملية ما مقارنة بعناصر أخرى فى هذه البنية، كما هى الحال أيضاً بمفهوم نحوى صارم مع مترادفات كثيرة (على سبيل المثال : أحبك ←—— أميل إليك) .

ويستنتج من ذلك أنه يجب أن يقوم النحو البلاغى الجاد على تآليف لفظية (ربط الأفعال (in verbis conjunctis) ، وأن كل العمليات تقع حقيقة تحت المفهوم الكلاسيكى للصور، كما هى معروفة تقليدياً تحت مصطلح «الصور الأسلوبية »، وفى نظرية الأدب البنيوية تحت « الحيل الخفية » (١٢) . وهكذا تقوم نظامية الصور أو الأبنية البلاغية على البارمترات (المعايير) الآتية :

(أ) مستوى (الفونولوجيا، المورفولوجيا/ المعجم، النحو، الدلالة) .

(ب) نمط العملية (الإضافة، الحذف، التبديل، الإحلال) .

(جـ) مجال العملية (الوحدات المعنية) .

(د) قيود أخرى للعملية (المكان، الشيوع .... الخ) .

ودون أن نسرد التصنيف الكامل للبلاغة الكلاسيكية إلا نحو تقريبى أيضاً، يمكننا أن نقدم الأجزاء التالية من النظام :

---

(١٢) يرجع مفهوم « حيل فنية » ذات وظيفة أدبية على نحو أقل من الوظيفة الجمالية فيما يرجع إلى الشكلية الروسية (وبخاصة عند المنظر الروائى (شكلوفسكى Sklovski)، قارن أيضاً إيرلش (1955) Erlich لنظرة عامة، وستريدر (1960) (.Striedter (ed للنصوص .

أولاً : أبنية مورفو- فونولوجية :

I - الإضافة

١ - (تكرار) مطابق :

(أ) فونيمات (وحدات صوتية) :

i - حركات : جناس [سياق : نبر، حد المورفيم] .

ii - صوامت : تكرار استهلالى [بداية الكلمة .... الخ] .

(ب) مجموعات فونيمية :

ii - حركات/ صوامت : أنواع تقفية مختلفة .

[نبر، موقع، موزون/ غير موزون ... الخ] .

(جـ) مورفيمات : تضعيف :

[موقع فى الجملة وفى تتابع جملى أو بنية موزونة] .

٢ - شبه مطابق :

مثلاً : تكرار المفردات التى لها جذر واحد .

٣ - غير مطابق :

(أ) مورفيمات : عد ... الخ [مقولة نحوية مماثلة] .

II - الحذف

(أ) فونيمات (وحدات صوتية) :

i - حركات:حذف [غير منبور، بنية موزونة أو لغة منطوقة] .

ثانياً : أبنية نحوية :

(أ) إضافة :

أ - (تكرار) مطابق : توازٍ .

ب - حذف : اجتزاء، ربط بالمحمول، تركب دون رابط [سياق نحوى مطابق أحياناً : نحوى / غير نحوى] .

جـ ـ تبـديل : قلب، انحـراف [مـوقع فى الجـملة : نحـوى/ غـيـر نحوى].

ثالثاً : أبنية دلالية :

(أ) الإضافة :

١ ـ مكونات دلالية : تصاعد (متسلسل)، مبالغة .

٢ ـ وحدات معجمية : تراكم، تباعد [مطابق/ تكرار] .

٣ ـ مجموعات لكسيمية : تخصيص، تصحيح، تحديد، مقارنة، وصف .

(ب) الحذف :

١ ـ مكونات دلالية : لا تصاعد، بساطة .

٢ ـ وحدة معجمية/ مجموعات لكسيمية : اجتزاء (دلالى) .

(جـ) التبديل :

جملة/ قضية : تخصيص فرضيات مسبقة متأخراً، قطع نظام حكى طبيعى (حكاية خرافية فى مقابل موضوع (فنى) (*) [قارن الفصل الخامس]) .

(د) الإحلال :

١ ـ مكونات دلالية/ وحدات معجمية : استعارة، كناية، تهكم [تطابق دلالى، علاقة ... الخ] .

/ إضافة : مبالغة (قارن ثالثاً أ ـ ١ و ب ـ ١) .

/ حذف : بساطة .

٢ ـ قضايا : قطع علاقات الربط/ الترابط، انحراف .

(*) يعنى مصطلح (Sujet) موضوع ، مادة عرض فنى وبخاصة للشعر، ومن ثم لم أر ترجمتها بمصطلح موضوع كافياً فأضفت إليه (فنى) .

يدور الأمر مع السرد المجزأ لسلسلة من الصور التقليدية للأسلوب [١٢٠] بدرجة أقل حول تقديم وصف مرضٍ أكثر من بيان ما المستويات الممكنة والعمليات والقيود الأخرى التى نشأت لوصف أبنية بلاغية (ومن ضمنها التقليدية) .

وربما جعلت العمليات من خلال أنظمة وزنية مطردة كلية (مثل القافية) والعمليات الدلالية بصفة خاصة، مثل : الاستعارة، التحديدات الأخرى المستفيضة للغاية للقيود والسياقات الخ أمراً ضرورياً، وهو برغم ذلك ليس هدف هذا الكتاب ولا هذا الفصل .

وتعالج مجموعة من عمليات لا حد لها، ذكرت من قبل فى الفصل التالى . وفى الوقت نفسه تحتاج مجموعة كبيرة من العمليات النحوية (الاجتزاء أو الربط بالمحمول، بل استخدام كلام مباشر أو غير مباشر، مثل الكلام المعايش .... الخ أيضاً) بخاصة داخل نحو الجملة، إلى توضيحات أكثر دقة، وهو ما يتجاوز أيضاً إطار هذا الكتاب .

٤ ـ ٢ ـ ٨ على الرغم من أن الأبنية البلاغية لا ترتبط أساساً بجمل، فإنه يمكن أن نرى أنه فى حالات كثيرة وفى البلاغة الكلاسيكية أيضاً، يتم الوصف فى كلمات أو مجموعات من الكلمات، أى من خلال مصطلحات نحو الجملة . وبالنسبة لنا نعنى بوجه خاص بوصف النصوص، وإن كان الوصف على مستوى الجمل جزءاً مكملاً له . ولذلك سنولى تلك العمليات البلاغية اهتماماً محدوداً، يتجاوز حدود الجملة، أى : مميزاً للتتابعات الجملية، وسوف تناقش الأبنية العامة للكل النصى فى الفصل التالى .

ويمكن أن تكون كل العمليات البلاغية تقريباً فى الأساس متجاوزة حدود الجملة مؤثرة . ومن البدهى أن تستثنى من ذلك العمليات التى تتعلق

بنحو الجملة (الربط بالمحمول تقريباً) . بيد أن الجناس والقافية والتضعيف والاجتزاء والانحراف ... الخ يمكن أن تمتد كثيراً إلى جملتين وأكثر من جملتين، وفي الواقع ليس دون القيود (الإدراكية) التي ذكرت من قبل بوجه عام بالنسبة للأبنية البلاغية .

وتوجد كذلك عمليات تتطلب حقيقة حد الجملة أو على الأقل حد الجملة المتضمنة، على سبيل المثال الصورة التي يجب أن تكون فيها الكلمة الأخيرة في جملة ما مطابقة للكلمة الأولى من الجملة التالي أو يجب أن تتطابق كلمات المطلع مع كلمات الخاتمة (Epiphora, Anapher) . أما العمليات الأكثر أهمية فهي تلك العمليات التي تُشَكل فيها العلاقات بين الجمل الأساس للعمليات البلاغية . ويقدم التوازي النحوي مثالاً تكون فيه الأبنية النحوية لجمل متعاقبة متطابقة على الأقل (مع قيود أخرى، كالطول وتعقد المقولات المتناظرة) ، أي كالتقنية التي يستخدمها النص التالي في إعلان صحفي عن فيات ١٢٧ لوسّو :

(١٦) ›› لهـا موتور سعة ٤٧ حصان بمعيار الصناعة الألمانية DIN(*) ١٢١

تصل بسهولة إلى ١٤٠ كم/ في الساعة و

لها غطاء أمان (....) ‹‹

وفي العادة يأتي ذلك التوازي النحوي بتطابق معجمي/ دلالي أيضاً أو تواز معجمي/ دلالي معه، مثل تكرار الضمير (هي) التي تشير إلى المحيل النصي ذاته، وهي فيات ١٢٧ لوسو .

ما يستحق الملاحظة أن تلك الأبنية لافتة للنظر (مثل التكرار في هذه الجملة) . ويمكن فيها أو في سياق آخر (حكي يومي) ألا يكون التكرار

(*) DIN مختصر يعني : Deutsche Industrie _ Norm وترجمته كما ورد في المتن . و P S اختصار Pferd _ Strecke وترجمته كما ورد في المتن أيضاً .

فى المخطط ضمير فعل مساعد/ فعل كما فى (١٦)، ليس بصفة خاصة، ومن ثم يصعب أن يجرى مجرى بلاغياً أيضاً : فحين تسرد مجموعة من خصائص الموضوع فإنه يمكن ابتداءً أيضاً أن تتوقع تلك البنية . ويكمن ما هو أدق فى حقيقة الأمر فى أننا ـ بخاصة فى اللغة المكتوبة ـ نعرف مجموعة من القيود التى تسن تنوعاً محدداً (أسلوبياً أو غير ذلك) أو أن ينشأ تنوع يمكن مقارنته عرضاً . ويمكن أن تجرى أبنية بلاغية كتلك على أساس تلك القواعد وأوجه اطراد القواعد والأحكام الخاصة بالاستعمال اللغوى اليومى .

إن العلاقات بين الجمل، كما رأينا فى الفصل السابق إلى جانب العمليات النحوية المذكورة فى التتابعات الجملية، هى مجالات الدلالة والبراجماتية بوجه خاص . ويمكن هنا أيضاً أن تعزا إلى الأبنية القائمة أبنية خاصة أو انحرافات منظمة عن قواعد دلالية مألوفة . ويمكن أن يتصل ذلك فى هذه الحال بقواعد الربط والتماسك للمحور/ والتفسير، والمعيار وهو ما يتصل بالدلالة، وبعلاقات بين أفعال كلامية وهو ما يتصل بالبراجماتية .

ويمكننا بذلك على مستوى القضايا أن نشكل العمليات الدلالية التالية :

الإضافة ١ ـ تكرار القضايا .
٢ ـ معلومة زائدة، إطناب .
٣ ـ اتساع (انحراف) .

الحذف ١ ـ للفرضيات المسبقة .
٢ ـ للتتابعات (المتوقعة) .
٣ ـ للقضايا ـ العناصر، مثلا :
ـ المحمولات .
ـ الأدلة .
ـ الأسوار/ الأدوات .

- تعبيرات (موجهة) صيغية .

٤ - قطع الربط/ شبه الربط .

(لا توجد علاقات بين الوقائع) .

٥ - قطع التماسك . ١٢٢

- لا ، موضوع ، (بنية كبرى) .

- تبادل للتيمات غير جائزة .

- لا تطابق إحالى .

- لا علاقة بين عوالم (ممكنة) .

٦ - انحراف عن توزيع المحور/ التفسير ـ المعلومة .

٧ - تبادل المعيار .

الاستبدال ١ - فرضيات مسبقة ترد بعد الجملة .

٢ - تتابعات بعد الجملة .

٣ - انحرافات عن النظام المألوف للقضايا .

(زمن وأبعاد وأمر خاص بوجه عام الخ) .

الإحلال / قارن الحذف : استخدام قضايا أخرى بشكل ضرورى/ على نحو متوقع .

١ - جمل - استعارات .

٢ - طرق تعبير تهكمية .

ويمكن أيضاً أن تشكل تقسيمات تخطيطية للأبنية البلاغية الممكنة المؤسسة براجماتياً . كما أنه هنا كذلك تستند النظرة الصريحة إلى معارف نمتلكها عن البنية البراجماتية للغة والنص، بحيث يمكننا أن نذكر الظواهر الأكثر بساطة على أقصى تقدير، إذ لا يمكن أن نتخطى براجماتية النص العلل الأولية إلا نادراً .

ويمكننا أن نذكر العمليات البراجماتية التالية (من المحتمل أن تستبعد تحديدات تقليدية للعمليات، كما أننا لم نعد نستخدم الأوصاف اللاتينية الموجودة فيما سبق من البلاغة، إن الأمر يدو حول التعرف على النظام، قواعده ومبادئه، وليس حول توالى الأسماء أو التصنيف) :

الإضافة : ١ ـ تكرار الفعل الكلامى (ذاته) .
٢ ـ فعل كلامى (زائد)، شبه فعل كلامى .
٣ ـ تصحيح (ذاتى)، مثلاً :
ـ زعم لـ فرضيات مسبقة /
ـ اشتراط ضمنى لأوجه الزعم .

الحذف : ١ ـ (قارن علم الدلالة) حذف فرضيات مسبقة كان يجب أن توضح .
٢ ـ حذف أفعال كلامية ضرورية/ متوقعة مميزة/ محفزة .
٣ ـ قطع قيود براجماتية (حذف الشرط) بالنسبة لأفعال كلامية محددة .
٤ ـ قطع الربط لمجموعات من الأفعال الكلامية .
٥ ـ قطع التماسك البراجماتى .
ـ لا فعل كلامى ـ أكبر .
ـ شبه تبادل للمتكلمين .

الاستبدال : ١ ـ أفعال كلامية مشترطة ترد بعد الفعل الكلامى .
٢ ـ تتابعات الفعل الكلامى ترد بعد الفعل الكلامى .
٣ ـ انحرافات أخرى للنظام المألوف للأفعال الكلامية .

الإحلال : ١ ـ استخدام غير صحيح لفعل كلامى بدلاً من آخر، ١٢٣ يمكن أن يتناسب فى السياق فى حقيقة الأمر (مثلاً : مبالغة أو بساطة براجماتية) .

٢ ـ استخدام شبه أفعال كلامية .

هذا السرد لمجموعة من العمليات مؤقت للغاية بسبب العلل السابقة الذكر، إذ إنها تكتنفها خاصية غير ـ شكلية، بسبب الطريقة العامة فى عرضها من جهة، وبسبب المعارف البراجماتية ذاتها التى ما تزال ناقصة من جهة أخرى . ولذلك لا يمكننا أن نخطو الخطوة التالية، وهى إدخال انحرافات منظمة عن قواعد براجماتية لأسباب بلاغية إلى محتوى الوصف .

وسنورد سواء من » الصور « البراجماتية أو من » الصور « الدلالية فى النهاية مجموعة من الأمثلة، النصوص الإقناعية النمطية، كنصوص الدعاية المأخوذة من الصحيفة . وتظل جوانب أخرى كثيرة (صور صوتية وتكرارات معجمية وخصائص تركيبية، كحذف الأدوات أو الأفعال أو الأسماء، وانحرافات عن التقسيمات المألوفة لتتابع الجملة من خلال جمل الخ) بلا تحليل . ولن نتعمق أيضاً فى الملامح النصية العامة النمطية للإعلانات مثل مستوى الجدل وجوانب مرئية (الرسوم والصور) وعلاقاتها النصية (١٣) . ويجب أن تحدد الوظيفة الخاصة لعلم الأدب النفسى الاجتماعى فى : إلى أى مدى ترتبط الأبنية الأسلوبية والبلاغية بشروط تغيير الآراء والمواقف والمقاصد .

وثمة حال أولى واضحة للحذف توجد فى مطلع إعلان آخر عن ماركة سيارة، وهو عن مارينا مارك ٢ :

---

(١٣) حول بنية الإعلانات ووظائفها، قارن فيما تقارن ليتش Leech (1966) ، ونسر Nusser (ed.) (1975) ، ورومر Romer (1968) ، وفلادر Flader (1974) وهارفلت وفندمولر Hauswaldt _ Windmüller (1977) ، وكتب ساندل Sandell (1977) عن التأثير العام من خلال الأسلوب .

(١٧) ›› لأنكم لا تقدمون على أية مغامرة ‹‹

يعرض هذا المطلع - المكتوب بخط كبير وضخم - لإعلان الجزء المعلل لجملة ما أو من الأفضل : تفسير واقعة ما تقدمت : ففي تلك الإعلانات توجد في العادة القضية / الزعم : ›› تشترون س/ يجب أن تشتروا س ‹‹ حيث يؤيد التغيير المنتج المطابق . ويؤكد هذا الفرض كذلك من خلال نص الإعلان ذاته، ففي نهاية العرض يقال :

(١٨) ›› نعم من لا يقدم على أية مغامرة، قبل أن يشترى سيارة، يفكر حينئذ في مارينا مارك ٢ .

ومن النمطى أيضاً أنه حتى الرسالة المركزية المتضمنة هنا ›› تشترون س ‹‹ لا يعبر عنها إلا تعبيراً غير مباشر، بوصفها شرطاً عادياً للحدث/ (قبل أن يشترى المرء شيئاً يفكر فيها) . وترد في الإعلان ذاته مجموعة من العمليات البراجماتية أيضاً . ابتداءً ففي شعار اتحاد شركات مستقلة (في إعلانات هولندية) : ١٢٤

(١٩) ها هو مرة أخرى الجيد من ليلاند .

كما هو شائع في إعلانات الفترة المبكرة، تقلد اللغة المنطوقة (نوع من تغير النظام [السجل أو الشفرة]، إذ يقوم بوظيفة بلاغية، يقترح من خلاله سياق محادثة أمينة وصادقة) . وقدم فيه كذلك من خلال استخدام كلمات (ها هو مرة أخرى) شبه إجابة على التفنيد أو الاعتراض الضعيف على عبارة أو رأى آخرين قد وجه توجيهاً سلبياً (بشكل ضمنى)، القارىء مثلاً . ومن الناحية البراجماتية يجب أن يتحدث لذلك عن حذف . وسواء في هذه العمليات أو في العمليات الدلالية من هذا النمط تكمن الوظيفة المعرفية للحذف في أن القارىء يقدم ذهنياً المعلومة الناقصة (قضية، فعل كلامى) ذاتها . ولذا توجد المعلومة من خلال استنتاجات، لا يوضحها

الإعلان ذاته، إذ يمكن أن تكون المعلومة فى حد ذاتها فيه صحيحة تماماً أو مباشرة جداً. بيد أن اللامباشرة وسيلة محببة فى الاستعمال اللغوى الإقناعى.

ويبدأ نص الإعلان عن مارينا مارك ٢ بعد العنوان (١٧) على النحو التالى : (٢٠) ›› فى كل ما تفعلون دققوا النظر ‹‹ .

ويغض النظر عن البنية الدلالية النادرة (، فالطبيعى أن تكون : كل ما تشترونه تدققون النظر فيه ،)، فإنه ينشأ هنا انحراف براجماتى مميز، إذ يقدم المتكلم المعلومة للسامع عبر السامع ذاته، وهى التى يجب أن يكون السامع قد حصل عليها فعلاً . وتظهر تلك الافتتاحيات فى المحادثات/ أشكال الحِجاج أيضاً، وبخاصة حين يرغب المرء فى أن يؤكد قيوداً أو مقدمات: ›› إذا هم ... فيجب عليهم أن ... وهذه هى بنية الحِجاج فى مثالنا عن الإعلان أيضاً . ولذلك فإننا نعالج هنا إضافة معلومة ، زائدة‹ .

وبينما يمكن أن تترك بصورة ضمنية معلومات مهمة محددة من جهة، فإنه يمكن أن يعبر عن المعلومة فى موقع تالٍ أيضاً، على سبيل المثال، فى جملة تابعة/ محور من جهة أخرى . ومن ثم يتحقق شكل التبسيط أو الإفراط فى التبسيط حيث يفعل ذلك كما لو كانت سمة جيدة معينة عارضة إلى حد بعيد .

(٢١) ›› الشكل الخارجى إذن لن يشغلكم عن حقيقة الأمر . إنكم ترغبون فى سيارة بلا متاعب . هذه السيارة تحصلون عليها ‹‹ .

فالشكل الخارجى المناسب للسيارة لم يكن مذكوراً من قبل، ولذا يرتكز الأثر البراجماتى المتحدث عنه هنا على قطع بنية المحور/ التفسير المألوفة أو بنية الفرضية المسبقة/ الإثبات (التقرير) . وفى الجملة الثانية يلى الفعل المساعد (wollen ترغبون فى) حذف غير نحوى بدرجة أو بأخرى / فى ١٢٥

الجزء الثانى من هذه الجملة (أى لم يرد فعل رئيس كما هى الحال فى بنية هذه الأفعال) (*) بحيث يتكون ربط محمولى Zeugma .

وبينما كان المعيار فى المثال نفسه حتى الآن حقيقة هو معيار السامع دائماً، تحديد أفعاله وآماله (على نحو ما يطرحها المتكلم) فإنه يوجد فى الجملة الأخيرة من (٢١) تبديل للمعيار : المتكلم وحده يمكنه انطلاقاً من موقفه أنه يعرف أن السامع يحصل على سيارة، على الأقل، إذا اقتفى التفسير العادى للجملة الأخيرة .

وبذلك نكون أيضاً على أساس دلالى مع البنية البلاغية التالية : المبالغة .

ومن البدهى أن القارىء لن يحصل على سيارة، بل إنه يجب أن يشتريها لنفسه . وهذا يعنى أنه : يحصل عليها (ملكاً له) حين يشتريها . فذلك التقييد لمكون دلالى هو إذن شكل من أشكال الحذف . وحين يذكر فى الحقيقة السعر أيضاً فى الإعلان فإنه يمكن أن يتحدث كذلك عن استبدال . فالطبيعى أن يكون : بـ ... مارك ألمانى تحصل سيادتكم على هذه السيارة .

قد ناقشنا شبه رد على الزعم المتضمن فى هذا الإعلان، والآن نقابل أيضاً سؤالاً بلاغياً نمطياً، أى سؤال لا يفى بالشروط المألوفة للاستفهام . وفى هذه الحال أيضاً سيزعم بصورة غير مباشرة شيئاً بدهياً، يبسط من خلاله بشكل واضح قول كيفى محدد . وهو ما ينبغى أن يقدم للقارىء سبباً لأن يصححه ضمنياً وأن يفترض بشكل حسن على هذا النحو السمة الفارقة :

(٢٢) ›› لماذا لا ينبغى لسيارة قوية أن تبدو فى الواقع جميلة أيضاً؟‹‹

(*) تتكون بنية الأفعال المساعدة (الموجهة أو الصيغية) من هذه الأفعال أولاً ثم يأتى الفعل الرئيس فى نهاية الجملة، غير أنه فى جملة النص غاب الفعل الرئيس، فبدت الجملة كأنها جملة محمولية .

ونجد آخر الأمر فى الإعلان ذاته مثالاً لتكرار دلالى (وهو ليس فى الوقت نفسه نحوياً ولا معجمياً) على مستوى القضية :

(٢٣) ›› ضمان حقيقى لقيادة غير مزعجة،

قيادة سلسلة يمكن أن تتوقع ‹‹ .

وعلى الرغم من أن الإعلان المعالج آنفا مـا زال يتيح فى الحقيقة الكثير للغاية، فإنه يبين وفق تلك النظرة المختصرة سلسلة كاملة من العمليات المهمة بوجه عام لنصوص الإعلان . وسوف تحدد فى إعلان مكتب سفر (يات) بالتأكيد ملاحظات أيضاً حول ما تجدون أو ما ينبغى أن تجدوا، أى أن المعيار يتغير (وهو فى العادة أمر غير صحيح) بحيث ينشأ زعم غير صحيح :

(٢٤) ›› [فى كتالوج الصيف] هناك وضع فيه لكم أيضاً عدة اقتراحات مغرية ‹‹ . فحذف الفروضيات الأولية (الضرورية) يجدها المرء فى المثال الكلاسيكى للتفضيل دون وظيفة مقارنة ›، إحدى أهم الحيل ‹ لنصوص الإعلان :

(٢٥) ›› تعالوا معنا مرة أخرى فى رحلة إلى جنوب أوربا ‹‹ .

/ ويتضمن ذلك أن مقدمين آخرين على السفر أو القارىء بوجه عام ١٢٦ يؤثر البقاء قريباً من الوطن . وثمة جدول نمطى بهذا المعنى هو :

(٢٦) س (لـ) صفة/ مكمل { فعل / اسم / مصدر } (*)

يمثل بـ : › س ‹ لأفضل قهوة، و (ص) لشعر أكثر نعومة، و (ى) لسفر أكثر أماناً ، الخ .

(*) آثرنا أن نترجم النموذج حتى يفهم القارىء قصد المؤلف، وهو فى الأصل كما يلى :

X, (für) A D J . / K O M P . { V inf / N }

تلك المقارنات الضمنية التى يعرض من خلالها المنتج المدعو إليه بأنه أفضل أو متفرد يمكن أن تقدم من خلال جمل محددة دون تفضيل أيضاً، كما هى الحال فى الإعلان التالى للتأمين على الحياة :

(٢٧) ›› كل المؤمن عليهم متساوون أمام كونكورديا ‹‹ .

ويزعم ضمنياً بذلك ـ حين تقرأ كونكورديا منبورة ـ أنه من الممكن ألا تكون الحال كذلك مع شركات أخرى، يصرح بذلك بعد ذلك بقليل فى الإعلان ذاته، ويصير ذلك مع التفضيل أيضاً :

(٢٨) ›› لأن الأمر مع كورنكورديا مختلف، إنه أقرب إلى المؤمن عليهم ‹‹ .

فلا تحذف فى الإعلانات بشكل مطرد الفرضيات المسبقة فحسب، بل التتابعات والنتائج أيضاً، حيث يجب أن يدرجها القارىء ذهنياً . وثمة مثال طيب على ذلك، وهو الأمنية › العامة ‹ بشكل واضح فى إعلان أوبل للعام الجديد :

(٢٩) ›› نتمنى لكل الناس الذين يشترون سنة ١٩٧٧ سيارة جديدة رؤية أعمق وقراراً صائباً ‹‹ .

فيه يستبدل النداء / الطلب (›› اشتر ... ‹‹) براجماتياً بتمنٍ، ولا يتمنى بشكل واضح إلا › الحكمة ‹ أى : شىء فى اهتمام المشترى / القارىء، أن يتمنى بالأحرى بصورة غير مباشرة شراء أوبل وأدائها :

(٣٠) ›› ١٩٦٩ : السيارة المشتراة غالباً فى هولندا : أوبل رالى، بطلة هولندا : أوبل كادت .

[الخ] (...) ‹‹

ونظراً لأنه يفترض ضمنياً أن سرد هذه الحقائق سبب كاف لشراء أوبل، فإنه لا يحتاج أن يعلل ذلك بوجه خاص، ويمكن أن يعبر عن الأمنية ذاتها بشكل غير محدد .

/ أما فولكسفاجن - أودى فقد استخدمت فى إعلانها للسنة الجديدة [127]
صورة مشابهة : تخاطب كل قائدى السيارات فى ضوء إنتاجها :

(٣١) ›› أعزائى قائدى ماسراتى، أعزائى قائدى الفا - روميو ... ‹‹ .

وعلى هذا النحو سرد ٣٠ قائداً للماركات، حيث رغب وفق ذلك بصورة مجازية فى عالم السيارات : ›› نتمنى لكم سنة ١٩٧٧ بداية طيبة . وفى هذه الحال يظهر فى ملاحظة (مذكرة بريدية) خاصة بـ (بودل كيرن) :

(٣٢) ›› ... حصان

حصل قائدو ف ف وأودى على أمنية شخصية للعام الجديد

يمكنكم أيضاً أن تحصلوا عليه، فى العام القادم ... ‹‹ .

ففيها تعرض الرسالة الحقيقية بشكل عارض تقريباً، وفيها توضح النتيجة من خلال نقطة صغيرة (إذا اشتريت ف ف أو أودى) ويجب كذلك أن يستخلصها القارىء . أما استخدام تعبير ما مثل « شخصى » فهو مميز لسلسلة من التعبيرات المعجمية الخاصة فى الإعلانات، وهو يتعلق بقيمتها الاقترانية/ العاطفية .

ومع هذه الأمثلة القليلة الاستعمال بلاغى خاص بعلاقات براجماتية ودلالية بين قضايا/ جمل/ أفعال كلامية داخل تتابعات سندع الأمر . ويصعب على المرء فى حالات كثيرة أن يتعرف للوهلة الأولى على تلك الصور . فقد اعتاد من قبل فى الأغلب على أشكال اللغة والاتصال النمطية للإعلانات والرسائل الإقناعية بوجه عام . وقد رأينا أن نص الدعاية يعمل بوجه خاص مع أوجه حذف دلالية وبراجماتية، حيث تظل الفرضيات المسبقة والاستنتاجات/ والنتائج ضمنية . ولا تنجز إلا أفعال كلامية وشبه أفعال كلامية غير مباشرة، تابعة غالباً للاستعمال اللغوى لحديث مألوف،

شخصى (أو إعلان عام كما هى الحال فى السيرك، على سبيل المثال، فى إعلان فيات : (تعال وانظر ! تعال وانظر !) أو على أساس حذف تركيبى (أداة ... الخ) .

ولا ينبغى أن يستخلص من هذا الموجز أن نصوص الدعاية فقط هى التى تستخدم عمليات بلاغية استخداماً مكثفاً، إذ إنه على العكس من ذلك يوجه الجزء الأكبر من استعمالنا اليومى توجيها إقناعيا بدرجة أو بأخرى . ولذلك تستخدم الأبنية البلاغية المطروحة ، . ولا يجب أن يكون الفعل الكلامى بوصفه وسيلة فى التفاعل، وحدثاً ينبغى أن يوجه أحداثاً أخرى : أى ينبغى أن يؤثر فى المشاركين آخر الأمر، صحيحاً فحسب أو مناسباً من الناحية الأسلوبية لسياق خاص، بل يقتضى أيضاً أثراً مثالياً بمفهوم استراتيجى . وتتحدد هذه الاستراتيجية وتتحقق من خلال استخدام أبنية بلاغية .

٥ ـ الأبنية العليا (*)

٥ ـ ١ ما الأبنية العليا ؟

٥ ـ ١ ـ ١ ننتقل أخيراً كنتيجة مؤقتة لمناقشة أشكال مختلفة من الأبنية النصية ومستوياتها إلى مجموعة من الأبنية الكلية الخاصة التى سنطلق عليها أبنية عليا (Superstrukturen) . ونظراً لأنه لم يستقر بعد مصطلح عام رابط لتلك الأبنية فإنه يمكن أن يستخدم مصطلح › بنية علوية Hyperstruktur ‹ أيضاً . وربما يتناسب هنا المصطلح المستخدم من قبل وهو › بنية كبرى Makrostruktar ‹ أيضاً . وحتى نتجنب الاضطراب الذى يتحصل من ذلك فإننا نبقى على الأبنية الكبرى الدلالية لتفسير المعنى العام لنص ما، لموضوع النص، على حين ندخل الأبنية العليا هنا لأول مرة .

ومن الأيسر أن نتمثل الأبنية العليا من خلال الحكى، إذ يمكن أن تدور حكاية ما حول موضوع معين، الاقتحام مثلاً . بيد أنه إلى جانب الحقيقة القائلة بأن للنص ذلك الموضوع العام، فإن له بوجه عام سمة فارقة فى الوقت نفسه وهو أنه حكاية › Erzählung ‹ . وبعبارة أخرى : فبعد سماعنا وقراءتنا حكاية ما، نعرف أن الأمر يدور حول حكاية وليس حول إعلان أو محاضرة . وحتى نبين أن التيمة أو الموضوع والبنية النمطية للحكاية يجب أن ينظر إلى كل منهما منفصلاً عن الآخر، يمكننا أن نتمثل إلى حد بعيد

(*) التزمت الأصل بترجمة (Superstrukturen) بالأبنية العليا، ولا يجوز ترجمتها بالأبنية الكبرى لأنه ترجمة لـ (Makrostukturen) . ولا يعنى التداخل بينهما أحياناً طمس الفارق الجوهرى بينهما إذ إن الأبنية العليا براجماتية وهى خاصة بشكل النص والأبنية الكبرى دلالية وهى خاصة بمضمون النص، وقد وقع الاضطراب لدى بعض الباحثين عند التمييز بينهما لوقوع التداخل بينهما فى بعض المواضع . ولا يعنى ذلك بأية حال عدم الحفاظ على الفارق الدقيق بينهما . أما الاتجاه الأوضح فهو ما التزمنا به وستوضح معالجة المؤلف الفروق بينهما بشكل حاسم .

نصاً يدور حول اقتحام أيضاً، غير أنه ليس حكاية إلى حد بعيد، مثلاً تقرير شرطى أو محضر تحقيق حرر بعد اقتحام، تقرير عن الأضرار إلى التأمين مع تسجيل الاقتحام ... الخ . هذه الأنواع النصية لا تختلف جميعاً بناء على وظائفها الاتصالية المتباينة فحسب، بل على الوظائف الاجتماعية أيضاً . فهم تضم كذلك أنواعاً مختلفة من البناء، ونطلق على تلك الأبنية العامة التى تميز نمط نص ما « أبنية عليا » . ولذا فإن بنية الحكى تعد بنية عليا، وهى مستقلة عن مضمون الحكى (أى : البنية الكبرى) ، وإن كنا سوف نرى أن الأبنية العليا تفرض على مضمون نص ما قيوداً محددة .

وللتعبير عن ذلك بصورة مجازية نقول إن البنية العليا هى نمط من شكل النص (Textform) ، موضوعه / تيمته، ويعنى ذلك أن البنية الكبرى هى مضمون النص (Textinhalt) . وهكذا فإن الحادثة ذاتها تحكى ، بأشكال نصية « مختلفة، تبعاً للسياق الاتصالى .

٥ ـ ١ ـ ٣ لا توجد نظرية عامة حول الأبنية العليا، غير أنه ربما ١٢٩ توجد نظرية حول أبنية عليا محددة وبخاصة حول الحكى والحجاج . ولذلك لا نستطيع هنا أيضاً أن نقدم تلك النظرية العامة، بل يجب أن نقتصر على سلسلة من الملاحظات حول الملامح المفترضة لتلك الأبنية . وبعد ذلك سنناقش بتفصيل أكثر عدة أنواع من أبنية النص، وسنبين على هذا النحو، كيف تترابط الأبنية العليا بأبنية أخرى للنصوص وهى الأبنية الدلالية .

وعلى نحو ما كانت الحال مع الأبنية البلاغية على مستوى الجملة أو التتابع فإننا غادرنا بإدخال الأبنية العليا النحو وعلم اللغة بمفهوم ضيق . ولذلك لا تقع الأبنية العليا بشكل تقليدى إلا فى مجال البلاغة والشعر والفلسفة أو ـ فى التخصصات الحديثة ـ فى العلوم التى كانت فيها الأهمية النصية

المخصصة المحددة أمراً بدهياً فقط، مثل نص الدعاية بالنسبة لعلم السياسة أو نص الجريدة بالنسبة للصحافة أو علم الاتصال . ذلك التشعب فى بحث الاستعمال اللغوى والنص يضبطه تحديد علم الاتصال المتداخل الاختصاصات الذى ينقل دراسة نصوص مختلفة، أبنيتها ووظائفها تحت قاسم مشترك واحد .

ثمة خاصية مشتركة بين الأبنية العليا والأبنية الكبرى : فهما لن يحددا كلاهما بالنظر إلى جمل مستقلة أو تتابعات نص ما، بل بالنسبة للنص بوصفه كلاً أو بالنسبة لقطع محددة من النص . وهذا هو السبب فى أننا نتحدث عن أبنية كلية (globale Strukturen) فى مقابل أبنية خاصة أو صغرى على مستوى الجمل. فحين نقول عن نص ما إنه يدور حول حكاية ما، فإن هذه المقولة تسرى على النص بوصفه كلاً، وليس على الجملة الأولى أو مجموعة الجمل الأولى ـ التى لا يمكن أن تعد مطلقاً على الأرجح أيضاً للوهلة الأولى جزءاً من حكاية .

بيد أن الأبنية العليا لا تكشف فى النص عن بنية كلية خاصة تالية فحسب، بل إنها تحدد فى الوقت ذاته النظام الكلى لأجزاء النص أيضاً . ويتبين من ذلك أن البنية العليا يجب أن تتكون من وحدات محددة خاصة بمقولة (جنس) محدد (Kategorie) ، يرتبط بهذه الأجزاء النصية المرتبة من قبل . وبعبارة شكلية، إن البنية العليا تتصور بناءً على البنية النصية (كما شكلناها حتى الآن) . ومن ثم فإن البنية العليا نوع من التخطيط (مخطط Schema) الذى يتوائم النص معه . ويعنى ذلك، بوصفه مخطط إنتاج، أن المتكلم يدرك (يردد فى نفسه) أنه : « سيحكى الآن حكاية »، على حين تتضمن، بوصفه مخطط تفسير، أن القارىء لا يعرف عن أى شىء يدور النص فحسب، بل إنه حكاية على وجه الخصوص . وسوف نناقش هذا الجانب الإدراكى للأبنية العليا فى استيعاب النص فى الفصل التالى .

قد أشرنا آنفا إلى أن الأبنية العليا توجد مستقلة عن المضمون، وأن المرء لا يصف تلك الأبنية عادة بمساعدة/ قواعد لغوية . ولذا يمكن أن يقال ١٣٠ وإن كان ذلك بشكل محدود، إن شخصاً ما يمكن أن يتحدث لغته ويفهمها، لكنه مع ذلك لا يجب أن يكون قادراً على سرد حكاية . ومن ناحية أخرى يصعب أن يفيد مستخدم اللغة إذا عرف قواعد النحو، ولكنه لم يعرف كيف يصور معايشاته اليومية فى حكاية صحيحة، أو كيف يستطيع أن يفهم حكاية فى حد ذاتها من آخرين . وهكذا فإن المرء يجب أن يتمكن من القواعد التى تشكل أساس الأبنية العليا، وتلك القواعد تعزا إلى قدرتنا اللغوية والاتصالية العامة جداً . ومن ثم فسوف نفترض أيضاً أن لمجموعة من أنواع الأبنية العليا خاصية عرفية (Konventioneller Charakter)، أى معروفة، وسيعرفها أغلب المتكلمين فى جماعة لغوية ما . وسوف نرى بعد قليل أن تلك الجماعة اللغوية يمكن أن تكون محدودة للغاية أيضاً، فعلى سبيل المثال حين يتصل الأمر بجماعات من المتخصصين : ليس كل واحد منهم قادراً على أن يكتب قصيدة غنائية، أن يعظ، أن ينشىء موضوعاً سيكلولوجياً أو يفهمه .

وعلى الرغم من أنه يمكن أن يكون للأبنية العليا خاصية عرفية أيضاً، ويمكن أن تتحقق فى نصوص اللغة الطبيعية، فمن المفيد أن تعد وأن توصف بالدرجة الأولى مستقلة عن أبنية النص اللغوية . وبعبارة أخرى : يمكن أن نحلل ابتداءً للمرة الأولى المخطط المجرد ذاته، ثم ينظر إلى أى حد يتحقق فى نصوص لغة طبيعية ما، ونعرف إجراءات مشابهة من المنطق أيضاً . فهناك يدور الأمر حول أبنية جدل مجردة يمكن أن تفسر متغيراتها (بدائلها) الشكلية فى أنظمة منطقية لصياغات وقواعد استنباط مستقلة كذلك عن محتوى الصياغات . ويمكن أن يتبين أن ذلك النهج ‹ المجرد › ليس ملائماً فحسب، بل ضرورياً أيضاً، من خلال الحقيقة القائلة بأن الأبنية العليا ذاتها، المخططات ذاتها يمكن أن تتحقق فى أنظمة علامانية مختلفة، ويمكن

أن يعبر عن بنية حكى فى نص ما وفى رسومات أو أفلام أيضاً . وهكذا يظل هنا لأبنية الحكى النمطية ـ التى سنطلق عليها فى المستقبل، تجنباً للخلط مع الحكاية (النص) المتقدمة، بنية سردية (narrative Struktur) موجودة فى (رسائل) مختلفة من الأنظمة العلاماتية . ونظراً لأن النظام الخاص بمقولات وقواعد سردية نمطية، المحدد للبنية السردية لا يمكن أن يتحقق مباشرة، بل يحتاج دائماً بالإضافة إلى ذلك إلى نظام آخر، لغة ما ، فإنه يمكننا أن نطلق على تلك الأنظمة ، أنظمة ثانوية sekundär [1] . ونعرف من علم العروض مثالاً مشهوراً آخر لذلك النظام الثانوى : أى أن نظام العروض المحدد يمكن أن يتحقق من خلال صيغ صوتية / كتابية فقط للغة الطبيعية (أو الموسيقى) . ومن ثم فإننا فيما يلى سوف نقتصر على / الأنظمة التى ١٣١ يمكن أن تصور من خلال نصوص اللغة الطبيعية .

٥ ـ ٢ كيف توصف الأبنية العليا

٥ ـ ٢ ـ ١ بعد أن وقفنا عند انطباع تقريبى أولى عن كنه البنية العليا يثور التساؤل التالى، كيف يمكن أن توصف تلك البنية وصفاً مقيداً حقيقة . وربما يكون لذلك الوصف خاصية حدسية (intuitiv) بدرجة أو بأخرى، كما فى علم السرد أو الحجاج (الجدل) التقليدى، أو يكون صريحاً بشكل محدد على نحو ما، على نحو ما يتضح فى مثال النحو والمنطق .

ويتبين من الفقرة الأخيرة اقتراحات لذلك الوصف المنظم (النسقى) : فالبنية العليا هى نوع من المخطط المجرد الذى يحدد النظام الكلى لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التى ترتكز إمكاناتها التأليفية على قواعد عرفية . وبهذا الوصف المميز قد طرح على أنه مواز (Parallele) للنحو،

(١) نوقش غالباً مفهوم الأنظمة الثانوية، بخاصة فى علم الأدب البنيوى الروسى، أى الأدب فى مقابل اللغة الطبيعية، قارن لوتمان (Lotman, 1972a, b) .

نصف به جملة ما (تحدثنا عن « شكل نصى » وليس عما هو تقريبى) .
ولذلك فإنه بالنسبة لهذا النوع من الأنظمة العلاماتية المجردة تقترب الصياغة من نهج يتبع قياساً على النحو والمنطق . ويتطلب هذا ابتداء أننا يمكننا أن نصوغ بالنسبة للأبنية المتباينة (أ) مجموعة من المقولات (الأجناس) و (ب) مجموعة من القواعد، يمكن من خلالها أن تربط المقولات بعضها ببعض . ويجب أن تحدد قواعد البناء (Bildungsregeln) تلك بطريق أنه حين تقدم المقولات أ، ب، جـ، فإن التأليفات أ ب، ب جـ، و أ جـ فقط مقبولة، ولكن ليس ب أ، و جـ ب، و جـ أ أو أ ب جـ، ب أ جـ، جـ أ ب الخ . ونعرف تلك الظواهر من المدرسة بوصفها مخططات ـ قافية . وإلى جانب تلك المقولات والقواعد التى تولد الأبنية الأساس المحورية للأنظمة المختلفة (أى: تصفها صراحة)، نعرف كذلك قواعد تربط تلك الأبنية أو تجمعها، هى قواعد التحويل (أى : Umformungsregeln) . ويمكن لقاعدة التحويل على سبيل المثال أن تعنى أننا حين نضم البنتين أ ب و ب جـ بعضها إلى بعض، فإنه يمكن أن تحل محلهما البنية أ جـ أيضاً، وهذا يعنى أيضاً أن « أ ب، ب جـ » و أ جـ متكافئة من وجهة النظر الواردة . ويمكن لقواعد التحويل أيضاً أن تحدد إمكان التحول فى إطار قيود محددة عن بنية الأساس . ونعرف هذه الظاهرة أيضاً من علمى العروض وفن الشعر، وذلك حين تصير بنية عروضية فجأة « غير مطردة »، إذ لا تكون كلمة القافية الكلمة الأخيرة لجزء من جملة مستقل نحوياً (كما هى الحال مع التدوير Enjambement) (*) . وهكذا سوف نرى أيضاً أنه توجد فى بنية السرد « القاعدية » (**) غالباً فى الأدب مثلاً، تغيرات . تلك التغيرات لها حال واحدة مثل العمليات البلاغية : الإضافة، والحذف، والنقل، والإحلال .

(*) يعنى المصطلح تجاوز جملة ما نهاية بيت شعرى إلى ما يليه .

(**) استخدم المؤلف هنا الوصف : Kanonisch ، ويعنى به التى تسير وفق القاعدة، أو المطردة .

وحتى نجعل الطبيعة المجردة للمخطط واضحة ستتكون وحدات (›مفردات‹) النظام من حروف فقط مثل : س، ص، ع، أو أ، ب،جـ ...، كما ورد فيما سبق . ويمكن أن تفسر هذه الحروف/ مرتبطة بالبنية العليا ١٣٢ المحددة على أنها وحدات صوتية أو كتابية أو دلالية . وفى الحقيقة قد فعلنا ما يشبه ذلك على مستوى الجمل التى لها أبنية بلاغية ثانوية أيضاً، وتوصف معاً مع الأبنية العليا فى البلاغة الكلاسيكية .

٥ ـ ٢ ـ ٢ إن ذلك النهج الشكلى لمعالجة الأبنية العليا من جوانب عدة مؤقت . ولا يمكن أن نقدر إشكاليته بعد مطلقاً تقديراً مناسباً . ويجب فى المقام الأول أن يؤكد أن بناء نظرية مفسرة على هذا النحو لا يمكن أن يوفق توفيقاً مقبولاً إلا على أسس ملاحظات منظمة . فالنحو الحديث أيضاً يقوم على إرث رؤية لغوية استغرقت حوالى ألفى سنة . وقد تطورت من خلال تلك المساحة الزمنية أهم المقولات والقواعد › الحدسية ‹، وكذلك من خلال تحليلات لغوية تركيبية غزيرة . وما نزال لا نعرف إلا القليل جداً عن الأبنية العليا . ولذلك فإن تلك الملاحظات والتحليلات تصور مطلباً أولياً أيضاً لوصف شكلى على الأرجح .

وعلاوة على ذلك فقد نشأت من قبل على مستوى الوصف الشكلى مجموعة من المشكلات، فحتى لو كان لدينا نحو أساسى لنظام معين الأبنية العليا فإن الدلالة ما تزال ضرورية، تلك التى تلحق بالأبنية › المضمون ‹ أو › المعنى ‹ أو › الإحالة ‹ أو › الوظيفة ‹ . أما إلى أى حد يمكن أن يتحدث حقيقة عن معنى بنية السرد مثلاً، فإنه ما يزال بوجه عام غير واضح، باستثناء أنه من خلال النهج الشكلى المجرد، يمكن أن يقال إن معنى بنية

السرد هو ، حكاية ، كما يمكن أن يفسر المخطط أ ب ب أ على أنه تأليف لوحدات القافية . وبهذه المناقشة ندع ذلك الأمر، ونتحول ابتداءً إلى الأسس الأمبريقية والأنواع المختلفة للأبنية العليا .

٥ ـ ٣ الأسس الأمبريقية للأبنية العليا

٥ ـ ٣ ـ ١ بسبب الخاصية المجردة للأبنية العليا يجب أن يدور الأمر حول مسألة كيفية تحققها بصورة ملموسة . فلا يمكن أن يحدث هذا التحقق فى حقيقة الأمر إلا بشكل مباشر، إذ إن الأبنية العليا هى أجزاء من أنظمة ثانوية . وهذا يعنى على سبيل المثال بالنسبة لوصف النص، أننا نواجه قيوداً أو اطرادات محددة، لا تتبين فى حد ذاتها على أساس نحوى (فحين نعد اللغة الطبيعية نظاماً فإن الأبنية العليا تبعاً لذلك هى أنظمة ثانوية) . ويلاحظ أنه يرد فى النصوص محدد تطابق صوتى مطرد، مثل الحال فى القافية التى لا تقوم على القواعد الفونولوجية للغة . ولذلك نفترض أنه بخلاف النحو يحدد نظام آخر أيضاً بنية تلك الأنواع النصية، أى النظام العروضى أو النظام القائم على فن الشعر، بحيث لا يكون هذا الاطراد بأية حال محض عرضى .

٥ ـ ٣ ـ ٢ نفترض كذلك أن هذا النظام لا يحدد بشكل مجرد بنية النص، بل إن مستخدمى اللغة يعرفون هذا النظام ويمكن أن يستخدموه استخداماً مناسباً، ويجب بذلك أن يكون مستخدم اللغة قادراً على إنتاج نصوص مطابقة لهذا النظام وتفسيره . ولما كان ذلك النظام ذا طبيعة عرفية فإنه ينتج عن ذلك فيما ينتج عنه أن مستخدم اللغة يمكن أن يفرق تفريقاً شديداً بين نصوص تحقق بنية عليا ، صحيحة ، ونصوص لا تكون الحال ١٣٣

معها هكذا . وإذا اقتصرنا مرة أخرى على أبنية سردية فإنه ينتج عن ذلك أن مستخدم اللغة يعرف أساساً إذا ما كان المنطوق الوارد حكاية أولا أو أنه على الأخص حكاية بدرجة أو بأخرى . ولذلك يجب على نظرية ما للأبنية العليا أن تعين الخصائص المحددة للسلوك اللغوى لمستخدمى اللغة، وهى تفعل هذا من خلال فرض نظام عرفى للمقولات والقواعد التى تشارك فى تحديد هذا السلوك أحياناً .

بيد أنه من خلال هذه الملاحظة المنظمة لمنطوقات ونصوص واستعمال لغوى آخر يمكن أن يوضح وجود نظام للأبنية العليا أيضاً على أساس تطبيق واعٍ بدرجة أو بأخرى أو وصفٍ لمستخدم اللغة ذاته : يمكنه أن يقدم أحكاماً محددة على نصوص من خلال مفاهيم النظام، على نصوص بناءً عليها تصنف المفاهيم، كما يطلق أيضاً على أنواع نصية خاصة فى حد ذاتها أنها عرفية : فهذه حكاية، وتلك توجد فى نص دعائى، وشخص ما يلقى خطبة ... الخ .

٥ . ٣ . ٣ حين نتحدث عن أن مستخدمى اللغة يعرفون ضمنياً نظام القواعد ويستخدمونه، فإن هذا يعنى أن هذا النظام يجب أن يكون له أساس سيكولوجى، وهو فى صورة قواعد/ إجراءات إدراكية ومقولات ... الخ. ولا يعنى هذا أن نظرية شكلية، تولد أبنية عليا للنصوص يجب أن تقع مع نظرية للعمليات الإدراكية الخاصة باستيعاب النص، أى إنتاج الأبنية العليا وتفسيرها . ينبغى أن يظل مطروحاً هنا أين تكمن العلاقة الدقيقة لكلتا النظريتين فيما بينهما . ومن جهة أخرى لا يجب على نظرية معرفية أن تفسر فقط ما تمثيلات الأبنية العليا التى نمتلكها فى ذاكرتنا، بل كيف تظهر فى عملية تفسير محددة . ومع ذلك فإنه فى نظرية مجردة تخصص لنص ما بنية عليا محددة بوصفها كلاً، بناء على قواعد تمثيل (تخطيط) محددة،

ولا يعنى باستراتيجيات محددة يطبقها مستخدم اللغة لبناء مؤثر ما أمكن خاص بتمثيل البنية العليا . ومع ذلك يجب أن تكون النظرية النصية الجادة من خلال وجهة النظر هذه مهمة من الناحية الإدراكية أيضاً، بحيث يجب على الأقل أن يكون جزء من مقولاتها وقواعدها جزءاً من نظرية إدراكية شاملة ما دامت تعنى بالاستخدام اللغوى الفعلى عناية كبيرة . وسوف نعود فيما يلى إلى أهمية الأبنية الكبرى الواردة والأبنية العليا بالنسبة للبناء السيكولوجى للنظرية .

١٣٤ ٥ـ٣ـ٤ أخيراً يجب أن يتساءل المرء إلى أى حد تكون للأبنية العليا ـ فى حقيقة الأمر ـ خاصية عامة للنصوص، فقد ذكرنا مجموعة من الأمثلة ـ وهى الحكاية والجدل (الحجاج) والقصيدة ـ ومع ذلك لا يمكن أن يستنتج من ذلك أن لكل النصوص بنية عليا، إذ توجد فى نهاية المطاف نصوص لا تتكون إلا من جملة أو حتى من كلمة (الأمر : تعال ! مثلاً)، كما أنه تظهر أيضاً مشكلات مماثلة عند معالجة الأبنية الكبرى الدلالية . وفى هذه الحال يتبين مع ذلك أن الأبنية الصغرى والكبرى يمكن أن يتوافقا توافقاً تاماً، على حين يمكن أن يفترض أن لكل نص مترابط › موضوعاً ‹ عاماً، أى بنية كبرى، وإن لم تعبر عنها جملة واحدة .

ومع ذلك فمن الممكن أن تفرض الأبنية العليا الخاصة؛ مخطط الحكى مثلاً قيوداً على شكل النص . فعلى سبيل المثال سوف يتضح فيما يلى أن المرء لا يمكن أن يحكى فى الأساس حكاية على أساس جملة واحدة/ قضية . ومثل ذلك يسرى على الجدل . وفى كلتا الحالتين يجب لذلك أن تتبنى على تتابعات، حيث تقع الوحدات المختلفة لهذه التتابعات تحت مقولات مختلفة للمخطط .

وفى حقيقة الأمر يظل التساؤل قائماً، وهو إلى أى حد يكون لكل النصوص بنية عليا . وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا يعنى أن كل نص يتبع نمطاً عرفياً، ليس بسبب مضمونه فقط أو بسبب وظيفة براجماتية أو اجتماعية محددة (مثل الأمر أو الرجاء أو الاعتذار) فقط، بل بسبب بنية كلية مخططة واردة متحققة فى النص . ويبدو أن ذلك الافتراض، على الأقل عند النظرة الأولى، إشكالى بشكل نسبى، بالنسبة لنص مذكور من قبل له نمط ›› تعال ! ‹‹ . ويمكن للمرء أن يعد هذا المنطوق جزءاً من محادثة، وأن يميز فى المحادثة تبعاً لذلك بين أبنية عليا معينة . وفى إطار قيود محددة يمكن هنا كذلك أن تكون مقولات ، خالية leer ‹ (بلا مضمون)، وهو ما يمكن أن يرد فى بناء الجملة أيضاً (*) .

ومع ذلك فليس من المستبعد ابتداء أن نصوصاً ما، برغم أنها فى حد ذاتها يمكن أن توضح لأسباب (دلالية وبراجماتية وبلاغية) أخرى، ليس لها أولها بالكاد بنية عليا عرفية . ويمكن أن يكون فى الظاهر لإعلان أو قصيدة شكل كلى جزافى تقريباً . ولذلك لا يمكننا ببساطة أيضاً أن نتصور مباشرة، على أى نحو يكون خبر فى الجريدة أو التليفزيون بنية عليا عرفية . وعلى العكس من ذلك توجد أيضاً نصوص تتحدد أو تقرر أشكالها بصورة مؤسساتية أيضاً، مثل الطقوس الدينية أو القوانين أو العقود أو الوثائق المحددة. ومن ثم فإن مشكلتنا؛ هل لتلك النصوص أبنية عليا، هى مشكلة أمبيريقية خاصة، يجب أن تحل من خلال رؤية ووصف منظم .

(*) يميز على مستوى الجملة بين كلمات توصف بمصطلح (voll) (بمعنى أن لها معنى فى ذاتها كالأسماء والأفعال)، وكلمات توصف بمصطلح (leer) (بمعنى أنه ليس لها معنى فى ذاتها كالحروف والأدوات، ووظيفتها الربط) . وأظن أن المؤلف قد نقل هذا الوصف إلى التحليل النصى .

٥ ـ ٤ أنواع الأبنية العليا

٥ ـ ٤ ـ ١ ربما قد اتضح من الأمثلة المعروضة آنفا أنه يجب أن يفرق ـ على نحو محتمل ـ بين أشكال مختلفة من الأبنية العليا . وثمة تقسيم أولى يمكن أن يجرى، يتخذ المرء من خلاله تلك الأبنية أساساً له، مثلما تشتمل على نظام أولى، أى اللغة الطبيعية، تتحقق من خلاله أبنية عليا . وهكذا يتحقق بوجه خاص أنظمة وزنية أو قائمة على الشعر باعتبارها قيوداً محددة للبنية الفونولوجية/ المورفولوجية/ المعجمية لنص ما والنحوية أيضاً أحياناً . ومن ثم فهى فى الأساس مستقلة عن مضمون النص . وعلى النقيض من ذلك فإن بنية السرد قد بنيت عادة على البنية الدلالية (الكبرى) للنص . ويمكن أخيراً أن يتصور أيضاً أن البنية العليا ترتكز على البنية البراجماتية للنص أو المحادثة، مثلاً على تتابع الأفعال الكلامية، على نحو ما يمكن أن تكون الحال فى المناقشة الجدلية (الحجاجية) .

٥ ـ ٤ ـ ٢ يمكننا ـ بصورة محتملة ـ أن نحاول تقسيم الأبنية العليا على أسس شكلية خالصة ـ ليس (كما سبق) وفق تحققها (Manifestierung) أو على أساس وظائفها (كما سنرى كذلك فيما يلى) . ويمكن أن يجرى ذلك التقسيم الشكلى وفق نوع المقولات والقواعد وقيود أخرى ـ داخلية للأنظمة المختلفة . وهكذا يمكن أن تختلف أنظمة ما من خلال أنواع مختلفة للتكرير، أى : من خلال إمكانية تكرير المقولة أو القاعدة ذاتها . بيد أن الأمر هنا يدور حول خصائص محض بلاغية إذ إن النصوص، من الناحية الأمبريقية ليس لها إلا طول محدد . فإذا أمكن تقديم رموز المقولات أ، ب فإننا يمكن أن نتصور أنظمة تجيز على سبيل المثال السلسلة أأأأأ ب، ولكن ليست السلسلة أ ب ب ب ب أو العكس . وهكذا فإن الجدل (الحجاج) أو سوق دليل شكلى هو من النمط الأول وليس من النمط الثانى (حين يصور رمز ب مقولة النتيجة)، على حين يصور نمط البنية الثانية بالأحرى خبراً صحفياً

(تكون فيه أ مقولة العنوان) وثمة فروق شكلية أخرى ترجع إلى إمكان تضمن بنية عليا ، فى حد ذاتها (أو عدم إمكانية ذلك، على نحو ما يمكن أن تتضمن حكاية داخل حكاية أو دليل بوصفه قرينة داخل دليل . لن نسعى هنا إلى تقديم نظرية شكلية يمكن أن تقوم على علم اللغة الرياضى أو نظرية اللغات الشكلية : لا تكمن مهمتنا أساساً فى جمع ـ ابتداءً ـ أجزاء (معلوماتية) لتلك النظرية .

٥ ـ ٤ ـ ٣ أخيراً يمكننا أن نتساءل عما إذا كان ممكنا أن يفرق بين الأبنية بناءً على وظائف أو تأثيرات اجتماعية وبراجماتية . يجب أن يلاحظ هنا أنه لا يمكن أن يكون للأبنية العليا تلك الوظائف بشكل مباشر (أى فى ذاتها)، إذ إنها لا تتحقق إلا من خلال/ بنية اللغة . لذلك لا يمكن أن يرى ١٣٦ أى تأثير أو وظيفة لحكاية منفصلة عن الأبنية الأخرى، وهى الأبنية الدلالية أو البلاغية أو الأسلوبية . ومن ثم لا يمكن أن يكون لمخطط سردى ، مفرغاً، فى حد ذاته وظيفة محددة، على ما يبدو على الأقل بوصفه مخططاً سردياً، (narratives Schema) برغم وجود إمكانية أن تكون للبنية الخاصة للمخطط فى نص محدد تلك الوظيفة إلى حد كبير . وبعبارة أكثر تحديداً : يمكن أن يكون لكيفية الحكى تأثير جمالى ما، غير أن السؤال فى هذه الحال أيضاً يظل قائماً، وهو ألا ترتكز تلك التأثيرات على عوامل أخرى وبخاصة العوامل الدلالية . وبغض النظر عن ذلك تظل حقيقة ماثلة وهى أن الوظيفة الخاصة للنصوص ترتبط ببنيتها العليا .

قد رأينا أننا يمكننا أن نصف أساساً ، المضمون ذاته (مثلاً المتعلق باقتحام سواء فى حكاية أو محضر تحقيق أو مطالبة التأمين بالأضرار . فتلك

الأنماط النصية توظف ـ عادة ـ فى سياقات مختلفة، ولذلك يمكننا أن نفترض أن خصائص إدراكية واجتماعية محددة للسياقات ترتبط بمقولات خاصة فى الأبنية العليا . ونقدم مثالاً موجزاً لذلك : حين يصل محام بناءً على عدة اعتبارات إلى طلب العقوبة، فإن لهذا الطلب وظيفة مؤسسية خاصة، لها بالنسبة للقاضى وضع مغاير تماماً لاعتبارات المحامى التى ربما تبدو فى حد ذاتها لهذا الطلب، وليس لها لذلك أية وظيفة إرشادية خاصة . ويسرى ما يشبه ذلك على الحكم الخاص للقاضى ذاته فى مقابل التعليل الفعلى للحكم . ويبدو أنه يمكن أن يستخلص من ذلك أنه يمكن أن يحدد وجود مقولات محددة لوصف الأبنية العليا، وإن كان بشكل غير مباشر بمفهوم ضيق أيضاً، تحليل الوظائف الممكنة لهذه المقولات فى السياق الاتصالى .

٥ ـ ٤ ـ ٤ يهدف سؤال مهم آخر، يتعلق بعلم الأنماط ونظرية الأبنية الكبرى، إلى الأساس المشترك الممكن : هل من الممكن أن ترجع الأبنية الكبرى المختلفة التى قابلناها حتى الآن، وهى أبنية السرد وأبنية الجدل (الحجاج) إلى بنية عليا جوهرية أم إلى عدد قليل من الأبنية العليا الجوهرية ؟

يمكن بناء على ذلك أن يتعرف على المشكلة ببساطة حين يتصل هذا السؤال بأبنية عليا مؤسسة فونولوجيا أو مؤسسة دلالياً : فالبنية المؤسسة على فن الشعر وبنية السرد لهما طبيعة مختلفة كلية، حتى وإن استخدمت مجازات من نظرية الموسيقى أو الوزن لوصف أبنية السرد أو العكس، على نحو ما يفترض المصطلح الغامض › تأليف Komposition‹ . ودون بحث مفصل لكل الأبنية العليا الممكنة تصعب الإجابة عن تلك الأسئلة . ومع ذلك فإن بناء الفروض / ضرورى أولاً لكى يهىء الربط الضرورى فى تحليل كهذا . ١٣٧

وعلى سبيل المثال ربما يجدى نفعاً إلى حد كبير، لو أمكن أن يقارن بين مقولات أنماط مختلفة ذات أبنية عليا بعضها ببعض؛ ويمكن أن يؤدى ما يستنتج من ذلك من خلال تعميم وتجريد إلى نظرية عامة عن الأبنية الكلية للنصوص . لم نستطع بعد من خلال البحث عن أساس مشترك للأبنية العامة أن نستجلى أنه من المحتمل جداً ألا تكون المخططات جزافية، وأنها ترتبط بالجوانب الدلالية والبراجماتية للنص والاتصال ارتباطاً وثيقاً أو أن ربطاً كهذا على الأقل قد وجد أساساً . ويمكن ارتباطاً بذلك أن يتعرف أيضاً المستوى الكلى لوصف النص الذى يفرق تبعاً له بين أبنية عليا وأبنية كبرى، وفرقاً يرد على مستوى الجمل بين البنية الدلالية للجملة من جهة، وبنى بنية المحور ـ التفسير القائمة على براجماتية الاتصال أو بنية الفرضية المسبقة ـ التقرير فى الجملة من جهة أخرى . وبهذا الشكل توجد بنية مطردة للجملة يشغل المكون الاسمى الأول (أو المسند إليه) فيها وظيفة المحور Topic، أى: الوظيفة التى تعين (المعلومة)، ثم يقال شىء عن ذلك الموضوع المتقدم أو المعلوم فى بقية الجملة (التفسير)، كما فى الجملة البسيطة : هانز (ذهب) إلى السينما (*) . ولبنية المحور ـ التفسير علاقة بتقسيم المعلومة فى النص، حيث تعد فى الأساس دائماً المفهوم المعروف (شىء أو شخص أو حقيقة) بداية تستند إليها فى خطوة تالية ملامح أو خصائص محددة .

الآن لا يجب بلا شك أن تعمم بنية المحور ـ التفسير هذه ـ ما دام علم اللغة الحديث على أية حال قد كشف عنها ـ على مستوى النص ببساطة . ابتداءً لا يمكن إطلاقاً الحديث عن أنه فى بداية النص لا يقع إلا محور كلى، وفى النص الباقى لا يقع إلا تفسير كلى، على الأقل ليس بالمفهوم المقصود

(*) الجملة فى الأصل هى : Hans ist ins Kino والفعل الأساسى فيها محذوف اختصاراً، ولا يجوز حذفه فى الجملة المترجمة لأنه سيؤدى ذلك إلى جملة غير صحيحة فوضعت الفعل الأساسى بين قوسين . ولا يخالف ذلك ما أراد المؤلف من المثال .

آنفاً . فما دام المرء يمكن أن يتحدث عن علاقة فإنه لا يجب أن ينظر إلى هذه العلاقة مع النص بوصفه تتابعاً للجمل، بل مع البنية الكبرى للنص . ويرتبط التقسيم الثنائى محور ـ تفسير على مستوى الجملة فى المقام الثانى، كما ذكرنا، بتقسم المعلومة فى النص . فعلى مستوى النص ككل يصعب أن يحتج دائماً بتلك المفاهيم، حيث ترد فى الأغلب فى تتابعات نصية، مثل المحادثات (الحوارات والمناقشات وتبادل الرسائل .... الخ) موضوعات قد وردت فى نصوص/ جمل متقدمة . ويسرى مثل ذلك على تقسيم الفرض المسبق ـ التقرير الذى يرتكز على قضايا مفترضة أو فعلية، معبر عنها فى جمل .

ويرغم تلك التحذيرات تجاه أى قبول مباشر لمصطلحى المحور ـ التفسير يمكن للمرء أن يؤكد بقليل من التخيل على مستوى المعنى الكلى للنص أيضاً ـ أى : على مستوى البنية الكبرى ـ فروقاً ممكنة فى وظائف المعلومة . تلك الخطوة ضرورية حتى لكل الحالات التى لا يتكون النص فيها / حقيقة إلا من جملة وحيدة . حين يتصل شخص ما تليفونياً، ويسأل عن ١٣٨ هانز وحين أرد (بإجابة مقتضبة إلى حد ما) بالجملة البسيطة المذكورة من قبل : هانز (ذهب) إلى السينما . فإن إجابتى بوصفها نصاً تدخل أيضاً تحت التقسيم الوظيفى المحور ـ التفسير، وإن لم يدر الأمر إلا حول توافق البنية الصغرى والبنية الكبرى للجملة والنص فى هذه الحالة .

ومع ذلك يمكن أن يستمر الاستدلال مع نصوص أكثر تعقيداً، لا تكون الحال فيها كذلك، بصورة أنه حين يرغب المرء فى معرفة ، حول أى شىء يدور النص ، فإنه يجب أن تذكر أولاً مجموعة من الموضوعات أو الأشخاص أو الوقائع التى ينبغى أن يقال عنها شىء ما . وفى بعض السياقات يمكن أن تكون تلك الموضوعات أو الأشخاص أو الوقائع معروفة من قبل للسامع/ القارىء (مثل ساسة مشهورين فى أخبار الصحيفة)، على

حين يجب أن تدرج فى النص أساساً فى سياقات أخرى حيث لا يتحقق ذلك . ويحدث الإدراج المألوف من خلال ضمان الشأن والقصة (es) والأداة النكرة، (*) مثل : إنه قد جلست بنت على الرصيف، أو كان فى مرة ملك . بيد أنه فى كلتا الحالتين، من وجهة نظر عامة، يوجد ذلك الشكل النصى المطرد، إذ تقوم الأبنية الكبرى الأولى أو الجزء الأول من البنية الكبرى، بوظيفة › المحور ‹ على مستوى النص (لكى يتجنب الاضطراب يجب أن يتذكر أن المرء يجب فى هذه الحال ألا يفكر فى مصطلح › محور ‹ الذى يكافىء مصطلح موضوع أو تيمة، أى : البنية الكبرى الكلية للنص) . يبدأ فى ذلك المحور للبنية الكبرى بشخص على سبيل المثال، بحيث إن هذا الشخص ذاته يمكن أن يوصف بالتفصيل فى النص . ويمكن أن يرد داخل › المحور ‹ ذاته كذلك أشخاص آخرون ومكان وزمان أيضاً للحدث المخبر عنه فى الوقت ذاته . ويمكن أن تقوم هذه المعلومة مجتمعة بوظيفة المدخل لحكاية أو خبر . ويقال فى بقية النص فى خطوة تالية ما المهم براجماتياً لأن يخبر عن الأشخاص المذكورين، بحيث يقوم هذا بوظيفة › تفسير ‹ على مستوى النص. إننا قد خطونا بتعبيرات ما تزال غامضة للغاية ومطابقة لدلالة الجملة / ولبراجماتية الجملة الخطوة الأولى للتفريق بين وظائف محددة فى البنية الكبرى لنص ما . ونظراً لأننا قد أوضحنا من قبل أن الأبنية العليا بالتأكيد ليست جزافية، بل › تعكس ‹ وظائف إدراكية أو براجماتية أو اجتماعية محدودة فى الاتصال النصى، فإنه سوف يفترض هنا أن › الوظائف الكلية للمعلومات Informationsfunktionen‹ الواردة شيئاً فشيئاً هى صيغ الأساس على مستوى البنية الكبرى لجزء على الأقل من الأبنية العليا .

(*) لا توجد فى العربية أدوات تنكير كما هى الحال فى اللغات الأوربية وغيرها، ولكن المقابل لها فى العربية هو التنوين فى اللفظ، أى أن علامته المورفيم صفر .

وسوف نرى فيما يلى أن بنية حكاية ما هو فى الأساس ليس شيئاً آخر غير تمييز آخر لتلك الأبنية الجوهرية .

ويمكن أن يقرر ما يماثل ذلك بالنسبة لتقسيم وظيفى مماثل على مستوى القضايا أيضاً، أى بالنسبة لبنية الفرضية المسبقة ـ التقرير للجمل (المعقدة) . وفى هذه الحال يقال كلام حول واقعة معروفة، يستند على سبيل المثال/ إلى ما قد قيل فى النص أو السياق . ونحن نتحرك هنا أيضاً من ١٣٩ منطقة الحدود بين الدلالة والبراجماتية : فالوقائع والعوالم مجالات الدلالة، على حين تعد معرفة السامع للواقعة وعمل الملفوظ بوضوح من البراجماتية . ويمكن أن يتحدث، كما قد فعلنا من قبل، عن علاقات الشرط والنتيجة العامة بين الوقائع أو القضايا ، من خلال ‹ وقائع، بخلاف الحديث عن تلك العلاقات بين القضايا (السابقة) . فثمة شكل يمكن التعرف عليه جيداً لتلك العلاقات التى ترتكز على أنواع مختلفة من ، الوجوب ‹ هو العلاقة الضمنية التى يعبر عنها فى جملة ذات روابط مثل : لأن، وبحيث إن، ولذلك، وعلى ذلك ... الخ . ويوجد على مستوى النص تقسيم ، وظيفى مماثل بين ، الفروض ‹ والنتائج ‹، وفى بنية الجدل (الحجاج) مقدمات Prämisse ونتيجة Konklusion . سوف نعود إلى ذلك مرة أخرى .

وتقدم ، الاستنتاجات الفعلية ‹ شكلاً خاصاً لتلك البنية الكلاسيكية المنطقية (القياسية) فى نص ما: إن للمقدمات نتيجة تتعلق بفعل فعلى منفذ: حين تكون أ هى الحال، فإن افعل ب بنية أساس نعرفها من كل الأشكال النصية الممكنة السائلة والراجية والآمرة (على سبيل المثال الإعلانات) .

وأخيراً نعرف أيضاً متغيراً آخر لبنية الفرض ـ النتيجة تلك هو بنية المشكلة والحل كما تتضمن فى الحكاية غالباً (التى يمكن بذلك أن تكشف بوضوح شديد عن بنية معقدة)، كما أنها مميزة لكل أشكال الخبر وأوجه النشر العلمى وما أشبه .

ويبـدو أنه وفق هذه المحـاولات التـأمليـة بشكل مـا قـد توصل إلى تعميمات مهمة، تُتَبَّعَ من خلالها أشكال أساسية لبناء النص، إن الأمر كذلك حـقيـقـة، كمـا لو كـان المرء ليس له عـلاقـة إلا بعد قليل من أشكال الأسـاس الوظيفية، على سبيل المثال يمكن أن ينعم النظر هنا في مصطلحات مثل : محور - تفسير، أو فرض - نتيجة، بحيث يمكن إرجاع المصطلحين الأولين بشكل محتمل إلى المصطلحين الآخرين، على نحو يمكن أن تعد بنية المحور - التفسير وبنية الفرضية المسبقة - التقرير على مستوى الجملة متغيرات (بدائل) أيضـاً . وينتج عن ذلك أن البنيـة الوظيـفـيـة الأعم - ومن ثم المعلوماتية على الأقل أيضاً - للنصوص، يمكن أن تفهم على أنها فرق ثنائي بين فرض ونتيجة (جائزة/ واجبة) . وبذلك نجد على مستوى النص فرقاً كذلك، يكمن في أشكال متباينة أيضاً على مستوى الجملة : موضوع (مسند إليه) - محمول (مسند) ومحور - تفسير ... الخ . ويمكن أن يفترض، بناءً على ذلك مع تحفظ ضروري، أنه توجد أسباب إدراكية لاستيعاب المعلومة بالنسبة للجمل ولأبنية النص العامة أيضاً . وفي الحقيقة سوف نلتزم بنظرة تفصيلية عن كيفية اختلاف تلك الأبنية الأساس الجوهرية بالنسبة لأنماط النص المختلفة، نتيجة للفصل بين الوظائف البراجماتية والاجتماعية .

٥ . ٥ أبنية سردية

٥ - ٥ - ١ تعد النصوص السردية بلا شك ، أشكالاً أساسية ، عامة جداً للاتصال النصي [٢] . ويقصد بالنصوص السردية بالدرجة الأولى

---

(٢) حول الإشارة إلى مجال نظرية الحكي قارن أيضاً فان دايك . van Dijk (1972a, b (1976a, b ويشغلنا هنا بوجه خاص ما تسمى نظرية الحكي البنيوية، التي استلهمت من عمل بروب (1928 _ 1968) Propp ، ووجدت فيما بعد عبر تحول الأنثربولوجيا مدخلاً إلى علم الأدب البنيوي، قارن أيضاً (1966) & Communication حول أعمال : بارت وريموند وجريماس وتودروف وغيرهم وبخاصة بريموند Bremond (1973) ، ويناقش تلك المباحث في هذا السياق كل من جوليش ورايبلد & Gülich (1977) Raible، وكلر (1975) Culler، وغيرهم .

حكايات ترد فى الاتصال اليومى : نحكى ما يحدث لنا أو لشخص نعرفه اليوم أو آنذاك . هذا الحكى الطبيعى والبسيط، حين يراعى سياق موقف الحديث، هو شفوى فى المقام الأول، وهو فى طبيعته غير متكرر، وإن أمكن أن ندون أحداثاً فى رسائل أو يوميات . وإن سجل هذا الحكى غير المتكرر على جهاز تسجيل يمكن بذلك أن يصير ممكناً إسترجاعه (وبخاصة للعالم الباحث) . وفى سياق الحديث الذى نقص من خلاله الحكاية ذاتها لشركاء آخرين فى الحديث، يدور الأمر، عادة، حول بديل للحكاية الأولى، أى : حول نص ذى بنية كبرى مماثلة .

وتظهر فى المقام الثانى إلى جانب تلك الحكايات ، الطبيعية ، نصوص سردية تتخذ أنماطاً أخرى من السياق، مثل النكت والأساطير والحكايات الشعبية والخرافات والحكايات الخيالية وما أشبه، ثم فى المقام الثالث الحكايات الأكثر تعقداً غالباً، التى نحددها عادة تحت مصطلح «الأدب»: القصص القصيرة، والروايات والقصص وما أشبه . ونظراً لأننا لا نعنى أساساً بنصوص وسياقات أدبية وسماتها الخاصة أيضاً فإننا سوف نناقش هنا بوجه خاص المميزات الأساس للحكى (السرد) الطبيعى . فقد اشتقت (خرجت) الحكايات الأدبية من تلك النصوص الطبيعية من خلال تحويلات معقدة إلى حد ما [٣] .

٥-٥-٢ تكمن الميزة الأساسية الأولى فى نص الحكى فى أنه يتعلق بأحداث، وذلك فى المقام الأول، بحيث يعقب أو يلى هذا المتصدر

(٣) حول نظرية الرواية الموجهة أدبياً، قارن هامبورجر : Hamburger (1968) وستانتسل Stanzel (1964) وبوث Booth (1961) أيضاً، وريدر فون ستيفك Reader von Stevick (ed.) (1964) بالنسبة لنظرية الرواية الأمريكية وأخيراً Lammert (1955) أيضاً. لن نتطرق هنا إلى حدود نظرية الرواية، الكلاسيكية ، تلك (وكذلك إلى حدود نظرية الرواية البنيوية) .

بوضوح أوصاف للأحوال والموضوعات والأحداث الأخرى . وتبعاً لوجهة النظر هذه يختلف نص الحكى بشكل منظم (على سبيل المثال) عن فهرس ما . وترتبط هذه السمة الدلالية لنص الحكى بالسمة البراجماتية : سوف يحكى مستخدم اللغة عادة شيئاً عن الأحداث والأفعال فقط المهمة بصورة معينة . / ومن البدهى أن هذا المعيار يعد نسبياً ومرتبطاً بالسياق الخاص به، ١٤١ ومع ذلك يفترض أنه لا يحكى إلا الحادث أو الأحداث التى تنحرف إلى درجة معينة عن معيار ما، عن التوقعات والعادات، فالمرء لا يحكى أية حكاية ملائمة عن الإفطار أو عن نسخ خطاب أو فتح باب حين لا يقع هنا أى شيء خاص . وبعبارة أخرى : يجب أن يكون لنص الحكى باعتباره محولاً حدث/ فعل ما على الأقل، يفى بمعيار الأهمية . فإذا جعل المرء هذا المعيار معياراً عرفياً فإنه يحصل على مقولة البنية العليا الأولى لنصوص الحكى (العقدة Komplikation) (٤) . ولذلك فإن الأمر يدور هنا حول بنية عليا، لأن الحدث المثار يمكن أن يوصف احتمالاً فى جزء أكبر من النص (نادراً ما يكون فى جملة)، وارتباطاً بذلك يمكن أن تبنى قضية كبرى أو عدة قضايا كبرى . وهكذا فإنه يوجد جزء من النص/ البنية الكبرى، يصور التعبير عن عقدة ما فى سلسلة من الأحداث وظيفته الخاصة .

وبينما يمكن أن تكون هذه العقدة فى الأساس حدثاً دون أشخاص، أى زلزال أو عاصفة، فإن المبدأ السابق يتطلب أن الأشخاص فى أثناء مجرى النص هم المعنيون فى ردود فعلهم بالحدث . ويقال بوجه عام يمكن أن يكون لرد الفعل هذا فى الغالب خاصية « حل Auflösung » العقدة . ولذلك فإن

(٤) ترجع المقولات المستخدمة هنا إلى حد ما إلى لابوف وولتسكى Labov & Waletzky (1967) . فهما تقريباً المؤلفان الوحيدان اللذان لم يحللا حكايات « بدائية » من جانب أو حكايات أدبية معقدة من جانب آخر، بل حكايات يومية « طبيعية » .

المقولة السردية التقليدية التالية هى الحل (وفى الإنجليزية Resolution) . ويمكن أن يكون الحل - فضلاً عن ذلك - إيجابياً وسلبياً أيضاً : يمكن أن يصدق رد فعلنا على فعل أو حدث آخر أو لا يصدق أيضاً، أى : من خلال أى توافق الأحوال تسير الحكاية سيراً حسناً أو سيئاً . وبالنسبة لتعليل مصطلحات الحدث وفق نظرية الحدث سوف نحيل إلى الفصل الثالث (٥) .

إننا نقف بكلتا المقولتين العقدة والحل على لب النص السردى اليومى. وسوف نطلق على هذا المحور بصورة كلية حدثاً : كل حدث يقع فى موقف محدد، فى مكان بعينه، وفى زمان بعينه، وتحت ظروف بعينها . ونطلق على جزء من نص الحكى الذى يحدد هذه الأحوال الإطار Rahmen (فى الإنجليزية Setting) . ويشكل الإطار والحدث بدورهما معاً شيئاً يمكن أن نطلق عليه « مشهداً Episode » .

ومن البديهى أنه يمكن أن توجد داخل الإطار ذاته عدة أحداث، وبعبارة أخرى : إن مقولة الحدث استرجاعية . بيد أن ما يماثل ذلك يسرى على مشهداً أيضاً، ويمكن أن تقع أحداث فى أماكن مختلفة . ونطلق على تلك السلسلة من المشاهد / أحداث البينية « حبكة Plot » نص الحكى .

١٤٢ / قد أوردنا المقولات السردية للبنية العليا التى تصور أهم جزء فى نص الحكى، لكن توجد مقولات أخرى كذلك ترد باطراد فى الحكايات اليومية . ولا يقدم أغلب القصاصين الأحداث فقط بوجه خاص، بل فى الأغلب رد فعلهم العقلى كذلك أو رأيهم أو تقديرهم (على سبيل المثال : أكانوا خائفين أو مذعورين أو سعداء أو غير ذلك، كيف يتأثرون بالأحداث) . ويطلق على هذه المقولة بوجه عام تقويماً « Evaluation » . ويشكل التقويم مع الحبكة الحكاية الفعلية، وتستخدم هنا بمعنى اصطلاحى . ويلاحظ أن التقويم

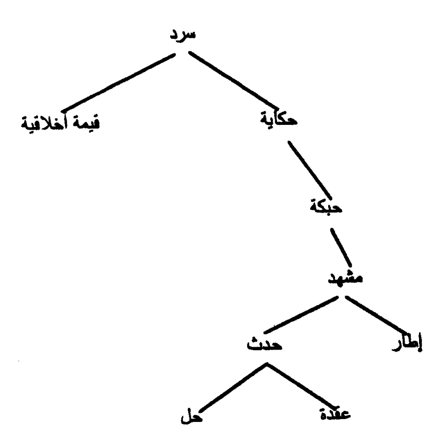
---

(٥) قارن فان دايك (van Dijk (1976a, b بخاصة حول إنشاء أبنية حكى وفق نظرية الحدث .

لا يحسب ضمن الحبكة ذاتها، بل هو رد فعل القاص تجاه الحبكة . وأخيراً تشتمل نصوص كثيرة كذلك على إعلام ونهاية ذات طبيعة دلالية فى الأقل وبراجماتية فى الأغلب . ومن ثم ينسحبان على الأحداث الحالية والمستقبلية للمتكلم/ القاص و/ أو السامع .

وتقدم الحكاية الخرافية مثالاً نمطياً إلى حد بعيد لمقولة النهاية إذ يستقى فيها فى خاتمة الأمر من الحكاية درس أو عظة، فالقيمة الأخلاقية إلى حد ما نتيجة قطعية : ماذا ينبغى/ يجب أن يفعل/ يترك بعد ذلك، حين يدير أحداث الحكاية أمام عينيه ؟ ويمكن أن تخطط البنية العليا الموضحة فيما سبق فى نهج غير شكلى، لنص حكى- بنية سردية (سرد . Narr) فى رسم شجرى على النحو التالى :

(١)



وبدلاً من العرض التخطيطى للبنية السردية يمكننا أن نسجل كذلك

أيضـاً قواعد بناء هذه البنية - على سبيل المثال قياساً على قواعد بنيوية توليدية :

/ (٢) سرد ← حكاية قيمة أخلاقية ١٤٣

حكاية ← حبكة تقويم

حبكة ← مشهـد أحداث بيئية/ مشاهد

مشهد ← إطار حدث (أحداث)

حدث ← عقدة حل

وهذه القواعد يجب أن تقرأ على النحو التالي : المقولة يمين السهم تحل محلها أو تنسخها المقولات شمال السهم . المقولات ذات المتغير (n) استرجاعية، ولذلك يمكن أن ترد عدة مرات (موضحة هنا من خلال القوسين ( )) . ولا تراعى هنا ملاحظات أخرى حول هذا التشكيل، وكذلك الاختلافات الأخرى الممكنة فى نصوص سردية معقدة .

والأمر الأهم - فى الحقيقة - وبخاصة بالنسبة للوصف الأمبيريقى لتلك النصوص السردية (نصوص الحكى) هو الحقيقة القائلة بأن بعض مقولات مثل الإطار والتقويم والقيمة الأخلاقية يمكن أن تظل متضمنة : السامع يعرف متى أو أين يقع المشهد . ويمكن أن يخمن تقويم المتكلم/ القاص، مثل العواقب، القيمة الأخلاقية بالنسبة للسياق الاتصالى الفعلى . وعلى النقيض من ذلك يجب فى حكاية محددة (شفوية أو مكتوبة) بخاصة مع أشخاص خياليين أن يعقب الأشخاص وأوصافهم ... الخ وصف مفصل للمكان والزمان للمرة الأولى . ومن الجائز أيضاً أن البنية الأساس (أو البنية القاعدية) للحكاية المحددة فيما سبق يمكن أن تتحول من خلال تحويلات معينة . وهكذا يمكن أن تتصور حكايات (أدبية أيضاً) تبدأ بالعقدة، وعقب ذلك تلك الأوصاف الضرورية للأشخاص وخلفياتهم .

ويستدعي نوع المقولات الواردة أن البنية الدلالية للنص تنحصر فى نهج معين، لذلك يجب أن تقع الأحداث تحت العقدة وأن تتولد تحت الحل على الأقل أحداث أيضاً على المستوى الأكبر، وعلى العكس من ذلك يتكون الإطار بخاصة من أوصاف الحال والقضية، والتقويم من حالة نفسية . ويمكن فى قاعدة البناء الأولى أن البنية السردية فى الحقيقة تتخذ بنية « النهاية الواقعية »، وهو ما ذكر من قبل، حيث يختم عدد من الوقائع بنتيجة فعلية : أهمية الحكاية لسياق الحكى . إن لوصف الوقائع نفسه البنية الثنائية محور - تفسير، فإذا كان ذلك كذلك فإن التفسير على نحو واضح للغاية يجب أن يفى بالمعيار البراجماتى « لجدة » المعلومة : يجب أن يكون مهماً (مشوقاً ومذهلاً وجنونياً وغريباً ... الخ) . وفى الحدث ذاته تتكون بنية الأساس فرض - نتيجة تارة أخرى، ويتحقق من خلال عقدة وحل . وهكذا فإنه ينتج عن ذلك بالنسبة لنصوص الحكى بوجه عام، حين ترد قيود خاصة (وهى أحداث مهمة)/ أن الأمر يدور هنا حول تأليف بين أبنية جوهرية ممكنة، تحدثنا عنها بصورة شاملة من قبل . ١٤٤

ولا تراعى قيود أخرى - على سبيل المثال، بالنظر إلى خصائص ممكنة للأشخاص (شجاع، رجل/ امرأة وما أشبه)، وكذلك العمليات الأسلوبية والبلاغية الخاصة أو الأخرى التى تحدد التأثير (الجمالى مثلاً) لنص الحكى . ويمكن أن تكون القيود المذكورة أولاً ذات الطبيعة الدلالية عرفية أيضاً، أى لا تصلح إلا لشكل حكى محدد . ولذلك تناقش نظرية الحكى البنيوية الأولى › مورفولوجياً ‹ تلك التيمات الثابتة أيضاً (ويطلق عليها أحياناً أيضاً › وظائف ‹) : وتسجل أوجه الإطراد (القوانين) المستنبطة بوصفها لا متغيرات (ثوابت Invarianten) ، مثل : انقطاع اتزان، رجاء مرفوع إلى البطل، وصول البطل، رحيل البطل، اختبارات البطل (أكثر من مرة) طلب العون من البطل، توفيق البطل إلى الفعل المؤدى، إعادة بناء

الاتزان، مكافأة البطل [٦] . إن الأمر فى ذلك حقيقة يدور حول أداء دلالى خاص للمخطط السردى، الذى نوقش فيما سبق، وإلى حد ما حول تمييز مفصل لمقولة العقدة . وحول أجزاء « عادية » لتتابع الحدث بوجه عام أيضاً (قارن الفصل الثالث) . وبالنسبة لكل نوع من أنواع - نص الحكى يمكن أن تستخرج تلك القيود المضمونية الخاصة، كما وضح فيما سبق بالنسبة للأساطير/ الحكايات الشعبية (وقصص الجريمة الحديثة) .

٥ - ٦ أبنية جدلية (حجاجية)

٥ - ٦ - ١ إن الأبنيـة العليـا التى نوقشت بلا شك فى الأغلب فى الفلسفة وفى النظرية المنطقية هى الجدل (الحجاج) Argumentation والحجة (الدليل) Beweis [٧] . فالبنية الأساس لتلك الأبنية معروفة، فالأمر يدور حول تتابع (فرض (مقدمة) - نتيجة) . ونجد هذه البنية سواء فى الحجج (الأدلة) الشكلية أو فى المنطوقات الجدلية (الحجاجية) للغة الحياة اليومية أيضاً :

(٣) إنى مريض . لذا (ومن ثم) لا أستطيع الحضور .

(٤) كتب بيتر ٤ . لذا (ومن ثم) لم يجتز الامتحان .

قد أوضحنا من قبل أن الكلمة (لذا (ومن ثم)) فى تلك الأمثلة ليست (لذا) الدلالية التى تعكس علاقة سببية/ بين واقعتين، بل إنها (لذا) البراجماتية التى تتعلق بحدث الاستنتاج . ولذلك يجب أن ينظر إلى البنية ١٤٥

(٦) قارن هامش ٢ (الفصل الخامس) .

(٧) الكتب المؤثرة بلا شك فى نظرية الجدل (الحجاج)، إذ تختلف فى بنائها ومنهجها المختار اختلافاً شديداً إلى حد ما، هى دراسات تولمين (1958) Tolmin، وبيرلمان وأولبرشتس - تونكا([1985] 1986)Perelman & OLBrechts - Tyteca . وحول المناقشة الأحدث قارن مقدمة جوترت (1978) Gottert .

الجدلية (الحجاجية) فى نص ما، بالتأكيد حين ينهج المرء نهجاً تأريخياً، بالرجوع إلى الحوار الإقناعى . وتكمن المهمة هنا، خلافاً للزعم المباشر، فى إقناع السامع بصحة الزعم أو بحقيقته، ففيه ترد فروض مدعمة، تجعل الزعم مقبولاً أو يمكن أن يستنبطها الزعم . ولا يدور الأمر خلافاً لإيراد الحجة (الدليل) بمعنى منطقى حاد مع الجدل (الحجاج) اليومى (بل والعلمى) إلا نادراً أو إطلاقاً حول علاقة ، ضرورية ، بين فروض ونتيجة (أى : تضمين) بل بالأحرى حول علاقة الاحتمال والوثوق وما أشبه . ومع ذلك يمكن أن نفرق بين الأبنية الجدلية على أساس نوع العلاقة بين الفروض والنتيجة ونهجها : إمكانية اشتقاق (قاعدية) فى حساب تحليلى شكلى، أو تضمين (دلالى) أو استلزام (*) وأخيراً نتائج (براجماتية) . ويمكن فى الوقت نفسه أن تميز على هذه المستويات الثلاثة للعلاقات الجدلية أيضاً، فى صرامة هذه العلاقات . بغض النظر هنا عن اللزوم المنطقى . انتقالاً من أشكال أخرى للحتمية (الفيزيائية والبيولوجية والسيكولوجية ... الخ) والاحتمال مروراً بالإمكان .

٢ـ٦ـ٥ يمكن أن تحلل بنية النص الجدلية كذلك ليس بوصفها مقولات عرفية فروض ونتيجة فحسب، إذ إن مقولة الفروض بخاصة يمكن أن تتجزأ كذلك إلى أنواع وأنماط مختلفة من الفروض، على نحو ما يفرق المرء فى العلم الكلاسيكى للجدل بين مقدمة ، كبرى ، ومقدمة ، صغرى ، أيضاً . وحين نراعى الأشكال اليومية للجدل (الحجاج)، كما يظهر فى (٣) و (٤) على نحو سطحى للغاية، فإننا نرى أن هذه المقولات لا يمكن أن تقع أو تكون متضمنة . وفى تلك الحالات يفترض إذن أن واقعة معينة ليست قيداً

(*) معنى الاستلزام " entailment " ما يستنبطه معنى الجملة من صحة جملة أخرى يمكن أن تعقبها .

كافياً لواقعة أخرى، بل لا يجوز أن يتجاهل هنا أنه فى كل حال تفرض هذه العلاقة المفترضة بين الواقعتين فرضاً ضمنياً ذا طبيعة عامة (مثلاً قاعدة أو لزوماً) . ولعدم اجتياز بيتر الامتحان نتيجة (لرقمه) أربعة يتبين أيضاً بسبب الحقيقة القائلة بأنه توجد قاعدة تبين أن أربعة ليست كافية لذلك الامتحان وأن كل من لا يأتى بإنجازات كافية، يرسب (أى تصلح للامتحانات والواجبات والاختبارات وما أشبه . وبعبارة أخرى : إذا رغب المرء فى أن يوضح البنية الجدلية (الحجاجية)، فإنه يجب أن يقدم أساس لعلاقة الاستنتاج والعلاقة الدلالية الشرطية بين الوقائع التى ترتكز عليها النتيجة .

ويمكن أن يطلق على تلك المقولة ، كفيلاً ‹ و › تسويغاً ‹ تخول لشخص ما أن يصل إلى نتيجة محددة (غالباً ما يورد المصطلح الإنجليزى / ‹ warrant › أيضاً لمقولة الجدل هذه) [8] . ونظراً لأننا نعنى هنا بأساس ١٤٦ عام للجدل، فإننا سنطلق على هذه المقولة تسويغ Berechtigung إقامة الدليل. وهكذا نعقب أو نسوغ أن بيتر رسب بأربعته، على نحو أكثر تسويغاً بسبب الربط العام (القاعدة)، الذى يوجد بين الرقم أربعة وبين عدم اجتياز امتحان ما .

ويمكننا أن نوضح هذه الرخصة - على نحو محتمل - إيضاحاً شديداً من خلال استضاءة " Erläuterung " ، وهى أنه فى نظامنا للتقويم بالنسبة للامتحانات أربعة ليست كافية، ولذلك يقدم الربط الذى يقع بين غير كاف ورسوب، تسويغاً لسوقنا الدليل . نحن نقدم بذلك لتسويغنا دعماً قوياً (Backing) ، نقدم من خلاله بوضوح ماذا أو كيف يكون لأربعة علاقة

---

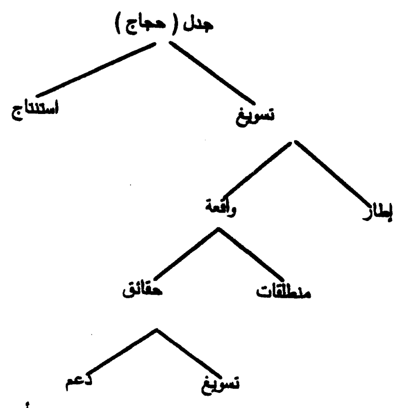
(٨) حول عدد من هذه المقولات قارن تولماين (1958) Toulimin .

بالرسوب . ويمكن لكى يفصل المثال تفصيلاً بسيطا أن يورد المرء أيضاً أن العلاقة بين رقم غير كاف والرسوب ليست مهمة إلا فى موقف معين؛ فى موقف الامتحان . على الأقل يجب لذلك أن ينطلق المرء ضمنياً من الفرض القائل بأن بيتر قد أدى امتحاناً نهائياً حيث يلعب الامتحان الخاص دوراً أكبر أو أصغر . وكما هى الحال مع نصوص الحكى فإننا سنطلق على ذلك التخصيص إطار الحجة .

بيد أنه تتماز البنية العليا التى ما تزال مخططة لسوق الدليل بصورة إجمالية حتى الآن، تحديداً أكثر دقة . فإذا احتاج المرء على سبيل المثال إلى إيضاح أكثر دقة لواقعة أن حصول بيتر على أربعة / غير كاف، فإنه يجب أن تتضمن إلى حد ما حجة داخل سوق الدليل : إن بيتر لم تعمل (واقعة/ تخمين) ، أن المرء حين لا يعمل بدرجة كافية لامتحانه، يحصل على تقدير غير كاف (تسويغ) . وهكذا يمكن أن يجعل المرء من خلال استرجاع مقولة حجة، بنيةً حجاجية ما أكثر تعقيداً .

وأخيراً ما يزال لدى صور الجدل اليومية إمكانية نهاية غير منطقية . ونظراً لأن العلاقة بين ما تقدم والاستنتاجات عادة ليست علاقة ضرورية، بل فى الأغلب علاقة ، احتمالية ‹ ، فإنه من الممكن إلى حد بعيد للغاية أن توجد ، استثناءات ‹ . ففى مثالنا يستطيع بيتر، برغم أنه لم يحصل على درجة كافية، أن يحصل على درجات أخرى جد طيبة قبل الامتحان الكلى أو عنده إلى حد أن المقيم يجيزه . لذلك يمكن أن يضاف إلى الاستنتاج القيد : إلا إذا حصل فى غيره على درجات طيبة فقط، فإن هذه (إلا إذا) قيد يمكن أن يصاغ أيضاً بوصفه فرضاً : لم يحصل بيتر على درجات جيدة أخرى، لأن (إلا إذا) جملة الشرط الرابط معادلة لـ (إذا لم) .

وبناءً على مناقشتنا الحالية للبنية العامة للجدل (الحجاج)/ نقدم على محاولة تقديم المقولات فى مخطط متدرج (رسم شجرى) : ١٤٧



إن تسميات المقولات المختلفة مؤقتة، فمن المحتمل أن يحل محلها تسميات أخرى، وهى تابعة بوجه خاص لنمط الجدل أيضاً . ويتبع نمط الجدل السياق المؤسس لسوق الدليل أيضاً . ولأنه فى الحياة وفى اللغة السائرة - كما فى (٣) و (٤) - يجوز أن يكتفى بسرد سطحى أو ذى مضمونٍ عام لوقائع واجبة لتسويغ زعم ما، فإنه يجب على المرء فى صالة المحكمة وبخاصة فى المنطق الشكلى (الصورى) أن يحدد التسويغ والإطار وكل المقولات الأخرى، ومن بينها أيضاً تلك المقولات التى سجلت فى اللغة السائرة، وتشكل جزءاً من إطار المعرفة العام لكل مستخدم للغة (المسمى المنطق الطبيعى) . ومن ثم لم يعد يحتاج إلى أن تذكر صراحةً فى الجماعة اللغوية لأسباب براجماتية . وقد تبين كذلك فى تحليلات التفاعل الأمبريقية أن التساؤلات حول التسويغ فى صورة قواعد أو ، أدلة Evidenzen، قد عدت غير مقبولة، وإن لم ينظر إليها كذلك من الناحية الاجتماعية - الباثولوجية (وتؤدى إلى صراع اتصالى) [٩] .

(٩) بين جـرفـينكل Garfinkel (1972) من خـلال تجـارب أن الصـراحـة الشـديدة فى الاتصال اليومى يمكن أن تؤدى إلى نزاعات .

٥ - ٦ - ٣ يمكن أن تتغير البنية القاعدية لأوجه الجدل بناءً على تحويلات : يمكن أن تظل منطلقات محددة متضمنة (تبعاً للسياق)، ويمكن أن يعقب التسويغ زعماً قد تقدم أيضاً، حين يكون واضحاً أن هذا الزعم هو استنتاج المتكلم . وحين يحاجج (يبرهن) المرء بشكل غير مباشر فإنه يمكن ألا يكون كافياً أن تذكر واقعة واردة محددة، بل الاستنتاج نفسه على الإطلاق: فحين أسأل هل أستطيع أن أحضر اليوم مساءً ؟ أحتاج/ فقط ١٤٨ للإجابة « إنى مريض » . ويمكن للسامع على أساس النص والسياق أو بالأحرى على أساس المعرفة العامة كذلك أن يستنتج استنتاجاته الخاصة .

٥ - ٦ - ٤ لا يمكن من نص مسوق للدليل أن يسوغ زعم ما فقط بالنظر إلى الوقائع العامة، بل بالنظر إلى أحداث أيضاً، تفتقر عادة إلى تسويغ أكثر دقة، إذ تقدم الوقائع هنا ضمن ما تقدم اعتبارات الفاعل (Agens) ودوافعه وقراراته ورغباته ... الخ . إن الحجة العملية التى تكون نتيجتها غرض أو نهى أو نصيحة أو توصية اقتراح (افعل ق) هى متغير مميز لأوجه الجدل تلك الخاصة بالحدث . فما تزال لا تراعى هنا المشكلات الفلسفية والمنطقية لتلك المناقشات، كما هى الحال تماماً عند المناقشة العامة لأوجه الجدل، إذ نعنى فى المقال الأول بالملامح الأساس لبعض أنماط عرفية لأبنية عليا، وليس بتلك النظريات التى تسعى إلى مناقشة التفاصيل المناسبة

وثمة مثال نمطى للنتيجة واقعية متضمنة وغير مباشرة وهو الإعلان (Anzeige) الذى تعد بنيته الأساس، كما قد رأينا، هى النتيجة المتضمنة : اشترِ س أو بصورة أكثر عمومية : افعل ق . ولتصوير ذلك نأخذ مثالاً ملموساً، عند حلول رأس سنة ٧٦/ ١٩٧٧ ظهر فى الجرائد الهولندية إعلان ضخم عن شل، للإشادة القوية بمادة « جديدة » فى البنزين، وهى مادة ASD

(امستردام سوبر مادة منظفة) مادة، يسعى الخبراء إلى الإقناع من خلالها بأنها تبقى الموتور أكثر نظافة . ويحاول الإعلان أن يبرهن بالتفصيل نسبياً، لماذا تستعمل مادة ASD في البنزين، ومن ثم يبقى بنزين شل الموتور نظيفاً، فيودى ذلك إلى استهلاك اقتصادى . وسوف نجرى خطوات الجدل فى تسلسل عكسى أى فى حقيقة الأمر بوصفه تسويغاً . ونبدأ فى ذلك بالنتيجة البراجماتية/ الفعلية › اشتر بنزين ـ شل ‹ .

٦ ـ (أ) * اشتر بنزين ـ شل (نتيجة) .

(ب) بنزين ـ شل يحتوى على مادة منظفة سوبر(ASD) (حقيقة) .

(جـ) مادة تنظف الموتور (تسويغ) .

(د) موتور نظيف يستهلك بنزيناً أقل (دعم) .

(هـ) (جـ ـ د) ثبت بالتجربة (حجة، حقيقة) .

(و) * بنزين أقل أرخص (دعم) .

(ز) * أترغب فى قيادة سيارة بصورة اقتصادية (تحفيز- تسويغ) .

(ح) * لا ترغب فى أن تصرف نقوداً كثيرة بلا داع (تسويغ) .

(ط) * أنت سائق سيارة (إطار) .

قدمت المقولات بين القوسين ( ) (على المستويات المختلفة) التى تمثل الخطوات المضمونية للجدل ـ لذلك كتبت بحروف كبيرة (*) ، إذ ينعكس الجدل من خلال بنية كبرى/ للإعلان (وليس من خلال تلك الجمل ١٤٩

(*) وضعنا هنا فى نهاية كل جملة من جمل التكوين الجدلى تحت كل مقولة خطاً، لأن اللغة العربية ليس فيها خاصية الكتابة بحروف صغيرة وحروف كبيرة، فكان علينا أن نختار إما الكتابة ببنط مخالف أو وضع خط .

الأصل) . ويتبين بوضوح من خلال الجدل › المفكك ‹ أن كل المداخل العامة تقريباً فى الإعلان تظل عـادة متضمنة (على نحو ما رمز إليهـا هنا من خلال (*)) . ويدخل فى ذلك حقيقة (الإطار) القائلة بأن الإعلان لا يوجه إلا إلى سائق السيارة . والتسويغ الذى يرتكز عليه أداء فعل ما أو تركه قد أطلقنا عليه التحفيز " Motivation " ، بل يتبين من الإعلان أن هذا الفرق ـ بين › التسويغ ‹ و › الدعم ‹ ليس حاداً جداً باستمرار، وبخاصة حين تصير الحجة أكثر تعقيداً، وحين يتضمن فى الحقيقة جدل (ضمنى) داخل جدل فعلى . وهكذا فإن التسويغ (جـ) هو فى الحقيقة واقعة استقيت من التجربة المذكورة، مكون جدل › علمى ‹ ، يعرض فى (د) تسويغاً موضحاً للنتيجـة الضمنية (ب١) : بنزين ASD هو الأوفر .

أما أن تكون تلك الإعلانات شبـه العلميـة مضللة فيمكن أن يصير واضحاً من خلال الحقيقة القائلة بأن شل لديها منذ مدة مادة ASD فى البنزين (بحيث لا يمكن أن يعلن هنا عن شىء جديد ‹) ، وأن بنزين ـ شل لا يحتوى وحده بوجه خاص على مادة ASD ، وعلى هذا لا يوجد ببساطة تعليل وحيد على الإطلاق، بناءً عليه يشترى بنزين شل . لذلك فإن القضية الكبرى (ب) غير تامة أيضاً، ويمكن أن يعبر فقط عن واقعة لازمة حين يمكن أن يكون بنزين شل وحده محتوياً على مادة ASD حقيقة، وكذلك الزعم بأن مواداً أخرى لا تجعل الموتور نظيفاً على نحو مماثل، ربما كان حقيقة .

٥ ـ ٦ ـ ٥ بيد أن هذا المثال الأخير للدعاية المضللة يوضح أيضاً فى الوقت نفسه أنه توجد قيود واضحة للتدليل الصحيح، ويمكن أن يؤدى ترك وقائع ما يمكن أن تؤثر على النتيجة تأثيراً سلبياً أو تضمن صلاحية (Gültigkeit) عامة للتسويغ أو أنها غير مهمة بسبب غياب دعم خاص كما

هو الأمر فى الحال المطروحة، إلى بنية جدلية (حجاجية) غير صحيحة .
وليس من الممكن باستمرار فى سياق الاتصال اليومى نظراً لتعقد حجج كثيرة
أن يقتضى مبدأ عدم الصحة ذلك، ولذا فإن أوجه سوق الأدلة التى تهدف
إلى البرهنة على زعم ما، ومن ثم يمكن أن تستخدم باعتبارها مقنعة فى
سياق الحدث ليست إلا مجموع الأدوات Instrumentarium الكثيرة الاستعمال
لتفعيل معارف مستخدم اللغة وآرائه . ولذلك فإن من أهم وظائف علم اللغة
النصى النقدى تحليل نوع تأثير المعارف والآراء والاتجاهات بوصفها نتيجة
أبنية نصية محددة، وجعل مستخدم اللغة واعياً بأوجه الربط تلك، وقد حللنا
فى هذا الكتاب، لوضع هذه الجوانب الاجتماعية والنفسية لعلم النص،
مجموعة من الأمثلة التى يمكن أن يقدم فيها الأسلوب والبنية البلاغية
والأبنية العليا المحددة تحليلاً لمعالجة أحاسيس القراء والمستمعين وآرائهم
ومواقفهم . ومن البدهى / أن مثل تلك المعالجة تبدو غير مباشرة : فالقارئ ١٥٠
/ السامع يدرك أولاً الأبنية النصية المعنية ويفهمها ويحتفظ بها فى الذاكرة
(قارن الفصل التالى) ، ثم يستخلص نتائجه، التى يمكن أن تغير المعارف
والمواقف ومقاصد الحدث . وتلعب هنا المعرفة المتاحة والتخمينات حول
مقاصد المتكلم (وثقته ... الخ) والنظرة والمواقف القائمة والأمانى والخطط،
دوراً جوهرياً . هذا الاستيعاب المعقد للغاية، بل والمنظم إلى حد ما للنص
يتحدد من خلال ما إذا كان فى الحقيقة لنص مقنع بدرجة ممكنة أو موجه
أيضاً التأثير المستهدف، ولذلك يمكن أن يوجد تصور بسيط للغاية لافتراض
ربط مباشر بين أبنية نصية وسلوك اجتماعى حقيقى [١٠] .

٥ ـ ٧ المقالة العلمية

٥ ـ ٧ ـ ١ يستخدم فى البحوث العلمية بديل خاص للأبنية العليا

---

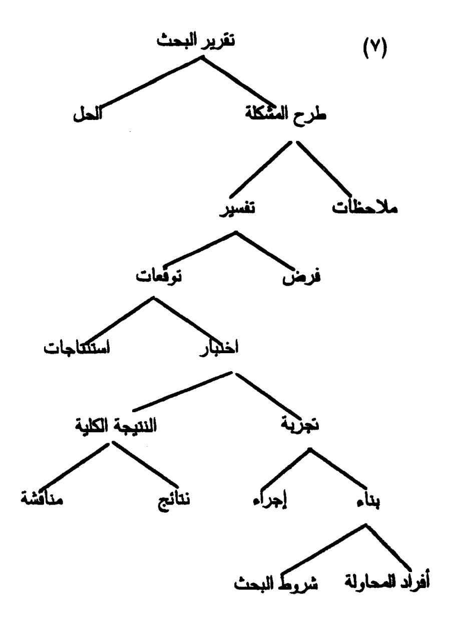
(١٠) قارن : الهامش رقم ٨ فى الفصل الأول .

الحجاجية . نرغب هنا أن نعالج مثالاً موجزاً منها أيضاً، إذ لا تتكون البنية الأساس للبحث العلمى من نتيجة وتبرير لها فحسب، بل من طرح لمشكلة وحل أيضاً . ويمكننا أن نصور ذلك من خلال نمط المقالة العلمية، بنيتها (العرفية) مستخدمة بوجه عام إلى حد ما، من خلال تقرير البحث الذى ينشر غالباً نتائج التجارب (فى علم النفس مثلاً) .

٥ ـ ٧ ـ ٢ ينطلق تقرير البحث بصورة عامة من ملاحظة أو عدة ملاحظات، أى من واقعة كتلك، وهى أن يكون مستخدم اللغة غير قادر على أن يعيد حرفياً نصاً من ٥ صفحات بعد قراءة واحدة، ثم يحاول المرء أن يجد تفسيراً لهذه الواقعة، يسخر من خلاله الفعالية العامة للاستيعاب فى الذاكرة الإنسانية . وتصاغ تلك › الخاصية ‹ العامة بوصفها فرضاً . ويمكن أن نستنبط من الفرض مجموعة من التوقعات (التنبؤات) التى تتصل بأوجه انتظام (اطراد) متوقعة فى الواقعة من مستخدمى اللغة : ويمكن أن تختبر أوجه الانتظام تلك تجريبياً (اختبار) . ونظراً لأن التجربة يجب أن تفى بمتطلبات عامة فى العادة مثل مطلب المناسبة فإن على التقرير أيضاً أن يولى تلك المعايير اهتماماً : أى أفراد المحاولة (عناصر التجربة) الذين يحتاج إليهم، وبناء التجربة، وشروط البحث المختلفة وإجراء التجربة، وسلوك أفراد المحاولة ونتائج التجربة، ومناقشة النتائج والاستنتاج / أو الاستنتاجات التى يتأكد بناءً عليها الفرض أو لا يتأكد . ١٥١

ويجب أن يتبين من خلالها إذا ما وجد تفسير ملائم للملاحظات الأصلية أم لا (الحل) . ويمكن أن تظهر البنية المتدرجة لمثل ذلك التقرير على النحو التالى تقريباً :

(٧)



ولا يمكن أن يتوقع هنا أيضاً أية تسمية محددة أو دقيقة للمقولات، غير أن التخطيطات الكلية لتلك النصوص فى صورة عرفية تقدم بنية . وبينما يرتكز ذلك التخطيط العرفى مع نص الحكى أو التدليل فى المقام الأول على عوامل براجماتية (لأسر شخص ما أو إقناعه) فإن الوظائف الحجاجية ليست وحدها فى تقرير البحث ذات أهمية، بل الأعراف العلمية للمسارات ، الطقوس Rituals ، التجريبية أيضاً، وتبعاً لذلك فإن مجموعة من العمليات يجب أن تكتب مقدماً بصورة دقيقة للغاية إذا لزم أن يوفق الحدث الكلى للتجربة .

٥ـ٧ـ٣ من البدهى أنه يمكن أن تظهر بحوث علمية أخرى على نحو مخالف تماماً، كما هى الحال بالتأكيد فى التخصصات العلمية غير التجريبية، ولكن حين يتغير البناء الكلى بوضوح أيضاً فإن قبول النشر يستند إلى سلسلة من المعايير التى تسلم بمناهج ملائمة وأداء التقارير وفقا لها . وخلافاً لأوجه الحجاج اليومية يتطلب البناء المؤسسى أن تصير الفروض المسبقة فى الأساس واضحة وكذلك المصطلحات ... الخ . نريد هنا أن نفترض دون أمثلة أخرى أن هذه المعايير السائدة فى العمل المؤسسى ترتكز أيضاً على تلك المقولات / والقواعد، كما يعكسها النص العلمى فى بنائه الكلى . ١٥٢

٥ ـ ٨ أنماط نصية أخرى

٥ـ٨ـ١ دون أن نتعمق كثيراً فى تفاصيل كل من نظرية الحكى أو نظرية الجدل أو نظرية العلم تحدثنا بإيجاز عن مجموعة من السمات الأساس لأبنية عليا مبنية على نحو عرفى إلى حد ما . وبذلك يثور من جديد السؤال الذى كنا قد طرحناه من قبل، وهو هل لكل النصوص/ أنماط النصوص فى الحقيقة بنية كلية تميزها . هذا كما قيل فى المقام الأول سؤال امبريقى، يمكن أن نوفق فى الإجابة عنه وفق ملاحظات وتحليلات منظمة لعدد كبير من أنواع النصوص (فى مجتمع أو ثقافة معينة) .

ومع ذلك يمكن أن يتصور أيضاً انطلاقاً من اعتبارات أساسية أن ثمة بنية عليا يجب أن توجد ضرورة فى كل نص، كما هى الحال أيضاً بالنسبة للأبنية الكبرى فى نص مترابط . غير أنه تبرز فروق جلية للأبنية الكبرى والأبنية العليا : فالأبنية الكبرى الدلالية لا يستغنى عنها بالنسبة لإنجاز أوجه ربط أفقية بين الجمل وبالنسبة لفهم تيمة نص ما : لذلك فإنه ترتبط بها

ارتباطاً وثيقاً ضرورة معرفية إلى حد ما، كما أن الأبنية الكبرى الدلالية فى حد ذاتها ليست عرفية ـ حين يوجد بعض القيود أيضاً لما يمكن أو يجوز أن يقال فى سياقات محددة . أما الأبنية العليا فعلى العكس من ذلك شأنها من خلال وجهة النظر هذه شأن الأبنية › النحوية ‹ : ترتكز على قواعد عرفية، ولا يوجب ذلك أن يصير كل نوع ممكن من النصوص عرفياً ضرورة على مستوى الأبنية العليا أيضاً . قد تعرفنا من قبل إعلان (الجريدة) بوصفه مثالاً لنوع نصى لا توجد له بنية عليا ثابتة واضحة . ومع ذلك فإنه فى تلك الحال يتحدد نوع النص من خلال نمط المضمون، أى القضية / المطلب الضمنى (اشتر س) . ويبدو أنه ينتج عن ذلك أن البنية الكبرى فى بضع حالات هى بشكل واضح ليست كافية لبنية كلية لنص ما . ويضاف إلى ذلك أيضاً أن المرء يمكن أن يتحدث أيضاً عن نظام Ordnung ـ نظام ذى طبيعة دلالية . بيد أن هذا يعنى أن : بنية النص هى نقل / تصوير لأبنية معينة فى واقع الأمر، مثل سير الأحداث ونظام العلة ـ النتيجة وما أشبه .

٥ ـ ٨ ـ ٢ يمكن أن يستنتج من الاعتبارات الواردة من قبل أن الأبنية العليا ليست سمة ضرورية للنصوص وأن نظام الأبنية الكبرى أيضاً يمكن أن تعلى بتقسيم عام للنص . ومع ذلك يمكن أن نرى فى أمثلة الأبنية العليا المعالجة أن ذلك النظام الدلالى والبراجماتى يمكن أن يصير عرفياً بدرجة أو بأخرى، ويمكن أن يثبت بوصفه تخطيطاً شبه ـ نحوى . غير أنه فى هذه الحال تنشأ / أبنية عليا دقيقة، قواعدها الأساسية معينة لإنتاج أنواع[١٥٣] نصية خاصة وتفسيرها . وفى الواقع يجب أن يؤكد على التمييز الأمبريقى لمستخدمى اللغة بين أشكال النصوص . ومن ثم فالتنميط (الجدولة) النظرية للنصوص Textypologie لا يرتكز على أبنية عليا فحسب، بل على المضمون أيضاً، أى : البنية الكبرى، وعلى أبنية أسلوبية وبلاغية، وعلى

وظائف براجماتية ووظائف اجتماعية . ولا يمكن أن ينقل التنميط (الجدولة) الجاد للنصوص إلى جدول الأعمال إلا بعد بحوث نصية اجتماعية أخرى . وحتى الآن لا نستطيع أن نفعل شيئاً آخر غير أن نميز تميزاً نصياً بحتاً، أى وفق معايير استقيت من بنية النص ذاتها على المستويات المختلفة المتحدث عنها هنا .

٥-٨-٣ كنا قد أغفلنا بين أمثلة سلسلة من الأبنية العليا النمطية الأبنية الكلية التى ربما تكون الأهم والأكثر شيوعا - وهى أبنية المحادثة . والأمر فى هذه الحال لم يعد يدور حول نص (انفرادى) بل حول نظام تتابع - نصى لعدة متحدثين فى أثناء الحوار . ومع ذلك يمكن أن يستخرج هذا النظام أساساً من ملامح التفاعل الاتصالى الذى عالجنا موضوعه فى الفصل السابع خاصة، ويجب أن تناقش البنية العليا للمحادثة أيضاً فى هذا المقام لو أمكن الزعم أيضاً بأن الأمر يدور هنا حول البنية المتماسكة (inhärent) لنص الحوار . وعلى العكس من ذلك فليس من الممكن أيضاً أن تتحدد مجموعة من سمات الأبنية العليا (وأبنية نصية أخرى) نوقشت هنا، من خلال خصائص براجماتية ومعرفية واجتماعية للتفاعل . ومع ذلك فإنه سوف يتحدث كذلك عن هذه الصلة ذاتها .

٥-٨-٤ يوجد كم كامل من أبنية نصية كلية ليست عرفية فقط بل مؤسسانية : تقوم على قواعد/ معايير مؤسسة اجتماعية معنية، كالمدرسة والهيئة والكنيسة والطائفة والدولة ... الخ مثلاً . وفى تلك الحالات يمكن أن تكون الأبنية محددة تحديداً كاملاً تقريباً، بل إنها فى حد ذاتها مدونة بوضوح دلالياً أيضاً، على نحو ماهو نمطى بالنسبة للوثائق والاستمارات

المطلوب ملؤها . ويسرى ما يماثل ذلك على بنية القوانين والأوامر الإدارية والاتفاقيات، وإن أمكن أن تظل البنية الكلية متضمنة فيها . وفى الحقيقة لا ينسحب البناء المؤسسى على البنية الكلية للنصوص فحسب، بل على تتابعات نصية وحوارات وتفاعلات وما أشبه أيضاً : يتضح هذا فى طقس العبادة، بل فى أثناء حركة التجمع/ الاجتماع أو فى أثناء المناقشة البرلمانية .

٥ ـ ٥ ـ ٨ أخيراً ينبغى أن يسرد فى تسلسل عشوائى عدد من الأشكال النصية التى لها عادة بنية عليا نمطية خاصة . وفى حالات كثيرة يمكن أن يوجز ذلك فى أنماط أكثر شمولية ./ ويمكن أن يكون عدد كبير منها ١٥٤ من الجدل (بمفهوم أكثر عمومية) : سواء فى محاضرة الأستاذية أو فى طلب الدعوى أو مرافعة دفاع تسوغ نتيجة بناءً على وقائع وتعليلات وتوضيحات ... الخ . وهكذا فها هنا سرد مؤقت (يقع فيه بين قوسين الرمز (س) مع الأشكال النصية التى ترد باعتبارها شبه نمط فى سياق مؤسسى) :

(٨) ١ ـ محاضرة أكاديمية (الأستاذية مثلاً) (س) .

٢ ـ موعظة (س) .

٣ ـ مرافعة (س) .

٤ ـ اتهام (س) .

٥ ـ شهادة (س) .

٦ ـ دليل [(س)] .

٧ ـ أمر دفع (س) .

٨ ـ غرامة (س) .

٩ ـ محضر استجواب (س) .

١٠ ـ قانون (س) .

١١ ـ أمر إدارى (س) .

١٢ ـ محاضرة [(س)] .

١٣ ـ خبر .

١٤ ـ رجاء .

١٥ ـ أخبار .

١٦ ـ تفسير .

١٧ ـ خطاب مفتوح .

١٨ ـ إنشاء .

١٩ ـ محاضرة .

٢٠ ـ إرشاد .

٥ ـ ٩ ملامح نصية أخرى

٥ ـ ٩ ـ ١ للأشكال النصية المختلفة، بخلاف الملامح المنظمة التى تحدثنا عنها حتى الآن، مجموعة من السمات التى لها درجة عمومية ضئيلة أيضاً، التى تعزا غالباً أيضاً بدرجة أقل إلى النص بمفهوم ضيق، وبدرجة أكبر إلى تمثيل النص . وتعد منها بصفة خاصة الملامح التى تندرج تحت الشكل الخارجى للنص، صورته، وهى ما يمكن أن يطلق عليها حاملات النص (Texttrager) (أى أشكال النقل مثل وسائل الإعلام : الراديو والتليفزيون والصحيفة والمجلة والكتاب والملصق وما أشبه) .

لن نحاول هنا أيضاً أن نطور نظاماً (نسقاً) بل سنقدم وصفاً موجزاً، على أى نحو يمكن أن تؤثر (تفعل) تلك السمات .

٥ ـ ٩ ـ ٢ تحديد براجماتى : كاتب/ متكلم، مكان، تاريخ . ما دام

لم يتضح من السياق البراجماتي من هو المتكلم ومتى وأين أنتج النص، فإن تلك المقاييس البراجماتية سوف تقدم في النص ذاته غالباً أو من الأفضل، إلى جوار النص . عادة ما تكون الحال هي هذه مع نصوص مكتوبة، ومع ذلك يمكن/ أن يكون ذلك ذا أهمية أيضاً في النصوص الشفوية : نص الراديو ١٥٥ أو التليفزيون أو خطاب مجهول للمستمعين . فإن اسم المتكلم أو الحالة المطابقة تقدم النص أو يضاف إليه . ويمكن أن يحدد المستمع أيضاً بشخص أو مجموعة، حين يكتب النص له (لها) أو يوجه إليه (إليها) بطريقة أخرى : كقانون ما يرتبط في الغالب بمجموعة محددة (مثلاً بتلاميذ أو سائقين أو أجراء)، وأمر دفع وما أشبه موجه إلى أشخاص كل على حدة .

ونظراً لأن صدق أو صلاحية أقوال نص ما أيضاً يحددها مكان إنتاج النص وزمانه، فإن المكان والزمان في الغالب أيضاً يصرح بهما في النص المعنى : في مطلع الخطاب أو بداية خبر صحفي . إن صلاحية وثيقة ما على سبيل المثال يمكن إذا لزم الأمر أن تتحدد بفترة معينة (كجواز السفر، والتأمينات) أو بمكان بعينه وزمان بعينه أيضاً (كتذاكر السينما والتحويل البنكي) .

٥ ـ ٩ ـ ٣ سمات دلالية . لضمان استقبال أمثل للمعنى (الكلي) في نص ما، يمكن أن تعبر نصوص مكتوبة عن جزء من البنية الكبرى تعبيراً مباشراً أيضاً، على سبيل المثال في عنوان (عناوين) أو عنوان فرعي (عناوين فرعية) أو عنوان بيني (عناوين بينية) . وعلى هذا النحو يعرف القارئ تقريباً ما موضوع النص، ويمكن أن يقرر بذلك إذا ما كان ما يزال يجب أن يعد النص ذاته ممتعاً أو غير ممتع أو أنه نفسه يقيد معلومة إجمالية عن البنية الكبرى التي ستوجه فهمه للنص . وقد بينت التجارب أنه بوجه خاص حين يكون النص غامضاً أو ملبساً أو صعباً فإن للعنوان وظيفة إدراكية

مهمة لفهم النص [11] . وتصير هذه الوظيفة أكثر وضوحاً فى المختصرات الجزئية أو الكاملة للنصوص فى بداية نص ما أو نهايته أو جزء من نص . ويقدم الخبر الصحفى فى العادة ملخصاً موجزاً للنص ، المدخل ، الذى تدرج من خلاله أهم الأشياء أو الأشخاص أو الأحداث (قارن الفصل السادس أيضا) .

٥-٩-٤ إشارات إلى نمط النص والبنية العليا . يمكن أن تحمل النصوص بما فيها العناوين الفرعية أيضاً لتحديد مؤثر لنمط النص، ومن ثم الوظائف الخاصة وأهمية النص بالنسبة للقارئ أيضاً، إشارات إلى النمط . فالعنوان الفرعى فى رواية أو قصيدة يميز بوضوح نصوصاً أدبية مختلفة، على حين تستخدم النصوص المؤسسية تسميات معينة : كأمر إدارى وقانون وشهادة وما أشبه .

بيد أن ما يصلح للنص ككل يمكن أن يصدق على مقولات محددة للبنية العليا أيضاً . ويصادف المرء فى الغالب فى النصوص الجدلية إشارات خاصة، مثل « مقدمة » أو « نتيجة »، على حين/ تتحصل البنية السابقة الذكر للتقرير البحثى عادة من خلال عناوين مماثلة (مناسبة لعدد المقولات) للفقرات أو الفصول . ١٥٦

٥-٩-٥ يمكن أحياناً أن تتجمع السمات الخاصة بالمستويات البراجماتية والدلالية والتركيبية العليا أيضاً فيما يمكن أن يطلق عليه نصوصاً مصاحبة؛ فلا يحتوى ابتداءً نص طويل مطبوع، فى حجم الكتاب مثلاً، على مقدمة فحسب، بل على تمهيد وخاتمة أيضاً، وللتمهيد فى العادة مهمة

---

(١١) حول أهمية العنوان لفهم النص، انظر الفصل السادس أيضاً .

براجماتية خاصة وهى تزويد القارئ/ المشترى بمعلومة عن السياق/ سبب كتابة النص، وعلله، ودوافعه، والمقاصد التى يتضمنها مضمون النص ووظيفته، وبيان مشكلات خاصة عند إنتاج النص وأخيراً القراء/ الجمهور الذى أوقف النص عليهم . ونظراً لأن الأمر يتعلق هنا بشكل محدد بنص ،عبر ، نص وسياق فإنه يمكن أن يتحدث فى تلك الحال عن نصوص واصفة (Metatexten) . والخاتمة التى لا يجب أن ترجع حتماً إلى المؤلف نفسه، يمكن أن تضطلع بجزء من هذه الوظائف من جهتها فى الغالب فى شكل تفسير لمضمون النص، التحقيق الموفق أو غير الموفق للمقاصد أو من المحتمل سياق التفسير المتغير للنص (على سبيل المثال بعد عدد من السنين عند إعادة الطبع أو نشر جديد) .

ويمكن أن تقدم النصوص المصاحبة أو العناوين بوظيفة اللافتة Etikett أيضاً، باعتبار أنها نص الغلاف أو عنوان على الغلاف أو بوصفها إعلاناً . ويدور الأمر فى الحال الأخيرة حول نصوص مصاحبة لنص أكثر تنظيماً كتبها فى الغالب شخص آخر أيضاً، لها وظيفة الإعلان عن النص فى حد ذاته (ككتاب وما أشبه) على سبيل المثال فى الإرسال الإذاعى أو التلفزيونى بالنسبة لقراءة المؤلفين وما أشبه . ويمكن أن يشمل ذلك الإعلان العنوان وملخصاً ونوع النص واسم المؤلف والجمهور الذى من المحتمل أن يوجه إليهم . ويمكن أن يتحدث فى حال الإعلانات الضخمة بشكل مناسب عن تتابعات نصية أيضاً تترابط فيها علاقات خاصة بين النصوص . وقد تحدثنا فى الفصل السابع عن سلسلة من تلك العلاقات حيث سيدور الأمر حول تحليل المحادثة بوجه خاص .

٥ ـ ٩ ـ ٦ صياغات . لما كان من الممكن أن تتحدد تخطيطياً البنية النصية الكلية ثم تتحقق بعد فى البنية السطحية للنص أيضاً فإن تلك الأبنية

المحددة على نحو مماثل تنشأ أيضاً على المستوى ، الأكثر خصوصية ، للجملة المفردة أو التتابع؛ ويمكن أن يطلق عليها صياغات (Formeln) .
ونتعرف على تلك الصياغات في المقام الأول من الرسائل التي لها بداية وخاتمة محددتان (مقولات البنية العليا) في الغالب مع عبارات معجمية - نحوية خاصة، مثل: بذلك أرغب في أخبركم أن ... أو نرغب بكتابنا في أن نرجوكم من أعماقنا أن ...، التي توضح في الوقت نفسه الوظيفة البراجماتية للنص (خبر، ورجاء ... الخ) .

/ وللرسائل المنتجة في مؤسسة ما أيضاً على هذا المستوى في الغالب ١٥٧ خاصية الالتزام في الصياغة؛ فالأوامر الإدارية والقوانين والعقود تبدأ وتنتهي بصياغات- معيارية (نمطية) أو لا تكون في الحقيقة إلا من تلك الصياغات التي يمكن أن تتحدد بدائلها (متغيراتها)، كل حسب السياق (المرسل والمكان والزمان والفكرة والموضوع ... الخ) . وتصور الاستمارات أيضاً التي يجب أن تملأ في مناسبات باستمرار، تلك التحديدات في المحيط اليومي . وهذه الأمثلة مستقاة من المحيط المحدد اجتماعياً مع معلومات؛ أي نوع الاستيعاب الاجتماعي للمعلومة (Information sverabeitung) [١٢] .

ومع ذلك لا تستخدم تلك الصياغات المحددة بالمفهوم المؤسسي المطروح من قبل فحسب، بل على نحو اجتماعي- براجماتي وإدراكي- براجماتي أيضاً . وفي صورة تقليدية تلفت النصوص الممهدة أو المصاحبة الانتباه الأثير للجمهور (Captatio benevolentiae) ، الذي ينبغي أن يصلح

(١٢) للأسف لا يمكن أن تعالج في هذا الكتاب مشكلة الاستيعاب الاجتماعي للمعلومة التي وضحت بإيجاز في الفصل الأول أيضاً . ونفكر هنا بوجه خاص في النوع والطريقة التي يقسم مجتمع ما بناءً عليها أعضاءه من خلال نصوص ووثائق، على سبيل المثال في بطاقات، وفي الشؤون الصحية (المستشفى)، وفي الشؤون الاجتماعية (بيت المسنين)، ولدى استجواب البوليس وفي المعلومات الشخصية في الحاسوب، قارن فيما تقارن حول بعض جوانب هذه المشكلة أعمال سندوف Sundow (ed.) (1972) ، وقارن أيضاً سيكورل Cicourel (1968) .

للنص التالى « الفعلى »؛ وعلى نحو مشابه يمكننا أن نحاول من خلال صياغات التهذيب أو صياغات المجاملة أن نحدد ما يلائم السامع/ القارئ . ومن ثم يقبل فعلنا اللغوى أو يمكننا أن نعبر من خلال تلك الصياغات عن الحالة الاجتماعية للمتكلم فى مقابل السامع .

٥ ـ ٩ ـ ٧ بهذه الطريقة نتحول الآن فى إيجاز شديد، بالوصول مرة أخرى إلى البنية السطحية للنص، إلى الأبنية الفونولوجية والحرفية ـ الطبوغرافية الكلية والجزئية . فالعنوان بلا شك سيقع فى موضع خاص، وسيكون بارزاً من خلال حروف ضخمة أيضاً بالمقارنة ببقية النص . ولا نستخدم لإيضاح خصائص البنية الكبرى عناوين فرعية فقط، بل تحديدات علامية للفقرات أيضاً، نترك من خلالها مسافة، وإلا نوضحها كتابياً على نحو آخر (فى تتابع رقمى)، وتقسيمات إلى أجزاء وأبواب وكتب ومجلدات ... الخ . إن تلك التقسيمات الكتابية شائعة جداً؛ إنها انعكاسات لتقسيم البنية الكبرى، عند الانتقال إلى موضوع جديد .

ويمكن للتقسيم الفونولوجى/ الكتابى للنص أيضاً أن يتحول إلى تقسيم عرفى أو تقسيم مؤسسى . أما أكثر الأمثلة انتشاراً لذلك النظام هو الوزن وأبيات الشعر فى القصائد . ويمكن مع الأخيرة أن يضطلع الطبع (اختيار الكتابة وما أشبه) والتنظيم الطبوغرافى بوظائف خاصة ـ إن المرء يفكر فى القصيدة الحسية .

٥ ـ ٩ ـ ٨ من المفيد والمجدى أن يفرق بين النصوص من جهة وبين حاملات النص وقنوات النص والوسائل من جهة أخرى . وبهذا المعنى لا تكون الكتب والجرائد والمجلات واللافتات والوثائق وما أشبه أنماطاً نصية، ١٥٨

بل حاملات للنص . ومع ذلك ففى حالات كثيرة يكون الفرق بين النص وحاملات النص والسياق ليس واضحاً تماماً، كما هى الحال مع الرسالة أو المناقشة : فالرسالة ليست شكلاً نصياً فحسب، بل شكل اتصال بنفس القدر تماماً . وعلى العكس من ذلك فالبطاقات (أنظمة البطاقات DIN) والملصقات والعناوين وما أشبه هى حاملات واضحة للنص .

ويجب أن يفرق فى العادة بين القنوات النصية من جهتها بناءً على سماتها الاتصالية الفنية والسمعية البصرية (التلفزيون والراديو والتليفون والصحافة والإعلانات الملصقة ... الخ)، وهى تدخل غالباً تحت إطار مصطلح « الوسيلة الإعلامية Medium » : وعادة ما يستخدم هذا المصطلح لقنوات النص وحاملات النص، حين يدور الأمر حول « اتصال أكبر »، أى : حين يمثل السامع جمهورا كبيرا واسعا . وفى الواقع إن حل تلك المشكلات مهمة نظرية اتصال أكثر شمولية، تتجاوز إلى حد بعيد إطار الفكرة المعالجة هنا[١٣] .

٥ ـ ١٠ أبنية نصية : موجز

٥ ـ ١٠ ـ ١ يمكننا أن نحاول فى هذا الموضع أن نقدم ملخصاً موجزاً لأهم الأبنية النصية المعالجة، قبل أن نتجاوز ذلك إلى تحديد وضع النص فى السياق والاتصال والتفاعل بدقة . انطلاقاً من ذلك المعيار الواسع فإن هذا التفريق بين أنواع مختلفة من الأبنية النصية ضرورى، لأن هذا يرتبط بمعايير إدراكية واتصالية واجتماعية وثقافية متباينة .

وقياساً على التقسيمات المعتادة فى النحو ونظرية اللغة وفلسفة اللغة وعلم العلامات والدلالة والبراجماتية ميزنا بعد ذلك فى كل مستوى بين

(١٣) بالنسبة للإشارة إلى نظرية الاتصال، قارن هامش ١٢ فى الفصل الأول .

الأبنية الصغرى - (الجزئية)، والأبنية الكبرى - (الكلية)، أى : وفق المحيط والمجال والمدى . وثمة فروق مشابهة فى التخصصات العلمية الأخرى معتادة أيضاً، كما هى الحال فى الاقتصاد، حيث يفرق بين تنظيم البيت الأصغر للأسرة، وتنظيم البيت الأكبر للجماعة أو المحافظة أو الدولة أو مجموعة الدول . وأخيراً يتتبع فى كل مستوى كيف تستخدم القواعد والمقولات فى كل على نحو مميز (الأسلوب) وما الأبنية الإضافية أو العمليات الجزئية أو الكلية التى يمكن أن تتحقق فى البنية اللغوية للنص (الأبنية البلاغية)، بوصفها أنظمة أو صياغات أو صيغ تمثيل محولة إلى عرفية أو مؤسسية أو ليست عرفية ولا مؤسسية .

وعلى الرغم من أن وصف البنية النحوية للجملة هو جزء متضمن فى وصف النص فإننا قد تركنا هنا هذا المجال الضيق/، إذ إنه فى العادة الموضوع الحقيقى لعلم اللغة (النحو)، وفى الحقيقة يقوم علم النص على علم اللغة، غير أنه يحاول بوجه خاص أن يسلك سلوكاً أكثر شمولية .

١٥٩

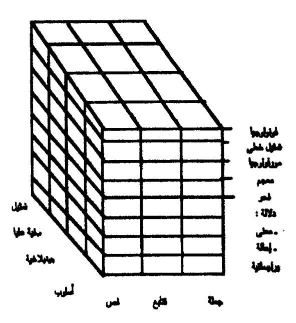
ويمكن أن يكون قد اتضح أيضاً أنه بهذا القدر الذى ابتعدنا فيه عن الوصف اللغوى فإن الملاحظات أو مناهج الوصف قد صارت أكثر تجزيئاً وغموضاً وغير نسقية : إننا نعرف عن علم دلالة التتابعات أكثر من معرفتنا عن البراجماتية، وفى الوقت نفسه نعرف عن الأبنية البلاغية والأسلوبية أيضاً أكثر من معرفتنا عن الأبنية (العليا) الكلية والسمات النصية المختلفة الأخرى مثل صيغ التمثيل التى أمكن أن يقدم لها حصر غير منظم فى الأغلب .

وبقدر ما قد ناقشنا حقاً كل الأنماط المهمة للأبنية النصية، فإنها تتأكد ضرورة من خلال تحليل آخر للقيود والوظائف والتأثيرات ومعايير أخرى للاتصال (الفعلى) . بيد أن هذا يعنى أننا من وجهة نظر منهجية نركن إلى موقف مؤداه أن الأبنية اللغوية والنصية وحدها مهمة من الناحيتين

الإمبريقية والنظرية؛ تلك الأبنية التى لها علاقة بملامح السياق الإدراكية والاجتماعية والثقافية . أما أن نكون مع ذلك فى هذه اللحظة حقاً قادرين على أن نتطور فى نظرية ما كل هذه العلاقات بشكل واضح ومنظم فأمر آخر.

٥ - ١٠ - ٢ سنحاول فى الخاتمة مع التحفظ الضرورى تجاه إمكانية أن نعرض كتابة أبنية معقدة، أن نضع الأبنية النصية المختلفة فى نظام؛ نستخدم فيه هذا الأبعاد الثلاثة : المستوى والمجال/ المدى والشكل/ النوع والطريقة .

ومن ثم وجب أساساً أن نظهر كل السمات النصية التى عولجت فى هذا الكتاب فى واحد من ٩٦ مربعاً من هذا المكعب الخاص ببنية النص (أو فى العلاقات بين المربعات) .



٦ - سيكولوجيا استيعاب النص

٦ - ١ طرح القضية

٦ - ١ - ١ ناقشنا فى الفصول المتقدمة من هذا الكتاب أنواعاً مختلفة من الأبنية النصية، فقد تقدمنا خطوة أولى فى اتجاه السياق، إذ إننا قد تناولنا الأفعال الكلامية التى تنجز، حين يعبر عن نص ما فى سياق معين . ونستكمل فى هذا الفصل والفصل التالى توضيح العلاقات بين النص والسياق. فنمضى هنا بشكل منظم بادئين بالسياق الأكثر مباشرة؛ السياق الفيزيائى الذى يحدث من خلال الإنتاج والفهم و › الاستيعاب ‹ التالى . وفى السياق التالى سنراعى التفاعل الاجتماعى على المستوى الأصغر، أى : على مستوى التخاطب والاتصال النصى فى مجموعات صغيرة . ونأمل فى كتاب لاحق أن نعالج دور النصوص والوثائق على المستوى الأكبر للأبنية الاجتماعية - على سبيل المثال نصوص فى وسائل الإعلام والمؤسسات - ثم نختتم بالسياق الثقافى الأوسع (الأنثروبولوجى) للنص والاستخدام اللغوى .

٦ - ١ - ٢ تتعلق أهم مشكلة، سنبحث فى هذا الفصل، بالتفسير الواقعى للنصوص . ونستخدم مصطلح › تفسير ‹ على نحو شكلى للغاية فى علم الدلالة والبراجماتية أيضاً، حين يدور الأمر حول إلحاق أبنية دلالية وإحالية وأحداث لغوية أيضاً بنص ما . وفى الحقيقة يتعلق الأمر هنا بتوضيح الجوانب السيكولوجية (النفسية) التى تلعب دوراً فى فهم النص . ونستخدم للتفريق بين التفسير الشكلى والتفسير السيكولوجى (النفسى) فى حال التفسير الأخير المصطلحات › فهم ‹ و › إدراك ‹ وتفسير إدراكى (معرفى) أيضاً . ويمكن انطلاقاً من هذا الفهم أن يقال إن معلومة ما من النص أو عن النص

تختزن فى الذاكرة . أما المشكلة هنا فهى أى معلومة أو ما طبيعة المعلومة التى يحافظ عليها فى الذاكرة، وكيف تربط هذه العملية بفهم النص . ماذا يحدث مع المعلومة المختزنة فى الذاكرة ؟ مما لا شك فيه أننا ننسى بعد وقت معين كماً كبيراً من المعلومات، بينما تظل معلومات أخرى يمكن استخدامها .

لذلك نتساءل : ما المعلومات التى ننساها أولاً وما المعلومات التى يستبقى عليها بوجه خاص ؟ وأيضاً : متى/ تظل معلومات معينة مختزنة ١٦١ فى الذاكرة، وكيف يمكن أن نعثر عليها مرة أخرى بشكل فعال لتوجيهها فى وظائف أخرى - مثلاً لفهم نصوص أخرى ؟ وتكمن أخيراً وظيفة جوهرية لآليتنا السيكولوجية فى أننا يمكننا أن نستدعى معلومات ما فى إطار ظروف معينة : نتذكر شيئاً، وينتج عن ذلك السؤال التالى : أى شيء من النص، حقيقة ما الذى نتذكره، حين قرأناه أو سمعناه ؟

سوف نناقش مثل هذه المشكلات السيكولوجية الإدراكية [1] . يقال بوجه عام : يوصف مجال السيكولوجية الإدراكية بأنه مجال الوظائف ››المعقدة ‹‹ أو الفيزيائية ›› العليا ‹‹، مثل الفهم والكلام والتفكير، وحل المشكلة والتخطيط ... الخ . وسوف يأتى دور الجوانب الإدراكية لسيكولوجية استيعاب النص بوجه خاص . وهذا لا يعنى بأية حال من الأحوال أنه مع إنتاج النصوص واستيعابها لا تلعب عوامل نفسية أخرى؛ عوامل عاطفية/ مؤثرة مثلاً، دوراً : يمكن أن نكون أشراراً أو حزانى أو سعداء أو متوترين، حين نقرأ نصاً أو نسمعه، على حين أنه على العكس يمكن أن تحدد تلك العوامل العاطفية سمات النص (خصائص النص)، على نحو ما رأينا عند تناول الأبنية الأسلوبية . وقد أشرنا فى ذلك المقام أيضاً إلى أن أحوالاً عاطفية

---

(١) يمكننا أن نذكر هنا من بين الكتيبات الكثيرة عن السيكولوجية الإدراكية مقدمة كتاب لندسى ونورمان (1972) Lindsay & Norman بوجه خاص، وكذلك دراسات نيسر (1967) Neisser، وكينتش (Kintsch (1977a .

وصدمات أو اضطرابات عصبية (واعية أو فيما وراء الوعى) ذات أهمية خاصة عند تحليل النصوص، لأنه يمكن أن تتحدد بذلك جوانب معينة للشخصية، وذات أهمية فى إرث التحليل النفسى، وفى تاريخ أحدث تحليل لاستراتيجية المحادثات واستخدامها فى إطار تقنيات معالجة نفسية متباينة .

سوف نستبعد كل هذه التضمينات العاطفية أو التحليلية النفسية أو العلاجية النفسية لتحليل النص عن دائرة الملاحظة : فمن ناحية ما تزال معرفتنا بهذه العمليات ضئيلة، وبخاصة أنها لم تتأسس بعد بشكل منظم أو امبريقى (عملى) إلا نادراً . ومن ناحية أخرى تدرك تلك البحوث مع الاستعمال اللغوى ككل (على سبيل المثال مشكلة اختيار الكلمة التى تفسر تفسيراً رمزياً)، وبشكل أقل للغاية مع أبنية نصية . وفضلاً عن ذلك فإنه توجد إلى حد ما مداخل كافية فى التحليل النفسى والعلاج النفسى التى تتوول من خلالها تحليلات الأحلام، بل وتحليل المحادثات أيضاً، إدارة المحادثات وما أشبه . ومن ثم فإننا سوف نركز هنا على الاستيعاب الإدراكى للنص*(٢) .

٦ ـ ١ ـ ٣ لا يتعلق استيعاب النص بفهم النصوص والاحتفاظ بها وتذكرها فحسب، بل بعمليات إدراكية أخرى أيضاً / ـ وضع الروابط بين ١٦٢ معلومات من نص ما والمعارف والمعلومات التى نمتلكها من قبل لزيادة معرفتنا أو تصحيحها . وفضلاً عن ذلك فنحن قادرون على أن نجيب عن أسئلة عن نصوص، أو أن نصف/ نعدل نصوصاً أو أن نلخصها أو نعلق عليها. نستطيع بمساعدة معلومات نصية أن نحل مشكلات أو نوجه أفعالنا على نحو آخر، مثلاً من خلال إرشاد الاستعمال . إن الأمر فى سلسلة من تلك

---

(٢) حول إشكالية المحادثة بوجه عام قارن الفصل السابع وهامش ٢٠ فى الفصل الأول .

الوظائف الإدراكية يدور حول عمليات تعليمية بوجه عام : كيف نكتسب معرفة وإدراكاً من خلال معلومات نصية ؟ كيف تختزن هذه المعرفة، ويعثر عليها مرة أخرى، وتستخدم من جديد ؟

٦ ـ ١ ـ ٤ إن الأبنية والعمليات السيكولوجية التى تلعب دوراً فى فهم النص، ذات طبيعة أكثر عمومية أحياناً . وغالباً ما تستخدم عند فهم مشاهد (مرئية) وأجزاء من مشاهد (*) أيضاً، وفى واقع الأمر كيف أعيد إنتاجها (فيلمياً مثلاً)، كيف عرضت القواعد والاستراتيجيات والمقولات ذاتها . وهذه هى سمة عامة للاستيعاب المعقد للمعلومة (٣) .

٦ ـ ٢ مسارات أساسية لاستيعاب المعلومة

٦ ـ ٢ ـ ١ قبل أن نتوجه إلى فهم النصوص نتابع هنا بضع ملاحظات عن فهم اللغة واستيعاب المعلومة بوجه عام، ما مستويات التحليل والمفاهيم والأسئلة والمشكلات التى تلعب دوراً ؟ من البدهى أننا لا يمكن أن نناقش فى إطارنا إلا المفاهيم الأهم من علم اللغة النفسى والسيكولوجية (اللغوية) الإدراكية (٤) .

(*) يلاحظ هنا أن مصطلح " Episode " قد ترجم إلى جزء من مشهد أو حوار فاصل أو حدث بينى أو حلقة تبعاً للسياق الذى يرد فيه، وهو ما لا يناقض معانيه فى المعاجم اللغوية، فهو :

١ ـ الحوار الفاصل فى المأساة اليونانية القديمة، أو ٢ ـ واقعة : حدث ثانوى فى سرد طويل قد يتصل به اتصالاً مباشراً، وقد يكون بمثابة استطراد منه، أو ٣ ـ الحلقة : أحد أقسام السرد المسلسل تمثيلياً كان أو روائياً ... معجم مصطلحات اللغة والأدب، مجدى وهبة باختصار .

(٣) قارن لندسى ونورمان أيضاً Lindsay & Norman لفهم هذه المفاهيم (المصطلحات) ومفاهيم أخرى عن الاستيعاب الإدراكى للمعلومة .

(٤) عن مجال علم اللغة النفسى/ السيكولوجية اللغوية لا نركز إلا على المجلد الجامع لـ D'Arcais & Levelt (1970)، Flores ؛ عن التضمينات السيكولوجية للنحو التوليدى قارن كل من : odor, Bever & Carret (1974)، ومداخل بسيطة وهى مداخل كل من سلوبن (1971) Slobin ، وكلارك وكلارك (1977) Clark & Clark .

٦ - ٢ - ٢ حين نريد أن نحلل استيعاب المعلومات، ننطلق ابتداء من أن كائناً حياً مدركاً، إنساناً مثلاً، يقابل بإشارات حاملة للمعلومة على نحو يجعله يدرك هذه العلامات . ويمكن أن ينشأ هذا الإدراك بمساعدة الحواس . ويكون هذا الإدراك غالباً مرئياً أو مسموعاً عن الفهم اللغوى . ولكن ثمة عدداً من المسارات الأساسية ضرورية لإمكان إلحاق معلومات بسلسلة من العلامات المرئية والمسموعة . وبرغم أن تلك الأسس صالحة لفهم الصور فإننا نقتصر على فهم منطوقات لغوية، مكتوبة ومنطوقة .

/ ويبدو الأساس الأول على النحو التالى، وهو أن مستخدم اللغة قادر ١٦٣ على عزل وحدات متميزة فى التتابع (الصوتى) المستمر للغة، أى : أنه يستطيع أن يقطع (يجزىء) إشارات من هذا التتابع . وفى الواقع فقد وجدت هذه التجزئة فى الكتابة : حروف وكلمات فصلت باعتبارها وحدات بعضها عن بعض .

أما الأساس الثانى فهو التصنيف إلى مقولات Kategorisierung، فلكى تفهم العلامات يجب أن تجرد : وحتى حين ينطق أو يسمع صوت مّا من الناحية الفونيمية على نحو مباين، يمكن أن يفسر الصوت دائماً بوصفه الصيغة الصوتية ذاتها . هذا هو الفرق الحاسم أيضاً (قد تحدثنا عن ذلك فى البداية) بين الفونولوجيا وعلم الأصوات . ويتضمن هذا المبدأ من الناحية السيكولوجية أن أصواتاً واردة (جديدة) يجب أن تقارن بصورة صوتية ، مجردة ، معروفة من قبل، حيث ينتج عن ذلك الحكم بأنها إما (a) وإما (o) . ومن البدهى أن هذه العملية لا تحدث بسرعة شديدة ونادرة بشكل واضح إلا عن وعى : على هذا المستوى الأساسى يصير الفهم اللغوى آلياً بشكل كامل تقريباً . ومع ذلك لا يقتصر التصنيف إلى مقولات على فهم الفونيمات فحسب، بل يوجد على مستويات أخرى أيضاً : فنحن نتعرف كلمات نعرفها من قبل، أى : نلحق صورة لفظية (مورفيم) بصورة معينة للأصوات . وفى الوقت نفسه يحدث تصنيف نحوى أولى : تلحق صور لفظية معينة

بمقولات نحوية معينة، مثل الأداة أو الاسم . وبناءً عليه يتبين فى الحال مبدأ ثالث : تأتلف الوحـدات، تتـركب مع وحـدات أخـرى، ويمكن أن يدرك الائتلاف تارة أخرى على أنه وحدة . وهكذا فمبدأ الائتلاف صالح لفهم المورفيمات لأن الفونيمات تتوالى، ولفهم أجزاء الجمل والجمل لأن المورفيمات تتابع .

ويعرف مستخدم اللغة المبادئ الممكنة للائتلاف فى هذه اللغة (القواعد)، ومن ثم يدرك بوجه عام ما الائتلافات الممكنة التى تكون مقبولة. ويستخدم على مستوى الائتلافات أيضاً التصنيف الحتمى إلى مقولات، بحيث يمكن أن توظف مجموعة من المورفيمات على أنها فاعل الجملة . وعلى مستوى فهم الكلمة والجملة - برغم ذلك - فى الوقت نفسه يقع المبدأ التالى؛ مبدأ التفسير : يلحق معنى معين، محدد عرفياً بصيغة الكلمة وأجزاء الجملة والجمل . وهذا يعنى : أن مستخدم اللغة لا يستحضر، حين يفهم كلمة ما، إلا الصيغة اللفظية المماثلة من ذاكرته (مجال - المعرفة اللغوية) فحسب، بل المعنى الممكن الفعلى (المعانى الممكنة الفعلية) الذى (التى) يرتبط بالصيغة اللفظية . ويؤثر مبدأ التصنيف على هذا المبدأ أيضاً : فعلى الرغم من أن مستخدم اللغة يمكنه عند تفسير الصيغ اللفظية أو أجزاء الجمل أو الجمل أن يمتلك كماً كاملاً من التداعيات الأخرى فيجب أن نفترض كذلك أنه قادر أساساً على أن يلحق بها معنى خاصاً عرفياً، إنه العرف الذى يمكن المتحدث من خلال منطوق على أكثر تقدير/ من التعبير عن هذا المعنى بدقة، ولكن نظراً لأن لصيغ لفظية كثيرة فروقاً دلالية دقيقة عدة أو حتى معان مختلفة فإنه دون معلومة أخرى من النص أو السياق يكون سوء الفهم ممكناً بسهولة حين يستقى مستمع ما من كلمة أو جملة معنى غير مقصود .

١٦٤

وهكذا نرى أن استيعاب المعلومة يقوم حقيقة بشكل خاص على إلحاق معانٍ بعلامات (يمكن إدراكها)، وأن هذا ممكن فقط نتيجة لعمليات عقلية :

التجزئة والتصنيف إلى مقولات وتأليف المدرك . ويجب هنا أيضاً أن نكون على بينة من أنه لا تفسر الوحدات وحدها، بل العلاقات بينها أيضاً، التى تحدد تأليفها الممكنة . وحين نفرق فى سيكولوجية الفهم اللغوى أيضاً بين البنية السطحية والبنية العميقة لمنطوق ما أو بين الأبنية المورفو ـ فونولوجية ـ نحوية والأبنية الدلالية، فإن هذا يتضمن أن علاقات نحوية ما مثلاً يمكن أن تضم علاقة دلالية أيضاً باعتبارها رابطاً معنوياً . بيد أنه يجب أن يركز على أن المبادئ الأربعة المطروحة لاستيعاب المعلومة ليست متعاقبة، بل فى حالات كثيرة تترابط بعضها ببعض . ولذا يجرى غالباً تصنيف نحوى، ذلك حين تفهم الصيغ اللفظية لأجزاء الجملة المعنية . ومن ثم يلحق بها صيغة دلالية ما . ومثل ذلك يصلح لتجزئة المورفيمات وللتعرف على ائتلافات معينة . وخلافاً لما فى النحو يوجد إنتاج اللغة وفهمها أيضاً على مستويات عدة فى الوقت نفسه : إذ تمكن وحدات أو عمليات على مستوى ما بوساطة شديدة من عمليات على مستوى آخر أو على الأقل تدعمها .

٦ ـ ٢ ـ ٣ تحدثنا حتى الآن بشكل عام جداً عما يفعل مستخدم اللغة من الناحية العقلية لكى يستطيع أن يفهم منطوقاً ما . وانطلقنا هنا من ذلك إلى أنه يعرف سلسلة من الصيغ اللفظية ـ بالإضافة إلى ـ المعانى كما يعرف عدداً من قواعد التأليف والتفسير أيضاً وأن الاستعمال اللغوى الحقيقى (الكلام أو الفهم) يقوم على هذه المعارف، حتى أن ثمة أجزاء بارزة للإدراك تقارن بهذه المعارف بشكل مستمر . وفى الحقيقة مما يميز الاستيعاب الإدراكى للمعلومة أنه توجد دون هذه المعارف للقواعد السارية بوجه عام استراتيجيات للتطبيق الفعال للقواعد أيضاً . ويمكن أن تلاحظ لعبة الشطرنج باعتبار أنها مثال مطابق لتوضيح الفرق بين الاستراتيجيات والقواعد، إذ توجد ابتداءً قواعد عامة ثابتة للعب الشطرنج، يجب أن يتبعها أساساً كل لاعب شطرنج، يريد أن يلعب الشطرنج بوجه عام . بيد أنه بالإضافة إلى ذلك يكمن مغزى

اللعب الكلى فى أن أحد اللاعبين يحاول أن يميت الآخر . ولا يجب عليه من أجل هذا الهدف أن يفهم لعب الشطرنج بشكل صحيح فحسب، بل أن يعرف سلسلة من الاستراتيجيات المثلى أيضاً/ لكى يقضى - حقيقة - على ملك الآخر ١٦٥ . ويوجد ما يماثل ذلك تقريبا فى الاستخدام اللغوى وفى الاتصال : يدور الأمر هنا حول محاولة تحقيق الأهداف الاتصالية للتفاعل تحقيقاً محتملاً ومؤثراً أيضاً لإفهام المستمع ماذا يعنى المرء من جهة المضمون أو ما الوظائف البراجماتية لهذا المنطوق . وفى حال بعضها يجب على السامع أن يضع لفهم جمل ما سلسلة من الفروض التى تتعلق بالتجزئة والتصنيف والتأليف والتفسير التى عرضت ابتداءً بشكل مباشر، حتى حين يجب على أساس هذه القواعد أن يتغير ذلك الفرض المقبول فى أثناء استيعاب آخر الجملة . وترتكز استراتيجية من الاستراتيجيات المنتشرة للغاية مثلاً على الفرض القائل بأنه فى الاستخدام اللغوى فى أغلب الجمل، يقوم الاسم الأول، المكون الاسمى الأول بوظيفة المسند إليه للجملة، ومن الناحية النصية الدلالية هو « موضوع » الجملة فى الوقت ذاته . وتعنى هذه الاستراتيجية أيضاً أنه يمكن أن يبدأ بتصنيف مؤقت، أى : بعملية تركيب (Strukturierung)، حتى وإن كانت بقية الجملة ما تزال لم تستوعب بعد . على هذا النحو يعجل باستيعاب الجملة، ومن ثم على الفهم بشكل أسرع أيضاً .

٦ - ٢ - ٤ تعد الذاكرة أهم مكون فى نموذج الاستيعاب الإدراكى للغة . فإذا ما أراد المرء بوجه عام أن يستوعب النصف الثانى من الجملة فإنه يجب عليه أن يعرف كذلك ماذا وقع فى النصف الأول . وفى أثناء الاستيعاب يجب عليه أن يحافظ على معلومات عن البنية وفهم الكلمات أو أجزاء الجمل حتى تستخدم مرة أخرى لبناء علاقات نحوية ضرورية . أما مكان الحفظ الإدراكى لتلك المعلومات فهو الذاكرة .

يفرق بوجه عام بين نوعين مختلفين من الذاكرة - ذاكرة المدى القصير وذاكرة المدى الطويل (*) . ذلك الفرق مقبول إذا ما اعتبر المرء أن صوراً كثيرة من المعلومات المختزنة لا تكون فى المتناول إلا لمدة قصيرة، على حين تكون معلومات أخرى ضرورية متوفرة مدة أطول كثيراً أو ربما دائماً حين يعمل الكائن الحى بصورة ملائمة، وهكذا يحتاج إلى معلومات فونولوجية ومورفولوجية ونحوية دقيقة فيما يتعلق ببنية أجزاء الجمل فى الجملة ككل، وربما للجملة المتقدمة واللاحقة .

ليس هناك من قارئ يقرأ هذه الصفحة يكون قادراً على إعادة إنتاج الجملة الأولى حرفياً، وإن فهم هذه الجملة، وإن بقيت أبنية الجملة هذه فى ذاكرته لبعض الوقت . لذلك نفترض أن تلك المعلومات ، العابرة ، تختزن فى ذاكرة المدى القصير لوقت معين ما دام يوجد مكان فى ذاكرة المدى القصير هذه . ومع ذلك فمحتوى الجملة، أى : بنيتها الدلالية، يجب فى العادة أن يقع لمدة أطول تحت التصرف لإنشاء، كما سنرى بعد قليل، ١٦٦ علاقات الربط النحوى والتماسك الدلالى/ بالمعانى السابقة واللاحقة للجملة، بل لبناء معرفتنا على المدى الأبعد فى الوقت ذاته أيضاً .

لذلك ينقل على الأقل جزء من تلك المعلومات إلى ذاكرة المدى الطويل ولهذا السبب يطلق على ذاكرة المدى الطويل ذاكرة دلالية أو تصورية أيضاً (*) . وحين يلاحظ المسار الكلى فإن ذاكرة المدى الطويل تعمل حقيقة باعتبار أنها نوع من بوتقة العمل تلقى فيها المعلومات الواردة المعالجة الأولى لها، بحيث يمكن أن يحتفظ بها أخيراً فى ذاكرة (المدى الطويل) الدلالية .

(*) لم أرد أن أعدل عن ترجمة هذين المصطلحين وهما (ein Kurzzeit Gedachtnis (short term memory ومختصرة (S T M) = ذ م ق، و ein Langzeit Gedachtnis (long term memory) ومختصرة (L T M) = ذ م ط، وذلك لشيوع الترجمة الواردة بالمتن ومناسبتها .

(*) عن نظرية الذاكرة قارن كينتش Kintsch (1977a) وتولفج ودونالدسن Tulvig & Donaldson (1972) أيضاً .

رأينا أن هذه المعالجة تجرى فى الأساس على تفسير إدراكى لعلامات واردة، أى : عبر ترجمة المفاهيم أو العلاقات بين المفاهيم فى قضية ما (أو إلى شبكة من المفاهيم) . وحين نناقش آليات الفهم النصى فإننا سنعنى بهذا الاستيعاب الدلالى للمعلومة وحده، أى : بتصورات وقضايا، وسنطرح عند ذلك أنه قد نقلت أجزاء من جمل وجمل فى ذاكرة المدى الطويل إلى معلومات دلالية .

وفضلاً عن ذلك فإن ما أوردنا عن الذاكرة ووظيفتها عند فهم المنطوقات صالح بوجه عام أيضاً لإدراك المعلومات واستيعابها، مثلاً لفهم الصور : يحلل (ويجزأ ويصنف ... الخ) الإدراك التصويرى فى ذاكرة المدى القصير، ثم يفسر دلالياً كمفهوم « كرسى » أو التأليف المفهومى « سقط الكرسى » . حتى أنه يفترض أحياناً أيضاً أن المسارات الأساسية التى توجه تفسير المنطوقات وتحددها والمسارات التى توجه تفسير انطباعات أخرى متطابقة إلى حد كبير . ولذا يمكن مثلاً أن تكون الطريقة التى نؤلف من خلالها البنية الدلالية لجملة ما من فهم أجزائها، لها علاقة وثيقة بالإدراك الحسى للصور والمشاهد واستيعابها . ثمة مسألة خلافية مثلاً هى مسألة هل ليس لدى المرء فى ذاكرته إلا أبنية تصورية مجردة، تعد بالنسبة للغة والصور أيضاً أساس تفسيرها وحفظها أو هل لدى المرء فى ذاكرته بالأحرى ـ بشكل محتمل ـ تصورات « لغوية » أكثر من صور منقولة (Abbildungen) [٦] . ومهما يكن من أمر فإنه لا يمكن أن يشك فى أن الاستيعاب اللغوى للمعلومة والاستيعاب المرئى لها يرتبط بعضهما ببعض : يمكننا بلا مجهود كبير أن نصف صورة أو منظراً أدركناهما الآن أو من قبل فى منطوق . ويمكننا على العكس من ذلك أن نشكل تصوراً أيضاً وفق منطوق

---

(٦) يقدم بايفيو Paivio (1971) نظرة مفصلة عن الروابط بين اللغة والصورة وأوجه استيعابها .

ما . يحدث أننا فى وقت متأخر لم نعد ندرك هل رأينا حادثة معينة/ بعينها [١٦٧] أو هل لم نسمع من ذلك إلا شيئاً أو هل قرأنا عن ذلك شيئاً أو أننا قد تخيلنا أو تصورنا ذلك كله .

إن الفرق بين ذاكرة المدى القصير (ذ م ق) وذاكرة المدى الطويل (ذ م ط) ما يزال عاماً للغاية . ويبدو أن تحديداً كاملاً لـ (ذ م ط) وذاكرة دلالية يمكن أن يكون مضللاً أحياناً، إذ يمكننا أن نختزن فى (ذ م ط) معلومات ذات بنية سطحية أيضاً (مثل النص الحرفى الذى يقوله شخص ما أو شعاراً أو نصاً غنائياً، أسلوباً يتحدث أو يكتب من خلاله أو النغمة أو إيقاع أغنية أو قطعة موسيقية أخرى) . ويمكن على العكس من ذلك أن يفترض أنه فى (ذ م ق) أيضاً أو على أية حال ، لوقت قصير ، يجب أن تكون المعلومات الدلالية متاحة، ومن الممكن ألا تهيىء لمدة قصيرة جداً إلا لفهم جمل وتتابعات جملية . وحتى حين تفهم جملة معينة فى بداية هذا الفصل فإن المرء لا يكون فى العادة قادراً على إعادة هذه الجملة مضمونياً، أى : من خلال جملة مماثلة أو حتى التعرف عليها . وسوف يكون هذا الاعتبار بعد قليل منطلقاً لمعالجة مشكلات إدراكية خاصة، تنشأ عند فهم النصوص ومعلومات دلالية معقدة بوجه عام .

وحتى يمكن أن نستمر فى التفريق بين الأنماط المختلفة للذاكرة يورد بخلاف ذ م ق و ذ م ط مصطلح ذاكرة مشهدية (episodisches Gedachtnis) أيضاً . ومما يميز الذاكرة المشهدية العارضة التى تعد فى الغالب جزءاً من ذاكرة المدى الطويل هو التسجيل الخاص لسلسلة من سمات المعلومة ـ المدخل . أين ومتى وكيف يدرك ويفهم شىء ما . وهكذا لا يمكن أن يتذكر بوجه عام أن الرئيس الشيلى آلانده قد اغتاله الفاشيون فحسب، بل سيعرف أيضاً متى وكيف تستقبل هذه المعلومة .

بيد أن هذا يعنى أن ذ م ط تستخدم بالأحرى خازنة لمعرفتنا عن وقائع خاصة أو عامة وأننا نستذكر من خلال الذاكرة المشهدية العارضة

أحداثاً بعينها شاركنا فيها (متضمنة قراءة أشياء معينة وسماعها) . ومن الممكن بوجه عام أن تختزن المعلومة الدلالية ، المحددة الأجل ، التى نستخدمها لفهم جملة أو نص ما بشكل متميز فى الذاكرة المشهدية العارضة .

٦ ـ ٢ ـ ٥ يرتبط بهذه المشكلات من نظرية الذاكرة عمليتان متلازمتان بل إنهما عمليتان عقليتان مختلفتان غاية الاختلاف، وهما (إعادة) التعرف والتذكر . ويجب علينا هنا أن نرجع بادىء ذى بدء أن المعلومة التى تختزن فى الذاكرة، يجب أن يعثر عليها مرة أخرى أيضاً . ومن الممكن كذلك أننا قد اختزنا ذات مرة معلومة معينة فى مكان ما فى الذاكرة الدلالية، غير أننا لم نعد نعثر عليها . وفى هذه الحال يتحدث المرء عن النسيان . ويمكن للمرء أن ينسى بشكل مؤقت أو مستمر، وهو/ ما يعنى ١٦٨ بالنسبة للأول أنه فى ظروف معينة يمكن أيضاً أن يعثر على ، طريق ، لجعل المعلومة التى لم يتوصل إليها من قبل سهلة المنال مرة أخرى .

ويكمن الفرق الجوهرى بين (إعادة) التعرف والتذكر فى أنه تتوفر لنا فى أثناء التعرف معلومة فعلية نحتاج أن نحدد منها بوجه خاص هل وجدت فى مكان ما فى الذاكرة . ويمكننا بمساعدة هذا ، النموذج ، أن نفتش الذاكرة بسرعة وبشكل فعال، نحتاج بتأكيد ما أن نحدد فقط إذا ما كان لتلك القطعة معلومة هناك . يجب بالنسبة للتذكر أن تحرك آلية التذكر (Gedachtnismechanismus) بشكل أقوى حقيقة : يطلب فى إطار المهمة المقدمة أن يعيد شخص ما إنتاج قطعة ، معلومة ، بلا نموذج . ومن البدهى أن هذه العملية يمكن أن تسهل بـ ، إيحاءات ، معينة، يمكن من خلالها أن يشار إلى سلسلة من الخصائص المميزة للمعلومة .

وفى الحقيقة تجعل كلتا العمليتين من الضرورى أن المعلومة لا تختزن فى الذاكرة بشكل عشوائى . بعبارة أخرى : نحن قادرون فقط على حفظ

كميات ضخمة من المعلومات، نحتاج إليها من خلال معطيات عامة وخاصة، بالنسبة لفعاليتنا الإدراكية والاجتماعية ـ على الحفاظ عليها فى الذاكرة، حين تركب المعلومات تركيباً مؤثراً بدرجة أو بأخرى . ويمكننا أن نفترض أن ما نعرفه عن مناضد وكراس ولمبات يختزن متصلاً بمعرفتنا العامة عن الأثاث والمتاع . وعلى نحو مشابه تعمل معرفتنا من خلال أناس آخرين ومن خلال العلاقات الاجتماعية . ولذلك تشكل التصورات المختلفة التى توجد فى الذاكرة الدلالية، تجمعات (تكتلات) معينة، يمكن مثلاً أن يحققها المرء فى اختبارات التداعى التقليدية . تلك الأبنية المتكتلة يمكن ـ على الأقل جزئياً ـ أن تتفرع بشكل تدريجى : أشياء مختلفة نعرفها عن بيتر تصلح بوجه عام للغاية أيضاً لأناس أو لرجال أو لموضوعات معينة، على سبيل المثال إمكان أن يكون بيتر مريضاً، أن يصير أباً، أن يكون من الممكن رؤيته .

إن أبنية متدرجة من هذا النمط شرط حتمى لاستيعاب فعال للمعلومة (تخزين ـ مخرج) : لا نحتاج لكل تصور فى الذاكرة أن نختزن كل الخصائص (الممكنة) لهذا التصور، بل يمكننا أن نستنبط هذه الخصائص من خصائص تصورات ، أعلى ‹، حين نحتاج إلى تلك المعلومات . وفى العادة قد اخترنا بالنسبة للتصور › بيتر ‹ بلا وعى معلومات عن أنه له قلب .

ومع ذلك يمكن أن تكون هذه المعلومة من خلال الاستنباط (من مفهوم ›› كائن حى ‹‹) متاحة فى الحال ما دمنا يجب أن نفسر حدثاً أو منطوقاً، وتكون الحقيقة القائلة بأن بيتر له قلب، مهمة بالنسبة له . وفضلاً عن ذلك لا يمكن أن ينتج عن ذلك أنه ربما توجد فى الذاكرة عملية تكرير (Multiplizierung) أو إطناب : فإذا أراد المرء أن يستوعب معلومات ما بسرعة وبلا طرق ملتوية، يمكن أن تصير ضرورياً فى الغالب أن يتوفر له فى الحال وبشكل مباشر بعض التفاصيل/ بدلاً من وجوب استنباطها .

فنحن نعرف أن القطة حيوان دون وجوب أن نستنبط هذه الحقيقة من الحقيقة العامة وأن الأمر يدور مع القطة حول حيوان ثديى . ويمكننا أن نوجز عن بنية الذاكرة أنه فيها تختزن معلومات بشكل تركيبى متدرج إلى حد كبير، وأنه توجد قواعد معينة لربط معلومات بمعلومات أخرى بناءً عليها يمكن أن يجرى المرء استنباطات معينة . ويجب أن يضاف إلى ذلك مبدأ الاستيعاب الجوهرى جداً : الطريقة التى تختزن من خلالها معلومات فى الذاكرة . ومن ثم الطريقة التى تجعل هذه المعلومات سهلة المنال فيما بعد أو يمكن أن يعاد إنتاجها ترتبط بالطريقة التى تستوعب من خلالها المعلومات لأول وهلة . وبعبارة أخرى : إن البنية التى تلحق بمعلومة فى أثناء الإدراك والفهم، تحدد فى أى درج وعلى أى مستوى وداخل أية بنية أشمل يحتفظ بهذه المعلومة فى الذاكرة . سوف ندرك مؤخراً أيضاً أن هذا المبدأ أساسى للوصول إلى إدراك النمط والطريقة التى تفهم من خلالها جمل نص ما ويحافظ عليها .

٦-٢-٦ قد أوردنا فى الفصول الخاصة بالتماسك النصى الخاص والعام مصطلحاً إدراكياً له علاقة مباشرة تماماً بطريقة تقسيم وظائف الذاكرة هو : مصطلح الأطر (Rahmen (frame [٧] . وكما نوقش من قبل فالأطر هى أشكال معينة للتنظيم بالنسبة للمعرفة المحددة عرفياً التى نمتلكها عن العالم . ومن ثم تشكل الأطر جزءاً من ذاكرتنا الدلالية العامة، لا يختزن فيها معلومات، مثل : ولدت ماريا طفلاً، بل معلومات مثل : ولدت نساء أطفالاً .

(٧) نظرية الأطر التى طورها منيسكى (1975) Minsky عولجت فى محاضرات بوبرو وكولينز (1975) (.Bobrow & Collins (ed برجه خاص، وقارن أيضاً تشارنياك (1975) Charniak الذى استخدم هذه الفكرة فى تحليل حكايات الأطفال، وشانك وابلسون (1977) Shank & Abelson اللذين ينطلقان مما يسمى بالذكاء الاصطناعى، أى زيف الحاسوب . حول مناقشة العلاقات بين الأطر والأبنية الكبرى لفهم النص قارن فانديك (van Dijk (1977e .

ولا تتعلق الأطر فى تحليل دقيق (فقط) بقوانين أو قواعد أو معايير فيزيائية وبيولوجية وسيكولوجية، بل بقواعد وأعراف ومعايير وأشخاص وأدوار ووظائف وأحداث كثيرة وما أشبه بوجه خاص . إنها تلعب دوراً فى مواقف اجتماعية .

إن معرفة الإطار ضرورية للتفسير المحدد لأحداث اجتماعية أكثر تبايناً، لإسهام خاص كاف فى تلك الأحداث، وبوجه عام لإيجاد مدلول لسلوكنا الخاص وسلوك الآخرين . فعلى سبيل المثال يعد « الأكل فى مطعم»، و « السفر بالقطار »، و « التسوق » هذه أطراً تحدد، أى أحداث يجب أن ننجزها فى أى تتابع وبأية درجة من الضرورة، حين نريد أن نحقق هدفاً اجتماعياً معيناً ./ ويتبين بذلك أن هذه الأطر تعد صيغة لتنظيم عقلى - ١٧٠ لأفعال وأحداث معقدة ومقولبة : نحن نعرف ببساطة أننا يجب ابتداءً أن نقطع تذكرة سفر (فى القطار، من الشباك) حتى يمكننا أن نجعل رحلة بالقطار موفقة وأننا لا نتلقى أى طعام فى مطعم حين لا نطلبه أو من المحتمل أن نحضره بأنفسنا . ونعرف أيضاً أنه من فضل القول أن يسافر فى القطارات بطاقيون لهم حقوق وواجبات معينة، وأننا نجد كذلك فى محل شخصاً يخدمنا أو يمكننا أن ندفع له نقوداً .

وبذلك يمكن أن يوصف إطار ما بأنه بنية - مفهومية فى الذاكرة الدلالية مكونة من سلسلة من القضايا التى ترتبط بأحداث مقولبة . وهذه القضايا تنتظم على نحو من الأنحاء ضمن أخرى بشكل متدرج بحيث تتغلب الخصائص الضرورية والأعم لهذه الأحداث على معلومات عن تفاصيل فرعية . إن الإطار لا يتكون من أجزاء ثابتة أو ضرورية، بل من عدد من نتائج متغيرة أيضاً، تمكن من استخدام الإطار ذاته لكم كبير من مواقف مشابه؛ فأن يتعرف المرء فى القطار على شخص لطيف مثلاً يمكن أن يضاف إلى الإطار متغيراً (بديلاً) . إن الأمر يدور هنا حول تحويل معلومة

وردت فى النص أو ورود أحداث متساوقة (مقابلة رجل فى القطارة وليس فيلاً أو رائد فضاء) . سنرى فيما يلى إلى أى مدى تكون تلك المعرفة الأطرية ذات أهمية بالغة لفهم اللغة أو النصوص .

٦ ـ ٣ فهم النص I : فهم التتابعات الجملية

٦ ـ ٣ ـ ١ بعد أن عالجنا سلسلة من المفاهيم والمبادىء الأساسية التى تصف استيعاب المعلومة وفهم اللغة وصفاً عاماً جداً، فسوف نوجه انتباهنا فى بقية الفصل إلى فهم النصوص وإلى جوانب أخرى لاستيعاب النص، مثل : (إعادة) الإنتاج، والإيجاز .... الخ بوجه خاص .

بينما ما تزال نظرتنا بالنسبة العمليات والأبنية الحقيقية التى تلعب دوراً عند استيعاب اللغة، جزئية للغاية فإنه يجب أن يلاحظ هنا بادى الأمر أننا لا نعرف شيئاً تقريباً فى هذه الحال عن استيعاب أبنية دلالية معقدة، مثل النصوص، إذ بدء منذ وقت قصير بحوث امبريقية قليلة فى هذا المجال(٨) .

على علم اللغة النفسى والسيكولوجيا الإدراكية الأمريكية، فى الغالب، لدى أنصار (المتشددين أحياناً) بأوجه تطوير نظرية فى علم اللغة فى السنوات الماضية، وبوجه خاص بالإدراك الحسى للأصوات وفهم الكلمات وبناء التصورات وتذكر كلمات بلا معنى واستيعاب أبنية نحوية بشكل خاص. والحق أنه قد تحصل فى هذه المجالات كم من النظرات المهمة فى عمليات الفهم التى ذكرت فى هذا الفصل وفى بنية الذاكرة، ومع ذلك تدل نظرة حقيقية فى آليات عملية الاستيعاب اللغوى على أنها غير ممكنة دون نموذج

---

(٨) صارت مراجع سيكولوجيا اكتساب النص فى تلك الأثناء غزيرة إلى حد ما . ومن بين هذه المراجع التى ظهرت فى صورة كتاب، قارن كنتش ,Kintsch (1974 1977a) وماير Meyer (1975) وفريدل Freedle (ed.) (1977) وفان دايك وكنتش van Dijk & Kintsch (1977) وكنتش وفان دايك Kintsch & van Dijk (1978) ، وجست وكاربنتر Just & Carpenter (ed.) (1977) والإشارات أخرى أيضاً .

للاستيعاب الدلالى للمعلومة . وفى الوقت الذى صارت فيه الآن بشكل تدريجى بعض نتائج الفهم (الدلالى) لأجزاء الجمل والجمل معروفة، فإن الخطوة التالية الضرورية يمكن أن تكون واضحة : أن تستوعب وأن تفهم جمل بالنظر إلى جمل أخرى فى نصا ما و/ أو إلى سياق غير - فعلى . وهكذا ١٧١ يجب أن تتوفر نظرية إدراكية للاستيعاب اللغوى من خلال نموذج يراعى فيه كيف تفهم وحدات معقدة مثل النصوص وتختزن ويعاد إنتاجها وتنتج وكيف توجه الحوارات توجيها عقلياً .

وعلى الرغم من الندرة المذكورة فى نتائج البحث الصارمة فإننا نعرف بعض حيثيات مؤكدة عن خصائص خاصة للاستيعاب الإدراكى للنص، ونظراً لأنه يبدو أن هذه الحقائق تدعم بوجه عام الوصف النظرى للأبنية النصية الذى خطط له فى الفصول السابقة، وهو ما يبرز أهميتها السيكولوجية الممكنة بوجه خاص، فإننا يمكننا فى الخطوة التالية أن نضيف أيضاً إلى نموذج للاستيعاب الإدراكى للنص مكوناً نظرياً . ومن ثم فإن ذلك الذى عالجناه هنا يمثل فى الحقيقة تأليفاً من نظرات عامة ثابتة بدرجة أو بأخرى حول الاستيعاب الدلالى للمعلومة، ومن نتائج شديدة الخصوصية لأبحاث امبريقية حول مواد نصية، وأخيراً من سلسلة من فروض مقبولة عن أبنية وعمليات ممكنة تلعب دوراً فى الاستيعاب النصى .

٦ - ٣ - ٢ كان منطلقنا الفرض القائل بأن استيعاب النص يرتكز على أبنية تخصص لمنطوقات عند الإدخال فى الذاكرة وعند الاستيعاب فى ذاكرة المدى القصير . ويسرى هذا المبدأ ذاته على استيعاب النصوص أيضاً . فقد استطعنا أن نقرر أن ما يميز النصوص ذو طبيعة دلالية (وبراجماتية)

(٩) حول فهم الجمل قارن المراجع المذكورة فى هامش ٤، بل وكتاب كلارك Clark (1976) أيضاً .

بوجه خاص . ويفرق هناك من خلال ذلك بين البنية الخاصة . أو البنية الصغرى، أى : بنية القضايا والتتابعات القضوية - والبنية الكبرى الأكثر عمومية لنص ما . ويجب أن نرجح أن هذا الفرق النظرى له أهمية بالنسبة لنموذج سيكولوجى للاستيعاب النصى أيضاً : فمن جهة يفهم مستخدم اللغة جملاً وتأليف جملية (موجزة) ، ومن جهة أخرى / يفهم (فى هذا المقام) ١٧٢ نصاً - أو قطعاً من نص - بشكل أكثر عمومية . ويدعم هذه الفروض حقائق سيكولوجية، على سبيل المثال الحقيقة القائلة بأن مستخدم اللغة يمكن أن يتذكر بلا مجهود كبير المضمون العام للنص (أى البنية الكبرى) وأن هذا التذكر ليس إلا لمدة قصيرة، وأنه لا يمكنه فى الغالب أن يتذكر البنية الصغرى للنص إلا بشكل متقطع للغاية . ولذلك سوف نعالج ابتداءً فهم هذه الأبنية الصغرى .

٦ - ٣ - ٣ يشترك فهم التتابعات الجملية مع فهم الجملة (المركبة) فى سلسلة من الخصائص . ويجوز هنا فى المقام الأول أن توجه عملية الاستيعاب أساساً توجيهاً دلالياً، أى : يريد مستخدم اللغة أن يستوعب بوجه خاص معلومات مضمونية من الجمل والتتابعات الجملية فى ذاكرته، وليس معلومات مورفولوجية أو فونولوجية أو معجمية أو تركيبية . إن تلك الأخيرة هى كما رأينا أدواتية فى العادة : تستوعب باعتبار أن المعلومة الدلالية صيغت أو عبر عنها من خلالها . وهذا يمكن أن يؤكد ببساطة إلى حد ما حين نطلب من الأشخاص الخاضعين للتجربة أن يعيدوا فى الحال وبعد بضع ثوان أو دقائق جملاً قد سمعوها أو قرأوها . ويتبين بذلك هنا أن تكراراً حرفياً لجمل أو تتابعاً من جمل طويلة إلى حد ما أو معقدة لم يعد ممكناً بوجه عام بعد مرور بعض الوقت وأن الإعادة المضمونية على الأقل ممكنة أحياناً من

خلال تعديل ما [١٠] . ومع ذلك سنرى أيضاً أن فى الذاكرة توجد قيود أيضاً بالنسبة للمعلومات الدلالية .

وثبت من جانب آخر أن نحوية الجملة ما تزال لا تلعب إلا دوراً هامشياً فى استيعاب النص على هذا المستوى الدلالى . فحين تقدم للأشخاص الخاضعين للتجربة - مثلاً - نصوص مثل :

١ - حين عاد بيتر إلى البيت أخذ حماماً، ولبس حلة جديدة .

٢ - عاد بيتر إلى البيت . أخذ حماماً . بعد ذلك لبس حلة جديدة .

فإنهم لم يعودوا يعرفون، حينما يسألون (فى اختبار التعرف)، هل قرأوا معلومة معينة (قضية مثلاً) فى شكل النص (١) أو النص (٢) فإن المعلومة المكونة من جمل جزئية أو جمل متباينة تدمج فى بنية دلالية وحيدة، مثلاً فى قضية (معقدة) . وكما بينت اختبارات الذاكرة أيضاً من خلال جمل المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول، يدور الأمر مع بنية الجملة وتجزئة الجملة أيضاً فى تتابع ما، بشكل خاص حول مسألة : على أى نحو توزع المعلومة المعنية فى النص، وتدرج وتنظم (هذا فيما يتعلق بما اشترط/ بأنه معروف وفيما يتعلق بمعايير الوصف أيضاً) وترتب . ١٧٣

والحق أن سمات البنية السطحية تلك تحدد كذلك البنية الدلالية، ومع ذلك فحين تشكل هذه البنية للمرة الأولى، فإن البنية السطحية الأصلية لا تعود مهمة، ويمكن لذلك أن تنسى [١١] . وينتج عن ذلك أننا سنستخدم لنموذجنا عن الاستيعاب (الجزئى) الأفقى للنصوص مفاهيم الأبنية التصورية، مثل قضايا، وعناصر القضايا وعلاقات بين قضايا وعناصر القضايا .

---

(١٠) يعالج مثلاً برانسفورد وفرانكس Bransford & Franks (1971,1972) قيود إعادة إنتاج أبنية جملية، ومن ثم التحديد الدلالى للفهم .

(١١) وصف ساكس Sachs (1967) ، وكلارك Clark (1976) قيود القدرة على التذكر مع الجملة المبنية للمعلوم خلافاً للجمل المبنية للمجهول .

٦-٣-٤ تقدم نظرية جزئية عن القدرة المباشرة لذاكرة المدى القصير الدلالية مكوناً جوهرياً بالنسبة لنموذج استيعاب النص . فقد أشير إلى أن مستخدمي اللغة غير قادرين على تخزين أكثر من عدد معين من وحدات معلومات البنية المورفولوجية والفونولوجية والمعجمية والنحوية في ذاكرة المدى القصير . ومن جهة الوظائف الدلالية - البراجماتية للاتصال ليس هذا ضرورياً أيضاً، فضلاً عن أن هذه القدرة كافية لتحويل أبنية سطحية إلى أبنية دلالية . ومع ذلك فإنه يوجد في الاستعمال اللغوي العادي شيء كهذا على نحو معين : فلا يحتاج إلى الإبقاء على كل جوانب المعلومات الدلالية، لكي يمكن أن يفهم نص ما . يقال ببساطة : لا يستبقي مستخدم اللغة إلا المعلومة المهمة له من النص ويخزنها في الذاكرة .

ومع ذلك فإنه عند فهم تتابعات جملية يدور الأمر أساساً حول قدرة مستخدم اللغة على التحكم في العلاقات الضرورية بين القضايا . ومن ثم يجب أن تكون هذه القضايا متاحة على الأقل لوقت قصير فيما يمكن أن يطلق عليه : ذاكرة المدى القصير الدلالية (ذ م ق د) (*) . وبمجرد أن يمتلىء موقع التخزين هذا، يجب أن تستبعد معلومات، أي : يجب أن تحال إلى ذاكرة المدى الطويل (١٢) . ولا نستطيع إلا أن نخمن أي قدرة لذاكرة المدى القصير الدلالية ضرورية لفهم الجمل (المركبة) والتآليف الجملية . على أية حال فإنها يجب أن تكون كبيرة بشكل كاف لتمكن مستخدم اللغة من أن يربط جملاً متوالية مباشرة بعضها ببعض دون مصاعب . وبعبارة أخرى: يجب أن تكون المكونات الدلالية لـ ج متاحة بشكل مباشر ليمكن فهم جملة ج + ١ . ونجابه هنا مرة أخرى في النموذج الإدراكي مصطلح التفسير النسبي من علم الدلالة النصي .

(*) ترجمة لمصطلح : (semantisches Kurzzeit _ Gedachtnis (SSTM .

(١٢) حول الجوانب النظرية لقضية الاستيعاب النصي، قارن كنتش وفان دايك Kintish & van Dijk (1978) .

وإذا افترضنا مثلاً أن مستخدم اللغة يمكن أن يفهم فى العادة جملة تتكون من ١٠ إلى ٢٠ قضية نووية، / فإن هذا يعنى، حين تكون الجملة ١٧٤ التالية المرتبطة بالأولى طويلة كذلك، أن فى (ذ م ق د) على الأقل مكاناً يجب أن يكون لـ ٢٠ إلى ٤٠ قضية . ومع ذلك فإن هذا ما يزال غير كافٍ . وسنرى أيضاً أنه تضاف كذلك قضايا تستقى من الجزء الإدراكى لـ (ذ م ط) ليمكن ربط هذه القضايا بعضها ببعض ربطاً متماسكاً، وفضلاً عن ذلك تحدد سلسلة من قضايا أكثر عمومية - وهى قضايا كبرى - الموضوع المطروح للقطعة النصية . وربما نصل من كل ذلك إلى عدد يقرب من ٥٠ قضية كقدرة قصوى لذاكرة المدى الطويل الدلالية : يجب أن يكون مستخدم اللغة بمساحة الخازنة هذه قادراً دون وسائل معينة أخرى، ودون إقحام الـ (ذ م ط) على إنشاء السياق الجزئى (الموضعى) لنص ما .

ويبدو أن هذا ضئيل، ولذلك لا يجب أن نزعم أيضاً أن مستخدم اللغة قادر بلا شك على (إعادة) إنتاج هذه القضايا الخمسين . فالأمر لا يدور فى المقام الأول إلا حول « التذكر الفعلى (الإيجابى) » فحسب، بل حول « التذكر السلبى » بوجه خاص : لفهم لفظ (هو) فى جملة ج ١، يحتاج مستخدم اللغة أن يبحث فى الجملة المتقدمة ابتداءً عن شخص أو موضوع فقط، يحيلان فى احتمال كبير إلى الموضوع ذاته أو الشخص ذاته . سنعود إلى ذلك فيما يلى . إن أهم عامل يحدد القدرة (الضخمة نسبياً) لذاكرة المدى القصير الدلالية هو عادة عملية تركيب المعلومات .

ويجب أن يضع المرء بوجه عام نصب عينيه أن الاحتفاظ بالأجزاء الجزائية للمعلومة، أى الكلمات أو الجمل، التى ليست أية علاقة بعضها ببعض، ومن ثم إعادة إنتاجها، أكثر صعوبة من الاحتفاظ بالمعلومات التى بينها ترابط نحوى أو دلالى أو دلالى على نحو آخر (سردى مثلاً) وإعادة هذه المعلومات .

ويسرى ما يشبه ذلك على الـ (ذ م ق د) . فالقضايا لا تسعى إلى أن تظل منفصلة بعضها عن بعض، بل إنها تبنى بنية تتكون من علاقات الربط المتحدث عنها فى الفصول الأخيرة .

(٣) (i) علاقات الربط الأساسى بين القضايا (ككل) : قيود/ نتائج ممكنة، ومحتملة وضرورية .

(ii) علاقات التماسك بين عناصر قضوية

(أ) مطابقة إحالية (مثلاً : إيان ... هو ... الشاب) .

(ب) علاقات إحالية (مثلاً : يان ... يداه ...) .

(جـ) علاقات محمولية أيضاً على أساس الإطار الإدراكى [يان] اشترى تذكرة سفر ... توجه إلى القطار ...) .

(د) علاقات زمانية (... اشترى ... توجه ...) .

(هـ) علاقات صيغية (ربما يأتى فعلاً ويأتى بزهور) : العالم نفسه أو عوالم ممكنة مترابطة بعضها ببعض .

(iii) موضوع (بنية كبرى) .

وبخلاف هذه العلاقات التى يجب أن يستوعبها مستخدم اللغة ليمكن فهم تتابع ما، والتى تهم البنية فى الوقت نفسه،/ التى تمكن من إمكان ، ١٧٥ هضم ‹ معلومات كثيرة دفعة واحدة، فما تزال توجد - على نحو محتمل - سلسلة من العلاقات الوظيفية بين القضايا التى تهم الأبنية المتدرجة التالية فى العلو . تقابل تلك العلاقات الوظيفية عند وصف التتابعات الجملية : إذ يمكن أن يعنى حدث لغوى ما إعداداً ومكوناً وتدعيماً وتوضيحاً وتصحيحاً ... الخ لحدث لغوى آخر، ويمكن أن يحدث ما يشبه ذلك على المستوى الدلالى أيضاً : فالقضية الأولى مكون، تخصيص، تقييد وما أشبه للمعلومة التى تنتج قضية أخرى على سبيل المثال :

(٤) ماريا تريد أن تتزوج سويديا . طوله متران (*) .

(*) يناظر الضمير المضاف للمبتدأ فى الجملة الثانية الضمير (er) فى الجملة الألمانية التى تبدأ به الجملة فى الأصل .

فالجملة الثانية تقدم لنا قضية يمكن أن تفسر على أنها تخصيص لمعلومة الجملة الأولى . ومع ذلك ما يزال لم يدرس هذا النمط من العلاقات من هذه الناحية درساً وافياً [١٣] . غير أننا يمكن أن نفترض أن هذه العلاقات تسهم فى بناء المعلومة . ومن ثم يمكن أن يكون لها تأثير على تخزين المعلومة فى الذاكرة وإعادة إنتاجها أيضاً .

وأخيراً يجب أن نفترض أيضاً بأنه لا توجد بنية فقط تقوم على علاقات التماسك المذكورة بين القضايا، بل يوجد أيضاً ، تشكيل « دلالى أكثر خصوصية لقضايا نووية فى » إطار الحالة «، أى : بنية دلالية للعلاقات الوظيفية بين الحجج/ والمشاركين [١٤] . وهكذا يمكن أن نقسم الجملة التالية إلى سلسلة من قضايا نووية، يمكن أن تنظم مع ذلك بناءً على علاقات الحالة كذلك .

(٥) زعم بيتر أن لصاً قد هدده بسكين أمس، بحيث وجب عليه أن يسلمه حافظته مع النقود .

(٦) ١ - بيتر = س ١
٢ - زعم (س ١، (٣))
٣ - (٤) بحيث (٩)
٤ - هدده (س ١، س ٢)
٥ - لص (س ٢)
٦ - أمس ((٣))
٧ - (زمن) ماض (س ٢، س ٣)
٨ - سكين (س ٣)
٩ - وجب عليه (س ١، (١٠))
١٠ - أن يسلم (س ١، س ٤)
١١ - حافظة (س ٤)
١٢ (حرف) جار (س ٤، س ٥)
١٣ - نقود (س ٥)

فكما تشير بنية الجملة (٥) منذ قليل، تشكل هذه القضايا النووية الثلاثة عشرة - التى تقدم معلومات من الجملة طويلة للغاية غير واضحة - حقيقية معقدة؛ تلك الحقيقة هى بيتر يزعم شيئاً عن حقيقتين/ (حادثة ١٧٦

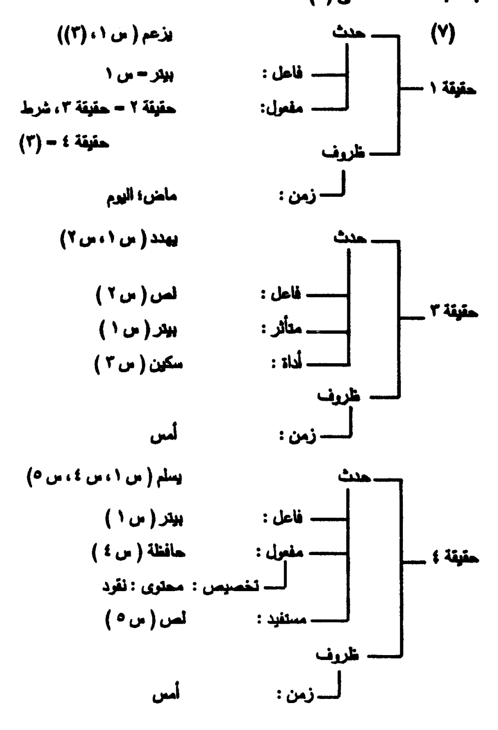
---

(١٣) استخدم ماير Meyer (1975) علاقات وظيفية فى الاستيعاب النصى، أى مع بناء أبنية متدرجة، وقد اعتمد على جريمس Grimes (1975) .

(١٤) لبنية الحالة الإعرابية للجمل، كما وصفها ضمن ما وصف فيلمور Fillmore (1968) تأثير على استيعاب الجمل، قارن كنتش وغيره Kintisch (1974) .

وتسليم الحافظة) مرتبطتين بعضهما ببعض . يشير مصطلح (الحقيقة) المفهوم المستخدم هنا إلى التمثيل الإدراكى لموضوعات (وقائع) فى العالم.

إن البنية الدلالية الوظيفية للجملة هى صورة لبنية أدوار المشتركين فى الحدث - فى مصطلحات مثل ، فاعل ‹ و ، متأثر ‹ و ، مفعول ‹ و ،أداة‹ و ، هدف ‹ وما أشبه، كما أنها تترابط من خلال المحمول (فعل) بالنسبة لمثالنا، كما فى (٧) :



على الرغم من أن هذه البنية ـ أى : المقولات المختلفة وعلاقاتها ـ فيما يختص بالمعرفة المحدودة، وهى ما نقف عليها من خلال الدلالة الوظيفية ـ ما تزال ذات طبيعة مؤقتة للغاية، فإننا يمكن مع ذلك أن نفترض أن مستخدمى اللغة ينظمون عند فهم الجمل والتتابعات الجملية/ الأجزاء الدنيا للمعلومة، المعبر عنها من خلال القضايا النووية، فى وحدات يسهل إنجازها، مثل الحقائق [١٥]، التى أوردناها آنفاً .

١٧٧

ومع ذلك يلاحظ كذلك أن الأمر يتعلق فى هذا الفصل بحقائق إدراكية، وليس حول موضوعات أو حقائق من الواقع، التى نعدها فى الفصول المتقدمة مدلولات القضايا (Denotata) . وبرغم ذلك يرتبط بهذا الغموض الاصطلاحى رؤية معينة : لدينا علة افتراض أنه ليس فقط عند فهم اللغة، بل عند إدراك الأحوال والأحداث وتفسيرها أيضاً، يستعمل مخطط للحقائق كالمخطط السابق لإيجاد ترابط معين بين المعلومات الكثيرة .

إذا عدنا إلى طرحنا الأساسى للقضية مرة أخرى ليمكن فهم جملة مركبة أو سلسلة من القضايا فإنه يجب أن يربط مستخدم اللغة سلسلة من القضايا بعضها ببعض، حيث تستوعب هذه القضايا (±٥٠) فى (ذ م ق د)، بحيث تبنى فى الوقت نفسه على مستويات مختلفة أشكال مختلفة (دلالية وإحالية ووظيفية ومؤطرة ... الخ) للأبنية، بين القضايا أو عناصرها. إن الوحدة العامة للمعلومة على هذا المستوى هى حقيقة، تتكون من بنية لعلاقات وظيفية بين المشاركين فى حال أو حادثة مطروحة أو حدث معطى. ويمكن من خلال مثلنا أن يتبين أن القضايا النووية الثلاثة عشرة تشكل أربعة حقائق .

---

(١٥) حول تمثيل الأبنية النصية والإدراكية استخدمنا هنا قضايا استناداً إلى علم الدلالة اللغوى والمنطقى . ومع ذلك ما تزال توجد أيضاً أنظمة تمثيل أخرى لتقديم المفاهيم وأبنيتها، قارن مثلاً نظام شانك فى كتاب شانك وابلسون Shank & Abelson (1977) ، ونورمان وروملهارت Norman & Romelhart (eds.) (1975) أيضاً .

وإذا ما أريد تقدير كفاءة الخازنة في الذاكرة الدلالية، فإنه يمكن أن ينطلق المرء، حين يريد أن يربط هذه الجملة بجملة متقدمة وجملة لاحقة، من أن عدد وحدات هذا الشكل تقدر بـ ١٢ تقريباً . وعلى الرغم من أننا مع ذاكرة المدى الطويل نحسب قدرة لخمسين قضية تقريباً، ومن ثم لخمس عشرة حقيقة تقريباً، فإنه لا يمكن أن يستنتج من ذلك أن مستخدم اللغة سيستخدم قدرة الخازنة هذه باستمرار أيضاً استخداماً كاملاً . ففي أغلب الحالات يكون الفهم الجزئي (الموضعي) للنص ممكناً، حين تربط أجزاء جملية أو جمل متوالية نسبياً . وكذلك لا تضم جملة طويلة نسبياً، كالجملة (٥) المؤخرة إلا ٤ حقائق .

ويمكن أن يضاف كذلك في هذا الموضع أن أبحاثاً أخرى حول قدرة ذاكرة المدى القصير ووحدات استيعاب المعلومة قد أسفرت عن وجود طبيعي في محيط العدد السحري (٧) [١٦] . وفي حالة وجود وحدات أكثر فإنها تجيز / بنية أخرى على مستويات أخرى . ١٧٨

وهكذا يمكننا بلا مجهود أن نستوعب ونحتفظ بأعداد حتى سبعة أرقام، وربما يسري ما يشبه ذلك على قائمة من الكلمات أيضاً، سلسلة من قضايا (غير مركبة) وسلسلة من حقائق . فقد رأينا أيضاً أن عدد المقولات لأية حقيقة لا تزيد عن سبعة تقريباً . ومع ذلك فإننا لم نعد نعلي من الآن فصاعداً بتلك النظرات المحدودة عن قدرة الاستيعاب وقدرة الذاكرة بالنسبة لذاكرة المدى القصيرة . فالأهم هو أن هذه القدرة محدودة فعلاً، ومع ذلك فإنه بناءً على علاقات تركيبية كثيرة بالنسبة للاستيعاب المباشر يمكن أن يختزن عدد كبير نسبياً من وحدات دلالية للمعلومة .

---

(١٦) العدد السحري « سبعة » تعبير المحلل النفسي جورج ميلر George Miller الذي أراد أن يشير من خلال ذلك إلى أن العدد « سبعة » له قيمة حدية مهمة عند استيعاب المعلومة على مستويات متباينة، قارن ميلر (1956) Miller .

٦ - ٣ - ٥ تتضمن ملاحظات الفقرة السابقة أن فهم التتابعات الجملية فى نص ما يجب أن يتضمن نوعاً من الخاصية الدائرية : تستقبل سلسلة من قضايا وتترابط هذه القضايا ثم يسمح ثانية بسلسلة جديدة من القضايا (مثلاً من جملة تالية)، وتربط هذه إذا أمكن بالسلسلة المتقدمة .

ومع ذلك فإن الـ (ذ م ق د) تحمل للغاية، بحيث يجب أن يحدد، ما المعلومة التى يجب أن تمحا من (ذ م ق ط) قبل إمكان السماح بمعلومات جديدة . وهكذا فالسؤال هو : ماذا يجرى فى تلك الدائرة ؟

يقال بوجه عام : يرجع الأساس الدائرى للمعلومات - انطلاقاً من استيعاب النصوص إلى ربط معلومات جديدة بمعلومات قديمة (أى : معروفة من قبل) . وقد تبين أن هذا ممكن فحسب، حين تتداخل تلك الدوائر . وحتى يمكن إنشاء علاقات فإنه مع ذلك من الضرورى للغاية : أن يوجد ابتداء موضوع ما، أى قضية كبرى أو عدة قضايا، يمكن بناءً عليها أن تتحقق علاقات الربط الأساسى (النحوى) والتماسك الدلالى . ويحتاج من الآن أيضاً إلى معلومة إطار ضرورية، أساسها الـ (ذ م ط)، لتقدم « الحلقات المفقودة »، أى القضايا التى لا تقع فى الأساس النصى المعبر عنه (المتضمنة) التى يحتاج إليها لا محالة ليمكن إنشاء ترابط فى الأساس النصى. وبذلك يتشكل المضمون التالى لدائرة تفسير :

(٨) (أ) شروط تفسير ضرورية (قضايا أولية) من معلومة «سابقة» .

(ب) معلومة سابقة، مثل : قضايا جملة أخيرة .

(جـ) معلومة جديدة، مثل : قضايا جملة مفسرة .

(د) قضايا كبرى، لربط (ب) بـ (ج) .

(هـ) قضايا إطار، لربط (ب) بـ (ج) .

(و) تضمنيات مقبولة، لـ (ب) بـ (ج) .

(ز) معلومات تخطيطية (لبنية عليا) استناداً إلى الوظيفة العامة لـ (ب و ج) .

(ح) بنية الربط الأساسى والترابط لـ (ب و ج و د و هـ) .

/ وهكذا فالأمر لا يدور حول كم غير منظم للقضايا، بل حول سلسلة ١٧٩ من القضايا التى تتفرع تركيبياً، وهو ما تحدد فى (ح) . وفضلاً عن ذلك يمكن أن تتطابق بعض القضايا : قضايا أولية يمكن أن تتطابق مع قضايا كبرى، وبعض قضايا كبرى يمكن أن تتطابق مع قضايا صغرى، بينما تتطابق فى الغالب التضمنيات المقبولة مع « الحلقات المفقودة » التى يقدمها الإطار الإدراكى . وتحت (أ) تقع قضايا يحتاج إليها للتفسير النسبى الصحيح لمعلومة سابقة، فالأمر يتعلق هنا بقضايا متبقية من دائرة متقدمة، تعنى بترابط أفقى مستمر، مثلاً من خلال تطابق إحالى . ويمكن مثلاً أن نضيف إلى جملة (٥) الجملة التالية :

(٩) ولكنى أظن أنه لا يمكن أن يسرق وأن النقود نفسها قد اختفت .

وفى هذه الحال فإننا نقف من خلال قضايا جملة (٩) وقضايا جملة (٥) على العلاقات بينها، وكذلك من خلال الفروض الأولية لـ (٥)، وهى : أن بيتر موجود أو أنه معروف للسامع وأن الحقيقة الخاصة بالنقود قائمة أو أن الكلام خاص بها، ومن خلال قضية كبرى، مثل وجوب أن يكون بيتر قد صرف النقود فى مكان ما، وأخيراً من خلال معلومة الإطار التى تتعلق بأن الأمر يدور فى العادة مع لص ما حول المال وأن تهديداً ما يقدم شرطاً محتملاً لأن يكون المال قد ذهب، وفضلاً عن ذلك يبدو أن استخدام « زعم » أيضاً يتضمن أن المتكلم يشك فى حقيقة ما يتحدث بيتر عنه، وهو ما يتبين فى وضوح فى الجملة الجديدة (٩) .

بيد أنه إذا أعقبت الجملة (٩) جملة ما أيضاً، فإن المعلومة من الجملة

(٥) يجوز على الأقل أحياناً أن تحذف، غير أنه تظل المعلومة التى تصير الفرضية الأولى لـ (٩) باقية، وهى : « بيتر موجود »، « قد حدث سطو على بيتر »، و « قد سرقت النقود »، و « كان الحديث عن النقود » . وفى هذه اللحظة لم يعد مهماً أن بيتر قد هدد، وأن اللص كانت معه سكين، بحيث يمكن أن تحذف هذه المعلومات، على الأقل بشكل مؤقت . ونفترض الآن أن المعلومة الكائنة من دائرة متقدمة، التى لم تعد باقية فى الـ (ذ م ق د) للدائرة التالية، مخزنة فى الذاكرة الدلالية (المشهدية العارضة) . وبمجرد أن تصير هذه المعلومة ضرورية مرة أخرى بشكل محتمل فإنها يمكن أن ترجع إلى الـ (ذ م ق د) . ويعنى هذا بالنسبة لمثالنا أنه يمكن فى النص المتأخر أن يحال إلى اللص أو السكين .

وتبعاً لنوع المعلومة والمسافة (أى المدة بين الدوائر) توجد عوائق لإمكانية العثور مرة أخرى على تفاصيل قد ذكرت من قبل : فإذا وقعت الجملة المستشهد بها فى بداية رواية بوليسية، فيمكن بلا شك أن يكون القارىء لم يعد يدرك فى نهاية الكتاب أن التهديد المزعوم قد جرى بسكين، حتى وإن استطاع القارىء أن يستخلص فى مقبولية كبيرة من المفهوم «تهديد »، أن سلاحاً قد لعب هنا دوراً، وأن هذا السلاح - من المحتمل - أنه كان سكيناً ./ نعود فيما يلى إلى عمليات إعادة التركيب تلك عند تذكر ١٨٠ معلومات من النصوص .

٦ - ٣ - ٦ لدينا انطباع عام عن الكيفية التى تفهم من خلالها جمل فى نص، وكيف يربط مستخدم اللغة الجمل بعضها ببعض . ويجب هذا أن تطرح سلسلة من الفروض عن المضمون وبنية ذاكرة المدى القصير الدلالية، فروض تقدم شروطاً افتراضية عن العملية تلك لفهم معلومات معقدة . ويمكن فى هذا الموضع أن تجرى سلسلة من التجارب لتختبر تلك الفروض . ولذا

نتوقع فى المقام الأول أن إتاحة معلومات فى الـ (ذ م ق د)، مقدرة بوحدات زمنية تعد أكبر من تلك المعلومات التى يجب أن تستحضر (مرة أخرى) من الـ (ذ م ط) . ويمكننا أن نفترض أيضاً أن المعلومات التى توجد فى الـ (ذ م ق د) فى مكان أعلى من جهة التدرج - كالفرضيات المسبقة والقضايا الكبرى - تكون متاحة كذلك أسرع على سبيل المثال من تفاصيل الجملة المتقدمة . ويمكن أن يختبر بشكل أمبريقى : أى محيط دلالى أقصى وأى تعقد من الـ (ذ م ق د) أيضاً، يجب أن يستوعب، وكيف يتناقص مقياس الفهم كلما زاد الطول أو التعقد عن قيمة معينة [١٧] .

يقال بشكل محدد : إننا نريد أن نتعمق فى الكيفية التى ينجز من خلالها مستخدم اللغة العمليات المختلفة، ومن ثم ينشىء علاقة ربط أساسية أفقية أو علاقات ترابط أخرى . لنأخذ مثلاً التتابعات التالية :

(١٠) هوجم بيتر من قبل لص . لحسن الحظ لم يكن معه إلا بعض المال .

(١١) هوجم بيتر من قبل لص . لحسن الحظ قبض عليه فى اليوم ذاته .

لا يبذل مستخدم اللغة أى جهد على الإطلاق لتفسير الضمير (الهاء) فى الجملة الثانية من (١٠) المحيل إلى بيتر، وفى الجملة الثانية من (١١) المحيل إلى اللص، حتى وإن أمكن أن يتحدث المرء من الناحية النحوية عن الغموض . فالقواعد التى يطبقها مستخدم اللغة تقوم أيضاً على نتائج معينة بناءً على المعلومة الدلالية من كلتا الجملتين، مثلاً على النحو التالى :

(١٢) حين هوجم س من قبل ص، فإن ص ظن أن لدى س شيئاً قيماً.

---

(١٧) يناقش كنتش استيعاب التتابعات الجملية وتعقدها فى ذيل بعض التجارب Kintsch (1974) وقارن أيضاً تلخيص هذا الكتاب لدى فان دايك (van Dijk (1974a .

(١٣) (i) حين يقوم ص باعتداء، فإن ص ينفذ بذلك عملاً إجرامياً .

(ii) حين ينفذ ص عملاً إجرامياً، فإن الشرطة سوف تحاول أن تقبض على ص .

١٨١ / يدرك مستخدم اللغة بمساعدة معرفة إطار القضية (١٢) أن (الهاء) فى (١٠) يجب أن تميل إلى المحال إليه ذاته مثل بيتر، بينما تعنى القضايا فى (١٣) بأن تسمح لمستخدم اللغة أن يدرك أن الجملة الثانية تقدم نتيجة ممكنة للواقعة الموصوفة فى الجملة الأولى وأن اللص هو الذى يعد مشتركاً فى الوقائع المترابطة فى كلتا الحالتين . تلك الاستنباطات تفهم على أنها معرفة عرفية من العالم (عالم النص) . ومن ثم فهى ليست تعليمية، على الأقل ليس دائماً . فالأمر يتعلق هنا بدرجة أو بأخرى بفروض معقولة لمتحدث اللغة، ولذلك فإن الأخطاء والتصويبات اللاحقة ممكنة أيضاً .

وعلى الرغم من أن الفصل فى التفسير الصحيح للمنطوقات المتحاولة (المتحدة فى الإحالة) يقوم على المعلومة الدلالية من الجمل المترابطة وعلى المعرفة الإطارية للذاكرة، فإننا يجب أن نركز على أنه توجد فى الحقيقة خصائص البنية السطحية، تمكن أو تجعل تلك التفسيرات استراتيجية . ولذا فإن بيتر (والهاء) فى كلتا الجملتين فى (١٠) مسند إليه وموضوع، غير أن هذه الحال ليست الحال بالنسبة للص والهاء (هو فى الأصل) فى (١١) . ففى (١١) يوجد تبادل للمنظور إلى حد ما : ابتداءً يتعلق الأمر ببيتر، ثم باللص . وفى حال كهذه من الأحرى أن تستخدم فى الجملة الثانية من (١١) أيضاً لفظ مثل (ذلك)، إذ إن استخدام (الضمير) فى موقع المسند إليه/ المحور يوهم باتحاد فى الإحالة Koreferenzialitat (تحاول) مع المسند إليه / المحور المتقدم .

ومع ذلك فإن هذه الأمثلة تبين أن الأمر يتعلق باستراتيجية، وليس بقاعدة، ونرى أيضاً أنه لا توجد من وجهة نظر لغوية ولا إدراكية قاعدة أو

استراتيجية أيضاً تفسر ضميراً ما تفسيراً إحالياً إلى الاسم المذكور أخيراً (يتفق معه فى الجنس والعدد) كما يفترض أحياناً . وعلى الرغم من أن تقدير الوقت الذى يحتاج إليه لفهم الجمل والتتابعات الجملية مع معلومة دلالية معقدة يعد مسألة شائكة من الناحية المنهجية، فإننا يمكننا أن نقول بوجه عام إن فهم التتابعات التى يتضمن من خلالها عدد أكبر من القضايا الكبرى وقضايا الإطار والتضمينات، ومن ثم عدد أكبر من النتائج بالنسبة للبنية المناسبة للسياق يستغرق وقتاً أكثر أيضاً [18] .

ولذا يحتاج لفهم (١١) إلى وقت أكثر من (١٠)، وبخاصة الاستراتيجية التى تجعل من الضرورى أن يفسر (ضمير الغائب) فى الجملة الثانية من (١١) ابتداءً تفسيراً خاطئاً بالإحالة إلى (بيتر)، قبل أن يصير واضحاً أن (ضمير الغائب) يجب أن يحيل إلى (اللص) . ويسرى ما يشبه ذلك على فهم تتابعات مثل :

(١٤) سرقت نقود بيتر جميعها . لم يعثر على النقود بعد .

/(١٥) سرقت نقود بيتر جميعها . لم يقبض على اللص بعد . ١٨٢

(١٦) سرق بيتر أمس على الطريق إلى البنك . لم يعثر على النقود بعد .

يمكن أن تفهم (١٤) - احتمالاً - أسهل، ومن ثم أسرع من (١٥) . وهكذا تفهم (١٥) أسرع من (١٦)، إذ إن الحديث فى (١٤) فى كلتا الجملتين بصراحة عن النقود، بينما يمكن أن تتحقق فى (١٥) بناءً على معرفة إطارية، التضمينات التالية : وهى أن بيتر يجب أن يكون قد سرقه لص، على

---

(١٨) بحثت فى المعمل السيكولوجى لجامعة امستردام سنة ١٩٧٧ بالاشتراك مع علماء النفس Breuker و van Dijk و van Oostendrop و den Uijl وغيرهم) سلسلة من تجارب استيعاب النص، بحثت فيها العلاقات بين أطر الربط والتوقعات المستخلصة منها وفهم الحكايات .

حين يجب أن يستخدم فى (١٦) مفهوم › يسرق ‹ ومفهوم › بنك ‹ أيضاً، حتى يستخلص التضمين التالى، وهو أن الأمر يتعلق بالنقود .

ما كتب فيما سبق عن اختبار سيكولوجى ممكن للفروض المختلفة فى نموذجنا عن الاستيعاب النصى، ما دام الأمر يتعلق بعلاقات إحالية أو المحور - التفسير بين الجمل، يصلح أيضاً لفهم علاقات ترابط أخرى . تترابط المحمولات (الأفعال) من خلال تساوق الموضوعات (الوقائع) بعضها مع بعض، ومن خلال علاقات أساسية لقيود/ لنتائج، ممكنة أو محتملة أو ضرورية، ومن خلال أحوال أو عمليات › عادية ‹ أيضاً، كما تحدد فى الإطار الإدراكى . وهكذا فإن › قبض على ‹ نتيجة ممكنة لـ › يسرق شخص ما ‹ أو من الأفضل أن الحقيقة القائلة بأن : › قيام س بسطو ‹ تجلب معها نتيجة معينة وهى أنه › قبض على س ‹ .

أخيراً يجب أن يهتم مستخدم اللغة بالفهم الأفقى للمكان والزمان والظروف أيضاً . ففى المثال (٥) توجد الموضوعات التالية وهى أن بيتر قد هدد، وسلبت منه نقوده فى عالم ممكن . ويحصل المرء من خلال العالم الممكن الذى يزعم فيه شيء ما، على مدخل إليها؛ وهو عالم يصير من جهته متاحاً للسامع تارة أخرى من خلال النص البراجماتى الفطى الذى يبلغ المتكلم من خلاله شيئاً ما . ويفترض السامع أيضاً أن الأحداث تقع فى المكان ذاته متلاحقة بإيجاز، حين لا يذكر هذا بشكل حرفى : تتطلب العلاقة الأساسية السببية للموضوعات (الوقائع) تلك الوحدة فى الزمان والمكان .

٦-٣-٧ يمكن بلا شك ألا تبين جمل متوالية بشكل مباشر فى نص ما أية علاقات ربط أساسى، وهكذا لا تقدم إشارات متحدة الإحالة ولا تصف علاقات ربط أساسى شرطية بين الموضوعات (الوقائع) . وفى هذه الحال يجوز أن نفترض أن مستخدم اللغة، حين يكون ذلك ممكناً بشكل ما،

يحتفظ بالجملتين فى (ذ م ق د) (أو على الأقل أهم حقائقها أو قضاياها الكبرى) ، وينتقل ابتداءً إلى الجملة التالية التى من الممكن أن تعلى بربط غير مباشر للجمل المترابطة بشكل غير مباشر . ومع ذلك ترد أيضاً حال كهذه حين تبدأ فقرة نصية جديدة بموضوع جديد .

٦ ـ ٤ فهم النص II : فهم المضمون العام للنص

١٨٣

٦ ـ ٤ ـ ١ نتج عن الفصل النظرى عن البنية النصية والفقرات عن فهم التتابعات النصية أيضاً، أننا يجب أن نفترض أبنية دلالية أيضاً على مستوى آخر وأعم؛ أبنية كبرى، فموضوع أن بيتر قد هدده لص، وموضوع أن بيتر قد سلم اللص نقوده يرتبطان بالموضوع العلوى وهو أن بيتر قد تعرض للسطو . ولذلك عند تفسير التتابع ‹ ٥، ٩› يشكل مستخدم اللغة بنية كبرى افتراضية « قد تعرض بيتر للسطو » بناءً على (القضايا) المذكورة من خلال جمل النص، وبناءً على معرفة إطارية عرفية عن حوادث السطو . فمع كل جملة أخرى (دائرة تفسير) يتحقق إذن من أنه إلى أى مدى تحدد القضايا الجديدة القضايا الكبرى المفترضة تحديداً دقيقاً، على سبيل المثال من خلال ذلك تدخل قيود ومكونات ونتائج وسمات للمشاركين وظروف إضافية وما أشبه .

وطالما لم يعد ممكناً أن تفسر جملة ما فى إطار قضية كبرى فإنه من المحتمل أن تدرج قضية كبرى جديدة ... الخ . وإذا ثبت أن هذا ضرورى فإنه يمكن أن تظل القضية الكبرى ‹ السابقة › أو بعض الفرضيات المسبقة المهمة بالنسبة لها فى الـ (ذ م ق د)، وإلا فإنها تختزن فى الـ (ذ م ط) . ويمكن أن تتحقق مرة أخرى فيما بعد حين تنقل سلسلة من القضايا الكبرى من خلال استخدام قواعد كبرى إلى قضايا كبرى أكثر عمومية . ويستمر فى هذا الإجراء حتى يفسر النص كله .

٦ ـ ٤ ـ ٢ وهكذا نرى أن أسس الدلالة المجردة للنص تؤسس أيضاً الفهم الحقيقى للنص . نفترض أنه توجد إلى جانب فهم للجمل والتتابعات الجملية عملية موازية، يفهم من خلالها نص ما فهماً كلياً أيضاً . هذا الفهم الكلى يدلل على أنه غير مهم بالنسبة لتنظيم معلومة كلية فى النص فى ذاكرة (المدى الطويل)، بل بالنسبة لإمكانية تفسير العلاقات الأساسية الأفقية وعلاقات تماسك دلالى أخرى بين قضايا الأساس النصى .

ونفترض الآن كذلك أن القواعد الكبرى للدلالة النصية موجودة فى نموذج سيكولوجى للعملية أيضاً؛ فتنظيم المعلومة واختصارها فى أثناء فهم الجمل يرتكزان على العمليات التالية [١٩] .

(١٧) I الحذف : كل القضايا التى يفترض مستخدم اللغة من خلالها أنها لم تعد مهمة لتفسير القضية التالية من القضايا المسبقة مثلاً، تحذف .

II التعميم : كل تتابع قضوى، تقع من خلاله تصورات، يستوعبها تصور أعلى مشترك، تحل محله قضية لها هذا المفهوم العلوى .

ØIII التركيب : كل تتابع يعين شروطاً ومكونات ونتائج وخصائص عادية وما أشبه لموضوع أعم تحل محله قضية تعين هذا الموضوع الأعم .

١٨٤

ويلاحظ أن الأمر لم يعد يدور هنا حول قواعد مجردة، بل يتعلق الأمر بعمليات عقلية : يجرى مستخدم اللغة تفريعاً (تدريجياً) من خلال تلك العمليات، ويعنى فى الوقت نفسه بأن المعلومة غير المتدرجة فى البنية الكبرى يمكن أن تختصر . ويمكن أن تستقى من هذه العمليات الإشارة إلى العملية التى تقع عند حذف معلومات من الـ (ذ م ق د) : القضايا التى لم تعد تلعب دوراً تركيبياً أكبر، تختزن فى الـ (ذ م ط)، بسرعة ما أمكن، بينما يجب أن يظل الاشتغال بالقضايا الكبرى .

---

(١٩) القاعدتان الثانية والرابعة فى الفصل الثانى هما بدائل للقاعدة الكبرى الثالثة المدروسة هنا .

ويبين البناء غير الشكلى للقواعد الكبرى فى (١٧) أن الأمر يدور فى نموذج إدراكى للعملية حول فروض لمستخدم اللغة : فبمجرد أن تختزن سلسلة من قضايا، يشكل مستخدم اللغة قضية كبرى مؤقتة (أو يختار من الأساس النصى) يمكن استناداً إليها أن تفهم القضايا وعلاقاتها . ومن البدهى أن مستخدم اللغة يقع هنا فى الخطأ بحيث يمكن أن تدفعه معلومات جديدة إلى رفض الفرض الأكبر وإنشاء فرض جديد .

٦ـ٤ـ٣ لا يتطلب تطبيق قواعد كبرى واستراتيجيات كبرى معرفة دلالية عامة فحسب، كما فى القاعدة الثانية (التعميم)، بل تسخير الإطار الإدراكى بوجه عام . ويكون مستخدم اللغة بعد ذلك مباشرة قادراً على أن يقرر ما نوع المعلومة التى ما تزال بشكل محتمل مهمة فى النص أو أى نوع من الواقعة الكلية يوصف فى النص، حين تقارن القضايا المضافة بقضايا فى تشكيلات الإطارالمذكورة على نحو معتاد . ولذا تتبع مفاهيم مثل › محطة ‹ و › تذكرة سفر ‹ ويصعد بشكل محتمل للغاية إطار ـ السفر بالقطار ـ بحيث يمكن أن يستخلص أن القضية الكبرى هى ›› أ يستقل القطار أو بشكل أعم ‹‹ أ سافر .

لا ينتج عن المقارنة بين قضايا مأخوذة من النص ومكونات الإطار الإدراكى للمفاهيم المميزة لذلك الإطار (مثل › السفر بالقطار ‹) فحسب، بل تنتج فى الوقت ذاته أيضاً سلسلة من التوقعات عن المسار التالى للأحداث، ومن ثم المجرى الممكن التالى للنص . فحين ذهب بيتر إلى المحطة واشترى تذكرة، فإننا نتوقع أنه سيهرول إلى رصيف المحطة ويستقل القطار وأن القطار سيغادر ... الخ . تلك التوقعات نطلق عليها توقعات الإطار : فهى تقوم على معرفتنا العرفية بعمليات ومسارات عادية . ويتعلق الأمر بالنسبة للمثال

المذكور كذلك بتوقعات إطار ضرورية أو أساسية بدرجة أو بأخرى : حين لا يصعد بيتر إلى القطار (أو لا ينقل إلى القطار) فلا يمكنه/ أن يقوم بالسفر ١٨٥ أيضاً .

ويوجد إلى جانبها توقعات إطار ممكنة أو اختيارية أيضاً : تتعلق بظروف وأحداث وأفعال تتبع فى الغالب موضوعاً عاماً للإطار (أو حادثة عرضية) . ومع ذلك فهى ليست جزءاً ضرورياً . فشراء جريدة من كشك المحطة قبل السفر مثال واضح على ذلك .

وتوجد أيضاً أحداث وظروف لا تتوقع فى الحقيقة، على الأقل ليس بناءً على إطار، غير أنها تتطابق مع أحداث الإطار : نستطيع فى المحطة أن نذهب إلى الحمام وأن نقابل صديقاً على رصيف المحطة أو حتى نسقط تحت القطار . تلك الأحداث تجدد المعلومة الخاصة بنص ما، لأنها لا تتوقع، ولأنها يمكن أن لا يتنبأ بها . ومن ثم تصير لأسباب براجماتية مهمة للاتصال . ومع ذلك يجب أن يلاحظ أن أحداثاً مميزة من هذا النمط لا تتوقع بناءً على إطار معين، بل خلاف ذلك - فى الحقيقة - على أحداث مميزة أخرى تتحقق على المستوى الأصغر والمستوى الأكبر للنص بوصفها نتاجاً ممكناً أو محتملاً . وطالما أن تلك الأحداث ترد بانتظام فى حادثة الإطار فإنها يمكن أن تستقبل فى الإدراك الإطارى ذاته؛ كشراء مجلات قبل السفر بالقطار أو الطائرة؛ فالكشك جزء عرفى من تصورنا عن المحطة أو المطار .

وتلعب الأبنية والأطر والتوقعات الجوهرية أو غير الجوهرية المستنبطة من ذلك دوراً أساسياً فى العملية المعقدة لفهم النص . ويتأكد هذا من خلال حدوث ماس كهربائى يظهر فى الحال فى عملية الفهم . ما دامت توجد قضايا لا تتناسب فى البنية الكبرى، ولا ترد فى إطار ولا توجد مكونات أو شروط أو نتائج ممكنة لموضوعات معروفة من قبل، متناقضة (غير

متساوقة) مع التوقعات المشكلة خلال ذلك أيضاً . ويصير النص غير مفهوم أو يرجح أن الأمر يتعلق بهراء أو بشيء غير معتاد إلى حد بعيد :

(١٨) فى المحطة اشتريت تذكرة وذهبت إلى الحمام .

(١٩) فى مواجهتى فى المقصورة جلس فيل وردى .

نرى أن › ندرة ‹ نص ما ترتبط › بندرة ‹ الوقائع الممكنة فى عوالم ممكنة ارتباطاً وثيقاً . وبعبارة أخرى : يشترط تفسير النص تفسير العالم . وكذلك فإن جوانب فهم النص تلك يمكن اختبارها أمبريقياً على نحو يمكن أن يفترض من خلاله أنه كلما كان الزمن ضرورياً لقضايا متباينة قلت علاقاتها بقضايا كبرى وقضايا صغرى وأطر متحققة وتوقعات مستنبطة منها، وبسبب الأساس البراجماتى - الاتصالى العام وهو أن مستخدم اللغة يمكن أن يتوقع أن نصاً ما هو منطوق لأساس نصى صحيح، ويمكن أن يفسر ويقصد لذاته/ ١٨٦ يجتهد فى البحث عن المعنى مع تتابعات غير مترابطة أو غير معقولة على ما يبدو أيضاً، أى : محاولة بناء علاقات ترابط غير مباشرة - موضوع معين - تجعل التتابع مفهوماً فى وقت لاحق أيضاً .

ويمكن أن تعرض تلك العمليات العقلية للبحث فى التجربة، على سبيل المثال أن يغير المرء مادة نصية معروضة . ويمكن أن يبتدأ هنا من نصوص واضحة جداً، لا يحتاج معها إلى تحقيق معلومات من الإطار إلا نادراً، وتقع من خلالها القضايا الكبرى ذاتها، ثم يمكن أن ينتقل تدريجياً إلى نصوص ضمنية بشكل متزايد، تحذف فيها باستمرار قضايا وإشارات خاصة بموضوع النص (العنوان مثلاً) . ويجوز فى الحال الأخيرة أن تكون الحاجة إلى وقت أطول لاستيعاب عدد مماثل من القضايا، وفضلاً عن ذلك يجوز أن يزداد شيوع الخطأ [٢٠] .

---

(٢٠) عالج كنتش (1974) Kintsch فيما عالج السؤال عن وجود صريح للمعلومات فى نصوص .

٦ ـ ٥ فهم أبنية نصية أخرى

٦ ـ ٥ ـ ١ ما يزال لا يعرف عن عمليات سيكولوجية تقدم أساس إدراك أبنية نصية أخرى وتفسيرها واستيعابها تارة أخرى مثل التخطيطات، وبخاصة الأبنية النصية الأسلوبية والبلاغية والأدبية، إلا القليل للغاية . ويمكن أن يفترض بالنظر إلى المعرفة القائلة بأن فهم النص يوجه أساساً إلى معلومات دلالية وبراجماتية، على الأقل فى عمليات تفسير عادية، أن الأبنية التى تسهم بشىء فى تنظيم المعلومة الدلالية لا يمكن إدراكها إلا بشكل محدود، ويمكن أن تؤكد أو تضعف على أقصى تقدير معلومات دلالية معينة. وفى عمليات اتصال خاصة ـ كالعمليات الأدبية الجمالية مثلاً ـ فى حقيقة الأمر ـ يمكن أن يتوجه اهتمام مستخدم اللغة أيضاً، ولو بشكل غير أساسى، إلى تلك الأبنية الخاصة، حتى يمكن أن يتحدث ليس فى حالات أكثر من تلك الحالات أو بشكل غير مباشر فقط عن وظائف براجماتية عملية (فى الاستعمال اللغوى !) (٢١) .

٦ ـ ٥ ـ ٢ إن الأبنية العليا الهيكلية (المخططة) ذات أهمية كبيرة للتقسيم العام للمعلومات الدلالية، مثل بنية الحكاية أو بنية مقالة سيكولوجية (٢٢) . وهذا يعنى أنه فى أثناء عملية التفسير يحاول تصوير

---

(٢١) إن مبدأ العناية الخاصة بالنسبة للأبنية فى النص نفسه موجود فى علم الأدب على وجه الخصوص، قارن مثلاً ياكبسون Jakobson .

(٢٢) حول فهم أبنية النص قارن : van Dijk (1975b, 1966), Kintsch & van Dijk (1975), van Dijk & Kintsch (1977), Kintsch (1976, 1977 b), Rumelhart (1975), Thorelyke (1975), Mandler & Johnson (1977), Schank & Abelson (1977).

وحول فهم أنواع نصية أخرى قارن : Meyer (1977), Frederiksen (1972, 1975 a,b). (بالنسبة لأوجه الوصف) . يعنى فى كتاب : van Dijk (1976c) ، وفى كتاب : Kintsch & van Dijk (1978) بنص نفسى اجتماعى كمادة بحث . قارن أيضاً العدد الخاص من مجلة علم الشعر : Poetics, 9 (1980) عن فهم الحكايات .

(نقل) القضايا وبخاصة القضايا الكبرى المستنبطة منها إلى مقولات نمط نصى مهم ./ وهذا النمط النصى يعرف فى الغالب من خلال معلومة مقدمة: عنوان، وعنوان فرعى، وإعلان، ونوع الوسيط الحامل للنص ومقاصد معروفة للمتكلم، ونوع الموقف الاتصالى ... الخ . وبذلك تستحضر مقولات هذا النمط النصى المعين بوصفها مواقع شاغرة، يمكن أن يضيف المرء إليها أجزاء النص أو قضايا كبرى ، تمثل ‹ هذه الأجزاء . ويوصف فيما يوصف جزء فى بداية حكاية، فى مكان وزمان وأشخاص وظروف وما أشبه، ولذا يمكن أن يفسر هيكلياً من خلال إطار للحكاية . ١٨٧

تلك العمليات لها خاصية احتمالية أيضاً : يمكن أن يستنتج بمساعدة التفسير التالى للنص أن الأمر لا يتعلق بالإطار، بل بالوضع الأخير للحكاية، بحيث يجب أن يغير المرء فرضيته عن البنية .

٦ ـ ٥ ـ ٣ نظراً لأن الأبنية العليا تفرض فى الغالب على المضمون (الكلى) للأجزاء النصية قيوداً معينة، فإن مستخدم اللغة يمتلك ‹ مؤشرات › محددة ليمكن وضع فروض خاصة عن المقولة الهيكلية المهمة . ولذا تبدأ العقدة فى حكاية ما بمساعدة . بيد أ ن... أو فجأة ... وما أشبه فى الغالب .

ولذلك تتهيأ نتيجة مخطط جدل ما من خلال أبنية مثل : ينتج عن ذلك .. أو يمكننا أن نستخلص من ذلك أن ... وما أشبه . ولا نعرف كيف يمكن أن يستخلص مستخدم اللغة بدقة تلك التفسيرات الهيكلية من البنية السطحية والبنية الدلالية لنص ما . ويمكننا فقط أن نفترض أنها لها هياكل (مخططات) عرفية، وقواعد البنية العليا ومقولاتها وقيود مهمة (صور ناقلة) لأبنية نصية أخرى، وأنها يمكن أن تحقق تلك المعرفة (الإطارية الخاصة)، ما دام النص يقدم إشارات كافية إلى التقسيم المقولى الهيكلى (المخطط) للمعلومات . وما يزال السؤال : إلى أى مدى يستحضر مستخدم اللغة

اللغة فى أثناء التفسير فى الـ (ذ م ق د) هذه المعرفة المقولية للدائرة اللاحقة أو هل تلك المعلومة أهم فى الـ (ذ م ط) ليمكن اختزانها، سؤالاً مطروحاً .

٦ ـ ٥ ـ ٤ لدينا رؤية أكثر محدودية بالنسبة لاستيعاب أبنية أسلوبية وبلاغية . ولا شك أنه يمكن أن يتحدث عن نوع من › الترابط الأسلوبى ‹ . بناءً عليه يمكن أن يتعرف مستخدم اللغة على › الانتهاك الأسلوبى ‹ المحدد فى نص ما، أى : تغير ضرب الاستعمال (مشكلة اختيار الكلمة) أو بنية نحوية ذى نمط خاص (طول الجملة وتعقدها وما أشبه) . وربما يمكننا بشكل تأملى/ أن نفترض أنه فى أثناء استقبال نص ما يبنى موقف معين ١٨٨ على ذلك المستوى . ويرتكز هذا الموقف لمستخدم اللغة على توقعاته عن اختيار معجمى ممكن وبنية نحوية، بحيث تستحضر أساساً عند فهم الجمل ›جوانب ‹ معجمية معينة وأطر للتفسير؛ والحق أنه يمكن أن يتصور أنه يجرى بالنسبة لكل إطار/ لكل منطقة، اختيار يحقق كلمات من السجل (الاستعمال) الشخصى والاجتماعى ذاته وما أشبه . لا يحدث ذلك على مستوى الأبنية السطحية فقط، بل على مستوى الأبنية الدلالية أيضاً . قد رأينا أن أوصافاً يمكن أن تكون كاملة بدرجة أو بأخرى وأن أنواعاً نصية خاصة تتطلب مستوى متميزاً للكمال، تابعاً للوظائف البراجماتية والاتصالية للمنطوق . وهكذا لن نجد فى تقرير عن زيارة رئيس دولة أجنبية ـ فى صحيفة جادة ـ على أقصى تقدير معلومة أنه دخل الحمام فى المطار . وبعبارة أخرى : لدينا أيضاً توقعات عن كمال أوجه الوصف الحال أو الحدث ومستواها .

٦ ـ ٥ ـ ٥ عند مناقشة الأبنية البلاغية أمكننا أن نرى أنها تستخدم لأسباب جمالية أقل من دواعى التأثير . وهذا بلا ريب مفهوم سيكولوجى

يجب أن يفسر بناءً على ذلك فى نموذج سيكولوجى للاستيعاب النصى أيضاً.

الشىء الوحيد الذى يمكن أن نتحدث عنه هنا فى ضوء النظرية السابقة هو كما يلى : (i) تحدد الأبنية الصغرى بالنسبة للأهمية من خلال ذلك أى دور - للبنية الكبرى؛ (ii) تكتسب القضايا بنية أكثر تفصيلاً، ومن ثم تظل متاحة فى الـ (ذ م ط) بشكل أطول وأيسر .

٦ - ٦ أبنية نصية فى الذاكرة الدلالية

٦ - ٦ - ١ إن المعلومات الدلالية - كما افترضنا - لا يمكن أو لا يجب أن تختزن بشكل أطول فى الـ (ذ م ط د)، فتحال إلى ذاكرة المدى الطويل الدلالية (ذ م ط) . ويجب أن نحاول أن نستخلص كيف وفى إطار أى شروط يحدث هذا . وفى هذه الحال أيضاً نستند إلى سلسلة من فروض البحث.

ويكمن الفرض البحثى الأول فى أنه أساساً تنتقل كل قضايا نص ما كما أدركتها، أى : استوعبتها، ذ م ق د، إلى (ذ م ط) . وهذا فرض واسع جداً، ولا ينبغى أن يؤول إلى التوقع، كما لو أن مستخدم اللغة قادر إثر ذلك على تذكر كل قضايا نص ما والتعرف عليها . فعلى العكس من ذلك : سنرى بعد قليل أن التذكر والتعرف يقومان على عمليات تشترط إمكانية استرجاع معلومات فى الذاكرة . وبذلك يتضمن فرضنا/ استقبال كل القضايا تقريباً فى الذاكرة، ولكن ليس استرجاعها غير المقيد . ويكمن قيد آخر فى صياغة الفرض ذاته : يمكن أن تستقبل فى الـ (ذ م ط) أيضاً، المعلومات فقط التى بنيت فى الـ (ذ م ق د)، (من خلال تفسير النص) . وعلى الرغم من أن هذا يبدو بدهياً، فإن المرء يجب مع ذلك أن يستحضر أنه يمكن أن يحدث فى الغالب أن › يسهو ‹ مستخدم اللغة ببساطة عن معلومات معينة . وفى تلك الحال لا تبنى قضية أو حقيقة فى الـ (ذ م ق د)، بحيث لا يمكن أن يستقبل أى شىء أيضاً فى (ذ م ط) . ويدرك المرء أحياناً عوامل الاضطراب ١٨٩

(الانتهاك) تلك : عدم الانتباه، والتحول من خلال معلومات أخرى (على سبيل المثال الأفكار الأخرى) وما أشبه . إن العوامل التى تضيع معها تفصيلات معينة بشكل عرضى فى ذ م ق د ذات طبيعة تركيبية . غير أنه لمعرفة أن جزءاً معيناً من المعلومات ليس إلا تفصيلاً يجب أن يكون مستخدم اللغة - فى الحقيقة - قد فهم هذه التفاصيل، أى : قد بنى قضايا . ويجب أن تستقبل هذه المعلومة وفق فرضنا فى ذ م ط أيضاً .

ومع ذلك فإنه ليس للفرض البحثى مثل تلك الصيغة المطلقة : نحن نفترض وصول كل القضايا إلى ذ م ط فى الأساس . وفى الوقت نفسه عدم جواز أن تفقد قضية ما بشكل عرضى فى ذ م ق د، ولذلك يبدو أن هذا يشير إلى أنه فى تجربة ما لا يكون الفرد الخاضع للتجربة قادراً أحياناً حتى على التعرف فقط على قضية معنية فى الحال بعد تفسير لجملة ما . غير أنه ربما لا تحسم على الإطلاق أية إمكانية؛ هل اختزن مستخدم اللغة فى تلك الحال بوجه عام جزءاً صغيراً من المعلومة فى الـ ذ م ق د، أو هل يجب أن نتحدث ببساطة عن › السهو ‹ المذكور آنفاً . ولذلك نجعل نموذجنا فى هذه النقطة مرناً : فلا نفترض إلا : أن ذ م ق د ليست › دقيقة ‹ دائماً، إذ إن ثمة أبنية سطحية معينة غير مدركة على الإطلاق فى ذ م ق د، وأنها تستوعب فى ذ م ق د وأنه لذلك تفقد أحياناً معلومات فى ذ م ق د، قبل إمكان أن تنقلها عملية تخزين إلى ذ م ط . وفى كل الحالات الأخرى نفترض أن المعلومة تصل إلى ذ م ط .

٦ - ٦ - ٢ الفرض البحثى العام الثانى الأهم - بشكل محتمل - فى نموذج إدراكى لاستيعاب النص، هو : إن تخزين معلومة فى ذ م ط هو وظيفة البنية التى تنتظم هذه المعلومة فى ذ م ق د . ويتضمن هذا الفرض أن بنية المعلومة النصية يتشكل فى الذاكرة الدلالية فى أثناء فهم النص .

ويتسع هذا الفرض أيضاً إلى حد ما، ويبدو أنه يطرح أنه لم تعد توجد فى ذ م ط ذاتها أية عمليات تفسير أخرى . ينتج عن ذلك أنه حين يجب أن تختزن معلومة ما فى مكان آخر، كما كانت هى الحال فى الأساس، أو حين يجب أن تلحق بنية أخرى بنص أو قطعة نصية ما، فإن هذا/ لا يجب أن ١٩٠ يحدث فى ذ م ط، بل فى ذ م ق د مرة أخرى : ينشأ تفسير جديد للمعلومة . لا يحدث هذا فى أثناء قراءة نص ما فحسب - حين تستلزم مثلاً معلومات جديدة من مستخدم اللغة تصحيح فرض البنية المتقدم، بله فى أثناء التذكر عند إعادة إنتاج معلومات من نص ما فى سياقات طبيعية أو أمبريقية متأخرة أيضاً .

ومن البدهى جواز أن يكون هذا الفرض البحثى قد صار غير مفيد، حين يثبت أن فرضنا المتقدم - وهو أن الـ ذ م ق د و ذ م ط نوعان مختلفان للذاكرة الدلالية أو ذاكرة عمل ومكان تخزين - غير صحيح . فنحن ننطلق مؤقتا من أن هذا الفرق - مع ذلك - له سلسلة من المزايا . ويعنى هذا مثلاً أن كل الاستنبطات (الاستدلالات) الضرورية التى يحتاج إليها لإنتاج منطوقات وتفسيرها توجد فى الـ ذ م ق د، وذلك بناءً على معلومة واردة وحاضرة، وعلى معلومة استحضرت من الـ ذ م ط . ولذلك يمكن فى الـ ذ م ط ذاتها ألا تنتج معلومة جديدة من خلال الاستنتاج أو عمليات التسلسل أو التفكير .

وعلى الرغم من أننا لسنا على بينة إلى حد ما من عدد من الملامح الخاصة لـ ذ م ق د، فإننا مع ذلك يجب أن نفترض أنه ليس كل العمليات فى ذ م ق د تجرى عن وعى . ويمكننا فجأة بشكل حدسى تماماً أن نكتسب رؤى معنية ، نعثر من خلالها على استنتاج معين أو تأليف لعدد من وحدات معلوماتية . وكما افترض فإن ذلك يحدث فى ذ م ق د، أى أنه وفق ذلك تتحقق معلومة من الـ ذ م ط فى ذ م ق د، وهو ما يلزم أن يجرى عن غير

وعى بالتأكيد، و › بشكل مرغوب فيه ‹ بشدة، كما يمكن أيضاً توجيه عمليات كثيرة للتفسير والاستنتاج وما أشبه بلا قصد أو أن ذلك ليس دائماً . وهذه المشكلة لن نتناولها هنا .

٦ ـ ٦ ـ ٣ ينبغى أن يزودنا الفرض البحثى الثانى بدراية حول كيفية اختزان معلومات نصية فى الذاكرة . ولذلك تتكون البنية النصية فى الذاكرة من مستويات مختلفة مترابطة بعضها ببعض : مستوى السلسلة القضوية التى تترابط من خلال علاقات ربط أساسية وعلاقات تماسك دلالى أفقى ومستوى البنية الكبرى المتدرجة الذى يخصص من خلاله لتتابعات جزئية للقضايا على مستويات مختلفة بنية كبرى بوصفها › عنواناً ‹، وأخيراً يخصص مستوى البنية الهيكلية الخاصة للقضايا الكبرى ـ زيادة على ذلك ـ وظيفة معينة للكل النصى .

إن تلك البنية النصية فى الذاكرة بكل تأكيد ليست مطابقة للبنية النصية المجردة، على نحو ما ينتظم فى نص ما من نحو أو نظرية نصية مجردة . وفى الحقيقة يشكل مستخدم اللغة البنية النصية فى الذاكرة على أساس اهتماماته وميوله ومعارفه وآرائه ورغباته وأهدافه الخاصة وما أشبه أيضاً . ويمكن أن تحفزه تلك الميول (بمعنى أوسع) السيكولوجية/ على استيعاب أجزاء نصية معينة استيعاباً خاطئاً، وعلى إضفاء خاصية البنية الكبرى على قضايا معينة دون أن يقدم لذلك دواعى موضوعية ... الخ . وكذلك إذا وجدت سلسلة من سمات البنية المتطابقة، متصلة بالنص والسياق، فى ذاكرات مستخدمى اللغة المختلفين وفق استيعاب النص ذاته . فيوجد من خلال ذلك بالتأكيد أشكال من عدم التطابق أيضاً . وسوف نفيض فيما يلى فى هذه الفروق، ونفترض من خلال ذلك أن سلسلة من التحويلات يمكن أن تطبق من قبل مستخدمى اللغة، على معلومات تبرز من جديد أو على معلومات مستنبطة من الذاكرة .

١٩١

٦ - ٦ - ٤ قبل أن نستمر فى مناقشة تمثيل النصوص فى الذاكرة، من المفيد أن نصوغ الفرض البحثى الثالث: إن استرجاع معلومة نصية فى الذاكرة، أو سهولة الحصول عليها أو إمكانية إعادتها وظيفة لبنية المعلومة فى الذاكرة . ويمكن أن يدرك المرء هذا الفرض بشكل أدق ومحسوس أيضاً، حين يقول أنه كلما سهل استرجاع قضية ما فى الذاكرة زادت قيمتها التركيبية . وسنقيس القيمة التركيبية لقضية ما ببساطة بأنها عدد من العلاقات يضم هذه القضية (أو أجزاء منها) بقضايا أخرى (أو أجزاء منها) .

وينتج عن ذلك أن قضية ما، كما يجب أن تستخدم باستمرار فى ذ م ق د لإنشاء أوجه ربط ضرورية، تكتسب بشكل معين فى ذ م ط قيمة تركيبية عالية على نحو ضرورى . وسنرى فيما يلى أيضاً أن هذه القيمة التركيبية لمعيار من المعايير هى للإبقاء على تلك القضية والعثورعليها ثانية . ويتضح بشكل مباشر أن قضية كبرى ما ترتبط بكم كبير من قضايا الأساس النصى المفهوم، ربما يكون لها قيمة تركيبية كبيرة . ويجوز ما يشبه ذلك، ولو بقدر ضئيل، حين لا توجد أية وظائف تركيبية كبرى، بالنسبة للفروض المسبقة : إذا تناولت تتابعاً جزئياً لبيان خاصة ومرض يان وإذا اشترطت هذه المعلومة دائماً لتفسير الجمل التالية فإن لتلك القضية (التى تتردد باستمرار إلى حد ما فى ذ م ق د) قيمة تركيبية عالية نسبياً فى ذ م ط . وتمتلك تلك القضايا التى تختصرها قواعد كبرى فى الحال قيمة أقل فى ذ م ق د، ومن ثم تلك التى تترابط فقط مع قضية كبرى، والتى ليس لها أيضاً أية علاقات ترابط مباشرة أو تكاد بقضايا المحيط المباشر- أى ليس لها محيلات إليه مشتركة أو مترابطة، ولا علاقة - العلة والنتيجة ولا علاقة وظيفية أيضاً (مثل تخزين ما تقدم) . ويجب أن يضاف إلى ذلك أن القيمة التركيبية لا تتحدد من خلال علاقات دلالية فحسب، بل من خلال علاقات هيكلية

(تخطيطية) أيضاً./ وحين تكون لقضية ما وظيفة واضحة فى مقولة تركيبية ١٩٢ عليا فى الوقت ذاته أو تحدد الربط أو انتقال هذه المقولة، فإنه يعزا للقضية (هى فى الغالب قضية كبرى) قيمة تركيبية خاصة . ونظراً لأن الهياكل تصور فى الوقت ذاته مشيرات إمكانية الاسترجاع، وتلعب دوراً مهماً فى إنتاج النص، فإنه من السهل أن يثبت أن سهولة الحصول على معلومة بشكل أفضل تتحدد من خلال قيمة تركيبية عليا بفضل أهمية المخطط لقضية ما .

٦ ـ ٦ ـ ٥ يتعلق الفرض البحثى الإشكالى إلى أبعد حد بالكيفية التى تختزن من خلالها معلومة ما فى الذاكرة . يدور الأمر هنا بشكل أقل حول البنية › الموضوعية ‹ للنص أو الطريقة الأعم والمحددة عرفياً؛ كيف يفسر مستخدم اللغة نصا ما، أكثر من دورانه حول سلسلة من العوامل التى تحدد بشكل عام، ومن حال إلى أخرى، عملية التفسير والتذكر معاً . هذه العوامل ـ التى ذكرت من قبل : الاهتمام والأهداف أو الوظائف والآراء والرغبات ... الخ ـ تشمل التصور الإدراكى فى مقابل مضمون النص [٢٣] .

يجب أن يكرر هنا مرة أخرى، كم هى مهمة معرفة مستخدم اللغة بموضوع النص . رأينا أن أطراً عرفية ما تلعب دوراً جوهرياً، تقدم من خلالها المعلومات، التى يمكن أن تترابط بناءً على قضايا بعضها ببعض، ويصير تطبيق القواعد الكبرى ممكناً . ولذلك يمكن أن يرجح أن الأطر المستخدمة غالباً والمركبة تكون متاحة بشكل أيسر وأسرع من الأطر التى تستخدم نادراً جداً . وهذا لا يسرى على فهم النص فحسب بل على الاستيعاب الأعم للمعلومة أيضاً (الإدراك، والحدث وحل المشكلات وما أشبه) . إن الكيفية التى تستحضر من خلالها معلومات من نص ما، ويعاد

(٢٣) أثيرت أهمية تحديد الهدف أو الوظيفة بالنسبة لفهم النص أيضاً، وهو ما يلعب فى سيكولوجيا التعلم دوراً جوهرياً، فى كتاب كنتش وفان دايك (1978) Kintsch & van Dijk .

استيعابها، هى تابعة مع ذلك أيضاً لأحوال إدراكية (وتأثيرية) أخرى لمستخدم اللغة . ويمكن أن تتأرجح تلك الأحوال بين أحوال عامة أو (شبه) مستمرة وأحوال خاصة حسب السياق والهدف . ويمكن أن يكون لمستخدم اللغة اهتمام مستمر مثلاً بالطائرات أو الطاقة النووية أو تلوث البيئة أو الجنس. ويمكن أن يكون لهذا الاهتمام تأثير على الكيفية التى تفهم من خلالها وتستوعب نصوص يتحدث فيها عن هذه الموضوعات .

وكما أوضحنا من قبل يمكن أن يكون لمكون ذلك الاهتمام معرفة أكبر بملامح (سمات) الأشياء والأحوال والأحداث التابعة للموضوع المعنى. وتقود المعرفة الأكبر إلى فهم أسرع، إلى علاقات أكثر، ومن ثم إلى قيمة تركيبية أكبر للنص/ فى الذاكرة . ومع ذلك يبرز إلى جانب ذلك عامل لا ١٩٣ يمكن أن يتحدث عنه بشكل صريح إلا بصورة قليلة جداً : الشدة التى تجرى بها عملية استيعاب النص . ويرتبط بذلك أيضاً الحقيقة القائلة بأننا حين نقرأ نصاً يهمنا جداً من جهة مضمونه، نتحول عنه بسرعة أقل، ونقع عند القراءة فى أخطاء أقل ... الخ الخ . وما نزال لا نعرف أى نتائج تستتبع هذا الشكل المركز من التفسير بالنسبة لكيفية التخزين : نحن لا نعرف إلا أن المعلومة من النص فى هذه الحال تظل متاحة بشكل أيسر : نحتفظ بمادة صحفية بشكل أفضل، حين نهتم بالموضوع . وربما يمكن أن يفترض أن تلحق قيمة الأهمية (الشخصية) أيضاً بنص ما فى الذاكرة إلى جانب القيمة التركيبية .

ما يزال مفهوم الاهتمام غير محدد إلى حد ما . ويظهر فى المقام الأول هنا تأثير خصائص إدراكية وتأثيرية أخرى لمستخدم اللغة، رغباته وحاجاته (عبر مدة زمنية أطول أيضاً)، والمعايير والقيم التى تحدد أفعاله وتفسيراته للحدث . إن مستخدم اللغة الذى يرغب فى أن يتملك سيارة معينة، يصير له اهتمام بهذه السيارة، بالإضافة إلى اهتمام بالمعلومات عن هذه السيارة، حيث لا يختار أساساً إلا نصوصاً عن هذا ، الموضوع ((الإعلانات

مثلاً) ، بل يفسرها ، بشكل مكثف « أيضاً [٢٤] . ولا يجب أن يتعلق الأمر هنا برغبات شخصية فحسب، إذ يمكن أن ترتكز هذه أيضاً على معايير وقيم محددة اجتماعياً، تتعلق بالسلوك الخاص وسلوك الآخرين أيضاً .

لا تشغلنا هنا إلا مشكلة ترجع أساساً إلى السيكولوجيا الاجتماعية ولذلك نقتصر هنا على بيان تلك العوامل التى يمكن أن يكون لها نتائج بالنسبة للنص ككل ولقضايا معينة منه أيضاً عن الكيفية التى يفهم من خلالها النص ويحتفظ به فى الذاكرة . وفى إطار ظروف معينة يمكن أن تختزن القضايا من نص ما فى الذاكرة، التى توجد متطابقة مع نظام المعايير والقيم . فقد أمكن للمرء منذ مدة طويلة أن يحدد أمبريقياً أن عمليات التنظيم العقلى التى تحدث عند فهم نص ما، ذلك حين لا تفهم قطعة نصية، لأن معارف الإطار المهمة مفقودة أو ليست كاملة [٢٥] . وفى تلك الحالات سيحاول مستخدم اللغة أن يناسب بين المعلومة فى الأطر والتوقعات المستنبطة منها التى تتاح له . ويحدث ما يشبه ذلك عند تلقى المعلومات وتفسيرها، التى تتطلب حكماً تقييماً معيناً أو موقفاً محدداً : / سيحاول ١٩٤ مستخدم اللغة كثيراً ما أمكن ذلك أن يأتى بتلك المعلومات متطابقة مع النظام المتكون من مواقف ومعايير وقيم، أو، حين لا يكون ذلك ممكناً، يميل أيضاً إلى إهمال المعلومات [٢٦] . وبعبارة أخرى بمصطلحاتنا : تلحق بهذه المعلومات مثلاً قيمة أهمية ضئيلة فى الذاكرة . ويجب أن يبحث المرء

---

(٢٤) إن أهمية الاهتمام بالنسبة لاختيار المعلومة واستيعابها معروفة منذ مدة فى علم النفس، قارن أيضاً فستنجر (1957) Festinger . وعالج بول (1959) Paul الذى استمر فى تعميق سلسلة تجارب لبارتلت (1932) Bartlett ، بشكل خاص دور الألفة (والاهتمام) فى فهم النص والاحتفاظ به .

(٢٥) قد وصف بارتلت (1932) Bartlett عملية العقلنة عند تلقى معلومة ، غريبة « أو » غير متوقعة «، فهو يعد مؤسس المعالجة السيكولوجية للنصوص (الحكايات) واستيعابها (الذاكرة والتذكر وإعادة الإنتاج) .

(٢٦) إن إغفال معلومات غير أساسية معروف أيضاً من قبل من السيكولوجيا الاجتماعية، قارن فستينجر (1957) Festinger .

عوامل فهم النص تلك فى إطار السيكولوجية الاجتماعية لاستيعاب النص بحثاً دقيقاً . وعلى العكس من ذلك تعمل بالأحرى بشكل غير منظم عوامل خاصة بالموقف .

إن أحد هذه العوامل الوظيفة الفعلية وهدف القارىء المرتبط بها [٢٧] . فحين يحتاج مستخدم اللغة فى سياق طبيعى أو تجريبى لدافع خاص أو بسبب تكليف ما، إلى معلومات معينة أو يطلب منه أيضاً أن تكون لمعلومات معينة أهمية خاصة، فإن الكيفية التى يستوعب من خلالها نص ما مع تلك المعلومات تكون مختلفة عنها مع الاستيعاب المحايد للنص (حين يوجد فى مواقف طبيعية بوجه عام) .

فالأمر لا يدور فى هذه الحالات فقط حول فهم المعلومات من النص بشكل صحيح ومؤثر ما أمكن والاحتفاظ بها، بل إكساب المعلومات المختزنة وظيفة بالنسبة لطرح معين للمهمة، أى : لتحقيق هدف معين، مثل حل مشكلة أو إجابة سؤال أوكتابة مقال وما أشبه . وإذا كنا قد وصفنا القيمة المؤثرة أو الاجتماعية للأهمية فالأمر هنا يدور حول القيمة الوظيفية للأهمية، التى تلحق بالمعلومات . وفضلاً عن ذلك فإن لتلك القيمة أيضاً تضمنيات تركيبية معينة : أخيراً سترتبط معلومات مهمة عبر علاقات القيد والفرضية المسبقة والأحوال بالمعلومات التى يجب أن تبنى لأداء الوظيفة . وقد تأكدت الصلاحية العامة لتلك الفروض أيضاً من خلال معرفة شائعة، وهى أن الأشخاص الخاضعين للتجربة فى تجارب سيكولوجية، حين يدركون أو يرجحون أنه يجب عليهم أن يعيدوا معلومات من نصوص أو يطبقوها،

---

(٢٧) إن أهمية السياق البراجماتى للتجربة السيكولوجية (ماذا يريد الباحث من الأشخاص الخاضعين للتجربة؟ ماذا قيل ويتوقع ؟) . ومن ثم فالوضع الخاص للمهمة - فى حقيقة الأمر - جوهرى بالنسبة لتلك العمليات المعقدة للفهم، واستيعاب النصوص أيضاً. وقد أهمل بشكل غير مبرر فى نماذج إدراكية دائماً تقريباً المكونات الاجتماعية والبراجماتية لاستيعاب المعلومة والاتصال وتمثيل المعرفة والذاكرة .

يتمتعون بمقدرة مدهشة فى إعادة إنتاجها . تلك النتائج هى الضد الدقيق لتفسير المعلومة وتخزينها، حين لا يقرأ شىء إلا بشكل عرضى، كالتقارير الصحفية (بلا هتمام خاص) مثلاً .

سنفترض أن الاهتمام وتحديدالهدف يعدان تصوراً هيكلياً معيناً . وفى هذه الحال لا يدور الأمر حول/ تخطيط تركيبى محض، كما الحال مع بنية القص، بل حول مخطط دلالى، مضمونى . ذلك المخطط يعمل مع التفسير النصى بشكل اختيارى . وإلى جانب العمليات الكبرى المستخدمة تلحق وظيفة الاختيار إما بشكل عام أو فى قضية نصية خاصة بقيمة معينة للأهمية، ومن ثم تختزن فى الذاكرة . ويمكن للمرء أن يصف هذه العملية بأن مضمون النص يتعرض لتصنيف مقولى خاص بشكل إضافى يتناسب من خلاله فى شبكة المخطط الدلالى . ١٩٥

وبينما يبدو أن اهتمامات ومعارف ومعايير وقيم عامة، ووظائف محددة سياقياً وأوجه تحديد الهدف أيضاً ما تزال منظمة نسبياً فإننا يجب أخيراً أن نناقش أيضاً الظاهرة التى نريد شرحها من خلال مصطلح «التفصيل العارض» . فقد اتضحت بجلاء فى تجارب الحقيقة المعروفة بشكل حدسى، وهى أننا لا نحتفظ إلا بما هو مهم أو وثيق الصلة بالموضوع فحسب، بل بتفاصيل » غير مهمة « إطلاقاً أحياناً أيضاً . ويجوز هذا أيضاً بالنسبة للتفسير النصى والإدراك والفعل أيضاً . ويمكن أن يختلف ذلك حسب الموقف والشخصية، بل ببساطة وفق الصدفة أيضاً .

وعلى الرغم من أننا يمكننا أن نكون بالكاد قادرين على وصف سمات عامة لتلك التفاصيل، وليس - على الإطلاق - قيود استيعابها ووضعها الخاص، فإنه يمكن أن يتحدد بشكل سلبى للغاية أن ذلك التفصيل يمكن ألا يكون قضية كبرى من جهة التعريف وليس أيضاً قضية تكتسب بشكل خاص قيمة تركيبية أو قيمة أهمية عليا فى الذاكرة . وفضلاً عن ذلك يمكن أن

يفترض أن تفصيلا ما بهذا الشكل لا يمكن أن يستخلص بلا شك من إطار، أى ليس أيضاً من توقعات مستنتجة منه أو أنظمة أعم أخرى للمعانى والمعايير والقيم .

وبعبارة أخرى : لذلك التفصيل العارض علاقة بالتوقعات التى تبنى مع عملية التفسير بحيث إن شيئاً محدداً أو حادثة أو خاصية معنية لا يمكن أن تتوقع نصياً أو سياقياً (ومع ذلك فإن له أهمية ثانوية فى الوقت ذاته، أى لا يشكل قضية كبرى) . سوف نفترض وفق هذا التوضيح الغامض إلى حد ما المقبول أن قضايا ما يمكن أخيراً أن تكتسب كذلك قيمة اللا توقع فى الذاكرة. نحن لا نزعم أننا قد أوضحنا بذلك بشكل وافٍ ظاهرة التفصيل العارض : ففى بعض الأحيان يتذكر المرء أشياء ليست غير مهمة فحسب، بل ليست عارضة على الإطلاق أيضاً . ويمكننا فى حال كهذه أن نفترض خاصة ونحن مفتقرون إلى نظرية مناسبة أننا علينا أن نصل هذا بـ « الصور العارضة » (فى الإدراك والتفسير) التى يمكن أن تكون مختلفة من شخص إلى آخر، وترتكز أحيانا على معطيات بيوجرافية غير واعية .

٦ - ٧ تحويلات دلالية

٦-٧-١ انطلقنا فيما سبق من أن مستخدمى اللغة يختزنون فى الذاكرة بنية نصية، على نحو ما ركبت فى أثناء عملية التفسير/ فى ذ م ق د. ومع ذلك يجعل هذا النموذج البنية الدلالية للنص فى أثناء عملية التفسير سليمة بدرجة أو بأخرى . غير أن هذا الفرض غير واقعى . فسوف يتبين تحديداً أن مدونات (محررات) التذكر (Erinnerungsprotokolle) لمستخدم اللغة لا تتطابق بأية حال مع النص الأصلى أو مع قطع منه . ولذلك يجب أن يطرح الفرض التالى ليجوز أن يستخدم مستعمل اللغة فى أثناء عملية استيعاب النص عدداً من تحويلات دلالية . ولا يتعلق الأمر هنا بعمليات

١٩٦

شكلية (نحوية، وغير بنيوية إطلاقاً) بل بعمليات إدراكية فى البنية المفهومية للذاكرة (ذ م ق د أو ذ م ط) - حتى وإن بدا كلا النمطين للعملية متشابه من جهة الشكل .

٦ ـ ٧ ـ ٢ لم تناقش هذه العمليات عند فهم النصوص، إذ ليس معروفاً أهى موجودة عند فهم نص ما أم عند إعادة إنتاجه . ولذلك سيظل مطروحاً السؤال التالى : هل نفذت هذه العملية مع المعالجة الأولى لنص ما فى الذاكرة أم فى أثناء استرجاع معلومات من الـ ذ م ط، وفى أثناء عملية إعادة الإنتاج، التى تجرى مع مدون التذكر أو الاختصار . فمن الممكن إلى حد بعيد أن تنجز عمليات معينة فقط فى أثناء مرحلة ـ المدخل، وأخرى فى أثناء مرحلة ـ المخرج، بينما تحدث ثالثة مع المدخل والمخرج أيضاً .

٦ ـ ٧ ـ ٣ عن التحويلات الدلالية أو المفهومية الدلالية سنفترض أنها تلعب دوراً عند استيعاب النص :

(٢٠) I **الحذف** : يمكن أن تحذف من سلسلة من القضايا قضية أو عدة قضايا . ويمكن أيضاً أن تضيع أجزاء من قضايا (أو حقائق) . (فى إطار ظروف معينة تكون هذه العملية، حين تستخدم فى أثناء الفهم، عملية ـ كبرى فى الوقت ذاته) .

II **الإضافة** : يضاف إلى سلسلة من القضايا قضية أو عدة قضايا، وفى الحقيقة بناءً على القيود التالية :

(i) تستخلص القضايا من قضايا أخرى فى النص أو من قضايا كبرى؛

(ii) تستخلص القضايا من إطار مهم للمعرفة، لتوضيح النص مثلاً؛

(iii) تبنى القضايا وفق تداعيات مفهومية مهمة وتقديرات ... الخ .

لا يجب أن تكون هذه الإضافات صحيحة بشكل حتمى، إذ يمكن أن يضيف مستخدم اللغة معلومات غير صحيحة أيضاً أو حتى غير مترابطة .

III **إعادة الترتيب** : يحدث إعادة الترتيب غالباً جداً باعتباره تحويلاً : ففى مقابل البنية الأفقية الأصلية للنص تتغير قضايا وتنقل .

IV **الإحلال** : يمكن أن تحل قضية أو عدة قضايا محل قضية أو عدة قضايا، من خلال مفهوم معادل معجمياً مثلاً . ١٩٧

V (**إعادة**) **التأليف** : ثمة صيغة خاصة لـ III و IV وهى بناء لقضايا جديدة على أساس أجزاء من قضايا مقدمة . ويمكن أن تكون كل هذه التحويلات متنوعة . ويمكن أن يحافظ على نحو حاد على المعنى والإحالة أيضاً (قيمة الحقيقة) . وفى حال كهذه تكون البنية الجديدة معادلة للبنية القديمة بشكل صارم من الناحية الدلالية . ومع ذلك يمكن أن يبقى المرء فى الوقت ذاته على بنية الإحالة أيضاً، بل يستخدم مفاهيم أو قضايا مختلفة . غير أن مستخدم اللغة يمكن أن يحول إلى جانب تلك التحويلات الصحيحة تحويلاً ، غير صحيح ، أيضاً، يحذف فيه معلومات أو يضيف معلومات غير صحيحة أو يعيد ترتيب معلومات بشكل غير صحيح أو يؤلف بينها .

٤-٧-٦ ما نزال نتخبط على غير هدى مؤقتا فيما يتعلق بالقيود الدقيقة لهذه التحويلات . وبرغم أنه توجد بلا شك سلسلة كاملة من القوانين العامة فإنه مع ذلك ينتج عن تجارب مختلفة أن الأشخاص الخاضعين للتجربة المختلفين يمكنهم أن يطبقوا باستمرار تجارب متباينة على النص ذاته[٢٨] .

---

(٢٨) عن التحويلات المختلفة التى تظهر فى أثناء إعادة إنتاج المسودات الأصلية فى تجارب تذكر النص، قارن : كنتش وفان دايك (1978) Kintsch & van Dijk .

من البدهى أن تكون إحدى العمليات الأعم هى الحذف، فما دام قد انقضى وقت محدد بعد تلقى المعلومة، يحذف مستخدم اللغة باستمرار قضايا أو أجزاء من قضايا . ويمكن أن تحذف فى أقصر وقت تلك القضايا التى لها أهمية قليلة بالنسبة لإعادة إنتاج النص، وكذا بناءً على قيم الإحالة والبنية المعينة للمعلومات فى الذاكرة، وتبعاً للاستدلالات بمعلومة حديثة الورود .

وثمة تجارب قد أسفرت أيضاً عن أن مستخدمى اللغة يميلون بسرعة إلى حد ما إلى إضافة معلومات فى شكل قضايا، ليس فقط بالنسبة لأوجه الربط العلاقة الأساسية والتماسك الدلالى المعروفة، بل بكل قضايا مشتقة أو متداعية أخرى أيضاً . ويمكن فى بعض الحالات أن ترد هذه الظاهرة لأن نصاً ما ينبغى أن يصير مفسراً أو لأن مستخدم اللغة يريد أن يعبر عن حكم ما عبر المعلومات المكتسبة .

ونظراً لأن البنية الفعلية للنص ليست ضرورةً نقلاً (/ صورة) مباشرة للبنية المفهومية الموجودة تحتها، يغير مستخدم اللغة بشكل ممكن عند تفسيرات ما أو إعادة الإنتاج، التتابع، حين يريد أن يعيد تقديم معلومات أو يخزنها . ولذا يمكنه أن ينتقل إلى اختزال البنية الهيكلية إلى البنية القاعدية (، العادية على الأرجح ،) ، على سبيل المثال عند / فهم حكاية ما أو إعادة قصها أو مقالة علمية (٢٩) . ١٩٨

ويمكن أن يحدث ما يشبه ذلك على المستوى الدلالى، حيث يجوز أن يختار مستخدم اللغة تتابعاً أكثر منطقية أو حتى تتابعاً له أهمية أكبر لأداء هذه المهمة أو تحقيق هدفه . ولأن ألفاظاً معجمية ما فى اللغة تعرض منطوقات عرفية للأبنية المفهومية الأساسية فمن المحتمل أن يتشكل تأليف آخر للمفاهيم أيضاً، بحيث تصير ألفاظ معجمية جديدة ضرورية . ولا يجوز

---

(٢٩) وصف مندلر Mandler (1978) لاختزال أبنية القص إلى بنيتها القاعدية، قارن أيضاً : كنتش (Kintsch (1977 b .

أن تحدث صور الإحلال تلك فى أثناء الفهم فحسب، بل أساساً فى أثناء إعادة إنتاج النصوص أيضاً .

إن تلك الأنواع من التحويلات ليست فقط دلائل على الفهم الأمثل أو طريقة مثلى بالنسبة لمستخدم اللغة لتخزين معلومات نصية، بل لتلك التحويلات أيضاً، كما سنرى، سلسلة قيود خاصة، تتأرجح حسب السياق . ولذلك من الضرورى فى بعض السياقات أن تستخدم تحويلات معينة ولا تستخدم أخرى .

٦ ـ ٧ ـ ٥ أخيراً يجب أن يشار مرة أخرى إلى أن تلك العمليات فى العادة تستخدم بلا وعى . إلا مع تكاليفات خاصة مثل التلخيص أو الشرح . إن نسيان معلومات ـ أى : حذف قضايا أو أجزاء من قضايا هو عملية تقع بطريقة آلية، حتى وإن استطاع مستخدم اللغة أن يؤثر فيها تأثيراً إيجابياً (من خلال التدريب والتكرير والتطبيق وما أشبه) . وقد افترضنا أن النسيان ـ أى : عدم إمكان العثور على معلومات ـ تحدده فيما تحدد قيم البنية والأهمية التى ألحقت بالقضايا النصية فى الذاكرة . وقد تركنا هنا إمكانية ألا تبلغ أنواع محددة من المعلومات الـ ذ م ط بشكل عارض، ومن ثم تضيع فى أثناء عملية التفسير فى ذ م ق أو ذ م ق د ـ تركناها مطروحة (للمناقشة) .

٦ ـ ٨ إعادة إنتاج نصوص وإعادة بنائها وإنتاجها

٦ ـ ٨ ـ ١ السؤال التالى الذى يتشكل هو ماذا يحدث حقيقة مع المعلومة النصية المكونة أو المحولة، بعد أن تختزن فى الذاكرة ؟ إذا أردنا أن نجيب عن هذا فيجب أن يتبين لنا أن استيعاب النص وفهمه يحدثان عادة فى أثناء عملية الاتصال، يريد المتكلم من خلالها أن يعلم السامع شيئاً أو يغير وضعه الداخلى على نحو آخر (يشكل أو يغير آراء أو مواقف معينة) / . وبناءً ١٩٩

على ذلك من المحتمل أن ينفذ أحداثاً مبتغاة معينة أو يقلع عنها . ويمكن أن يحدث هنا ألا يستوعب السامع نصاً ما إلا بقصد أن يغير معرفته أو رؤيته . تلك المعرفة يمكن أن تتعلق بموضوع خاص، بل يمكن أن تكون عامة للغاية أيضاً . وحتى حين لا يوضح النص بهذه المعرفة العامة فإن مستخدم اللغة يمكنه مع ذلك أن يستخلص بشكل استقرائى سلسلة من النتائج الأعم وأن يضيفها إلى معرفته الدلالية العامة . ويمكن بذلك هنا أن يتضح ضرورة أن معارف أخرى إذا ما أريد الحفاظ على ترابط معين وتركيبية محددة فى مخزونه المعرفى، تحذف أو تغير، وإذا ألفت معلومات مستقبلة على هذا النحو مع المعرفة المتكونة فإن المرء يتحدث عن عملية تعلم . وإذا لم تكن الحال كذلك فإن المعلومات تحتفظ بخاصيتها المرحلية : يتخذ النص خاصة موضوعاً للنظر، ومع ذلك لا يسفر عن ذلك أية نتائج بالنسبة للمعرفة حول «العالم» . ويبدو أن هذا الفرق يتجلى بشكل مميز فى أشكال نصية مختلفة؛ فى الحكاية أو مادة صحفية من جهة، وفى كتاب تعليمى من جهة أخرى . بيد أن سبرغور تلك العملية وشروطها التى تحدد على أى نحو تغير معلومات مستقبلة كماً معرفياً عاماً، ما يزال واهياً للغاية؛ ولذلك نستمر هنا فى ترك هذه الإشكالية دون التعرض لها .

٦ ـ ٨ ـ ٢ يكمن جانب مهم آخر لعملية الاتصال فى استخدام النصوص لإنتاج خاص للمعلومات : نريد أن نكرر ما أبلغنا به، نريد أن نلخص شيئاً قد قرأناه، ويتوقع منا أن نجيب عن أسئلة؛ عن موضوع سمعنا وقرأنا عنه شيئاً . وأخيراً يحدث كذلك أنه يجب أن نحل مشكلة أو نريد أن ننفذ سلسلة من الأحداث بناءً على معلومات حصلنا عليها من نص خاص (كتاب تعليمى مثلاً أو إرشادات الاستخدام) . وفى كل هذه الحالات يجب أن نظهر مرة أخرى على الأقل جزءاً من معلومات مكتسبة من قبل بشكل

صريح أو غير صريح ليمكن إنجاز المطلب المقدم . ولذلك سنعنى فى هذا المبحث بالكيفية والشروط التى يمكن لمستخدم اللغة بناءً عليها أن يستحضر معلومات نصية من الذاكرة مرة أخرى، ويمكن أن يستخدمها لإنتاج معلومات جديدة أو لإنجاز أحداث . وأخيراً يجب، كما ذكرنا فيما سبق، أن يضاف أيضاً أن معلومات ما يمكن أن تستغل فى تغيير المعرفة، بحيث تستعمل أيضاً لفهم نصوص أخرى .

٦-٨-٣ بحثت فى التجارب السيكولوجية سلسلة من تلك الوظائف فى إطار شروط ضابطة بحثاً دقيقاً، فأكثر المهام استخداما هنا هو تذكر معلومات / (مع مفاهيم باعتبارها مفاتيح أو بدونها)، والتعرف على معلومات وتلخيصها، واستخدام معلومات لحل مشكلات [٣٠] . ففى كل الحالات يجب أن تستحضر معلومات نصية من الذاكرة . ولذلك سنحاول بادىء ذى بدء أن نصف كيف يحدث هذا بوجه عام . وفى خطوة تالية سنصف كيف يحدث ذلك مع مهام معينة . ٢٠٠

٦-٨-٤ تختزن معلومات نصية، كما ذكر من قبل، فى الذاكرة، على نحو ما حددت البنية التى ألحقت بها فى أثناء عملية التفسير . فحين يتفاعل التمثيل النصى مع المعرفة الموجودة فى الذاكرة، يجوز أن يكون لبنية المعرفة الموجودة تأثير على الطريقة التى يستمر من خلالها استيعاب المعلومات النصية .

إن المبدأ الأول الذى يحدد البحث عن معلومات نصية واسترجاعها

---

(٣٠) إن إعادة إنتاج ما يعرف عن نص ما يمكن فى إطار مهام متباينة أن تقع، ومن ثم من خلال مدونات متباينة للذاكرة : التعرف والتذكر وفق مفاهيم باعتبارها مفاتيح، والاختصار والإجابة عن أسئلة حول نصوص معينة واستخدام معلومات لحلول المشكلة .

هو مرة أخرى هذه البنية للتمثيل النصى (بنية المعرفة المتكونة) فى الذاكرة . ولذلك يمكننا أن نقبل الفرض البحثى العام وهو أن الاحتمالية التى يمكن بها استحضار معلومة من الذاكرة هى وظيفة قيمة البنية والأهمية التى ترتبط بوحدات معلوماتية معينة . وبعبارة أخرى : كلما زاد امتلاك قضية ما لعلاقة تركيبية فى تمثيل الذاكرة، أمكن أن يعثر على هذه القضية، ويعاد إنتاجها بشكل أسرع . ويستنتج من ذلك أنه بخاصة بالنسبة للقضايا الكبرى والفرضيات المسبقة وعلى نحو آخر (لأسباب شخصية أو لخصوصيات السياق مثلاً) يكون للقضايا المهمة أكبر فرصة لأن يستبقى عليها . ونفترض أيضاً أن تلك المعلومات على المدى الأطول متاحة للاستخدام . ولكن هذا لا يصلح للتذكر فقط، بل للتعرف على معلومات أيضاً، حتى وإن جاز إمكان التعرف على معلومات بشكل أيسر وأطول وأكثر تفصيلاً من إعادة إنتاجها بشكل فعلى عند التذكر، بل يمكن للمرء أن ييسر التذكر من خلال عدد من القيود . إن المفاهيم الدلالية باعتبارها مفاتيح مثال مميز لتلك الحال : يضاف هنا لهذا المطلب جزء من المعلومات المتذكرة، بحيث يكمن جزء من العملية فى التعرف، بينما ما يزال الباقى يستوجب تكملة أو استنتاجاً من المعلومات المسترجعة .

٦ ـ ٨ ـ ٥ تستخدم فى أثناء استرجاع معلومات نصية سلسلة من العمليات . فليس من اليسير / إعادة إنتاج أو إمكان إعادة إنتاج معلومات مسترجعة فى حد ذاتها . وقد افترضنا فى المقام الأول فيما سبق أنه أيضاً عند إعادة إنتاج معلومات يمكن أن تستخدم سلسلة من التحويلات (الحذف والإضافة والنقل والإحلال وإعادة التأليف) . بيد أن مستخدم اللغة يمكن عند عملية الإنتاج أن يقرر عن وعى أو بلا وعى أن قضية معينة يمكن أن تحذف أو لا يحتاج إلى أن يعبر عنها أو أن تفسيراً آخر للمعلومات ضرورى ٢٠١

وأن تتابعاً آخر أوضح أو أن بنية دلالية ـ معجمية أخرى (اختيار آخر للكلم وما أشبه) عند (إعادة) إنتاج معلومات، أكثر مناسبة . ويتشكل السبب الجوهرى حيث يكون ذلك ليس ممكناً فحسب، بل ضرورياً أيضاً، من قواعد الأساس لإنتاج النص : يخضع إنشاء مدونة (محرر) التذكر أو الاختصار أو تقديم إجابة أيضاً لقواعد نحوية وبراجماتية عادية لاستخدام اللغة . وحين نريد أن نحلل الكيفية، كيف يعيد مستخدم اللغة نصاً ما أو يختصره فإننا يجب أن نراعى فى هذه الحال أنه يخضع لقواعد أعم لإنتاج النص : يجب أن يكون نصه نحوياً وواضحاً ومترابطاً ومؤثراً وما أشبه . ولذلك يجب أن يطبق ـ على نحو محتمل ـ التحويلات المذكورة على البنية المفهومية لتمثيل النص المحتفظ به فى الذاكرة . وبعبارة أخرى : يمكن على الأقل أن يوضح جزءاً من التحويلات، حين يلحظ ما يمكن أن نطلق عليه قيود المخرج، التى هى بدورها شروط للتفاعل الاتصالى التالى .

وعند محاولة تذكر مضمون نص ما لا يعيد مستخدمو اللغة إنتاج بعض القضايا بشكل متساو فحسب أو تحويلها، بل سيحاولون أيضاً إعادة تركيب معلومات فى حالات كثيرة . يتذكرون قضايا يمكن أن يكونوا قد عثروا عليها فى المقام الأول بشكل غير مباشر فى الذاكرة . ومع ذلك يعيدون إنتاجها بناءً على قضايا أخرى . وحين يتذكر أيضاً أن بيتر فقد نقوده، فإنه ربما يمكن للمرء أن يصل عقب ذلك إلى أن هذا يحدث فى حادثة سطو .

ويمكن أن يستخدم هذا الفرض باعتباره مؤشراً (Index) لاسترجاع قضية ما تزال موجودة ـ بشكل محتمل ـ بهذا المضمون، إنها عملية أكثر بساطة، إذ ترتكز على التعرف . ومع ذلك فمن الممكن أن مستخدم اللغة لم يعد متأكداً، هل القضية المعنية هى فى الحقيقة جزء من تمثيل النص فى الذاكرة . إنه إما ألا يعبر عن القضية أو يعبر عنها بناءً على تخمين معقول بدرجة أو بأخرى . ولذلك يمكن أن تحدث أخطاء سهواً فى عمليات إعادة

التركيب تلك . ويوجد نوعان مختلفان من الأخطاء : إما أن تتعلق بمعلومات مضافة لم ترد فعلاً فى النص، ولم تتضمن بشكل مباشر أيضاً، بل يمكن أن تكون قد وردت فى النص، فيدور الأمر حول أخطاء مقبولة، وإما أن يتعلق الأمر بأخطاء أخرى، تحدث أشكالاً غير مقبولة من إعادة التركيب/ أو حتى متناقضة . فلم يعد ممكناً التعرف على مقبوليتها (Plausibilitat) . ٢٠٢

وفى إطار الفرض القائل بأن القضايا الكبرى عند عملية التذكر متاحة بشكل مباشر وسهل نسبياً، ستتعلق عملية إعادة التركيب على الأقل لمدة قصيرة بالقضايا الصغرى خاصة، أى بتفاصيل من النص . ويمكن أن يتحقق ذلك حين تطبق عمليات إعادة التركيب على البنية الكبرى للنص . فبينما يجب أن تلخص معلومات من خلال قواعد كبرى عند فهم النص، وتنظم وتختزل، يجب أن تخصص قواعد إعادة الإنتاج معلومات قائمة فعلاً وتوسعها وتفصلها بشكل مقبول . لذلك نفترض أيضاً أن قواعد إعادة الإنتاج فى الحقيقة تجعل تطبيق قواعد كبرى معكوسة أمراً ضرورياً :

(٢١) I **الإضافة** : عكس القاعدة الكبرى الحذف . وهكذا فى هذه الحال تضاف قضايا التفصيل التى لا تعرض أية قضايا مهمة فى النص . ويمكن أن يعاد تركيب تلك التفاصيل وفق علامات مقبولة ممكنة للأشياء والأشخاص والأحداث .

II **التخصيص** : عكس التعميم . إذا وقف المرء على مفهوم عام يمكن أن يعاد تركيب المفاهيم الجزئية المقبولة إلى حد بعيد (مثلاً ، وردة ‹ ـــ › توليبة ‹).

III **التمييز (الفصل)** : عكس (إعادة) التركيب . فى هذه الحال تكون إعادة التركيب للمعلومات هى الأيسر، إذ يمكن للمرء أن يستخلص المعلومات من الأطر المعنية، التى قد وجدت البنية على أساسها . لذلك توجد هذه القاعدة فى أربعة أشكال :

(أ) تمييز سمات عادية للأشياء والأشخاص (بناءً على الإطار) .

(ب) تمييز قيود عادية لفعل أو حادثة .

(جـ) تمييز مكونات عادية أو أحداث جزئية لفعل أو حادثة .

(د) تمييز عواقب أو نتائج وتضمنيات عادية لفعل أو حادثة .

٦-٨-٦ بناءً على المبادىء المختلفة وفروض البحث والعمليات المفترضة نحن قادرون على أن نخطط بشكل تقريبى : كيف تبدو البنية المضمونية الممكنة لمدونة التذكر . نحن ندرك تقريباً كيف تبنى معلومات من نص ما بوصفها تتابعاً قضوياً منظماً ذا بنية كبرى وبنية دلالية فى الذاكرة من خلال تداول دائرى فى ذاكرة المدى القصير الدلالية . لقد افترضنا أن فرصة استرجاع قضية ما أكبر كلما زاد امتلاكها علاقات تركيبية وكبرت قيمة أهميتها . ونعرف أيضاً أن مستخدم اللغة يستخدم فى الغالب فى أثناء الفهم أو التذكر سلسلة من التحويلات تغير بنية/ المضمون . ٢٠٣ ويمكن أن تشمل هذه التحويلات كل الأبنية الممكنة التى تتركب فى ذ م ق د - قضايا (صغرى) وقضايا كبرى وأبنية دلالية . أخيراً قد افترضنا كذلك أنه فى أثناء عملية التذكر لا يعاد إنتاج قضايا (محولة أو غير محولة) فى حد ذاتها فحسب، بل سيلجأ مستخدم اللغة فى الغالب أيضاً إلى أشكال مختلفة من أشكال إعادة الإنتاج . وبناءً على ملامح الأساس لنموذج العملية يمكن للمرء - إذن - أن يتوقع الأنواع التالية للمعلومة فى مدونة ما :

(٢٢) ١ - قضايا كبرى من تمثيل النص .

٢ - قضايا كبرى (من المحتمل أن تكون مطابقة لـ ١) .

٣ - قضايا متصلة بالبنية الهيكلية (التخطيطية) .

٤ - تحويلات لـ ١، ٢ .

٥ - قضايا صغرى أعيد بناؤها .

٦ - قضايا كبرى أعيد بناؤها .

٧ - ما وراء النطق (قضايا حول مضمون النص والشرح والأحكام وعلاقات أخرى متضمنة) .

٨ - قيود المخرج (تكرير قضايا باعتبارها فرضيات مسبقة لتوضحى قضايا كبرى مسخرة ممتدة أو مختصرة وما أشبه) .

٩ - معلومات البنية لـ ١ حتى ٨ : البنية الدلالية للتتابعات والبنية الكبرى والبنية الهيكلية) .

١٠ - البنية البراجماتية لنص المدونة (تبعاً للمهمة) .

١١ - البنية السطحية للمدونة .

إن احتمالية أن تظهر هذه القضايا والأبنية فى مدونة ما متباينة . فمن البدهى أن الأبنية التى تمكن من إنتاج صحيح ضرورية . ومع ذلك فما يتعلق بالمعلومات من النص الأصلى، فقد رأينا أن ثمة قضايا كبرى - وبخاصة بعد مضى بعض الوقت - من الأحرى أن ترد أيضاً، وإن كان ذلك فى علاقة بعدد من القضايا الصغرى والكبرى للنص أيضاً[٣١] .

ويجوز لمدونة التذكر التى يتم إعدادها من نص ما بعد قليل من الوقت - مثلاً بعد عدة أسابيع أو أشهر أو حتى سنوات، أن تكون فى المقام الأول أقصر : فما يزال لا يتوفر للمرء ببساطة إلا قليل جداً من المعلومات من النص بشكل فعلى . ويبدو هنا بصورة أقوى وبطريقة لافتة للنظر أيضاً أن

---

(٣١) يدلل فان دايك (1976 b) van Dijk وكنتش وفان دايك (1978) Kitsch & van Dijk على أبنية كبرى تسود على أبنية صغرى .

الميل للإبقاء على قضايا كبرى ما يزال يتضح هنا بشكل أفضل على كل حال: يتبين بعد بضع أسابيع أن المرء لا يعرف ما يزيد عن القضايا الكبرى؛ فأغلب القضايا الكبرى غير موجودة لمدة طويلة . وتبين تجارب متنوعة أيضاً أن تلك القضايا الصغرى التى يحتفظ بها بسبب قيمة الأهمية (الشخصية) الخاصة - هى القضايا التى/ تعالج شيئاً يجده القارىء ممتعاً أو ٢٠٤ غريباً أو سخيفاً أو ما أشبه - ومع ذلك فليس لها وظيفة البنية الكبرى أيضاً فى النص، وتظهر فى الغالب فى مدونة تذكر تال مباشر، ولكنها بعد بضع أسابيع لا تكون متاحة بوجه عام . ويبدو أن غياب قيمة تركيبية يدفع إلى أمر ما . وكما قيل يعد الأخير ميلاً . ولذلك لا يمكن أن يقال إنه ليس من الممكن أن يتذكر مستخدم اللغة بعد وقت طويل جداً أيضاً تفصيلاً خاصاً من نص ما بدقة (٣٢) . يوجد هذا، كما هى الحال، فيما عدا ذلك عند الاستيعاب المرئى للمطومة .

ومن البدهى أن يتميز التذكر المرجأ أيضاً من خلال أن الأشخاص الخاضعين للتجربة لم يعودوا يقفون على البنية الدلالية الأصلية للنص، بل يبدأون فى استخدام كل التحويلات أو على الأقل إعادة إنتاج/ إعادة تركيب النص الأصلى مع كل التحويلات . ومع ذلك يتجلى بعد قليل من الوقت أن هذه التحويلات لم تستخدم أبعد من ذلك : يؤلف المرء بدرجة أو بأخرى بنية ، راسخة ، تعد أساساً لتذكر آخر أو أهداف أخرى . ونعرف هذه الظاهرة من الاتصال النصى الطبيعى أيضاً : حين نحكى حادثة مغامرة فى الإجازة غالباً لأصدقاء مختلفين فإن حديثنا يمكن أن يتضح ببطء . وعلى ذلك لن نحاول أن نحيى أحداثاً أو تفاصيل أخرى فى ذاكرتنا ونركبها فى الحكاية .

من البدهى أنه لم تعد، مع استمرار نصوص كثيرة، نقرأها يومياً،

---

(٣٢) يكتب بارتلت Bartlett (1932) عن حالة لم يحتفظ فيها الشخص الخاضع للتجربة بعد سنوات كثيرة إلا بعنوان نادر (فى الأغلب منسى) للحكاية أيضاً .

حتى البنية الكبرى مهمة لمعرفتنا ومواقفنا وأفعالنا بحيث تبدأ البنية الكبرى أيضاً في › التفتت ‹ . وهكذا تلعب عوامل كثيرة دوراً في عملية النسيان، بحيث يمكننا أن نقول في صعوبة، تنسى تلك الأنواع من الأبنية الكبرى بعد وقت طويل إلى حد ما . ويمكن أن يسخر هنا أيضاً مرة أخرى مصطلح الأهمية باعتباره معياراً عاماً . وتتوفر قضية مكتسبة على أساس استيعاب نص معين مدة أطول كلما كانت أهم للمعرفة والمعاني والمواقف والأحداث والتفاعلات الاجتماعية لمستخدم اللغة . ومع ذلك لا تقدم تلك الأهمية البنيوية أو الإدراكية إلا جانباً، إذ يجب أن نراعي إلى جانب ذلك الأهمية التأثيرية أيضاً، أي : نحتفظ بالموضوعات مدة أطول في ذاكرتنا التي تترك في أنفسنا التأثير الأغلب . يجب أن يستند تعريف المصطلح الغامض › تأثير ‹ إلى أنظمة من الرغبات والأشواق والمعايير والقيم والأحكام والتوقعات والأهداف المستخلصة منها .

٦ ـ ٨ ـ ٧ إن التذكر الحر للمعلومة النصية هو إلى حد ما › الصيغة الأساسية ‹، التي توصل إليها بشكل أفضل معلومة مستقبلية ./ ومع ذلك ٢٠٥ يجب أن يضع المرء هنا نصب عينيه أنه لا يرد في الاتصال الطبيعي ذلك التكرير للمعلومة إلا نادراً . لذلك فنحن مهيئون تهيئة خاطئة بشكل خاص أيضاً، لتكرير نص ما قضية إثر قضية . وحتى في موقف التجربة الذي يركز على قراءة نص خاص واستيعابه تركيزاً شديداً، يعرف الشخص الخاضع للتجربة من خلاله أو يمكنه على كل حال أن يرجح أن هذا النص يجب أن يعاد إنتاجه . ولا يحتفظ الشخص الخاضع للتجربة المتوسط بعد تقديم النص مباشرة بأكثر من نصف إلى ثلث العدد الأصلي من القضايا مع نص مكون من مائتي قضية تقريباً (٥ صفحات مطبوعة، ١٦٠٠ كلمة) [٣٣] . ومع نص أقصر يمكن أن تتحسن هذه العلاقة، بينما مع نص

(٣٣) فان دايك وكنتش van Dijk & Kintsch (1977) ، وكنتش وفان دايك Kintsch & van Dijk (1975, 1977) ، و فان دايك (van Dijk (1975 b .

أطول فى الحقيقة - رواية أو كتاب تعليمى مثلاً - يمكن أن تكون المعلومات المحتفظ بها أصغر بكثير (من ١ إلى ٢ ٪ تقريباً) إننا - بداهة - يمكن أن نتعرف مرة أخرى فى كل الحالات على الأكثر من هذا بكثير جداً

وتعد الصيغة الأكثر طبيعية لاستيعاب المعلومات هى وضع الاختصارات (٣٤) . فعلى المرء أن يحاول باستمرار أن يقدم نبذة عن المعلومات التى حصل عليها فى وقت مبكر، فى التفاعل اليومى وفى التفاعل الخاص فى العمل أو الجامعة على النحو ذاته . ومن السهل نسبياً وصف العملية التى تؤسس الإيجاز، فيمكن أن يقال إن مستخدم اللغة يختار عند إنجاز ما قضايا من ذاكرته، لها أعلى قيمة تركيبية . ومن الناحية العملية يمكن أن تكون هذه هى القضايا الكبرى خاصة . ولذلك يتحدث المرء أحياناً أيضاً عن أن إيجازاً ما يعد إلى حد ما التحقيق النصى للبنية الكبرى فى نص ما . وحين لا يكون من غير الممكن تقريباً أن يوجز نص ما، فيمكن للمرء أن يرجح فى هدوء أنه من غير الممكن أن يصاغ لهذا النص معنى دلالى عام .

تشبه صور الإيجاز بعد عرض النص مباشرة إلى حد كبير مدونات التذكر المرجأة ترد فيها بشكل خاص قضايا كبرى وعلى أقصى تقدير تارة بشكل عرضى كتفصيل غير مهم نسبياً . وهكذا فمن الجلى أن مستخدم اللغة حين يقدم إيجازاً فإنه ينفذ عن وعى بدرجة أو بأخرى ما تفعله ذاكرته تلقائياً : اختيار / اختزال معلومات أو نسيان معلومات .

وقد تبين مما تقدم أننا دون نظرية للبنية الكبرى لا يمكن أن نقدم أيضاً إلا بشكل تقريبى تفسيراً مناسباً إلى حد ما للكيفية التى تفهم من خلالها معلومات معقدة، وتختزن، ويحتفظ بها، وتعلم، ويعاد إنتاجها وتستخدم مرة أخرى .

---

(٣٤) إن الإيجاز وسيلة من أكثر الوسائل مباشرة لاختبار الفهم النصى العام امبريقياً . قارن أيضاً الأعمال التى ذكرت من قبل لكل من كنتش وفان دايك Kintsch & van Dijk .

إن التعقد الكبير للبنية القضوية لنص ما يجبرنا/ على القيام بتقسيم ٢٠٦ مبادىء معينة واستخدامها للاختزالات : يجب أن ندرك ما الأهم والأكثر وثاقة بالموضوع فى نص ما، بحيث يمكننا أن نفهمه أساساً، وبحيث يمكننا فيما بعد، حين يكون ذلك ضرورياً، أن نعثر على هذه المعلومات مرة أخرى. ينبغى أن يكرر هنا ثانيةً أن تلك المبادىء لاستيعاب للنص تسرى على الاستيعاب المعقد للمعلومة بوجه عام . كما أن سلسلة معقدة من الصور والأحداث العرضية (المشهدية) وربط أحداث معقدة وتفسيرها يوجهها عند الإنتاج والتفسير أيضاً بناء وحدات عامة وإنجازها، أى : قضايا كبرى .

٦ ـ ٨ ـ ٨ من البدهى أن تلك الفروض الأولية الأعم فى نظرية استيعاب المعلومة يمكن أن تطبق أيضاً على إنتاج نصوص (٣٥) . قد اهتممنا بجوانب عملية الإنتاج التى لها علاقة ما بإعادة تركيب معلومات نصية مكتسبة من قبل أو إعادة إنتاجها . ويقال بوجه عام، يجب مع ذلك أن نفترض أن المعنى العام ـ أى البنية الكبرى، يلعب دوراً جوهرياً فى تخطيط المنطوق وتنفيذه . فإنتاج تتابع جملى متماسك يعرض وظيفة ذلك التعقد العجيب، بحيث لا يمكن أن تضبط تلك المعلومة ضبطاً دقيقاً إلا سلسلة كاملة من الاستراتيجيات والقواعد والأبنية والمقولات المتدرجة .

إن فرضنا الخاص الأول عن الإنتاج هو الفرض القائل بأن مستخدم اللغة يبنى فى المقام الأول قضية كبرى ـ رجوعاً إلى معرفته ورغباته ومقاصده وما أشبه أو يركبها على أساسها ـ وأن هذه القضية الكبرى هى المعنى المقصود مؤقتاً للقطعة النصية الأولى أو للنص كله، ثم تنقل القضية

(٣٥) لا يعالج هنا إلا إنتاج اللغة . وما يزال لا يعرف المرء عن عمليات الإنتاج إلا القليل جداً . قارن فيما تقارن أعمال كمبن Kempen ، وبخاصة عمله Kempen (1977) (عن الجمل) .

الكبرى أو سلسلة من القضايا الكبرى فى الـ ذ م ق د إلى سلسلة من قضايا أساس نصى، على سبيل المثال من خلال استخدام قواعد كبرى معكوسة، تحدثنا عنها فيما سبق . هذه السلسلة الأخيرة يجب بداهة أن تفى بشروط الربط الأساسى والتماسك الدلالى المعتادة، ثم يمكن أن تنقل القضايا فى قالب جملى . وتستخدم القضايا الكبرى فى هذه الحال فى الضبط المضمونى العام فى الوقت ذاته : تحدد ما الموضوع، وما الجمل التى تتبع الموضوع أو لا تتبعه، ومتى انحرف المرء وقال أشياء غير متصلة بالموضوع .. الخ . كما يمكن أن تتغير قضايا كبرى صيغت من قبل باعتبارها مقاصد، على سبيل المثال حين يلاحظ المتكلم أن السامع لا يفهم الموضوع وأنه لا يهمه وما أشبه .

ويتعلق فرض الإنتاج العام الثانى - بالشكل العام للنص، وبالقيود الخاصة للبنية الدلالية/ على نحو ما تحددها الأبنية العليا الهيكلية . ويجوز أن ٢٠٧ يكون مفهوماً أيضاً بشكل تقريبى أن شخصاً ما حين يريد مثلاً أن يحكى شيئاً، يستخدم البنية الهيكلية للحكاية بوصفها تخطيطاً عاماً للإنتاج من أجل تنظيم الأبنية الكبرى ومن ثم السنتيجميات النصية .

وفى كلتا الحالتين تشكل أبنية كبرى وأبنية عليا تخطيطات إدراكية (kognitive Plane) ، لا يستغنى عنها لبنية مقاصد المعنى والهدف عند تنفيذ وظائف معقدة [٣٦] . تلك الخطط التى نوقشت فى علم النفس من قبل، يمكننا الآن أن نحددها بدقة إلى حد ما . وفى الحقيقة يجب هنا أن يلاحظ أن المرء لا يجوز، كما يمكن أن يتوقع ذلك من نموذج إنتاج مقبول سيكولوجياً، أن ينطلق من زعم وهو أن أبنية كبرى أو عليا مجردة أو نموذجية تعد إعداداً

---

(٣٦) عرفت ، الخطط ، فى علم النفس من خلال الكتاب الشديد التأثير خاصة لكل من ميلر وجلانتر وبريبرام Miller, Galanter & Pribram (1960) ، وعمق التحليل فى كتاب شانك وابلسون Schank & Abelson (1977) .

تاماً حين يريد مستخدم اللغة أن ينتج نصاً ما . وهنا تلعب الاستراتيجيات مرة أخرى دوراً مهماً . ففى بعض الحالات الاستثنائية - فى خطاب أو إعلان أو كتاب مثلاً - يصدق بالتأكيد أن المتكلم/ المؤلف قد جهز خطةً أو حتى دون الخطة (وهو تبعاً للنظرية ربما يكون ثانيةً نوعاً من الإيجاز، وفى هذه الحال فى صورة ملاحظات) .

ومع ذلك ففى حالات أخرى يمكن للمرء أن يتقدم، انطلاقاً هنا على سبيل المثال من طرق السلوك وردود فعل المستمع، من الموقف الخاص للحديث وما أشبه . وفى حالات أخرى أيضاً ربما لا يكون لدى المرء إلا موضوع عام جداً (مثلاً السؤال : كيف يحدث ذلك أو كيف قضى المرء إجازته)، وهو ما تفصله موضوعات فرعية، وأخيراً يمكن أن يعبر عنه على مستوى النص .

ويجوز غالباً أن تبنى وتنفذ أجزاء من قضايا كبرى أيضاً، قبل أن يمعن الفكر فى موضوعات مترابطة أخرى . فبينما ينفذ المتكلم خطة كبرى يمكن أن يفقد الخيط لغياب الضبط الأكبر : فى هذه الحال لم يعد يدرك للحظة، حول أى شىء كان يدور ذلك الموضوع حقيقة : أين كنت قد توقفت منذ قليل ؟

لا ضرر فى أن نركز فى هذا الموضع على أن ضبط الصيغة الهيكلية الكبرى والبنية الكبرى وبخاصة بنية التتابعات الجملية ومضمونها أيضاً ليست ذات طبيعة إدراكية فحسب . على العكس من ذلك سوف يعبر المتكلم فى المقام الأول عما يريد أن يقوله - تبعاً للمعارف والرغبات والآراء والمقاصد ... الخ . ومع ذلك فإن تعبيره خاصة هو حدث لغوى - صيغة للتفاعل الاتصالى . وينتج عن ذلك تلقائياً تقريباً أن القواعد والأعراف والاستراتيجيات الأعم للتفاعل (الاتصالى) مثل الخصائص الاجتماعية المميزة/ للسياق الفعلى (علاقة المتكلم والسامع/، تأثيراً شديداً، من ٢٠٨

المضمون العام عبر المخطط إلى التحقيق الفونولوجى/ الصوتى (›› أيجب أن أتحدث فى الواقع بلهجة منظف النوافذ أم لا ؟ ‹‹) . الحق أن المرء لا يمكنه أن ينكر أن هذه العوامل لا تحدد إلا إنتاج النص باعتبار أن المتكلم يعرف حقيقة أيضاً تلك الخصائص والقواعد (عن غير وعى أو بوعى)، بحيث تكون تلك القيود أكثر إدراكية أيضاً، غير أنه يتطلب من جهة أخرى مستوى وصف آخر - وهو مستوى الأبنية الاجتماعية للتفاعل - أن يكون لتلك العوامل فى إنتاج النص خاصية أعم متجاوزة للفرد . سوف ننظر فى تفصيل أكثر فيما بعد فى تلك الجوانب التى تتعلق بتأثير أبنية اجتماعية فى أبنية نصية - والعكس بالعكس - من خلال الاستيعاب الإدراكى والانفعالى .

٦ - ٩ استيعاب النصوص بوصفها أحداثاً لغوية

٦-٩-١ اقتصرنا حتى الآن على البنية الفعلية للنص - وبخاصة بنيته المضمونية - والكيفية التى فهم بها أو نظم أو اختزن، ومن المحتمل كيفية إعادة إنتاجه . ومع ذلك فقد رأينا فى فصول متقدمة أن منطوق نص ما يحدث عادة بقصد أن ينجز من خلاله حدث لغوى، على سبيل المثال لكى تنشأ من خلاله حال معينة مرة أخرى - حال إدراكية أو حدث معين مثلاً .

ويبرز فى هذا الموضع السؤال التالى : متى يسمع مستخدمو اللغة منطوقاً معيناً فى سياق معين، ويفهمونه، ثم من أين يعرفون، أى أحداث لغوية - فى الواقع - حل دورها ؟ وبعبارة أخرى : كيف يفسر براجماتياً منطوق لغوى ما ؟ من خلال أى عمليات ومعارف وما أشبه يكون مستخدم اللغة قادراً على أن يلحق حدثاً لغوياً ما بنص مفسر (من جهة مضمونه) ؟ [٣٧] .

---

(٣٧) قارن عن الاستيعاب الإدراكى لأبنية براجماتية (أحداث لغوية) كتاب فان دايك van Dijk (1977 c) .

٦ ـ ٩ ـ ٢ إن الإجابة المنظمة (المنهجية) عن هذه الأسئلة تجعل مناقشة نظرية مفصلة أمراً ضرورياً، لا يمكن أن تنجز فى هذه اللحظة . ومع ذلك توجد سلسلة من الفروض التى يمكن احتمالاً أن تعد مكونات مهمة لنظرة كهذه . يجب ابتداء أن ننطلق من امتلاك مستخدم اللغة معرفة منظمة محدد عرفياً لأحداث لغوية . وربما يمكن أن نستمر فى تقبل إطار/ أحداث ٢٠٩ لغوية بحيث إنه فى هذا الإطار يتحدد بالتفصيل أى قيود اجتماعية يجب أن يوفى بها ليمكن إنجاز ذلك الحدث اللغوى بشكل مناسب . وعلى الرغم من أننا لا نستبعد أنه توجد استراتيجيات معينة لإنجاز أحداث لغوية معقدة معينة (اقتراح قصة قانونية مثلاً) وأن تنظم تلك الأحداث اللغوى إطارياً، فإننا مع ذلك سنفترض أنه ليس لمفاهيم الحدث البسيطة خاصية الإطار، حتى لا يوسع كثيراً مفهوم الإطار . وفى الحقيقة يمكن أن تعد أحداثاً لغوية معينة مكوناً مألوفاً لإطار ما .

يقف مستخدم اللغة بناءً على معرفته التصورية عن أحداث لغوية على معرفة الخصائص والقيود الأهم لهذه الأحداث اللغوية . وبعبارة أخرى : يعرف أن شخصاً ما يقول س، ويفعل من خلال ذلك ص، حين يكون علاوة على ذلك للسياق العلامات ى، وينجز من خلال نطق س الحدث اللغوى ح (المحتمل بدرجة أو بأخرى) . وخلافاً لنظرية براجماتية مجردة فإن لنا علاقة هنا مرة أخرى بفروض السامع الأساسية بدرجة أو بأخرى بناءً على مدركات ونتائج، ولكنها ليست بنتائج تعليمية . هذا أهم من المعلومات التى يكتسبها مستخدم اللغة، ويمكن أن تكون قليلة إلى حد ما . وتسير عملية الاتصال بالإضافة إلى ذلك، من وجهة النظر هذه بلا مشكلات كثيرة ـ باستثناء مواقف الصراع (المثال النمطى : هل يمكن أن يعد هذا تهديداً ؟) .

٦ ـ ٩ ـ ٣ من البدهى أن يقوم تفسير منطوق ما بوصفه فعلاً كلاميا

أو سلسلة من الأفعال الكلامية أساساً على خصائص المنطوق ذاته . ومع ذلك ينبغى ألا ينسى هنا أن منطوقاً ما فى حد ذاته يمكنْ أن يكون بالتأكيد غامضاً براجماتياً : (٢٣) سأحضر لك ما يشرب .

يمكن أن يكون زعماً وتوكيداً أيضاً، وعداً أو تهديداً، وتبعاً لذلك ما قدر ما أمل السامع من الفعل المطابق أو لم يؤمل . والحق يضاف إلى الأبنية الصرفية ـ التركيبية والدلالية إشارات مهمة أيضاً من خلال النطق الفعلى (السرعة وارتفاع النغمة والضغط وقوة الصوت ... الخ) التى تحدد معاً : إلى أى مدى تكون جملة ما مثل (٢٣) بالنسبة للسامع وعداً أكثر من كونها تهديداً . وفى الألمانية والهولندية تلعب أدوات موجهة (Modalpartikeln) هنا أيضاً دوراً مهماً : فمثلاً تدل كلمة (schon) فى (٢٣) على توكيد .

ويقال فى إيجاز، ستقدم الخصائص المختلفة للمنطوق ذاته أهم إشارات للتفسير الصحيح للمنطوق بوصفه حدثاً لغوياً . لقد عالجنا أى خصائص للمنطوق من المحتمل أن يكون لها علاقة ما بخصائص الحدث اللغوى :

/ (٢٤) ١ ـ بنية دلالية ٢١٠

(أ) هل يتعلق المنطوق بحال أو بفعل المتكلم أو السامع، الآن أو فيما مضى أو فى المستقبل ؟ تلك الفروق تجتمع معاً عند تحديد الوعد والاتهام والاعتذار وما أشبه .

(ب) هل يتعلق المنطوق بأحداث تكون موافقة لهوى المتكلم أو السامع ؟ هل يتعلق برغبات معينة للمتكلم ؟ الخ . تلك الفروق تفصل الوعد عن التهديد مثلاً .

(جـ) هل يتعلق المنطوق بأشخاص أو موضوعات مهمة سياقياً (المتكلم والسامع) ؟ وما أشبه .

٢ ـ بنية نحوية

من أى نمط من الأنماط المهمة براجماتياً تعد البنية النحوية ؟ (أمثلتها الجملة الخبرية وجملة الاستفهام وجملة الأمر) . ربما يمكن ذلك من إشارات يميز المرء من خلالها أسئلة ورجاوات عن أخبار ذات طبيعة مختلفة .

٣ ـ بنية معجمية؛ أسلوب

كما رأينا يمكن أن يكون اختيار الكلم تعبيراً مباشراً أو غير مباشر للحال الإدراكية والانفعالية الخاصة بالمتكلم . ولذلك تتوفر معلومات عما يلى: ما موقفه تجاه السامع (شرير، برىء، متعاون .... الخ)، وماذا يبرز بناءً على ذلك أهمية الحدث اللغوى .

٤ ـ (شكل) الصوت، وسرعة الحديث، وارتفاع النغمة ... الخ .

قد رأينا الكيفية التى ينطق من خلالها نص ما، بشكل واضح بالنظر إلى موقف المتكلم : يسرى هذا على أشكال الأصوات والسرعة وعلو الحديث أيضاً وما أشبه . فالرجاء أو التهنئة مثلاً لن تنطقا فى نغمة غليظة أو غير لطيفة .

ويوجد كذلك إلى جانب تلك السمات المائزة للمنطوق ذاته بالنسبة لمتكلم ما سلسلة من الإمكانات الأخرى؛ الاستمرار فى التمييز بين الوظائف البراجماتية للمنطوق تمييزاً دقيقاً، وبخاصة من خلال فعله الإضافى والخصائص النصية ـ الموازية أوغير الفعلية للسلوك الاتصالى :

(٢٥) خصائص نصية موازية للاتصال .

(أ) الإشارة بالوجه (الابتسام والتلويح بامتعاض وما أشبه) .

(ب) تصرفات (توضيح وتأسف وعدم التأكد وما أشبه) .

(جـ) وضع الرأس .

(د) المسافة من السامع .

(هـ) أحداث أخرى (السلام والقبض والعناق ،التلويح باليد وما أشبه) .

ليس من المعروف، على أى نحو يقرن بدقة بين معلومات على هذا المستوى ومعلومات على مستويات مذكورة أخرى . يجب على أية حال أن نفترض أن ما عالجناه إلى الآن حول العمليات الواقعة فى ذ م ق د مصدره طريقة نظر مبسطة للغاية أيضاً، يفسر منطوق ما فى الوقت نفسه على مستويات أخرى أيضاً، يبنى عليه فى الوقت ذاته / ما يمكن أن يطلق عليه ٢١١ تمثيلاً براجماتياً : ما تصوره وأى حدث نفذ حقيقة، ومن ثم ما مقاصد المتكلمين .

٦-٩-٤ بيد أنه حتى الخصائص المذكورة للمنطوق فى (٢٤) و (٢٥) والسمات وأفعال المتكلم المستخلصة لا تكفى فى العادة لتفسير براجماتى واضح . فكما عرفنا فى تلك الأثناء تتعلق تفاعلات لغوية بالبنية الاجتماعية للسياق . ولذلك يجب أن يضطلع السامع فى الوقت نفسه بتحليل للسياق أيضاً، يستند فيه إلى موقف تفاعلى واجتماعى فعلى .

وعلى ذلك لن يدرج السامع هنا معرفته أو تخميناته حول معرفة المتكلم وآرائه ورغباته ومقاصده فحسب، بل يجب أن يحلل ، الموقف ، الاجتماعى للمتكلم وموقعه هو أيضاً والعلاقات بين المتكلم والسامع . ولذلك يجب أن يستعين تفسير ذلك الموقف الاجتماعى المهم سياقياً ببعض المفاهيم التى يمكن أن تستقى مما يسمى الأطر الاجتماعية للعلاقة . إن الإطار الاجتماعى للعلاقة هو بنية الحدث المحدد عرفياً أو حتى مؤسساتياً فيهامشاركون محددون يظهرون فى أدوار ووظائف مميزة واختلافات فى أوضاعهم وما أشبه، وإن بنية الحدث هذه هى ما يمكن أن يفعله مشاركون

مختلفون فى مواقف محددة أو ما يجب أو يجوز أن يفعلوه . فاستخدام وسائل المواصلات العامة أو تقديم طلب أمام المحكمة أو الاشتراك فى المرور أو الذهاب لحفل كوكتيل، تلك الأحداث تنظمها أطر اجتماعية . هذه الأطر يمكن أن تكون بذلك عامة أو خاصة، تتبع مؤسسة أو لا، ويمكن أن تفرض شيئاً فى إكراه أو لا .

ومن ثم فمنطوق شرطى أو مفتش يفسر أيضاً فى إطار المرور أو المواصلات المحلية تفسيراً مخالفاً لما فى إطار، ربما يخرج المنطوق ذاته للأشخاص أنفسهم عن مدلوله دون تقديم حقوقهم وواجباتهم الأصلية التى تشكلها مواقعهم . فما يفهم فى إطار ما على أنه رجاء يظهر فى آخر على أنه أمر . ويضاف إلى ذلك أن الأحداث اللغوية التى تنفذ فى الإطار الاجتماعى للعلاقة يمكن أن تكون أجزاء من سلسلة من أفعال اجتماعية أخرى، ربما تكون من جهتها فى الوقت نفسه مكونات أو قيود أو نتائج لها أو لأحداث لغوية . وسوف تناقش علاقات المنطوقات (النصوص) هذه وجوانب أخرى للتفاعل فى الفصل التالى . فالأمر لا يتعلق هنا إلا بالإشارة إلى أن التفسير البراجماتى الصحيح للنصوص يتطلب فى الوقت ذاته تحليلاً منظماً للسياق الاجتماعى .

٦ ـ ٩ ـ ٥ إن ما قيل عن الاستيعاب الإدراكى لأحداث لغوية / لا ٢١٢ يصلح لأحداث لغوية مستقلة بسيطة فحسب، بل لتتابعات أحداث لغوية وأحاديث وما أشبه أيضاً . وكما رأينا من قبل، ترتبط النصوص من الناحية النسقية بوحدات أحداث لغوية للمتكلم ذاته أو لمتكلمين مختلفين . وفى ذلك الموضع أدخل أيضاً مصطلح الحدث اللغوى الأكبر، لتحديد البنية البراجماتية العامة لمنطوق ما، أى لتحديد أى حدث لغوى عام ينجز من خلال سلسلة من أحداث لغوية » خاصة «، ومن ثم الوظيفة الفعلية للمنطوق .

وكما هى الحال بالنسبة للأبنية الكبرى على المستوى الدلالى أيضاً، تلعب أبنية كبرى براجماتية دوراً مهماً عند الاستيعاب الإدراكى لتفاعلات لغوية، ويجب بالنسبة للتخطيط Planung وفهم منطوق ما أيضاً أن يكون لدى مستخدم اللغة نظرة عامة حول مقاصد التفاعل . ولذلك يجب أن ينقل مستخدم اللغة عند عملية الفهم فى ذ م ق د تلك الأحداث اللغوية إلى أحداث كبرى لغوية . فهو بادىء الأمر قادر مثلاً على فهم سلسلة من الأقوال بشكل عام بوصفها وعداً أو تهديداً . ويعرف ما الاستنتاجات (المعرفة والالتزامات والأحـداث) التى يجب أن تضـاف إلى المنطوق . إن القـواعـد الكبـرى البراجماتية فى هذه الحال هى القواعد الكبرى ذاتها والدلالية أيضاً : الحذف والتعميم والتركيب بوجه خاص : إذ تفسر الأحداث اللغوية الخاصة بأنها شروط أو مكونات أو نتائج لحدث لغوى أعم . ويجب أن يضبط مستخدم اللغة باستمرار عند الإنتاج والتفسير أيضاً، كيف يرتبط كل منطوق بهذا المقصد الأعم للمنطوق : سوف يفهم أن منطوقاً مـا عن درجة الحرارة فى الحـجرة ليس قولاً فـحسب، بل هو معد فى الوقت نفسه لأن يعبر عن رجـاء أيضاً، بإغلاق النافذة مثلاً .

٦-٩-٦ صار جلياً بحق من المباحث السابقة أن فهم النصوص أو المنطوقات يقع على عدة مستويات . ولذلك يجب أن يخصص لكل هذه المستويات نموذج للاستيعاب الإدراكى للمعلومة على أساس النصوص، بينما يجب كذلك أن تربط المستويات المختلفة بعضها ببعض . ويجب أن نفترض هنا أيضاً ألا تجرى عملية التفسير أفقياً فحسب، بل بشكل موازٍ أيضاً : يحلل مستخدم اللغة السياق والأبنية النحوية للنص فى الوقت ذاته، ويركب مؤقتاً فى الوقت نفسه جزءاً من التمثيل الدلالى والبراجماتى للمنطوق . هذا يحدث على أساس قواعد ومقولات عرفية، وبمساعدة عدد كبير من الاستراتيجيات،

حيث تعد الملامح المذكورة المختلفة للمنطوق وسلوك المتكلم إشارات لوضع فروض حول المقاصد المضمونية والبراجماتية .

/ لا يعرف المرء عن استيعاب المعلومة على مستوى التعقيد هذا إلا ٢١٣ القليل جداً؛ فقد بدىء بالتخطيط لنماذج الفهم (الدلالى) للنص، بعد أن وجه الانتباه لسنوات طويلة بخاصة إلى الجوانب السيكولوجية لاستيعاب كلمات ومفاهيم وأبنية جملية . وكما يرتبط فهم النص دوماً بفهم أحداث لغوية وتوجيه تفاعلات اتصالية، إنها مشكلة لم تصغ بعد كذلك فى السيكولوجية الإدراكية إلا بصورة نادرة . ولذلك فإن المباحث المتقدمة ليست إلا فكرة أولية ومؤقتة للغاية وتخطيطية بشكل عام عن تلك المهمة، يمكن أن يتطور عنها نماذج موضحة وتجارب مطابقة .

ومع ذلك فقد ثبت أن سلسلة من المبادىء الأساس للاستيعاب المعقد للمعلومة يجب فى الحقيقة أن يعثر عليها على كل المستويات : التجزئة والتصنيف إلى مقولات، وتطبيق القواعد واستخدام الاستراتيجيات، وتركيب أو تنفيذ أبنية كبرى واستخدام أطر مفهومية واجتماعية للعلاقة، لا يستغنى عنها لتنظيم المعرفة والتفكير والاستنتاج والتفسير والحدث الاجتماعى .

٦ ـ ١٠ اكتساب مهارات نصية

٦ ـ ١٠ ـ ١ قد عنينا حتى الآن بوجه خاص بجوانب عامة ونظرية إلى حد ما فى نموذج استيعاب النص . ومع ذلك فإن للنتائج والمناقشات العامة للمباحث والفصول السابقة ـ فعلاً ـ سلسلة من التوابع العملية أيضاً فى المجال التعليمى مثلاً . فإنتاج النص وفهمه هما إلى حد ما جانبان محوريان لدرس لغة (الأم) [٣٨] . ويمكن أن تؤدى نظرة فى الملامح الجوهرية لفهم

(٣٨) ثمة نتائج ممكنة من مجال استيعاب النص وتطبيقها فى درس اللغة (الأم) تقريباً مهمة جداً، حين يريد المرء أن يربط مهام مثل المقالات والملخصات والإجابات =

النص هنا إلى إعداد نماذج تعليمية لدرس مقولات وقواعد واستراتيجيات معينة . فلا يجب أن يفهم تلميذ ما جملاً فقط، بل يجب أن يتعلم أيضاً : على أى نحو تنظم المعلومات فى نص أطول. فى مقالة صحفية مثلاً، كما يمكن أن يتعلم هذه المهارة بشكل فعال ما أمكن ذلك، كيف يلخص نصوصاً تلخيصاً سليماً وصحيحاً، وأخيراً كيف تترابط الأبنية النصية مع الوظائف البراجماتية والاجتماعية للنصوص .

بعد أن وقفنا بشكل تقريبى على نظرة فى الكيفية التى يمكن أن تكتسب نصوص ما من خلالها، نستطيع الآن أن نطرح احتمالات تقريبية حول ذلك التعقد التعليمى لنصوص معينة، وحول إمكانية تعلمها والأسئلة الأكثر أهمية التى يمكن أن تطرح/ وقدر المعلومة الذى احتفظ به من النص ٢١٤ والذى يظل متاحاً بعد قليل من الوقت أيضاً . فإذا كان المرء قد حصل على الخبرة مع الأبنية النصية التى تهدى عمليات الاستيعاب هذه، فيمكن كذلك أن يوائم بين مادته التعليمية والمهام التى يضطلع بها بوصفه معلماً، بشكل أفضل، والإمكانات الإدراكية للتلاميذ : إذ يمكن للمرء أن يعبر بوضوح عن أبنية كبرى وأبنية عليا فى النص أو يركز على ملامح أخرى للبنية السطحية التى تزيد من الفهم والحفظ أيضاً (٣٩) .

٦ ـ ١٠ ـ ٢ من أجل هذا الهدف يجب بداهة أن نقف على نظرة

= عن الأسئلة والتفسيرات وما أشبه بإدراك وظيفة النصوص، قارن فان دايك van Dijk (1977 b) .

(٣٩) إن ارتفاع قدرة التذكر مختلف، بمساعدة المفاهيم المفاتيح والهياكل والأبنية الكبرى التى قد اختبرت فى تجارب. وبلا إيضاح نظرى يحتاج إليه أيضاً. وكذلك بنجاح متذبذب، على سبيل المثال Rothkopf (1972) . يبدو أنه تجرى فى الوقت الحالى (1979) فى هذا المجال تجارب كثيرة، قارن بوجه خاص المجلة الأمريكية (Discouse Processes 1978, Ablex, Norwood, N . J.) وسلسلة الكتب بنفس العنوان فى دار النشر ذاتها .

أيضاً فى الكيفية التى تكتسب من خلالها قواعد ومقولات واستراتيجيات نصية . ويحدث هذا فى تلك الدراسة من أجل التطور الإدراكى والانفعالى . وما يزال لا يعرف الكثير فى علم اللغة النفسى أو سيكولوجيا التعلم أو التربية/ التعليم فيما يتعلق بهذه الإشكالية أيضا . والحق أننا نعرف بشكل حدسى أن طفلاً ما ما يزال صغيراً جداً (بين سنتين وثلاث سنوات) ما يزال غير قادر إلى حد كبير، على إنتاج نصوص أطول بشكل صحيح، أى : فى إطار مراعاة قواعد ربط أفقية عامة . يتعلم الإنسان بسرعة نسبياً أن يفهم قصصاً، ولكن يجوز أن يكون للقص (إعادة القص) فى المقام الأول خاصية - صغرى - أى : تتحقق بشكل عشوائى بدرجة ما سلسلة من القضايا، وهى مستقلة عن البنية الكبرى أو العليا للحكاية .

فالطفل لا يذكر أساساً أهم العناصر، بل يجوز أن يحتفظ بتفاصيل بوجه خاص، وفق مبدأ الأهمية مثلاً، أى : تفاصيل كانت من جهة إطار العلاقة واهتماماته التى ما تزال محدودة، مهمة ولافتة للنظر (٤٠) .

إننا نتعلم ابتداءً فى أثناء النمو التالى القواعد والمعايير العرفية الأعم التى يمكن أن يصدق على أساسها الحكم بالأهمية النسبية لمنطوقات فى نصوص . يمكننا أن نفترض نظرياً أنه فى المقام الأول تتلقى قواعد الربط الأفقية المهمة - كالفرضيات المسبقة مثلاً وما أشبه ثم القواعد الأعم فيما بعد. من المحتمل أن تكتسب قواعد الربط الأفقى هنا بشكل أسرع كلما زاد وقوعها فى ترابط مع المعرفة حول علاقات مكانية وزمانية وسببية فى الواقع، على نحو ما عولجت مثلاً مع الترتيب العادى للقضايا فى نص ما، ثم تدخل فيما بعد تحويلات منطقية وبراجماتية للمعرفة أكثر تعقيداً على / مبادىء التنظيم ٢١٥ هذه .

---

(٤٠) بحثت إشكالية، أى معلومات من النصوص يحتفظ بها أطفال فى هذه السن، مراراً، قارن : كنتش (1977) Kintsch، ومندلر (1978) Mandler ومندلر وجنسون Mandler & Johnson (1977) .

فى دراسة متأخرة للتفكير المجرد اكتسبت القواعد المعقدة على مستوى البنية الكبرى والهيكلية؛ القواعد التى تمكن الطفل من تلخيص نص ما وكتابة موضوع - وفى دراسة أحدث - بوجه خاص عرض مجرد ذى بنية خلافية جيدة[41] . وحين تربط هذه البنية - زيادة على ما سبق - بالعمليات الأسلوبية والبلاغية الأكثر تأثيراً فإننا نكون بذلك قد وصلنا إلى مستوى اكتساب مهارات نصية لا تتاح بالتأكيد إلا لبعض مستخدمى اللغة بمعاييرها كلها وجميع أطيافها الممكنة، ولا يوجد لها فى درس المرحلة العليا أيضاً، وحتى فى الجامعة لا يوجد لها أى تعليم إلا بالكاد إلى الآن . وربما يتعلم شخص ما (بشكل ضمنى) فى إطار التدريب العملى مثلاً، ما البنية الهيكلية فى مقالة سيكولوجية أو جدل لغوى، ومع ذلك يكتسب بوجه عام بشكل عرضى فى الغالب تفحص فى الصور الأكثر تأثيراً (واستخدامها) وتقسيم النص واستخدام اللغة والعمليات .

٦ - ١٠ - ٣ هذا لا يعنى أنه ربما لم توجد فى دراسة مبكرة للغاية أيضاً عن النمو أبنية عليا وأبنية كبرى . بل على العكس من ذلك، فالمرء يتعلم بسرعة بالغة أن يحكى حكاية، وينجز الأحداث اللغوية بشكل منظم وفعال وبخاصة المهمة بالنسبة لسياق اجتماعى وشخصى معين . وبالنسبة لثقافات مختلفة وطبقات اجتماعية مختلفة ومواقف ومؤسسات من المألوف أن يتعلق هذا التقييم بأشكال نصية متباينة . ولذا أمكن للمرء أن يحدد أن أطفالاً من الطبقة الوسطى كتبوا بشكل منظم مقالات أخرى، باعتبارهم أطفال عمال، فى إسهاب كبير للغاية، أى : إطناب أكبر وإيضاح (إضافى) وعبارات تمهيدية وما أشبه [42] . ومن جهة أخرى يمتلك أطفال من طبقات

(٤١) قارن مثلا دراسات النحو التى كتبها بياجه : Piaget (1959) .

(٤٢) دلل برنشتاين Bernstein (1971) فى إطار تفريقه بين شفرة محكمة ومقيدة على =

دنيا أو مجموعات منحرفة مهارات لغوية - ألعاباً لغوية مثلاً - لا يمتلكها أطفال الطبقة المتوسطة (٤٣) . ومع ذلك يجب أن يبحث بشكل مكثف للغاية: على أى نحو تتكون بين الاكتساب والتطبيق لقواعد نصية فى إطار ظروف اجتماعية وثقافية مختلفة فروق منهجية (منظمة) .

٦ - ١١ / علم النفس المرضى واستيعاب النص ٢١٦

٦ - ١١ - ١ يصعب أن تعرض فى فصل وحيد كل المجالات الجزئية لعلم النفس، باعتبار أنها ترتبط بجوانب خاصة معينة لاستعمال النصوص . وبالإضافة إلى ذلك فإنه يجب أن تقدم أخيراً سلسلة من ملاحظات موجزة عن الجوانب الباثولوجية (المرضية) لإنتاج النص وفهمه.

قبل أن تعدد تلك الجوانب فإن الملاحظة المنهجية ذات أهمية كبرى، فاستخدام النص مهارة معقدة من جوانب عدة، بحيث تكون الانحرافات عن أبنية مثالية أو صحيحة سواء عند الإنتاج أو التلقى مألوفة للغاية . نحن نعرف جميعاً أننا نعمل فى الحياة اليومية أو فى غيرها خطأ نحوياً أو غيره حين نبنى جملاً . فإنتاج تتابعات جملية تترابط أفقياً وتتماسك دلالياً موافقة للقواعد موافقة تامة لها بنية كبرى وبنية عليا واضحة، وبالإضافة إلى ذلك لها أيضاً بنية أسلوبية وبلاغية مناسبة - وظيفة ليست فى حدود طاقة مستخدم اللغة ، العادى ‹ إلا نادراً . ومن ثم يقدم تحليل للصور الباثولوجية لاستخدام اللغة والاتصال على هذا المستوى مخاطرة حساسة تجيز فى

= الأسلوب المباين للموضوع بالنسبة لأطفال من الطبقة الوسطى فى مقابل أطفال من طبقة العمال . ويركز لابوف (Labov (1977 a بحق على أن الأمر لا يتعلق إلا بفرق فى الأسلوب، وليس حول مشكلة النمو أو الذكاء .

(٤٣) تبين لدى عمل لابوف (Labov (1972 a, b أيضاً أن الأفراد من طبقات اجتماعية أخرى يتمتعون فى الغالب بمهارات لغوية أخرى وليست أدنى قيمة .

الأغلب بالنسبة لأكثر الحالات وضوحاً نتائج معينة . فلا يستطيع المرء بعد أن يفسر من خلال معالجة شبه ناضجة لشخص ما يحكى حكاية غير مترابطة أو يقول كلاماً لا معنى له على نحو ما . فالحدود غير واضحة والمعايير نسبية والأعراف غير ثابتة، وهو ما يجعل مهمة وصف أمراض سيكولوجية مهمة ليست بسيطة . ومع ذلك تستخلص عوائق نفسية إلى حد كبير من تلك الخواص للاستخدام اللغوى المعقد باعتبار أن نماذج الاتصال غير العادية تعد مؤشرات صادقة على أبنية عقلية › غير عادية ‹ . لذلك فإن المباحث التالية ينبغى أن تفهم وفق هذا التحذير .

٦ - ١١ - ٢ ما يمكن أن يقال فى هذا الموضع عن عوائق النمو قليل، وذلك لسبب بسيط، وهو لأننا لا نعرف بدقة، متى وفى أى تتابع تكتسب مهارات نصية . ومع ذلك فمن الواضح أن الأمر لا يتعلق هنا بعوامل عقلية (الذكاء .... الخ)، بل بعوامل اجتماعية أيضاً . وقد ركز من قبل على أن أنواعاً نصية معينة فى ترابطات ثقافية واجتماعية معينة لا تستخدم أو لا تكاد تستخدم لافتقارها إلى الأهمية . ولذلك فإنه فى تلك الحالات يصعب أو نادراً ما يتعلم الطفل القواعد النصية للأنواع النصية الخاصة هذه - أى : القواعد البنيوية العليا والقيود المضمونية والأسلوبية المميزة المرتبطة بها . ولذلك يمكن أن يتحدث ابتداءً عن عوائق نسبية، حين يتخلف طفل مقارنة بأقرانه فى مجموعة اجتماعية ثقافية مماثلة تقريباً عند إنتاج أبنية نصية وفهمها/، ٢١٧ يسيطر عليها الآخرون منذ مدة طويلة، وذلك حين لا يستطيع طفل فى سن العاشرة مثلاً أن يحكى شيئاً عما عايشه في موقف معين . وحين يتضح على العكس من ذلك أن طفلاً ما لا يستطيع أن يستوعب سلسلة إرشادات معقدة فى صورة › واجب ‹ أو لا يمكنه أن ينقلها إلى أبنية مقصودة أو حين لا يستطيع أن يوجز خبراً نصياً أو يعيد قصة فإنه آنذاك يمكن أن تستخلص

نتائج عن نمو الطفل . بيد أنه حتى فى هذه الحال من الممكن جداً أن حالة التوقف أو الإرجاء على مستوى النمو الانفعالى والإدراكى تتعادل مع أوجه تقدم فى مستويات أخرى . ولذا فقد رأينا مثلاً أن تفسير منطوق ما يتطلب فى الوقت نفسه تفسير الموقف الاجتماعى وسلوك الآخر . ويمكن أن يكتسب بعض الأطفال تلك المعارف الاجتماعية ثم التحقيقات أو أشكال التلازم البراجماتية والدلالية والنحوية المهمة للتفاعل اللغوى .

٦ ـ ١١ ـ ٣ يمكن أن تقوم عوائق باثولوجية (مرضية) خاصة بمهارات الاستيعاب النصى الخاصة بمستخدمى اللغة على أسباب متباينة، وتتخذ أشكالاً متباينة . ويفرق على الأقل بين مجموعة العوائق النفسية ـ كما هى مع انفصام الشخصية مثلاً ـ ومجموعة العوائق الجسمانية أو النفسى ـ جسمانية التى ترتكز على إصابات أو أمراض العقل ـ مع الأورام والحوادث مثلاً . ويمكن تبعاً لصعوبة الإصابة وموقعها فى الجسد وفى العقل أن تتضح تلك العوائق على مستويات مختلفة : إذ يمكن أن تظهر أنواع متباينة من قصور الذاكرة (Gedachtnisbeschrankung)، بحيث لا يستطيع أن يحتفظ مريض ما بجملة أو تتابع جمل وإن فهمها ابتداءً فهماً جيداً وتمثلها؛ ومن جهة أخرى يمكن أن يحدث ألا يكون مريض ما قادراً على الإطلاق أو جزئياً فقط على بناء أبنية دلالية متماسكة أو صياغتها نحوياً صياغة مناسبة . إن بعض العوائق عامة جداً، أى : تتعلق باستيعاب نصوص وصور وأحداث أيضاً، بينما يكون لعوائق أخرى تأثيرات خاصة جداً، كنتائج للاستخدام اللغوى الفعلى فقط أو على وجه الخصوص [٤٤] .

---

(٤٤) أخذت الجوانب الباثولوجية (المرضية) لفهم النص من كتاب Luria (1973) وبخاصة الفروق العصبية الفسيولوجية بين المستويات والوظائف المختلفة عند فهم اللغة والنص وإنتاجه . غير أنه يمكن أن يؤكد بحث لغوى عصابى أن الفروض حول تعيين عمليات مختلفة فى حاجة إلى إعادة النظر .

ولذا يمكن أن يتضح أنه لا يستطيع مرضى ذوو إصابة عقلية معينة خلافاً للأشخاص الخاضعين للتجربة ، العاديين ، أن يكرروا جملة أو حكاية قصيرة حين تليها جملة أخرى أو نص موجز . فقد اتضح أن المعلومة الجديدة/ فى هذه الحال مخربة (مدمرة) لبنية المعلومة القديمة فى الذاكرة أو تجعل تمثيلها فى الذاكرة من غير الممكن استرجاعه . ٢١٨

ويمكن أن يحدث من خلال ذلك أن مرضى ما لم يعودوا يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا هاهنا أو ماذا قد فعلوا . وهو ما يؤدى إلى نتائج بالنسبة لفهم النص أيضاً . ففى ذ م ق د يجب الربط بين القضايا ببعض قضايا تتمثل معلوماتها فيما بعد، أما المرضى المذكورون فلم يعودوا ينفذون ذلك . ومع ذلك لا يمكن أن يحتفظ بعض المرضى بسلسلة من الألفاظ نتيجة لطبيعتها الارتجاعية، بل بجملة مترابطة دلالياً .

وبعبارة أخرى : قد أصيبت ذاكرة المدى القصير أو العمليات لـ ذ م ق د أساساً بسوء، ولكن ليست المعلومة الدلالية المختزنة من قبل فى ذ م ق د أو ربما فى ذ م ط . بينما تصدق تلك الإصابات حسب شدتها على المناطق الأعمق فى المخ . فإن الضرر فى الأجزاء الأمامية يكون مسؤولاً بوجه خاص عن اضطرابات ممكنة فى التنظيم وفى العثور على معلومات فى ذ م ط . فثمة أجزاء من المعلومات المختزنة تتبادل عند (إعادة) الإنتاج مع تغيرات وانطباعات وتداعيات نمطية غير مهمة . تلك الاضطرابات الدلالية أو المنطقية- بالنسبة لـ ذ م ق د و ذ م ط أيضاً- سببها ضمن غيره ضرر فى القشرة المخية من النصف الأيسر من الدماغ . ومع ذلك فقد نتج عنها اضطرابات صوتية (سمعية وفى أعضاء النطق) وفعلية عند النطق والفهم . تلك الاضطرابات يمكن أن توصف بأنها أشكال من الحبسة (Aphasien) ، إذ إنها تتعلق على نحو دقيق بالأبنية السطحية (٤٥) .

(٤٥) حول تجارب الحبسة ونتائجها قارن انجل (1977) Engel .

ونظراً لأن بحوث عصبية فسيولوجية وعصبية سيكولوجية قد توصلت إلى أن اضطرابات مختلفة يمكن أن تتحدد أيضاً من خلال مواضع مختلفة للضرر فى الدماغ، ويمكن لذلك أن يفرق بدقة بين أشكال الحبسة والانحراف المنطقى الدلالى فإن الأبنية الكلية (الخطط والهياكل والأبنية الكبرى توجه العمليات الأكثر خصوصية (موضعية) . فإذا أعقبت تلك أيضاً - من خلال إصابة الأجزاء الأمامية من الدماغ مثلاً - فإنه ينتج عن ذلك عدم إمكانية انتظام كل نشاطات الفهم والوعى تقريباً، حتى وإن أمكن أيضاً أن تنتج كلمات متفرقة أو جمل منفصلة أو تفهم .

ويؤدى شكل خاص للحبسة، الحبسة الدينامية، إلى اضطرابات تبقى على الأبنية الكبرى والخطط الإدراكية سليمة، ولكنها تؤثر فى إنجاز هذه الخطط، أى بناء جمل معقدة . تلك الحبسة التى تحدثها إصابة المناطق الأمامية السفلية من النصف الأيسر من الدماغ، تربك الترتيب التركيبى والدلالى للتصورات (والكلمات) . ومع ذلك يستطيع المريض، حيث توجد خطط عامة، أن يعبر بلا نظام عن تصورات مهمة مختلفة . غير أن ثمة وسائل خارجية - وهى مخططات (هياكل) مرئية للجملة - يمكن أن تعين المريض ثانية على التحدث بجمل وتتابعات منظمة بشكل صحيح .

٢١٩ / وحين يريد المرء أن يختبر اضطرابات فهم النصوص الناتجة عن حبسة فإن يثار التساؤل التالى : كيف يفرق بين الحقيقة القائلة بأن المريض يمكن أن يفهم نصاً ما فهماً منطقياً، والحقيقة القائلة بأنه لا يستطيع أن يؤدى ببساطة مهام إنتاجية يدلل عليها فهمه - يطلب منه فيها أن يحكى حكاية أو أن يتفكر فى عنوان أو أن يلخص نصاً ما . على أية حال ينتظر منه أجزاء غير مترابطة على نحو ما . وبذلك لا يختلف ذلك المريض بالحبسة ابتداءً أيضاً عن المرضى باضطرابات الذين ينتجون لقصور فى قدرة الذاكرة أجزاء مشابهة كذلك، أو لأن الكلمات الصحيحة لا تخطر ببالهم بسرعة،

ويستخدمون بشكل ملتو عبارات تقليدية . وهكذا فإن الأمر هنا يمكن أن يتعلق بتطوير نماذج تتطابق بدقة ما أمكن ذلك مع تلك العمليات . وفضلاً عن ذلك من المحتمل أن تستطيع كل المجموعات من المصابين بالحبسة أن يعيدوا إنتاج نص أقل من مستخدمى لغة عاديين . يستطيع المرء أن يبرر ذلك ـ عدا قصور قدرة الخازنة ـ من خلال مصاعب الإنتاج التى تعقد البحث عن قضايا كثيرة (جداً) واسترجاعها .

ومن الواضح أنه يصير فى هذه الحال تداخل لمهام مختلفة لا يمكن أن يتغلب عليها جميعها بشكل طيب . ومع ذلك فهذا الأمر الأخير ملمح عام لكل مستخدمى اللغة : حين يكون النظام مثقلاً فى الوقت ذاته بمهام صعبة جداً أو كثيرة جداً، فإن إنتاج النص لا يمضى خالياً من الاضطرابات .

وهكذا فإن قراءة نص ما فى لغة غريبة عنا نسبياً سيشكل قصوراً جوهرياً فى الفهم العام . وشبيه بذلك أيضاً تكون الحال حين يتفكر فى الوقت نفسه فى أشياء أخرى كثيرة . ويفتقر كذلك بالنسبة لتلك العمليات الخاصة بالوظيفة الداخلية والوسيطة بين المهام والوظائف على المستويات المختلفة لاستيعاب النص إلى بحوث أدق .

ويكمن الفرق المميز بين مصابين بالحبسة ومصابين بالفصام متباينين عند إنتاج النص فى أن مرضى الفصام لا يصنعون من النص ذاته البنية الكبرى ذاتها باستمرار . فبمجرد أن يعاد إنتاج مجموعة من القضايا فى إطار موضوع متداول معين، يمكن للمريض أن يستجيب بقضايا متداعية ـ تعميمات غير مهمة وعلامات وأشكال أخرى من التطوير وما أشبه، حتى حين لا يكون لها (لم يعد لها) علاقة بالموضوع أو بتحقق موضوعات مختلفة متداخلة، ومن المحتمل أن يوجد بينها ردود فعل خاصة بالمريض، فإنه يستجيب مباشرة للمفاهيم أوعلى الأقل للأحداث الكامنة خلفها [٤٦] .

---

(٤٦) قارن انجل Engel (1977) .

٦ ـ ١١ ـ ٤ نريد أن نتوقف عند هذه الملاحظات حول اضطرابات ٢٢٠ ذات طبيعة باثولوجية (مرضية) ما دامت تؤثر فى استيعاب النص .
وتوضح النتائج التجريبية القليلة سلسلة من المبادىء الأساس التى يبدو أنها تؤكد فروضنا الأولية عن المراحل والمستويات المختلفة فى استيعاب النص .
ويمكن أن تسخر على نحو معاكس الفروض حول تلك الجوانب لاستيعاب النص مرة أخرى فى اقتراحات حول : كيف تطور تجارب أخرى بدلاً من التساؤلات التعليمية والباثولوجية وغيرها، بل فى اقتراحات أيضاً حول : كيف تتطور نماذج علمية وتعليمية عملية . إن تطور علم النص وتطور أهدافه والعلم بوجه عام، بالنسبة لنا، لا يترسخ إلا من خلال أن يسهم على هذا النحو فى الصراع النقدى للمشكلات الاجتماعية وصياغتها وحلها .

٧ـ النص والتفاعل ـ الحديث (*)

٧ ـ ١ مقدمة وطرح للقضية

٧ـ١ـ١ فى هذا الفصل نتقدم خطوة إلى الأمام، ونتأخر خطوة إلى الخلف إلى حد ما . نتقدم حيث ما يزال يمكننا أن نغلب انتباهاً أكثر إلى السياق والعلاقات بين النص والسياق . وفى هذا الفصل ينبغى أن يكون سياقنا هو ما يسمى السياق الأصغر الاجتماعى الذى يتميز بوجه خاص من خلال التفاعل الاجتماعى بين الأفراد . جزء من ذلك التفاعل هو الاتصال الفعلى الذى سنحلله كذلك فى المقام الأول ومن خلال أكثر أشكاله أهمية مثل المحادثة (اليومية) التى تصب فى الحديث .

وهكذا يرى أننا نخطو فى الوقت نفسه خطوة إلى الخلف . فبينما عالجنا فى الفصول الأولى بشكل منظم بنية النصوص، فقد عُنِينا ـ عمداً ـ بنصوص فردية، وليس بنصوص ثنائية (حوارية)، مثل الأحاديث والمناقشات والمقابلات الخ، أى : بنصوص ينتجها متحدثون مختلفون يتبادلون فيما بينهم . وبذلك يقدم تحليل لنص ثنائى، مثل : تحليل الحديث ـ وهو فى حقيقة الأمر ـ تكملة لتحليل بنية النص الذى بدأ هذا الكتاب به .

ومع ذلك فإننا لا نقدم هذه التكملة إلا فى هذا الفصل الأخير، إذ إننا نستطيع أن نركز من خلال ذلك على الحقيقة القائلة بأن حديثاً ما ـ يعد نصاً أو منطوقاً لحدث حوارى ـ يجب أن يوصف فى مصطلحات يلزم أن تستقى من نظرية عامة عن التفاعل . ومع ذلك فهذا التقريب الاجتماعى لا يستبعد الخصائص « اللغوية » المميزة للحديث، غير أنها يجب، حسبما وصف من قبل فى مصطلحات نظرية البنية النصية ـ أن توسع بمقولات عن التفاعل .

(*) رجحت ترجمة مصطلح (Gespräch) إلى حديث بدلاً من محادثة لتفريق المؤلف بين حديث ومحادثة وحوار، ولكن يلاحظ أنه يعني به أيضاً تحقق عناصر التفاعل والترابط والتتابع فيه على المستوى التجريدى، كما أنه يوصف من خلال مصطلحات خاصة به .

٧ ـ ١ ـ ٢ يُسَخَّر تحليل الحديث بلا شك لتخصصات علمية مختلفة . فهذه محصلة شرعية، إذ إن علم اللغة يمكن أن يعنى بالجوانب النحوية للنص والربط الدلالى والبراجماتى، وعلم النفس من خلال الشروط الإدراكية والانفعالية، ونتائج المحادثات، وعلم الطب النفسى والتخصصات المختلفة للعلاج النفسى من خلال تحليل الأدوار التى يلعبها الحديث بالنسبة للوضوح وتوجيه اضطرابات باثولوجية (مرضية) للأفراد بدرجة أو بأخرى . وأخيراً علم الاجتماع بالنسبة للمحادثة باعتبارها صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعى التى ترتبط بمفاهيم مثل : الأدوار والوظيفة والحالة وعلاقات اجتماعية متشعبة ./ وينبغى أن تصير أشكال أخرى للتفاعلات الاجتماعية ٢٢٢ فى صورة أوجه الاستيعاب للمعلومة والاتصالات النصية، موضوعات بحوث تالية . وآخر الأمر تتفق جوانب جوهرية فى توجيه الحديث مع تقارير بحثية من علم النفس الاجتماعى كمحاولات التأثير فى أناس آخرين من خلال أحاديث مثلاً : طبيعة توجيه الحديث فى مجموعات صغيرة وإقامة الصراعات وحلها فى حديث (أحاديث) ومن خلالها وما أشبه .

وتتضح من جديد الصورة المألوفة للغاية فى أثناء ذلك لنهج متشعب التخصصات، وذلك مع مشكلات فى مجال اللغة والاتصال . فتحليل الصيغ الإدراكية للاستخدام اللغوى ـ وهى نصوص ـ يتطلب بدقة ذلك النهج البحثى الذى وصفه هذا الكتاب أيضاً تحت لفظ جامع هو › نظرية النص ‹ أو › علم النص ‹ .

٧ ـ ١ ـ ٣ الحديث هو الشكل الوحيد للتفاعل الفطى . ويعد منه أيضاً الحوار ـ سؤال ـ إجابة بين معلم وتلميذ أو كتابة/ قراءة الرسائل أو المقابلة أو المناقشة أو الاجتماع أو أشكال التفاعل المختلفة فى مصنع أو مصلحة أو مكتب أو فى إدارة البلدية أو أمام القاضى . بيد أنه يجب الإبقاء على

التخصص البحثى فى تلك الأشكال للمعالجات التالية، وسوف نتفق - بخلاف الاتفاق على العلامات المجردة - العامة لأوجه التفاعل - على الحديث بخاصة باعتبار أنه يختلف على نحو منظم عن أشكال أخرى للتفاعل الاتصالى، ويتجلى فى المحادثات اليومية .

إن التعليل الأهم لهذا النهج هو افتراض أن الأمر مع الحديث يتعلق، إن صح التعبير، بالشكل الأساسى للتفاعل الفعلى وفى الوقت نفسه بالمكون الجوهرى للاختلاط اليومى - أى : غير المميز وغير الخاص، بين الناس فى مواقف اجتماعية . أما السبب الثانى فهو بالأحرى سبب منهجى : إذ يجيز تحليل مستفيض للحديث وصفاً للنموذج يرد فيه بشكل منظم أهم المفاهيم الأساسية لتحليل استعمال اللغة والنص الاجتماعى والتفاعلى . ويمكننا لوصف أشكال نصية أخرى وتفاعلات اجتماعية أخرى أن نستخدم هذه المصطلحات وفق الحاجة . ومن المحتمل أن نوائم بينها . أما السبب الثالث لإيثار الحديث فى هذا الفصل فيكمن فى تاريخ العلم وتطبيقه : ففى السنوات الأخيرة عنيت تخصصات كثيرة إلى حد ما بتحليل الحديث أكثر من تحليل أشكال اتصالٍ عرفية أخرى . وقد اهتم بصفة خاصة فى هذا الإطار من خلال ما يسمى بالمنهجية العرقية (Ethnomethodologie) فى الغالب بتحليل المحادثة[1] .

٧ - ١ - ٤ قد ركزنا منذ قليل على أن الأحاديث لا ينبغى أن تحلل ٢٢٣ على مستوى بنية النص فقط، بل فى الوقت نفسه على مستوى التفاعل

---

(١) حول تحليل الحديث في إطار المنهجية العرقية، قارن خاصة أعمال ساكس وشيجلوف Sacks, Scheglofs وآخرين فى كتاب سندو (1972) (.Sundow (ed ، وترنر Turner (1974) . وبالنسبة لنظرة عامة قارن أيضاً عمل كل من : .Weingarten, Sacks, Schenkein (eds.) (1976) ، وأعمال كل من : (1976) Appel, Hubers & Meijer باعتبارها مدخلاً .

الاجتماعى أيضاً، الذى يعد المفهوم الأعلى ، لتخصيص ، المحادثة اليومية . ولأن الأبنية النصية الخاصة والجوانب الإدراكية للاستعمال اللغوى أيضاً قد عولجت فيجب قبل أى شيء أن نعرض أهم سمات التفاعل الاجتماعى على المستوى الأصغر، أى : على مستوى الاتصال المباشر ، وجهاً لوجه ، بين الأفراد .

٧ - ٢ التفاعل والسياق الاجتماعى

٧-٢-١ بحثت الفلسفة التحليلية باستفاضة إلى حد ما مفهوم «الحدث » . ومع ذلك لم يعالج مفهوم التفاعل بشكل منظم إلا بالكاد . فقد درست فى العلوم الاجتماعية فقط، وبخاصة فى الأنثربولوجيا والاجتماع، بإسهاب إلى حد ما السمات العامة للتفاعل الاجتماعى (٢) . وبرغم ذلك سنحاول هنا ابتداءً أن ننجز تحليلاً فلسفياً مجرداً لمفهوم التفاعل، نصل فى هذا التحليل بين مفهوم التفاعل ونظرية الحدث التى تحدثنا عنها فى إيجاز فى الفصل الثالث .

٧-٢-٢ ترتكز الأحداث على أن ثمة أشخاصاً يحققون تغير الموقف بوعى وقاصدين هدفاً، حيث ، يعملون ، من خلاله شيئاً، أى : يقومون بحركة جسمانية مقصودة (أو أنهم من خلاله يحولون دون تغير حال أو لا يعملون شيئاً) . فسمة التفاعل الآن هى أن أشخاصاً عدة مجتمعين أو منفصلين . فى الوقت ذاته أو بشكل متوالٍ، ينجزون حدثاً أو عدة أحداث .

وبذلك ينشأ تتابع فعلى يشترك فيه فاعلون عدة . ويعد أهم شرط لذلك

(٢) حول نظرية التفاعل فى العلوم الاجتماعية، قارن أساساً عمل ميد Mead (1934)، ثم أعمال جوفمان Goffman (1967, 1971 مثلاً) والمحاضرات كذلك فى كتاب دوجلاس Douglas (ed.) (1970) ، وسندو Sundow (ed.) (1972). قارن أيضاً بريتان Brittan (1973) .

هو أن تلك الأحداث يجب أن تكون متعالقة بعضها ببعض . لذلك يمكن للمرء أن يتحدث أيضاً عن أن التتابع يجب أن يكون متماسكاً . وقد حللنا من قبل علاقات التماسك تلك بالنسبة للتتابعات وبالتحديد بالنسبة للجمل والقضايا وبخاصة للأحداث اللغوية .

وهكذا فالأحداث متعالقة بعضها ببعض، حين توجد علاقات شرطية بينها مثلاً : فثمة حدث هو شرط (ممكن أو محتمل أو ضرورى) لحدث آخر أو نتيجة لحدث آخر . وتكون الأحداث متعالقة أيضاً حين يعد الحدث الأول مكوناً لحدث آخر . وهذه هى الحال مع الأحداث الجزئية أو الأحداث المساعدة . وتتضمن العلاقات الشرطية بين الأحداث علاقات زمنية : حين يمكن أو يسبب حدث ما فى تتابع حدثاً آخر، / فإنه يجب أن يتقدم عليه أو يوجد أن فى الوقت ذاته (على الأقل جزئياً) . ٢٢٤

٧ ـ ٢ ـ ٣ تشكل التفاعلات كما جزئياً من كم كل تتابعات الحدث الممكنة . وثمة قيد أول مميز لهذا الكم الجزئى هو اشتراك أشخاص عدة فيه . ومع ذلك يمكن أن يشترك هؤلاء على نحو غاية فى التباين فى الحدث والتفاعل . ويلاحظ أن الأمر يدور هنا غالباً حول أشخاص، أى : حول أفراد واعين يتحكمون فى عملهم . وهكذا فحين يكون شخص ما نائم فى سريره، فالأمر لا يتعلق وفق تعريفنا (المؤقت) بالتفاعل ، إذ ينجز الحدث شخص وحيد (مفرد) فقط أو أنه هو المقصود فاعلاً حقيقياً عند إنجاز الفعل .

ومع ذلك تكمن إمكانية أخرى فى أن أشخاصاً عدة يمكن مع حدث أو عدة أحداث أيضاً أن يكونوا هم المعنيين، وأنه لا يوجد إلا فاعل (Agens)، بينما يكون كل الأشخاص الآخرين موضوع الفعل حين يهوى شخص ما

على خد شخص آخر ، ومن أجل البساطة سوف نتحدث عن تفاعل أحادى (من طرف واحد einseitige Interaktion) .

ويمكن لذكر مثال للاستعمال اللغوى والاتصال أن نطلق على إلقاء الخطاب شكلاً من أشكال التفاعل (الفعلى) الأحادى . فمن الجدير بالذكر أن الإمكانية المحتملة هى أن إنساناً ما هو ، موضوع (الحدث ـ أى : تتغير خواصه نتيجة لهذا الحدث ـ حتى وإن شارك فى الغالب فى حدث أحادى، وكذلك إذا لم يتعلق الأمر إلا بإضافة، فتجاهل المدح أو إغفال أية كيفية أخرى يؤديان إلى إخفاق هذا الحدث . لذلك يتكون التفاعل الثنائى (المكون من طرفين zweiseitige Interaktion) من سلسلة منظمة من الأحداث، حيث يكون المقصود أكثر من فاعل . وفى هذه الحال أيضاً توجد إمكانات مختلفة : فيمكن أن ينجز الأشخاص الفاعلون حدثاً أو عدة من الأحداث بشكل جماعى أو منفرد، مثلما تحمل منضدة بشكل جماعى أو تتبادل التحية فى الشارع . ويعد هذا الفرق من الناحية النظرية أقل بساطة مما يوحى المثال : أخيراً ينجز الفاعلان عند حمل المنضدة عملهما الخاص بشكل منفصل . وهنا يظهر تارة أخرى الفرق المهم بين العمل (المدرك، الماصدقى) والمصطلح المجرد (التفسيرى، المفهومى) للحدث . لذا نستطيع أن نتحدث عن حدث مشترك (أو تتابع فعلى) حين ينجز فاعلان عملاً فى الوقت نفسه، بوجه بشكل عمدى إلى تحقيق النتيجة ذاتها . وبعبارة أخرى : فى حال كهذه يدور الأمر حول حدث مفرد، حتى إن نفذ من خلال العمل المنبثق للفاعلين . وهكذا ليس للأحداث المنفصلة عملها المنفرد فحسب، بل قصدها الخاص ونتيجتها الخاصة أيضاً . وعلاوة على ذلك من الممكن بوجه عام أن ينفذ بشكل مشترك تتابع معين من الأحداث، حتى وإن تكون كل حدث منفرد بشكل منفصل لذاته، مثلما هى الحال مثلاً فى لعبة الشطرنج أو حكم بلدٍ ما . وتظهر

هنا أيضاً مرة أخرى ضرورة التفريق بين مستوى أصغر/ ومستوى أكبر، أي: ٢٢٥ بين أفعال فردية ،والتفاعل أو تتابع التفاعل ككل .

وبينما يمكن أن ينجز بعض الأحداث شخص أو عدة أشخاص (مثل غسيل السيارة مثلاً) فإن ثمة أحداثاً أخرى متفاعلة تفاعلاً لزومياً (داخلياً)، مثل الزواج أو المناقشة، وثمة أحداثاً أخرى ليست متفاعلة بشكل لزومى فحسب، بل متفاعلة فى العادة أو بانتظام (مثل لعب الشطرنج أو حكم بلدٍ ما) . إن بعض الأحداث هى فى حد ذاتها ليست متفاعلة بشكل لزومى، ومع ذلك تعرف بأنها مكون تتابع متفاعل، مثل الإجابة أو الدفاع عن النفس .

٧ ـ ٢ ـ ٤ إن العلاقات بين أحداث التتابع المتفاعل يمكن أن تكون شديدة الاختلاف، كما رأينا، فإذا روعى الزمن فيمكن أن تتداخل إلى حد ما أو لا تتداخل أو تتابع . وإذا ما روعى الارتباط الشرطى فيمكن أن تكون أحداث ما شروط أو نتائج أحداث أخرى بقدر كبير بدرجة أو أخرى . وتصور التفاعلات المتبادلة حالة خاصة للنمط الأخير من التفاعل : إذ يكون هنا أشخاص مختلفون فاعلون لأحداث متوالية مترابطة (متعالقة) بعضها ببعض ترابطاً شرطياً . وبعبارة أخرى : كل حدث تتابعى شرط لحدث آخر أو نتيجة لحدث آخر، نفذه شخص آخر. وأكثر الأمثلة تميزاً مرة أخرى هى لعبة الشطرنج وما سوف يدرس بالتفصيل فيما يلى وهو المحادثة .

٧ ـ ٢ ـ ٥ يجب ليمكن أن يتحدث عن تفاعل (موفق) أن تتحقق سلسلة من شروط إدراكية واجتماعية . وآخر الأمر لا يمكن أن يطلق على كل سلسلة من أحداث ترتبط بعضها ببعض وينجزها عدة فاعلين، تفاعلاً بمفهوم صارم . فحين يصيب ابنى لوحاً زجاجياً لجار لنا بالكرة ويبدأ الجار معى بناءً على ذلك حديثاً عن ذلك أو يتصل هاتفياً بمتجر للزجاج، فإنه يمكن أن يقال

بصعوبة أن ابنى وجارى يدخلان معاً فى تفاعل، ومع ذلك فتلك هى الحال، حين يناقش الجار ابنى بسبب عمله المشين . لذلك يجب أن نفترض أنه توجد فيما توجد علاقات إدراكية أيضاً بين التفاعلات . ويمكن مع أحداث مشتركة مثلاً أن تكون الحال هى أن كل المشاركين فى التفاعل ليس لديهم القصد ذاته فحسب، أى : يعملون شيئاً بالنسبة إلى هدف والهدف ذاته، بل إن كل المشاركين فى التفاعل يعرف بعضهم بعضاً أو يفترضون أنه لدى كل واحد منهم هذا القصد المشترك . ويمكن أن يعنى ذلك مع حدث منفصل، متعاقب متفاعل، أننى أدرك أو أفترض أو أريد أن أنجز فعلى بقصد تغيير معرفة آخر وإرادته وما أشبه، نتيجة لهذا الحدث أو بشكل غير مباشر بقصد أن ينجز الآخر حدثاً يكون نتيجة للحدث/ الذى نفذته . ٢٢٦

وهكذا حين ألطم شخصاً على خده أو أشتمه، يمكن أن يتحدث إذن عن تفاعل (أحادى)، حين يكون الآخر واعياً بفعلى، وحين يكون فعلى متعمداً (مقصوداً) وحين يوجه إليه . فإخراج اللسان أمام نائم وفق هذا المعيار ليس تفاعلاً، وكذلك سلسلة الأحداث التى تنشأ حين أفقد ورقة بمائة مارك ويجدها آخر .

نستطيع كما هو معتاد بوجه عام مع أحداث ما أن نعم النظر فى الشروط الإدراكية لحدث تفاعلى من منظور الفاعل ومن منظور الآخر مع الحدث المقصود . أستطيع دون إرادة ذلك، أن أهين شخصاً ما أو أسبب له مشكلات على نحو أو آخر، بينما يظن الآخر أننى عملت ذلك عمداً . فالنسبة لى لا يمكن أن يكون الحديث فى الحال المعنية عن تفاعل، لكن بالنسبة للآخر يمكن أن يكون كذلك . وعلى العكس من ذلك يمكننى أن أمدح شخصاً ما أو أساعده دون أن يعى الآخر ذلك أو بينما يضع تخمينات أخرى عن مقاصدى غير التى تحدد عمل هذه الأحداث بالنسبة لى .

ومع تلك التفاعلات لا يحتاج شخص ما كذلك إلى أن يضطلع بدور

المفعول أو المتأثر : إذ يمكن أيضاً أن يكون آخر هو المعنى بشكل تفاعلى على نحو مغاير مع حدث ما باعتباره مستفيداً مثلاً . وهكذا يمكن أن أصلح لشخص ما سيارته أو أسحب له نقوداً من البنك، حيث أساعد من خلال ذلك شخصاً ما بشكل متفاعل .

قد ذكرنا بإيجاز أن التتابعات التفاعلية يجب أن تفى بقيود تماسك معنية، فلا تشكل كل سلسلة عشوائية من أحداث الأشخاص مختلفين ، تفاعلاً، ليس كذلك حتى حين تفى بالقيود الإدراكية السابق ذكرها . ولذلك يجب أن نعثر على إمكانية ليمكن فى سلسلة لا نهائية أساساً من النشاطات للأشخاص عزل وحدات دالة، أى : ليمكن تجزئة هذه السلسلة إلى ستديجميمات، بحيث إننا نستطيع أن نعين تفاعلات معينة، وبحيث إننا يمكن أن نعرف أين يبدأ الأول تفاعلاً وأين ينتهى الآخر . وتعرف الوحدة الصغرى (minimale Einheit) للتفاعل الأحادى بأنها حدث لشخص ما يتعلق بشخص آخر . ولذلك تكون الوحدة الصغرى للتفاعل الثنائى زوجاً منظماً من الأحداث لشخصين، بحيث يتعلق كلا الحدثين بذلك الشخص الآخر . سوف نطلق على الثنائيات مصطلح الربط الداخلى (Konnex) ، حين يصح أن تسود بين الأحداث التالية العلاقة الشرطية المذكورة من قبل . ولذلك يوجد شكل التفاعل الذى يصوب شخص ما من خلاله شخصاً آخر بضربة، هو ربط داخلى، حين يرد الشخص الآخر الضربة أو يبدأ فى السب . وهو لذلك ليس ربطاً داخلياً حين يعقب الضربة التقاط صورة . ويجب بالإضافة إلى ذلك أن يشار إلى أنه حتى حين لا يكون لحدثين متتاليين لشخصين بشكل واضح أو مقصود أية علاقة بينهما، فالحال مع ذلك هى أن يفسر مشاهد أو أحد المشاركين فى التفاعل الحدثين على أنهما مترابطين . وبعبارة أخرى : سيحاول المشاركون فى التفاعل/ كثيراً ما أمكن ذلك أن [٢٢٧] يفسروا كل حدث بالنسبة للآخر بأنه ربط . فضلاً عن أن ذلك يكون ممكناً

بسهولة من الخاصية المتعمدة للأحداث . فالحدث لا يسبب حدثاً آخر، كما تسبب واقعة واقعة أخرى . فالحدث أو من الأفضل : تفسير الحدث هو سبب لحدث آخرعلى وجه الخصوص، أى جزء من عملية - معرفة - رغبة - قرار، يقود إلى حدث آخر . ونظراً لأن هذه العملية يمكن أن تكون ذات طبيعة معقدة للغاية . ونظراً لأن للأشخاص أسباباً متقلبة جداً بشكل واضح بالنسبة لإنجاز الأحداث، فإنه ينطلق فى الأساس دائماً من الفرض المسبق التكتيكى من أن أحداث الآخر فى التتابع التفاعلى مترابطة، أى أن تعد رد فعل مقصود على الأحداث الخاصة .

ويعد إفادة (Sinnvollheit) التتابع شرطاً إدراكياً أكثر تعقيداً لتفاعل موفق . وفى الحقيقة يمكن أن تنجز ببساطة سلسلة من أحداث متصلة بعضها ببعض بشكل ثنائى، غير أن هذا لا يتضمن أن السلسلة كلها يجب أن تفسر بأنها وحدة تفاعل أيضاً . وبعبارة أخرى : يجب أن يوجد أيضاً بين أحداث السلسلة الكلية ترابط، كما هى الحال بين قضايا نص ما. ويكون بالنسبة لتتابع التفاعل على سبيل المثال معيار الاستمرار (Permanenz) الممكن لمشارك أو عدة مشاركين فى التفاعل من أكثر معايير الترابط غير الأساسية، فحين أصفع بيتر على خده، ويشترى بيتر بعد ذلك آيس كريم لابنه، الذى يطعمه فيما بعد للبط، فإنه توجد علاقات بين العناصر المتفاعلة فى التتابع، ولكن ليس باعتبارها مشاركة فى تفاعل مترابط، وليس كذلك حين تشترط الأحداث بشكل ثنائى أحداثاً أخرى . ويكمن شرط تالٍ فى أن أحداثاً ما يجب إلى حد ما أن تخرج من » مجال الحدث «، على الأقل من إطار الحدث (Handlungsrahmen) ذاته . فواقعة أنى أعير شخصاً ما كتاباً وأن أقشر معه بطاطس لن تشكل عادة وحدة تفاعل مترابطة . وبرغم أنه توجد بالتأكيد أمثلة كثيرة لا تفى بشكل كافٍ واضح بهذا المعيار حتى يمكن إجراء مماثلة، فنحن نحتاج مع ذلك إلى وسيلة حتى يمكن تمييز أشكال التفاعل المختلفة،

ويمكن التعرف على أشكال التفاعل المماثلة، ويمكن أن يستنبط أن سلسلة أحداث لأشخاص ما يمكن أن تدرك على أنها تفاعل وحيد . ويتجلى شرط عام مهم لهذا النهج فى أن كل حدث فى تتابع ما يقصد باعتباره شرطاً أو مكوناً أو نتيجة لحدث آخر . ففى أغلب المواقف لا يكون إعارة كتاب لشخص ما إذن شرطاً أيضاً لواقعة أنه يمكن أن تقشر معه البطاطس .

وأخيراً يجب أن يكون هذا الترابط الإدراكى من الممكن استرجاعه على مستوى أكبر مفترض لوصف للتفاعل . وبعبارة أخرى : يعد التتابع التفاعلى إذن مترابطاً باستمرار، حين يمكن أن يتحدث من منظور معين و/ أو على مستوى معين/ للوصف، عن حدث أكبر أو تفاعل أكبر . ولذا يمكن عند بناء بيت أن تعمل بشكل مشترك أشياء كثيرة جداً، وهذا التتابع التفاعلى مترابط، ودال بناء على الحقيقة القائلة بأنه من خلال ذلك بوجه عام يبنى بيت معاً مع شخص ما، أى يُنْجَز حدث مشترك عام . ويسرى ما يشبه ذلك على تفاعلات عامة، مثل خروج جماعى أو رحلة إجازة جماعية، بل بالنسبة لمجموعة من الوزراء أيضاً، يحكمون بلداً ما .

٢٢٨

ومن البدهى أن التفاعلات الكبرى يمكن من جانبها أن تشكل ثانية تتابعات مترابطة داخلياً ومتماسكة دلالياً، يمكن أن تدمج تارة أخرى على مستوى أعلى فى تفاعل أكبر أعم .

وفى النهاية يجب أن يشار إلى أن تفاعل سلسلة أفعال بوصفها وحدة تفاعل (Interaktionseinheit)، تحدد بقيود مكانية وزمانية محددة، يتوقف إلى حد ما على الأحداث المترابطة . فحين أحيى الآن شخصاً آخر، ويرد هذا الآخر التحية فى مناسبة أخرى بعد عام تالٍ فإنه عادة ما لا يمكن الحديث عن تفاعل أحادى . ومع ذلك يمكن أن تكون هى الحال مع أحداث ذات صلة وثيقة بالموضوع ولها أهمية واسعة، مثلما هى الحال عند وضع كتاب .

٧ ـ ٢ ـ ٦ إن الخصائص والشروط الإدراكية العامة لتفاعل (مثمر)

لها أهمية من الناحية الاجتماعية أيضاً من جهة أنه عبر هذه الخواص تتكون معرفة عامة وعرفية . وفضلاً عن ذلك يمكن أن يكون الربط والترابط مقيدان قاعدياً أو معيارياً . ومن ثم يطرح شرط اجتماعى وهو أن تفاعلنا مع الآخرين يفى بمطالب أساسية أخرى للترابط الأفقى والعام . فالمشتركون فى التفاعلات لديهم سلسلة من الحقوق والواجبات المتبادلة التى تبرزها أو تحددها أحداث التفاعل . وبذلك يمكن أن تكون الحال غالباً أننى ملزم أن أرد التحية حين يحيينى شخص آخر أو حين أسأل شخصاً ما عن الطريق، فيجب أن أتوقع فى العادة إجابته أيضاً (إذ إننى قد فرضت ذلك على آخر بدرجة أو بأخرى من خلال طلبى) . تلك الخواص المميزة للعلاقات بين المشاركين فى التفاعل أمثلة لقيود اجتماعية خاصة بتفاعل موفق/ مفيد (اجتماعى) .

وحتى يمكن فهم أية علاقات تتكون بين النص أو الحديث من جهة، والأبنية الاجتماعية من جهة أخرى سوف ندخل. على نحو ما أدخل مصطلح ، سياق براجماتى ‹ فى الفصل الثالث ـ مصطلح ، سياق اجتماعى‹ Kontext (sozialler) إن السياق البراجماتى تصور مجرد لنموذج، تحتل فيه تحديداً تلك العوامل الإدراكية والاجتماعية مكاناً، وهى المحددة لمناسبة منطوق بوصفه حدثاً كلامياً . ومن ثم سنعد السياق الاجتماعى ذاته كذلك تجريداً بالنظر إلى الموقف الاجتماعى . ويقال بوجه عام إن السياق كم (منظم) من العوامل المحددة لـ أو المحددة بخواص النص أو بشكل أعم بخواص الحديث أو الحدث الاتصالى . ولذا فإنه إذا أمكن أن تختلف أبنية سطحية لحديث ما وأسلوبه وبنيته الدلالية وبنيته العليا وبنيته البراجماتية تبعاً لأبنية اجتماعية معنية ومقولات وعلاقات، فإن الأخيرة تتبع السياق الاجتماعى للنص أو التفاعل الاتصالى .

وبإيجاز إن الأمر يتعلق بتعيين سلسلة من الخواص العامة للسياق الاجتماعى يتضح أهميتها من خلال تميز التفاعل الاتصالى . وفى هذا

الفصل نقتصر على جوانب السياق الاجتماعى، المحددة للمستوى الأصغر الاجتماعى وبخاصة التفاعل ولا نعنى بخواص أخرى للسياق الاجتماعى، مثل التراكب الطبقى الاجتماعى الاقتصادى والبنية العامة للمجتمع وبنية المؤسسات ووظيفتها وما أشبه . ويتحدد السياق الأصغر الاجتماعى من خلال سلسلة من خواص العلاقات ومن خلالها بين الأفراد، أى : المشاركين فى السياق الاجتماعى . ويلاحظ أن الأمر يتعلق بخواص اجتماعية، وليس بخواص بوجه عام . ويكمن معيار الخاصية فى أنها تؤثر بشكل منظم فى أحداث الفرد وتفاعلاته بالنظر إلى أفراد آخرين .

ويمكننا أن نضع المعيار نفسه لتمييز علاقات اجتماعية بين الأفراد أيضاً : فحين أقع فى حب شخص ما، تنشأ عن ذلك بعد علاقة اجتماعية حين يؤثر الهيام بشكل منظم على سلوكى تجاه الشخص الآخر . وأن تكون أبا أو أما، طبيباً أو موظفاً هى خواص اجتماعية حقيقية للمشاركين، إذ إنها تحدد بشكل منظم ماذا يعمل الأفراد بهذه الخواص فى مواقف اجتماعية . ويتضح من ذلك أن التصنيف الذى ظهر مراراً يوجد هنا أيضاً : تتحدد فى السياق الاجتماعى العلاقات بين المشاركين من خلال مفاهيم المقولة التى تتحقق فى زمن معين، على نحو ما تحدد إمكانات تأليف الكلمات فى جملة ما أيضاً من خلال المقولات النحوية ـ التركيبية، التى تخصص لهذه الكلمات . وليس هذا التصنيف نتاج عمل اجتماعى فحسب، بل هو وسيلة المشاركين أنفسهم أيضاً حتى يمكن تفسير أحداث اجتماعية وضبطها [٣] .

/ إن العلاقات ذاتها أيضاً يمكن أن تكون عامة أو نوعية : الدفع عند ٢٣٠ الصندوق، والوقوف أمام شرطى وتأجير حجرة لشخص ما هى أشكال تفاعل

---

(٣) ثمة جانب مميز للتحليل المنهجى العرفى للأبنية الاجتماعية يكمن فى المنطلق الذى مفاده أن المشاركين أنفسهم يفسرون الحقيقة ويشكلون المقولات التى بناء عليها يمكن أن يفهم سلوكهم، قارن بخلاف الكتب المذكورة، كتاب سكورل Cicourel (1973) أيضاً .

ذات طبيعة عامة، بمعنى أنها تأخذ مساراً مميزاً أو نمطياً أو حتى تقليدياً : فيمكن أن تتكرر بالنسبة لمشاركين مختلفين بالطريقة ذاتها، وتوجد مع تلك التفاعلات قيود ونتائج مشابهة . أن يقذف شخص ما بكتاب فى رأسه، بلا شك، شكل تفاعل ليس له مع ذلك الخاصية المسماة › معيارية ‹ : لا ينفذ باستمرار فى مواقف معينة، ولا توجد أيضاً شروط ونتائج ثابتة ترتبط بذلك . ولذلك فإن من الأهمية بمكان بالنسبة لوصف السياق الأصغر الاجتماعى مرة أخرى تلك المقولة التى يصور تحققها تلك التفاعلات، مثلاً › اعتداء ‹ أو مقولة أكثر عمومية › صراع ‹ .

إن العلاقات العامة أو النوعية بين المشاركين المفسرة بأنها مقولات (فئات) حددت بأنواع مختلفة من الأعراف، مثل القواعد والاستعمالات والمعايير والقوانين والأحكام والشفرات ... الخ [٤] . ويحدد العرف (Konvention) أية علاقات ممكنة أو ضرورية بين المشاركين، توجد فى موقف معين، وكيف أبدعت هذه العلاقات فى أثناء مسار التفاعل . والحق أن للأعراف أساساً إدراكياً ـ بناءً على حقيقة أن المشاركين الاجتماعيين يجب أن يعرفوها . ومع ذلك فإنها ذات طبيعة اجتماعية أيضاً، إذ إنها تميز مجموعة أو جماعة أو المعرفة المشتركة، وهناك تحدد التفاعلات الاجتماعية فى هذه المجموعة أو الجماعة . ويعنى هذا أن أغلب أعضاء الجماعة يجب أن يعرفوا معرفة حقيقية أيضاً هذه الأعراف ويمكن أن يستخدموها، وأنهم يجب أن يعرفها بعضهم من بعض أيضاً، بحيث يمكن أن نتوقع فى أغلب المواقف، أى أحداث ممكنة أو ضرورية سيعملها الآخر، وهو، كما رأينا، شرط مهم لتفاعل مجدٍ ومؤثر . إن الأعراف يمكن أن تكون شديدة التباين : فهى يمكن أن تسرى لوقت قصير وعلى عدد ضئيل من المشاركين (مثل الاتفاقات على اللقاء كل أسبوع خلال بضع شهور)، أو أنها تكون

(٤) حول مفهوم › عرف ‹ قارن لويس (1968) Lewis .

عامة ومستمرة بدرجة أو بأخرى بالنسبة للجماعة كلها (مثل قواعد اللغة والاتصال) . ويمكن أن تكون الأعراف بالنسبة للجماعة واضحة أو غير واضحة : لا يمكن أن تصاغ استعمالات معنية على الإطلاق كذلك، بله إنها لا تحدد (كتابياً)، بينما تتطلب أعراف أخرى من ناحية أخرى هذه الصياغة والتحديد باعتبارها قوانين وأحكاماً . وأخيراً فالأعراف حتمية بدرجة أو بأخرى : فمن المحتمل ألا تكون هناك حاجة إلى الرد على تحية تقليدية، ولا الظهور فى اجتماع، بل إن المرء مقيد حقاً بقوانين وأعراف أخرى تتضمن التزامات (قانونية) .

٢٣١ يقود إنجاز أحداث وتفاعلات لا تتطابق مع/ أحكام مستنبطة من أعراف أو تلغى بوضوح من خلال أعراف، إلى جزاءات فى العادة . ويمكن أن تكون تلك الجزاءات وفق عرف معين شديدة جداً أو عارضة فقط، وتوجد فى صورة ضعيفة . ولذلك يعد الجزاء لوناً من التفاعل، يكون النتيجة الممكنة أو الضرورية لحدث ما ، غير متواضع عليه (أى : غير قانونى وغير قياسى وغير قاعدى وما أشبه) بالنسبة للأفراد، وله الوظيفة المميزة، ويجيز أن يعمل الفرد فى المناسبات التالية فى تجاوب مرة أخرى مع الأعراف . وبعبارة أخرى : الجزاءات أدوات للجماعة لضبط أبنية اجتماعية . ونظراً لأننا قد ناقشنا فى الفصل السابق أن العلاقات الخاصة بين فعل كلامى وسياق براجماتى تحدد مفهوم المواءمة (Adäquatheit) أو المناسبة (Angemessenheit)، فيمكننا الآن أن ندخل بالنسبة للعلاقات بين حدث أو تفاعل اجتماعى والسياق الاجتماعى الأصغر أيضاً مفهوم المناسبة أو القبول (الاجتماعى) Akzeptabilität . فالحدث أو التفاعل مقبول اجتماعياً إذن حين يكون أساسياً للأعراف (القواعد والمعايير والقوانين وما أشبه) الصالحة لهذا النمط من الأحداث / التفاعلات أو حين يفى الحدث أو التفاعل بشروط القبول المهمة له . وتتضح هذه الشروط من البنية المقولية للسياق الاجتماعى . وهكذا فمن المقبول مثلاً أن ينفذ عضو الفئة الفعلَ كأن يطلب مفتش التزام

ملى التذكرة، وهو أمر بالنسبة لعضو ليس من هذه الفئة أوله فئة أخرى (كفئة المسافر مثلاً) غير مقبول .

لدينا المكونات الأساسية الثلاثة لنظرية فى السياق الاجتماعى الأصغر: فئات المشاركين فيه، وفئات (أنواع) العلاقات بين هؤلاء المشاركين (المشاركين فى التفاعل) والأعراف التى تنظم هذه الفئات للمشاركين وتفاعلاتهم . ويمكن أن يستمر المرء فى التفريق بين هذه الفئات المختلفة . وهكذا يتحدث فى نهج تقليدى عن الأدوار والوظائف والمواقع، حين يتعلق الأمر بفئات المشاركين . وفضلاً عن ذلك توجد فئات ، تتحدد من جديد باستمرار بالنسبة لكل موقف، ويجب أن تعرف، ويجب أن يتفاوض حولها، مثل ، المتحدث ‹ عن مجموعة أو › رئيس ‹ اجتماع . وللفئات الأخرى خاصية أكثر استمرارية، وتسرى لمدة أطول، وفى عدد كبير من السياقات، مثل ، الشرطى أو الطبيب أو الأم ‹ . ويمكن أن نستقى من هذه الأمثلة أن الفئة هى فى الواقع محددة للأحداث النمطية الممكنة وحقوق مشارك ما وواجباته فى سياقات خاصة . ويمكن أن تكون الفئات تبعاً للأعراق المعينة صارمة بدرجة أو بأخرى : ما يمكن أو يجوز لقاض أن يعمله بشكل عرفى محدد بدقة إلى حد ما، وتكون الحال أقل كثيراً بالنسبة لفئات، مثل الأم أو الصديق . لا يصنف المشاركون مشاركين آخرين فحسب، أو يصنفون أنفسهم/ ولا يصنفون أحداثهم وتفاعلاتهم فحسب، بل السياقات ٢٣٢ الاجتماعية ككل أيضاً . ويحتاج لكى يتعلم تعقد الحدث الاجتماعى ويفهم ويشترك فيه بشكل مجد ومؤثر ومقبول، إلى نظام أو تنظيم السياق أو سلسلة السياقات . هذا النظام يحدث من خلال ما أطلقنا عليه ‹ إطاراً اجتماعياً › (*) .

يتحدد الإطار الاجتماعى من خلال سلسلة التفاعل والفئات التى لا

(*) حول تحليل ‹ الأطر الاجتماعية ‹، بمعنى مختلف شيئاً ما عما استخدمت هنا، قارن جوفمان (1975) Goffman .

غنى عنها والأعراف المحددة للتفاعلات ومساراها . ويحدد لكل إطار أى أحداث وتفاعلات إجبارية وأى أحداث وتفاعلات اختيارية، أى خواص نمطية أو تقليدية للمشاركين (المصنفين) أو أى خصائص يمكن أن تلحق بهم وما أشبه . ويقال بشكل أكثر تحديداً : حين يعرف مشارك أى إطار يتبع السياق، فإنه يعرف أيضاً ماذا يمكن أو يجوز أو يجب أن يعمل فى هذا السياق. ويعرف ماذا يمكن أن يتوقع من المشاركين الآخرين . ولذلك ليست الأطر مواقف غير محددة، بل لها خاصية عامة : إذ توجد سياقات أو تتابعات سياقية نظامية وتقليدية لجماعة أو ثقافة معينة تظهر باستمرار . لذا «فالتفتيش عن تذاكر السفر » المذكور سابقاً إطار حدد له أى فئات المشاركين (مفتش، مسافر) يحتويهم، وأى أحداث يمكن أو يجوز أو يجب أن تتوقع، مطابقة لأعراف هذا الإطار : لذا فإنى ملزم بوصفى مسافراً أن أبرز تذكرتى حين يطلب المفتش ذلك .

ويمكن أن تكون الأطر أجزاء لأطر أكبر، كأن يكون « التفتيش عن التذاكر » جزءاً من « إطار علوى » للمواصلات المحلية العامة . أو الدعوى والدفاع جزءاً من قضية . ويمكن أن تصنف بشكل متدرج أطر (عليا) تبعاً للأعراف وصرامة فئات المشاركين . ولذا توجد أطر عامة وأطر خاصة (معاقبة لص فى مقابل معاقبة طفل فى أسرة مثلاً) ، وأطر غير رسمية وأطر رسمية أو مؤسساتية . فمسامرة قصيرة مع سائق المركبة إطار غير رسمى باعتباره جزءاً من إطار مؤسساتى عام، الاشتراك فى المواصلات المحلية العامة. وللإمساك بيد شخص ما خاصية رسمية بدرجة أو بأخرى بوصفها جزءاً من إطار خاص؛ وإيضاح بعض مشكلات من هذا الكتاب لتلاميذى إطار مؤسساتى عام (تعليم، جامعة)، والحديث معهم فى أثناء حلقة المناقشة حول الانتخابات البرلمانية الإقليمية الأخيرة إطار غير رسمى عام، والثرثرة مع طالب من الطلاب مع شراب البيرة بعد حلقة المناقشة إطار غير رسمى

خاص . وسنرى فيما يلى إلى مدى يتحدد الاتصال بوجه عام والمحادثة بوجه خاص من خلال الأطر .

٧ - ٢ - ٧ عولجت فى المباحث السابقة سلسلة من خواص مهمة للتفاعل الاجتماعى . وفى الحقيقة لم توضح المفاهيم المختلفة إلا بإيجاز، ودون استنتاج شكلى . وظل كم كبير من التفاصيل وخاصيات أخرى للبنية الاجتماعية لم يدخل فى الاعتبار . وقد عالجنا البنية المفهومية الأعم لمصطلح التفاعل عقب مصطلح الحدث، واستمررنا فى تحديد كيف يخطط أشخاص تفاعلاتهم ويوجهونها ويفسرونها . وأخيراً اتضح أنه يجب أن ينظر إلى التفاعل متصلاً بالسياق الاجتماعى الذى يتكون من أنواع من المشاركين والعلاقات وأنواع مختلفة من الأعراف - الفئات التى يمكن بناء عليها أن يتعين إلى أى حد يمكن أن يوصف حدث ما أو تفاعل ما بأنه مقبول . وكما أن هذا مهم معرفياً أيضاً لتنظيم المعرفة، يمكننا أن نتحدث على مستوى التحليل الاجتماعى عن أبنية تفاعل عامة ذات طبيعة - أطر نمطية بدرجة أو بأخرى، تحدد الاشتراك الصحيح والمؤثر والمجدى فى الواقع الاجتماعى وتفسيره . ٢٣٣

٧ - ٣ اللغة والاتصال والتفاعل

٧ - ٣ - ١ من الضرورى أن يحدد الاتصال اللغوى من خلال مفاهيم مصطلح التفاعل، على نحو ما أمكن أن يرجح المفهوم المعتاد « تفاعل فعلى » . ويبدو أن هذا المطلب مطلباً عادياً إلى حد ما . ومع ذلك يهمل الجزء الغالب فى علم اللغة الكلاسيكى أو علم اللغة الحديث هذا المنطلق عند بناء النظرية[٦] . لقد عُنِى المرء بل ويعنى أساساً ببنية منطوقات لغوية (كلمات أو جمل أو

(٦) من البدهى أنه توجد استثناءات : فثمة لغويون أيضاً يركزون على الخاصية الوظيفية للغة، كهاليداى Halliday (1967) مثلاً .

حتى نصوص) ؛ ومن المحتمل ـ فضلاً عن ذلك ـ بالأساس الإدراكى للمقدرة اللغوية والاستعمال اللغوى، وأخيراً ـ منذ بضع سنين ـ بالجوانب البراجماتية للاستعمال اللغوى .

بله فى البراجماتية ذاتها يدور الأمر حول توضيح منطوقات بناءً على الأفعال الكلامية التى تنجزها، وليس بخاصة حول وصف منظم للعلاقات التفاعلية التى يمكن أن تشكل تتابعات الفعل الكلامى . وتظل المعايير الاجتماعية خاصة التى تلعب فى هذه الحال دوراً بالنسبة لتنفيذ مقبول للأفعال الكلامية والتفاعلات اللغوية، خارج الحسبان . ولكن الفهم الجيد لأفعال كلامية مستقلة وسلسلة أفعال كلامية لمتحدث أو عدة متحدثين متناوبين غير ممكن حقيقة، حين لا تحلل الشروط الخاصة التفاعلية (الإدراكية والاجتماعية) والخواص والاستنتاجات .

وتتجلى أغلب المنطوقات إلى حد بعيد فى تتابعات أفعال كلامية، ومع ذلك على الأقل فى عدة تفاعلات فعلية ثنائية مثل السؤال والإجابة، والقول والتفسير والرجاء/ ورد الفعل، والتحية ورد التحية ... الخ . وحتى فى ٢٣٤ المواقف التى يتجلى فيها فعل كلامى لمتحدث ما، قد حلل فى علاقة بالأحداث الأخرى للموقف الاجتماعى . ويمكن أن يستخلص من هذه الملحوظات التمهيدية أنه يجب أن تتضمن نظرة لغوية جادة لمكون أساسى جوهرى نظرية للتفاعل اللغوى . ويصح ما يشبه ذلك مع تحويرات ضرورية بالنسبة لنظرية نصية .

٧ ـ ٣ ـ ٢ حين يمكن أن يستخلص مفهوم (تفاعل لغوى)، كما نفترض هنا، من نظرية تفاعل إدراكية ـ اجتماعية عامة، فإن لتلك الأقوال عن التفاعل صلاحية أيضاً بالنسبة لاتصال لغوى/ نصى . وتوجد هنا أيضاً اتصالات فعلية أحادية وثنائية، كما هى الحال مع الإخبار والأمر وما أشبه

من جانب - فى اتصال شكلى كتابى خاصة - ومع توجيه حديث أو الاشتراك فى مناقشة أو التعبير عن قضية جدلية من جانب آخر .

وبرغم ذلك يجب أيضاً أن يتوفر فى اتصال أحادى مع متحدث/ كاتب الفرض القائل بأنه يوجد الآن (أو فيما بعد) مستمع/ قارىء فعلى/ ممكن، يستوعب بوعى ما قيل/ كُتِب، بحيث يُبَلِّغ هذا القارىء/ السامع، ويُؤمن، ويُشتبه فيه وما أشبه، باعتبار ذلك نتيجة للاتصال، وبإيجاز يعرف تغييراً إدراكياً، ومن الممكن تغييراً اجتماعياً . وطبقاً لهذا الاستخدام لتعريف التفاعل (الأحادى) فإن الحديث المفرد أو المعرفة بأن يوجه شخص ما كلامه إلى شخص آخر لا يمكن أو لا يريد أن يسمع شيئاً، ليست شكلاً من أشكال التفاعل اللغوى . (بل إنه ليس سوى منطوق لغوى بمفهوم محدود، ومن المحتمل أن يكون ذا وظيفة سيكولوجية معينة - وظيفة تعبيرية مثلاً) .

ويوجد مع التفاعل اللغوى المستمر الثنائى بالتحديد عدة متحدثين، تتناوب منطوقاتهم / أفعالهم الكلامية . إن تتابع الحدث المعقد هذا مقبول إذن باعتباره تفاعلاً فقط حين يفى بالقيود الإدراكية المعتادة : يجب أن يفهم المتحدثون بعضهم بعضاً (ويدهى منطوقاتهم أيضاً)، وأن تقام أفعالهم الكلامية بشكل متوالٍ عمداً، على نحو يتوفر فيه على كلا الجانبين القصد لأن يقع تبادل من الناحية العقلية، وربما من الناحية الاجتماعية من خلال تلك الأفعال الكلامية . وبعبارة أخرى : يجب أن ينطلق السامع من أن متحدث ما، يكن له تلك القصود والمقاصد (ولا يتحدث بشكل عرضى أو غير مقصود)، بينما يجوز أن يفترض المتحدث من جانبه تارة أخرى أن الفعل الكلامى التالى للسامع (الموجه إلى المتحدث) يجب أن يفسر بناء على التغيير العقلى الحادث عن الفعل الكلامى المتقدم أيضاً، أى باعتباره رد فعل على كلام المتحدث .

٧-٣-٣ تسرى بالكيفية ذاتها الشروط الاجتماعية أيضاً على

التنفيذ الممكن قبوله لتفاعلات فعلية، فلا ينجز أو يعرف المشاركون/ مستخدمو اللغة تغييراً عقلياً متبادلاً فحسب، / بل يتضح فى الوقت نفسه ٢٣٥ تغيير فى السياق الاجتماعى أيضاً، كما قد حدد . وهذا يعنى أنه توجد حال أولية معينة للسياق الاجتماعى، وأنه تحل محلها حال أخرى نتيجة التفاعل الاتصالى . ويمكن أن يتعلق هذا التغيير للحال بـ :

(i) خواص اجتماعية للمشارك أو الفئات، و (ii) العلاقات الاجتماعية بين المشاركين . وهكذا يمكن أن يكتسب شخص ما من خلال فعل كلامى معين الخاصية الاجتماعية لوظيفة معينة (يمكن أن يصير قاضياً بناءً على تعيين وما أشبه) أو يمكن أن تَعْقِد أو تُفَسِّر علاقات بين متحدث وسامع، تتعلق على سبيل المثال بالتزاماتهما المتبادلة (الاتفاقات والعقود وما أشبه) .

وتتبع تغييرات فى السياق الاجتماعى يقيمها التفاعل الفعلى، الحال الأولية للتفاعل ـ أى : خواص وعلاقات المشاركين فى البداية أو فى أثناء عملية الاتصال، وتتبع أيضاً أعراف التفاعل، مثل القواعد والمعايير . وهكذا يمكن أن تقبل تفاعلات معينة، مثل : إسقاط حكم قاض، فقط حين يكون للمتحدث فى الواقع وظيفة القاضى أيضاً، بل إنه فى سياقات تفاعل خاصة أيضاً تسرى تلك الشروط . وهكذا فثمة وعد ـ فى الغالب تطرأ طبقاً له حال معينة، يكون للمتحدث فيها التزامات محددة تجاه السامع ـ يكون مجدياً فقط حين يوجد المتحدث فى حال يكون فيها على وعى برغبات السامع بالنظر إلى أحداث مستقبلية للمتحدث .

ويسرى ما يشبه ذلك على الشروط التى تتعلق بالعلاقات الاجتماعية بين المتحدث والسامع . فالأمر مثلاً، برغم أنه فى سياق معين أو أكثر، عام، فهو مثال نمطى لموقف، يكون للمتحدث فيه سلطة محددة تجاه السامع، وهو ما يمكن أن تتضمنه جزاءات ممكنة ، حين يخالف هذا الأمر . وهكذا فقبول

نصيحة ما تحدده الحال التالية أيضاً، وهى أن السامع أساساً يعترف للمتحدث بخبرة معينة .

ويمتد ما يسرى على المقبولية الاجتماعية لأحداث كلامية فردية (قارن للفصل الثالث أيضاً) إلى تتابعات الفعل الكلامى أيضاً، التى تشكل التفاعل الفعلى . وفى هذه الحال يوجد باستمرار سياق أولى جديد ـ حال تسببها الأفعال الكلامية المتقدمة . ويجب أن يتكرر هنا أن السياق الاجتماعى لا يقدم لذاته، بل يفسره فى حد ذاته المشاركون أولاً، وتبينه أحداث وتفاعلات ثانياً . فالزعم (القول) لكى يطلق عليه صيغة جوهرية للتفاعل الفعلى، هو إجابة مقبولة وظيفياً فى سياق بناه متحدث ما ـ يعبر من خلاله عن أنه لا يعرف شيئاً أو لا يتوقع من السامع أن يقدم إجابة على ما عدّه السامع لذلك التزاماً (ضعيفاً) بتقديم هذه المعلومة أيضاً، حين تكون متاحة له . وحين لا يتحقق هذا الشرط/ لا يمكن أن يدفع زعم ـ رد مقبول بردود فعل مثل : ›› أنت لم تسأل ! ‹‹ . ٢٣٦

ويوجد التفاعل الاتصالى أحياناً فى أنماط محددة لأطر اجتماعية، وتحدد هذه الأطر فى بعض الحالات بناءً على الاتصالات الفعلية المعنية وحدها بين المشاركين . وتأتى هنا ابتداءً سلسلة من الأطر بوصفها نماذج لتحديد مكانى سياقى مع المشاركين المألوفين داخل تلك السياقات (يلاحظ أننا ننطلق هنا من مواقف قائمة بشكل شائع، وليس من مواقف مبتغاة، ربما كان فيها على سبيل المثال توزيع الأدوار ووضع القوة أكثر شرعية) .

(١) ١ ـ فى البيت ـ إلى البيت ـ والدن، أطفال، صديق (صديقة)، رجل، امرأة .

٢ ـ خارج البيت، المنزل ـ جار (جارة)، صديق (صديقة) .

٣ ـ مدرسة ـ تلميذ، مدرس (مدرسة)، صديق (صديقة)، زميل، مدير، مشرف، حارس، سكرتير (سكرتيرة) ... الخ .

٤ ـ جامعة، طالب (طالبة)، محاضر (محاضرة)، معيدة (معيدة)، زميل (زميلة)، مساعد بحث (مساعدة بحث)، سكرتير (سكرتيرة) ... الخ .

٥ ـ مكتب ـ مدير، رئيس، مستخدمون، طباعة ومختزلة، سكرتير (ة)، زميل، زميلة، عمال المقصف .... الخ .

٦ ـ مصنع ـ عمال، رئيس عمال، رئيس قسم، رئيس عمل، مدير، رئيس مستخدمين، مستخدمو الإدارة ... الخ .

٧ ـ شارع ـ مارة، راكبو دراجات، سائقو سيارات، عابرو سبيل، كناسون، باعة متجولون، شرطة، لصوص ... الخ .

٨ ـ وسائل مواصلات عامة ـ أسطى، سائق، كمسارى (بطاقى)، مسافر، بائع تذاكر، مفتش .... الخ .

٩ ـ مبان عامة (قارن ٥) .

(أ) مصالح ـ مستخدم، موظف، رئيس ... الخ .

(ب) وزارات ـ وزير، وكيل وزارة، موظف ... الخ .

١٠ ـ الرعاية الصحية ومؤسساتها .

(أ) مستشفى، عيادة، مريض، ممرضة، ممرض، طبيب .

(ب) دار رعاية المسنين ـ عجائز، مشرف (ـة)، طبيب ... الخ .

(جـ) دار حضانة ـ طفل، ممرضة، مشرف (ـة)، طبيب ... الخ .

(د) مَصَحّ، مريض، زائر المصح، ممرضة، ممرض، طبيب ... الخ .

(هـ) مكتب استشارات (مثلاً رعاية الرضع) - والدان، أطفال، مرضى، ممرضة، ممرض، متخصصون، طبيب ... الخ .

(و) عيادة طبية - مريض، طبيب، معاونة ... الخ .

١١ - محكمة - مذنب، قاض، مدعٍ، محام .... الخ .

١٢ - سجن - مسجون، موظف تنفيذ .... الخ .

١٣ - متجر - سوق مركزى، زبون، بائع (ـة)، محصل (ـة) .. الخ .

١٤ - بنك - عميل، مستخدم، موظف البنك ... الخ .

١٥ - قهوة - مطعم، نادٍ - زبون، عميل، ساقٍ، جرسونة، نادل، ملاحظة غرفة الملابس ... الخ .

١٦ - متحف، معرض، حراس المتحف، زوار، مرشدون ... الخ .

١٧ - فندق - زائر، حمال، خادمة ... الخ .

١٨ - راديو - تليفزيون - مذيع (ـة)، ممثل (ـة)، وسيط، محرر (ة)، صحفى (ـة) .... الخ .

إن هذا الحصر ليس كاملاً ولا منظماً، فالغرض منه يكمن خاصة فى عرض › مواضع ‹ مختلفة لتفاعل فعلى وفئات المشاركين فيه، إذ إنه يجرى بينهم هذا التفاعل فى السياقات المعنية . ويعقب ذلك أمثلة كذلك لأطر تفاعل نمطية داخل هذه التحديدات المكانية / السياقات (تلحق بالسياقات المختلفة حسب (١)) :

(٢) ١ - وقوف، استيقاظ (١، ١٠، ١٢، ١٧) .

٢ - تحية، ثرثرة (٢ - ١٧) .

٣ - حصة (٣) .

٤ - حلقة بحث (٤) .

٥ - واجب مدرسى، امتحان الثانوية العامة (٣) .

٦ - امتحانات، امتحان تمهيدى، امتحان الماجستير (٤) .

٧ - طلب وظيفة، فصل (٣، ٤، ٥، ٦ الخ) .

٨ - راحة الإفطار، راحة الغداء (٥، ٦، ٩، ١٠ الخ) .

٩ - الاستفسار عن الطريق، توضيح الطريق (٧) .

١٠ - شراء تذاكر، يركب المترو/ المركبة/ القطار (٨) .

١١ - صك العقوبة، تلقى نوع من الحكم، توزيعه (٧) .

١٢ - بحث، استفسار (١٠) .

١٣ - قدم طلباً، تسليم بلاغ (٩) .

١٤ - تشاور (١٠) .

١٥ - ادعاء، دفاع، حكم (١١) .

١٦ - شراء/ بيع (١٣) .

١٧ - سحب، تحويل، الحصول على قرض (١٤) .

١٨ - طلب الأكل، الشرب، الخدمة (١٥) .

١٩ - شراء تذكرة دخول، تكوين كتالوج (١٧) .

٢٠ - الإبلاغ ، الإعلان (١٨) .

تلك الأطر التى لم تحصر هنا إلا حصراً غير كامل واحتياطى، يمكن أن تعرف من خلال سلسلة (سلاسل) من الأحداث والتفاعلات، ومن خلال القصود والمقاصد والقيود الخاصة للسياق الاجتماعى المعنى (المواقف، المشاركون وما أشبه) .

ولا يتعلق الأمر هنا بالمشاركين باعتبارهم أفراداً، بل فئة أيضاً :

فالمعلمون أو التلاميذ أو المرضى أو الأطباء أو الزبائن أو الموظفون لا يمكن أن يجيزوا تبعاً للأعراف (المعايير والقوانين والقواعد والاستعمالات) إلا سلسلة محددة من الأحداث التى تحدد التفاعل . ويظهر فضلاً عن ذلك بوضوح إلى حد ما أمثلة الحصر (١) أن (فئات) المشاركين فى السياقات المتباينة يمكن أن تصنف ببساطة إلى حد ما إلى فئات واصفة أكثر عمومية، تخصص من جهتها قصود (كبرى) وخواص ممكنة نمطية . وهكذا يتبين فى أغلب المواقف الاجتماعية :

(٣) ١ ـ المتساوون فى الرتبة ـ أخوة، أخوات، أصدقاء، زملاء، نزلاء السجن، مسافرون، مرضى ... الخ .

٢ ـ الأدنى رتبة ـ أطفال، مرؤوسون، معيدون، مذنبون، سجناء، مرضى، سكان بيت، تلاميذ ... الخ .

٤ ـ المعطون ـ معلمون، سقاة، بائعون ... الخ .

٥ ـ الآخذون ـ زبائن، عملاء، مرضى، مقدمو الطلبات ... الخ .

/ويتضح من هذه الفئات فى المقام الأول بنية متدرجة واضحة، ليس ٢٣٨ على المستوى الاجتماعى الأكبر فحسب، بل من خلال الاتجاهات والسياقات الاجتماعية أيضاً، ومن ثم خلال أطر التفاعل : يوجد مشاركون فى درجة « مساوية » ، وأعلى، وأدنى » فى التدرج، وهو ما يحدد علاقات السلطة والقوة والمشورة وما أشبه . وفى الوقت نفسه تتبلور الفئة الأساسية للتفاعل › الإعطاء ـ الأخذ ‹ من خلال سلسلة من فئات المشاركين : فبعض المشاركين يحتاج إلى شىء (أكل، خدمات، معلومات، أوراق ... الخ)، بينما يعنى البعض الآخر بذلك . وفى العادة يوظفون مؤسساتياً أيضاً (يعيدون، يوظفون ... الخ) . وثمة تصنيفات وتجريدات أخرى ممكنة أيضاً . ومع ذلك فالفئات المذكورة فى الوقت نفسه جوهرية وموضحة . ومن البدهى أن الأمر يدور

حول وصف (غير مصوغ) للبنية الاجتماعية، على نحو ما هى عليه، وليس حول بنية اجتماعية ممكنة أو مرغوبة - يمكن أن يؤمل من خلالها مثلاً عدم وجود بعض أبنية متدرجة .

٧ - ٣ - ٤ نحن قادرون من خلال الإيضاحات المدعمة بأمثلة لأوضاع اجتماعية متميزة وأطرها الممكنة، التى يمكن أن توجد داخل هذه الأوضاع، على أن نوجه انتباهنا مرة أخرى إلى التفاعل الفعلى .

قد رأينا أن عدد الأطر النمطية - فى الحقيقة - يكون فعلياً بشكل كلى أو جزئى : ثرثرة (حديث مكشوف)، حصة، حلقة بحث، السؤال عن طريق، تقديم طلب، ادعاءات، أشكال دفاع، أحكام، أنباء وما أشبه . ويمكن أن توصف هذه التفاعلات الاتصالية وصفاً أكثر مناسبة، إذ يمكننا أن نعدها مكونات بنيوية للسياقات والتفاعلات الاجتماعية المخططة من قبل : أى فئات المشاركين يمكن / يجوز/ يجب أن يقولوا شيئاً، وفى أى مؤسسات، وأى علاقات (متدرجة مثلاً) محددة للأحداث والمنطوقات الممكنة (أو أسلوبها) ؟ . ولذا ففى التفاعل الفعلى طبيب - مريض على نحو عرفى - نمطى، يكون التالى أن الطبيب يطرح الأسئلة ويقدم نصائح ويكتب وصفات طبية، بينما يجب على المريض أن يجيب عن أسئلة وأن يقول بماذا يحس . وفى العادة تكون آراء المريض غير الخبير هنا محرمة : لا يجوز له أن يستخلص نتائج (عادية أو يومية) من أعراضه، فالتشخيص من اختصاص الطبيب، ويعترض على انحرافات عن هذا المعيار (السائد) فى العادة (بلفظ) مخفف « هـ . هـ . هكذا، هكذا، وربما حتى الزجر › من الأفضل أن تدع هذا لى ! › وما أشبه .

وحتى يمكن أن يقدم وصف منظم لتلك التفاعلات اللغوية بمساعدة مثال - حديث - يرد هنا مرة أخرى عدد من الأمثلة لأشكال التفاعل أو الأطر المختلفة :

(٤) ١ ـ الحديث (اليومى) .

٢ ـ الحديث (الرسمى، شبه الرسمى) .

٣ ـ السؤال، الاستجواب .

٤ ـ الاختبار .

٥ ـ المقابلة .

٦ ـ الحصة، حلقة البحث، جلسة عمل .

٧ ـ الاجتماع، المؤتمر .

٨ ـ الضجة، المشاجرة .

٩ ـ المناقشة، الجدل، الندوة .

١٠ ـ القضية .

١١ ـ التسلية .

١٢ ـ حوار ـ المعطى، الآخذ .

١٣ ـ تبادل الرسائل (رجاء/ إجابة) .

١٤ ـ ملء استمارة (الخ) .

ويمكن أن تحدد الأشكال المختلفة لتفاعل (حوارى) من خلال السمات التالية :

(٥) ١ ـ تتابع أفعال كلامية .

٢ ـ فئات المشاركين فى التفاعل وإسهاماتهم الممكنة .

٣ ـ الموقف الاجتماعى (خاص، عام، مؤسساتى) .

٤ ـ درجة التشكيل العرفى (المعيارى) .

٥ ـ الهدف الاجتماعى للتفاعل .

٦ ـ الأعراف (القواعد، المعايير، الاستعمالات ... الخ) .

وهكذا يحدد الاجتماع بأنه سلسلة من الأفعال الكلامية لمشاركين مختلفين - فى الغالب الأخبار والإدلاء بالرأى والأسئلة وما أشبه - يقود فيها أحد المشاركين التفاعل من خلال دوره بوصفه رئيساً . ويتحدد من خلال ذلك من يمكن/ يجوز أن يقول شيئاً ومتى ولأى مدة، بشكل مؤسساتى أو غير مؤسساتى بدءاً من شكل رسمى للغاية حتى الشكل غير رسمى بهدف (فى العادة) تحقيق قرارات جماعية .

ويمكن أن يستمر عند المضى فى توضيح مفاهيم اجتماعية مختلفة ونظيمها فى تعميق تلك « التعريفات » للأشكال العرفية ذات التفاعل الاتصالى . ويمكن لمزيد من التخصيص أن يحدد أى موضوع حديث جاء دوره فى التفاعل . ويوجد بالنسبة لتلك الموضوعات فى المحادثة اليومية قيوداً أقل مما فى الاجتماعات أو تدريبات حلقة المناقشة . ويمكن أن يعاد تنظيم تلك الموضوعات ذاتها، إذ إنها تتعلق فى الغالب بخواص مستخدمى اللغة أو بعلاقات مستخدمى اللغة فيما بينها أو فى أحوال وأحداث فى ›العالم‹ .

ويضاف إلى ذلك معرفة مستخدمى اللغة وآراؤهم ومواقفهم ورغباتهم أيضاً فيما يتعلق بهذه الموضوعات فى العالم . ولذلك يمكن أن يتعلق التفاعل من ناحية المضمون بما يعرفه المتحدث، يريده، يمكنه، يعمله (عرفه، أراده ... الخ، سيعمله ... الخ) أو بما يعرفه السامع، يريده، يمكنه، يعمله (فى الحاضر أو الماضى أو المستقبل أيضاً) . لذلك يتعلق المضمون العام للاستفهام والاستجواب والمقابلة أيضاً بما يريد المتحدث / السائل أن يعرف عما يعرفه السامع، يريده، يجده، قد عمله وما أشبه .

٢٤٠ أمكننا فى هذه الحال أن نتحدث عن مضمون تداولى للتفاعل أيضاً،/ إذ إنه يجب أن تكون له علاقة ما بمقاصد المتحدث/ السامع فيما يخص وظيفة التفاعل . ويتعلق المضمون العام لعملية ما بالحقيقة القائلة بأن المتهم/ المدعى عليه قد عمل أو لم يعمل أو يجوز أن يعمل حدثاً، فى حق آخر/

الجماعة، وبحيث يكون ممنوعاً قانونياً؛ يكمن الهدف البراجماتى فى أن الحكم يمكن أن يصدره قاض عن ذلك، حيث حُدِّد شىء ما، نتيجة له يعاقب شخص ما أو يجوز أن تجرى أحداث معينة أو لا . وما يزال هذا قد صيغ بشكل عام إلى حد ما، ويجب أن يحدد لكل عملية مفردة تحديداً دقيقاً . ولا يتعلق الأمر فقط باستخدام المصطلحات المعالجة من قبل لوحدات التفاعل أيضاً على مستويات مختلفة، مثل بنية (مضمون) دلالى (عام) ووظيفة براجماتية .

وتعد برمجة التفاعل أو تخطيطه معياراً آخر لتمييز أنواع من التفاعل اللغوى . فيمكننا أن نضع خططاً لأحاديث معينة جزئياً (ما يختص بالموضوع العام للحديث مثلاً)، ولكن لا يبرمج ما يكون من ناحية أخرى ممكناً فى اجتماع أو مقابلة أو استجواب . بل إنه لا يبرمج ولا يخطط لخلاف ما فى الغالب، وهو ما يسرى على الثرثرة اليومية أيضاً . ويتعلق تخطيط تفاعل ما بالحكم السابق تقديمه (فيما سلف)، مع شخص معين فى وقت معين، يراد أن يتحدث عن موضوع معين بقصد معين، ولذلك يمكن فى حال كهذه أن يضم التفاعل اتفاقاً ما فى الغالب أيضاً (عند استشارة طبيب ما مثلاً) . ويتعلق البرمجة بالتنفيذ الحقيقى للحديث، وترتيب أفعال الكلام وتوجيه المشاركين فى التفاعل واستراتيجيات التفاعل وما أشبه .

ويتضح من هذا التخصيص غير الشكلى لمصطلح برمجة التفاعل أن تفاعلاً ما يمكن أن يوجه على نحو وبطريقة مخالفة . ويمكن أن يكون هذا التوجيه أحادياً (عند الاستجوابات وبعض الاجتماعات مثلاً)، بمعنى أن مشاركاً وحيداً فقط، أو مجموعة مشاركين يقررون من، ماذا، متى يجوز أن يقول فى التفاعل . وأخيراً يمكن أن توصف سلسلة أشكال تفاعل فعلية ممكنة من خلال مفهوم الصيغية Modalität (الأشكال الموجهة) وصفاً دقيقاً، الذى يستخدم هنا بوصفه مفهوماً علوياً لأسلوب الحديث ونغمته وكيفيته وما أشبه .

وهكذا فمن المعتاد أن يكون لخلاف ما أشكالاً موجهة / صيغية مخالفة للإفصاح عن الحب أو المداولة فى قاعة المحكمة . وقد رأينا من قبل أن تلك الخواص النصية واللغوية (التفسيرية) لمنطوق ما يمكن أن تؤثر فى الوقت ذاته فى تفسير الفعل الكلامى المعنى أيضاً تأثيراً شديداً، وهو ما يعنى فى هذا المقام من ناحية أخرى أنها يمكن أن تكون محددة للتفاعل الفعلى .

وبوصولنا إلى هنا تكون لدينا فى أثناء ذلك معرفة كافية عن الموقف الاتصالى والسياق الاجتماعى حتى يمكن أن نشرع فى معالجة تفصيلية للتفاعل الخاص بالمحادثة .

٢٤١

٧ ـ ٤ الحديث

٧ ـ ٤ ـ ١ مدخل ـ حديث ومحادثة

٧ ـ ٤ ـ ١ سنعالج فى هذا الفصل ـ ابتداء ـ الحديث على أنه شكل خاص للتفاعل اللغوى من الآن . وقد ذكر سبب اختيار هذا النمط النصى فى مطلع هذا الباب : وهو يكمن فى الفرض القائل بأن الأحاديث هى شبه «الشكل الأساسى » للتفاعل اللغوى، والاعتبارات التى يستند إليها هذا الفرض ليست ذات طبيعة تاريخية لغوية فقط . فالحديث اليومى يتقدم بالتأكيد على أشكال أخرى للكلام، وبكل تأكيد على أشكال الاتصال الكتابى : وترتكز هذه الاعتبارات أيضاً على معايير أكثر نظامية، أى : معايير تركيبية ووظيفية . وفى المقام الأول لا توجد بالنسبة للحديث بوجه عام قيود تصنيفية للمشاركين : فكل مستخدم للغة يمكن أن يشترك وسيشترك فى مواقف محددة باطراد فى أحاديث . وكذلك لا توجد قيود مضمونية ثابتة : ابتداءً يمكن أن يدور حديث حول أى موضوع برغم أنه توجد بالنسبة لأحاديث معينة قيود دلالية محددة . وكذلك قليلاً ما توجد قيود براجماتية : ففى الأساس يمكن

مع أحاديث ما أن تتوالى كل أشكال الأفعال الكلامية . وأخيراً لا توجد قيود فيما يخص السياق الاجتماعى : وفى أغلب السياقات يمكن أن تجرى أحاديث. ولذلك يمكن أن يقال بوجه عام إن الحديث هو الشكل الأساسى للتحاور وضبط أبنية اجتماعية فى التفاعل على المستوى الأصغر، أى : على مستوى العلاقات غير المباشرة بين المشاركين .

٧ ـ ٤ ـ ١ ـ ٢ ثمة مصطلحان يستخدمان غالباً بشكل مترادف، ينبغى هنا أن يفرق بينهما، هما : حديث ومحادثة . فالمحادثة وحدة تفاعل اجتماعية تتكون من سلسلة متشعبة من أحداث (لغوية)، وتحدد ارتباطاً بسياق اجتماعى . وعلى النقيض من ذلك فمن الأحرى أن يعد الحديث تجريداً لغوياً أو نظرياً نصياً، كالوحدة النصية التى تتشكل فى سلسلة منتظمة من المنطوقات التى تتجلى فى المحادثة . ولذلك نتحدث عن مشاركين فى المحادثة وتوجيه المحادثة ... الخ، بينما تكون مصطلحات مثل الترابط والتتابع ... الخ هى خواص للحديث. إن مصطلح الحوار شكلاً أعم، ويتعلق بالحديث / بالمحادثة وبأشكال أخرى للتفاعل اللغوى، على سبيل المثال بحوار بين قضاة ومدعى عليهم . ويتميز مصطلح الحوار بوجه خاص بأن الأمر فيه لا يتعلق بتفاعل أحادى .

٧ ـ ٤ ـ ٢ أشكال الحديث

نقتصر هنا على ما نريد أن نطلق عليه الحديث اليومى الذى تسرى عليه الخواص العامة المذكورة فيما سبق . غير أنه/ توجد أيضاً أحاديث ذات ٢٤٢ طبيعة أكثر خصوصية . ولذلك تستلزم قيود فئات المشاركين، والأفعال الكلامية الممكنة والمضامين والأسلوب والسياقات/ الأطر الاجتماعية .

وتمتاز الأحاديث اليومية بأنها أحاديث توجد فى سياقات غير رسمية بين مشاركين ، متساويين ، غالباً : عند الإفطار، فى المترو، على الطريق، فى الشارع وما أشبه . أما الأحاديث الأكثر خصوصية إلى حد ما فهى على سبيل المثال :

(٦) ١ - حديث الطلب (الحصول على شيء) .

٢ - حديث البيع .

٣ - حديث الدرس .

٤ - حديث الاختبار .

٥ - حديث الإذاعة أو التلفزيون .

٦ - الحديث المؤسساتى (مع موظف مثلاً) .

٧ - الحديث الطبى (مع طبيب، هيئة الرعاية مثلاً) .

٨ - الحديث العلاجى .

ويجب أن يضع المرء نصب عينيه هنا أن لمفهوم ، حديث ، فى الغالب المعنى الأعم للحوار (المنطوق) أيضاً، وهو ما يتضح مثلاً من استخدام مصطلحات مثل ، حديث تليفونى ، أو ، حديث عمل ، أيضاً . وتبين أمثلة (٦) أن أشكال الحديث غير اليومية تحددها المعايير المذكورة فى (٥) . وفى حديث طلب الحصول على شيء يتواجه المشاركون فى مقولة (دور) مقدم الطلب، ورئيس المستخدمين (أو ممثل ذلك الذى يستخدم أو يوظف) ، ويقتصر حديث البيع على أدوار مشترين وبائعين، وحديث الدرس على أستاذ وتلميذ، وحديث الاختبار على محاضر/ أستاذ وطالب، والحديث المؤسساتى على ممثل للمؤسسة (الدولة، المصلحة، الكنيسة وما أشبه) ومواطن، وعضو، وموظف وما أشبه، بينما تدور الأحاديث الطبية والعلاجية

بين طبيب وممرضة/ ممرض، مشرف (ـة)، محلل نفسى وما أشبه، ومرضى وزبائن، وشاغلى الدار وما أشبه .

سيكون الحديث ابتداءً فى كل هذه الحالات مخططاً : ففى العادة تعقد اتفاقات لوقت معين ومكان معين للحديث، وأحياناً بشكل واضح أيضاً لموضوع الحديث ووظيفته . وفى المقام الثانى توجه وتبرمج أغلب هذه الأحاديث من جانب واحد : يوجد مشاركون لهم الوظيفة/ الدور، لهم تقريباً خاصية مهنية أو غيرها، وهو ما يمكن أن يقال الحق أو الالتزام أيضاً بأن يحددوا موضوع الحديث، وينهوا الحديث، ويثيروا أفعالاً كلامية معينة وما أشبه .

كما أنه فى أغلب هذه الأحاديث يكون الموضوع العام محدوداً : فحديث طلب الحصول على شيء يجب أن يدور حول مؤهلات مقدم الطلب وخبراته وخططه، وحول قيود التوظيف والأجر ومعلومات أخرى عن المؤسسة القائمة أيضاً . ويتعلق حديث الاختبار أساساً بمادة متعلمة/ مدروسة أو بآراء ومواقف الطلاب تجاه/ المادة التعليمية المحددة . ويجب أن تعنى الأحاديث العلاجية بالحال الصحية الجسدية والنفسية للمريض، وربما بإمكانات الاستشفاء المقدمة . ٢٤٣

وأخيراً تدور تلك الأحاديث فى مكان نمطى، فى سياق/ إطار اجتماعى معين : حديث الطلب فى مؤسسة أو فى مكتب أو فى معهد؛ وحديث الدرس أو حديث الاختبار فى مكان تعليم، والحديث العلاجى أو الطبى فى حجرة العلاج للطبيب أو فى عيادة أو منشأة صحية (مستشفى وما أشبه) .

ويتضح بذلك أن كل هذه الأحاديث يمكن تمييزها بوضوح بناءً على المعايير المذكورة : فئة المشاركين، وعلاقاتهم المتبادلة، وموضوع الحديث ومسار تفاعل الحديث (الحوار)، والسياق/ الإطار .

٧ ـ ٤ ـ ٣ الحديث اليومى

٧ ـ ٤ ـ ٣ ـ ١ يمكن أن نستخلص مما حشدنا فيما سبق أنه لا توجد للأحاديث اليومية أية قيود عامة : أساساً يمكن أن يشترك كل واحد فيما لم يخطط من قبل، فيما لم يبرمج بشكل أحادى : لا يثبت موضوع الحديث مسبقاً ـ على الأقل بالتفصيل، ويمكن أن يؤدى فى سياقات مختلفة،ويكون له وظائف عدة ممكنة .

٧ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٢ يبدو للوهلة الأولى أنه لا توجد أية قواعد وقيود على الإطلاق للحديث اليومى، كما لو أن الأمر يدور حول شكل تفاعل فعلى ، غير متكلف ، بمعنى الكلمة . وفى الحقيقة هذا الانطباع غير صحيح، فالحديث يجب أولاً أن يفى بالشروط الأعم للتفاعل الاجتماعى التى عددت من قبل . وثانياً تكمن قاعدة الحديث اليومى فى أنه لا ترد قيوداً محددة . مثال ذلك أن متحدثاً وحيداً لا يجوز أن يحدد من يجوز أن يقول شيئاً ومتى . وثالثاً يتبين أيضاً أن الحديث اليومى أيضاً له بنية ، داخلية ، معيارية . ورابعاً وأخيراً لكل حديث خاص قيود من خلال الموقف الخاص والسياق الخاص : توجد بين الحديث بين شريكى الزواج والحديث بين الجيران والحديث بين راكبى المترو فروق منظمة .

٧ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٣ إلى جانب هذه القيود للأحاديث اليومية تلك الكيفية السياقية أيضاً . فيبدو من المعتاد ابتداء أنه لا يمكن ولا يجوز أن يوجد حديث ما حين يوجد أو ينبغى أن يوجد شكل آخر للتفاعل اللغوى . وهكذا لا يمكن ببساطة أن يبدأ حديث (شخصى) فى أثناء اختبار رسمى، بل لا يبدأ عند استجواب رسمى أو فى أثناء جلسة المحكمة . ويسرى مثل ذلك أيضاً حين

يكون الكلام ذاته مقيداً بوجه عام، كما فى فصل (مدار بشكل تقليدى) / أو ٢٤٤ فى أثناء الدرس أو فى المحاضرة أو مرة أخرى أمام محكمة . ويمكن فى تلك الحالات أن يوجد حديث فى السياق بين مشاركين غير أساسيين (المستمع السلبى مثلاً)، ومن ثم افتراض خاصية حديث فرعى ثانوى، وفى العادة يتم فى صوت مهموس أو بخفض على نحو أو آخر ويدار فى الخفاء، وهو ما يمكن عادة أن يرفضه مشاركون أساسيون فى التفاعل من فئة معينة مثل مدرسين أو قضاة، يطالبون بالهدوء !

٧ - ٤ - ٣ - ٤ على الحديث اليومى أن يفى أيضاً بالقيود العامة للتفاعل المقبول : فالأحداث يجب أن تجرى فى نظام معين وأن ينفذها عن وعى مستخدمو اللغة المختلفون . يجب أن يتصل بعضها ببعض، وأن تكون مهمة فى المجال الجزئى والمجل الكلى أيضاً وما أشبه ذلك . ويختص الحديث أيضاً بأنه يجب أن يتعلق الأمر فيه بتفاعل ثنائى منفذ بشكل غير جماعى؛ فيوجد عدة محدثين، وعدة منطوقات، ولا تتداخل المنطوقات بعضها فى بعض (أو على أقصى تقدير بشكل جزئى أو عرضى) . أما الخاصية المميزة التالية للحديث فهى الحقيقة القائلة بأنه يدار شفوياً : فالمنطوقات تنطق / تسمع، وفى السياق ذاته، متوالية بشكل مباشر . ويضاف إلى ذلك فى العادة أيضاً إمكانية الاتصال اللحظى (السريع) على الأقل بين المتحدثين : يجب أن يتلاقوا، إذ يمكن أن توجه الإنتاج والتفسير أيضاً حركات الشفاه وحركات الوجه وحركات وأحداث أخرى للمشاركين فى الحديث لتمييز الفعل الكلامى المعنى مثلاً تمييزاً سليماً، ولتفسير ألفاظ إشارية (مثل : هنا، هناك، ذلك، ذاك وما أشبه) تفسيراً صحيحاً ولفك أوجه الغموض، ولتقدير التهكم وما أشبه .

٧ - ٤ - ٣ - ٥   يمكن أن تصنف أحاديث يومية من الناحية السياقية والعامة بطريقتين : أولاً، يوجد فرق بين أحاديث خاصة وأحاديث عامة، إذ يوجد حديث خاص عادة بين أناس يعرف بعضهم بعضاً معرفة جيدة إلى حد ما أو معرفة جيدة جداً : أقارب ومعارف وأصدقاء وزملاء .

وللطبيعة الخاصة للحديث أيضاً نتائج بالنسبة لاختيار موضوع الحديث، وبالنسبة لأسلوب الحديث ووظيفته . ويمكن فى الأحاديث الخاصة أيضاً أن تطرح موضوعات (تيمات) شائكة (حساسة)، وهو ما يكون ممكناً بشكل محدود جداً فى حديث عام . فالحديث العام يجرى فى العادة بين أناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضاً إلى حد بعيد أو على الإطلاق .

ثانياً، يجب أن يفرق بين أحاديث مطلقة وأحاديث مقيدة، حتى حين لا يكون هذا الفرق فى الغالب إلا تدريجياً . يوجد الحديث المقيد بدرجة أو بأخرى بين شخصين أو بتعبير أكثر عمومية : فى سياق يكون فيه المشاركون فى الحديث وحدهم حاضرين أو الأشخاص الذين يسهمون فى الحديث على نحو أو آخر لهم مدخل إلى موضوع الحديث . فحين تتحدث زوجي معى، ويمكن أن يسمعنا الأطفال فإن الأمر يتعلق/ بحديث مفتوح . أما الأحاديث ٢٤٥ نصف المفتوحة فهى تلك التى يهدف المشاركون فيها ألا يسمع ما يقولون . ومع ذلك يوجد معهم أشخاص آخرون يمكن أن يتابعوا أجزاء من الحديث أو الحديث كله . وعلى هذا النحو تتضح الأحاديث الخاصة المفتوحة أيضاً، والأحاديث الخاصة المقيدة والأحاديث العامة المفتوحة والأحاديث العامة المقيدة . ففى حديث عام مقيد يمكن أن أسأل شخصاً ما عن الطريق، ومع ذلك يمكن أن أتحدث فى حديث عام مفتوح أيضاً مع سائق المركبة . وللأحاديث العامة المفتوحة خاصية نمطية، وهى أنها تسمح بمنصتين . ولا يجب هنا بالضرورة أن يصير هؤلاء المنصتون سلبيين : يمكنهم أن يصيروا متحدثين محتملين أو مستمعين (غير مباشرين) محتملين أيضاً . والأمثلة

النمطية لذلك : أن أسأل أحد المارة عن الطريق بينما يسمع مارة آخرون هذا: وفى هذه الحال للمارة الآخرين أيضاً دون أن يكون قد وجه حديث إليهم مباشرة، الحق فى أن يتدخلوا فى الكلام . ومثال آخر هو الطبيب الذى يقدم عند سرير المريض تعليمات معينة للممرضة أو يطرح أسئلة، بحيث يحصل المريض ذاته على معلومات حول ذلك أيضاً . نرى الآن أن المرء يمكن أن يقيم فرقاً بين سامعين ومنصتين ومخاطبين ومستمعين غير مباشرين ومخاطبين غير مباشرين .

٧ - ٤ - ٤ بنية الحديث والمحادثة - بنية صغرى

يجب أن يفرق على مستوى النص - أى : السلسلة المنتظمة من منطوقات، وعلى مستوى المحادثة أيضاً - أى : السلسلة المنتظمة للأفعال الكلامية، بين بعض سمات تركيبية مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً . وهكذا يدور الأمر حول بيان أن السلاسل ليست اعتباطية، بل إن نظامها محدد بقواعد واستراتيجيات عرفية . ومع هذا الوصف التركيبى سنضع الفروق ذاتها كما هى الحال مع وصف نصوص أحادية، وتتابعات الفعل الكلامى، مستكملة بعدد من الخواص المميزة لنصوص الحديث اليومى .

ابتداء يجب أن نفرق بين مستوى جزئى؛ مستوى - أصغر، ومستوى كلى؛ مستوى أكبر - ويتعلق التحليل فى المستوى الأول بالمنطوقات المنفردة وعلاقاتها، وفى المستوى الثانى ببنية الحديث ككل، بوحدات تحليل أكبر أو بمستويات وصف أكثر تجريداً مثلاً . ويسرى هذا التفريق على بنية الحديث وبنية المحادثة أيضاً : إذ يمكن أن نصف حديث ما بمصطلحات نحوية (مورفولوجيا، ونحو، ودلالة) وأبنية نظرية نصية (أسلوب، وأبنية بلاغية وهياكل (مخططات))، بينما تسرى على المحادثة اصطلاحات براجماتية

ومصطلحات خاصة بنظرية الحدث ومصطلحات إدراكية واجتماعية . وتعد مهمة ربط هذين الفرعين للتفاعل اللغوى ببعضهم ببعض جديرة بالاهتمام والأهمية .

وفى هذا الفصل سوف نعنى بادىء ذى بدء مع البنية الصغرى / بالنص والمحادثة، أى بالمنطوقات والأفعال الكلامية الخاصة بهما ٢٤٦ وبكيفيات تنظيمهما .

٧ ـ ٤ ـ ٤ ـ ٢ نحتاج إلى جانب المصطلحات الواردة من قبل فى هذا لكتاب فى وصف بنية النص والأحداث إلى مصطلح آخر، هو مصطلح الدور (التناوب) Turn [٧]، لوصف النص والمحادثة . فقد رأينا أنه فى أشكال تفاعل متتابعة متبادلة، يتبادل المشاركون المحتملون فى التفاعل بوصفهم أولئك الفاعلين لأحداث متتالية (أدوارهم) . فالوحدة التركيبية التى تحدد بأنها ما يعمله متحدث ما أو ما يقوله فى أثناء إسهام مستمر فى التفاعل يطلق عليها دوراً (تناوباً) . ونستخدم المصطلح الإنجليزى (turn) ، لأنه لا يوجد فى الألمانية مصطلح مطابق له (باستثناء تعبير (حل الدور) أو « الإسهام المساء فهمه فى الحديث ») .

إن مصطلح (دور) من الناحية النظرية غامض، فهو يمكن أن يمثل على مستوى النص، أى؛ وحدة الحديث . وفى هذه الحال يكون الدور لمنطوق متحدث ما (وبنيته المجردة « التحتية ») معادلاً لمكون تتابع المنطوق لعدة متحدثين . ومع ذلك نريد أن نصف الدور من خلال مفاهيم خاصة بنظرية الحدث بوصفه حدثاً ينجزه مستخدم اللغة فى التفاعل الفعلى . ومن ثم يكون الدور وحدة المحادثة . سوف نبقى هنا أيضاً على هذا الغموض الاصطلاحى مؤقتاً، بحيث يمكن أن يعد الدور هو إسهام متحدث ما فى

---

(٧) حول مصطلح دور، قارن هنه وربوك Henne & Rehbock (1979) .

حديث، أى : بوصفه منطوقاً (= نتاجاً لغوياً) - وإسهام فى محادثة - أى : بوصفه فعلاً كلامياً . ذلك الغموض ممكن، لأن المصطلح (دور) فى الحقيقة هو مقولة تركيبية - وظيفية : يتضمن أن وحدات الحديث ووحدات لامحادثة معلمة بالنسبة لمتحدثين مختلفين . وبعبارة أخرى : يترابط مصطلح تبدل - الدور بمصطلح دور ترابطاً تلازمياً - فإذا لم يوجد تبادل للدور فإ مصطلح › دور ‹ فى الحقيقة غير مجدٍ .

يجب أن يضاف إلى إمكانات أن يحال نص ما على أنه تتابع للجملة (على المستوى التركيبى) وتتابع القضايا (على المستوى الدلالى) وتتابع الفعل الكلامى (على المستوى البراجماتى)، ومحادثة ما على أنها تتابع أحداث لغوية وأحداث أخرى مهمة للاتصال، مبدأ تركيبى آخر للنص والمحادثة أيضاً : نستطيع أن نجزأهما أيضاً من خلال مصطلحات الدور وتبادل الدور .

وهكذا نحتاج إلى قواعد › تركيبية ‹ أخرى، تحدد على أى نحو تنظم أدوار، وقواعد › مورفولوجية ‹ تخبر عما يمكن أن تكون الأدوار - أى : ما خواصها الشكلية - وقواعد › دلالية ‹ أيضاً، تحدد أية أبنية (معنوية وإحالية) دلالية يمكن/ أن تلحق بهذه الأدوار وأبنية الدور . وربما نكون لهذا قادرين ٢٤٧ على أن نقف على نحو للحديث . ومع ذلك فما يزال لا يمكننا على هذا النحو أن نعمل بشكل منظم فى هذه اللحظة : فنحن لا نعرف بخلاف ذلك إلا القليل للغاية عن أبنية الأحاديث ومكوناتها ووظائفها . لذلك سوف نقتصر هنا على ملاحظات بسيطة على المستويات المختلفة للحديث، حيث إننا سنلتزم بالأطر النظامية للتحليل فى الفصول السابقة .

٧ - ٤ - ٤ - ٣ نظراً لأن أبنية الدور ومخططاته على النحو الذى ناقشناه فيما سبق، فى الحديث تنقل إلى تتابع منطوقات محدثين متتاليين،

فيمكن أن يوصف أيضاً تتابع السلاسل لأدوار جائزة من خلال مصطلحات تتابع سلاسل المنطوقات . فمن الأيسر إذن أن توصف إمكانات التأليف لمنطوقات فى نصوص حوارية على مستوى مورفولوجى - تركيبى ودلالى وبراجماتى .

ما يخص الأبنية السطحية للأحاديث يمكننا أن نختصره، وننطلق أساساً من أن منطوقات تلك الأدوار تفى بالقواعد النحوية على مستوى الجملة بشكل عادى . ولذلك توجد قواعد عادية للاستبدال الضميرى فى جمل متتالية وتنظيمات جملية موضوع - محمول محددة وأبنية شبه نحوية ذات علاقة بالأبنية النحوية المتقدمة، التى تجعل تفسيرها ممكناً (كالإجابات أو ردود الفعل مثل لا أو أنا إياه أو لا تسرع مثلاً) وما أشبه .

وتوجد فى لغات كثيرة ألفاظ خاصة تحدد بداية الأدوار أو انقطاعها أو نهايتها (انظر كذلك ما يلى) مثل : أى نعم، أخ وما أشبه .

وعلى الرغم من أننا افترضنا أن المنطوقات يجب أن تتبع فى حديث ما فى الأساس قواعد نحوية عادية، فلا يمكن أن يعنى ذلك أن كل منطوق فى دور ما نحوى بالضرورة . فسوف نرى فيما يلى أنه يحدث غالباً أن متحدثاً ما يقاطع فى وسط الجملة من المتحدث التالى، وهو ما يجعل منطوقه فى الواقع شبه نحوى . ومع ذلك فإن هذا التصور ليس مناسباً تماماً، إذ يمكن أن يفترض أنه إذا لم تقع المقاطعة، فمن المحتمل أن يكون المنطوق عادياً من الناحية النحوية . وينبغى علينا لذلك أن نتحدث، بدلاً من الحديث عن منطوقات شبه نحوية، عن مصطلح يسرى على بنية › كاملة ‹ للجمل، من الأفضل أن نتحدث عن (منطوقات) متجزئة، وبعبارة أخرى : نقل أدوار إلى تتابع المنطوق لا يحتاج إلى أن يحدد بحدود الجملة، حتى حين يمكن أن تكون تلك هى الحال غالباً فى واقع الحديث .

ما يزال الشرط المذكور لنحوية المنطوقات فى حديث ما مقيداً أيضاً بالإشكالية المنهجية المعروفة حول الفرق بين المقدرة اللغوية (الكفاءة) والاستخدام اللغوى (الأداء) . فقد وصفنا متفقين مع المناهج المستخدمة فى علم اللغة بنية النص حتى الآن على مستوى تجريدى نسبياً للقواعد والمقولات والأبنية ./ وخططت إلى جانب ذلك نظرية معرفية عن إنتاج ٢٤٨ النصوص وفهمها، حيث وضح أن القواعد النحوية طبقت عند استيعاب النص على نحو خاص، وأنه توجد استراتيجيات للاستيعاب الانفعالى للنص، وأنه ترد قيود ذاكرة وانتباه وإنتاج بالضرورة .

ويمكننا بشكل تجريدى أن نصف أبنية الأحاديث فى الواقع من خلال مصطلحات نحوية وبخاصة من خلال نظرية النص، بل ستقدم العوامل الإدراكية والاجتماعية التى عالجناها، لأحاديث فعلية فى حالات كثيرة بنية أخرى تماماً . وعلى هذا المستوى الأخير للوصف يجب أن تناقش البنية المجتزأة وشبه النحوية لإسهامات الحديث : البداية الخاطئة والتصحيح وتكرير الكلمات والأخطاء عند الكلام وما أشبه . ويمكن جزئياً أن ترد تلك المنطوقات ببساطة إلى عوامل عارضة عند إنتاج النص . ومع ذلك فإن هذه العوامل المسماة ‹ بالأداء › نسقية وذات تجل منظم لتفاعل استراتيجى، حيث يمكن أن يكون للتردد والتكرير والتصحيح وما أشبه وظيفة مهمة . لا ينبغى أن يستمر هنا فى مناقشة المشكلات المنهجية الخاصة، التى لها ارتباط بتحديد موضوع علم اللغة أو علم النص من جانب وعلم النفس وعلوم الاجتماع من جانب آخر .

فى الحقيقة نفترض أنه يمكن أن توصف أبنية مجردة للنصوص والأحاديث وإلى جانب ذلك وارتباطاً بها البنية الفعلية للنصوص والأحاديث بوصفها منطوقات أيضاً، التى تحدد بعوامل نظامية (نسقية) وعرضية،

إدراكية واجتماعية مختلفة . ونولى انتباهنا فى هذا الفصل إلى مستوى الوصف .

٧ـ٤ـ٤ـ٤ كما هى الحال مع النصوص بوجه عام يمكن أن يرى مع الأحاديث أيضاً، أن الخواص الدلالية والبراجماتية هى الأكثر أهمية والأكثر تميزاً، إذ يدور الأمر أساساً فى الحديث أيضاً حول الوجهة المعنوية والوظيفية للتفاعل الاتصالى : يريد متحدثون بوجه خاص أن يفهمهم المتحدثون الآخرون - بوصفهم مستمعين - فهماً جيداً، وأن يعرفوا ماذا يتوقع منهم .

وعلى المستوى الدلالى والبراجماتى أيضاً يجب أن تخضع الأحاديث للقواعد النحوية والنصية المعتادة . وبالنسبة للمنطوقات فى إطار الأدوار يعنى هذا أن الجمل يجب أن يكون من الممكن تفسيرها، وأن عدة جمل يجب أن تكون متماسكة أفقياً : ثمة ربط داخلى للقضايا بناءً على علاقات بين الموضوعات وعلاقات إحالية بين الأفراد والخواص وعلاقات من الإطار ذاته أو من أطر مترابطة بعضها ببعض، وبناءً على الأهمية بالنظر إلى أبنية كبرى وما أشبه . ومع ذلك فإن ذلك يسرى مع تغييرات ضرورية على العلاقات الدلالية والبراجماتية أيضاً بين منطوقات ذات أدوار مختلفة، وبعبارة أخرى : يُنَظَّم تتابع/ الأدوار أيضاً من خلال الأبنية والقيود الدلالية ٢٤٩ والبراجماتية الأساسية . ولذلك يجب أن تكون الأدوار متماسكة أفقياً من خلال أوجه ربط داخلى ممكنة (شروط/ نتائج ممكنة أو محتملة أو ضرورية) وعلاقات إحالية وما أشبه :

(٧) أ : لن آتى اليوم مساءً !

ب : ألأن هانز جاء ؟

(٨) أ : لن آتى اليوم مساءً، لأن هانز قد جاء .

ب : بيد أنه لم يفعل لك شيئاً !

(٩) أ : لن آتى اليوم مساء !

ب : أنا أيضاً لن !

(١٠) أ : حلمت أنى عملت حادثة .

ب : وماذا حدث بعد ؟

تتضح فى هذه الأمثلة لمجتزآت (مركبة) لأحاديث، الظواهر المعتادة للتماسك الدلالى : ففى (٧) يمكن للمتحدث الثانى (ب) أن يطلب معلومة فيما يتعلق بموضوع يقدم تعليلاً للموضوع الذى ذكره المتحدث الأول (أ) . وفى (٨) يمكن لـ (ب) ذى الضمير (هو) أن يحيل إلى شخص ذكره (أ) (مطابقة إحالية) بينما فى (٩) يمكن أن يحذف المحمول، إذ إن (أيضاً) قد أضيفت بناءً على مطابقة فى المحمول . وأخيراً فى (١٠) يظهر أن المتحدث الثانى يمكن أن يحول فى الحال إلى أحداث فى العالم الممكن ذاته مثل الذى أدخله المتحدث الأول . ولذا فإن (١٠) (ب) لا تفسر فى العادة على أنها سؤال فيما يتعلق بما حدث بعد الحلم . وهكذا نقرر أن علاقات الربط المعتادة المتحدث عنها من قبل (على الأقل بالنسبة لأمثلة واضحة) بالنسبة للمنطوقات توجد فى الحديث .

٧ـ ٤ ـ ٤ ـ ٥ نتوصل من خلال المستوى البراجماتى للتحليل إلى ما يشبه الحد بين بنية الحديث وبنية المحادثة، لأننا هنا لنا علاقة بتتابعات الأفعال الكلامية . ويمكننا أن نتحدث هنا بشكل صارم عن علاقات تماسك دلالى أيضاً بين الأدوار حيث نعدها أفعالاً كلامية متتالية . إن المبدأ الأول الذى يلعب دوراً هنا هو الربط الداخلى (Konnexität) : يجب أن تكون

الأدوار فى الحديث أو المحادثة أساساً مترابطة داخلياً بشكل ثنائى . فزوج من الأدوار يكون مترابطاً داخلياً حين تكون الأدوار ذات صلة موضوعية متبادلة . وبينما يعنى هذا على المستوى الدلالى أن الإحالة قد وجدت فى موضوعات مترابطة بعضها ببعض، فإن الأمر يتعلق هنا بإحالة بين أفعال كلامية أو بإحالة بين أفعال كلامية وأخرى فى أحداث اتصالية متضمنة فى المحادثة . ومن جهة أخرى فإن الفعل الكلامى تارة أخرى هو شرط لمكون أو نتيجة لفعل كلامى آخر، على نحو ما نوقش فى الفصل الثالث .

ففى مثال (٧) السؤال فى (ب) هو نتيجة للزعم فى (أ)، إذ/ ٢٥٠ يتعلق بمعلومات أكثر، لم تقدمها (أ) . وفى (٨) أيضاً المنطوق فى (ب) نتيجة للمنطوق (أ) . وفى الحقيقة هو اعتراض أوضحه الرابط (بيد أنه) أيضاً . وفى (٩) المنطوق (ب) نتيجة للمنطوق (أ)، إذ إن (ب) يقول شيئاً عن هذا الحدث . وبذلك يؤكد قبول (أ) فى الوقت نفسه . ويمكن مقارنة العلاقة فى (١٠) بالعلاقة فى (٧) . ففى هذه الأمثلة ـ التى تضم فى كل دورين ـ يكون المنطوق الثانى دائماً نتيجة الأول . ويمكن أن يتضح أن ذلك غير عادى من خلال المثال التالى الذى يكون فيه المنطوق الثانى نتيجة للأول . ومع ذلك يعد المنطوق الأول فى الوقت نفسه شرطاً للمنطوق الثانى :

(١١) أ : هذا الجو بارد بعض الشيء !

ب : أينبغى أن أغلق النافذة ؟

يمكن أن يدرك المنطوق (أ) بوصفه اقتراحاً، ومن ثم طلباً غير مباشر، ويتوقع من (أ) رد فعل عليه، يرد مع هذا العرض أيضاً . أما العلاقة شرط ـ نتيجة، فى الثنائيات سؤال ـ إجابة فهى أكثر صرامة :

(١٢) أ : ما اسمك ؟ ب : بيتر .

ففى هذه الحال السؤال (أ) شرط محتمل بدرجة أو بأخرى

للإجابة الضرورية (اجتماعياً) (ب) . ويطلق على ثنائيات الفعل الكلامي التي تترابط ثنائياً على هذا النحو ثنائيات متجاورة (متاخمة) adjacency pairs [٨] . أما الأمثلة النمطية لتلك الثنائيات «المتاخمة» فهي سؤال وإجابة، تحية ورد التحية، تهنئة وشكر، وعرض ورفض / قبول، طلب ورفض/ موافقة وما أشبه . في كل هذه الحالات يتوقع من المتحدث حدث لغوي خاص بالنسبة للمتحدث الآخر، ولذلك يجب أن يعد المنطوق الخاص إعداداً و/ أو شرطاً للمنطوق الثاني . ولذلك يمكن في هذه الحال أن يتحدث عن توجيه مبرمج (جزئي) للحديث من خلال أحد المتحدثين أيضاً .

وربما يتمسك كذلك بأنه يمكن أن يفرق بين أدوار حرة وأدوار مقيدة . وفي الواقع ليس هناك أي حدث لغوي مفرد مقيد وفق مبدأ الحدث الحر من خلال تفاعل غير محدد . ولكن يمكن مع ذلك أن يقال إن متحدثاً ما على سبيل المثال ملتزم بعد سؤال أن يقدم إجابة معينة (وهو ما يمكن أن يكون بداهة سؤالاً مضاداً أيضاً) . فالدور المتقدم على الدور لمقيد يمكن أن يبني سياقاً، بحيث يكون للمتحدث التالي الخيار فقط من كم محدد من الأفعال الكلامية، وكم محدد من المعلومات الدلالية . ولذلك فهذه الضرورة أو الالتزام ذو طبيعة اجتماعية، ويمكن أن يرفض اجتماعياً مع عدم وروده، حين لا يرد تبادل للموضوعات (انظر ما يلي)/ يجب أن يرتبط كل دور ٢٥١ تالٍ وفق مبادىء الربط بالدور المقدم، ولكن كيف حدث ذلك هو في الأساس مسألة غير محددة مرة أخرى، كما هي الحال في الأمثلة (٧) حتى (١٠) .

ومع ذلك يمكن أن نستمر في توضيح دقيق للفرق بين أدوار حرة

---

(٨) حول مصطلح « ثنائية متجاورة (متاخمة)، قارن أعمال Sacks, Sacks (1972 a, b) وآخرين (1974) .

وأدوار مقيدة فى أحاديث/ محادثات، يفترض فيها أنه فى بعض الحالات يكون للدور المقيد مقيداً تركيبياً، وفى حالات أخرى مقيداً عرفياً (فقط) . وفى الحال الأولى ليس للأدوار إلا وظيفة خاصة متبادلة كما هى الحال مع السؤال والإجابة أو العرض والرفض . وفى الحالات الأخرى يتعلق الأمر بثنائيات متجاورة / متاخمة أيضاً، ومع ذلك لا تبين تلك أية علاقات وظيفية ملازمة، بل علاقة ترتكز على عادة، كما فى الثنائية ‹ تهنئة وشكر› . وحتى حين يرد على تهنئة فى الغالب بشكر، فإن لدى المرء أيضاً إمكانية ألا يجيب أو يرد بشيء آخر، دون أن تنتهك هنا قواعد التفاعل الجوهرى، ومع ذلك فإن هذا الانتهاك هو الحال حين لا يجاب عمداً عن سؤال ما، إذ إن وظيفة السؤال تكمن فى الحصول على إجابة، بينما لا يمكن أنى قال إن وظيفة التهنئة تكمن فى الحصول على منطوق الشكر . وعلى الرغم من أهمية هذا التفريق لا يمكن أن يستبعد بالتأكيد صيغ الانتقال التى يستخلص من خلالها بشكل غير دقيق الحد بين › العادة ‹ و › القاعدة ‹ (أو › المعيار ‹) وترفض فيها اللاستجابة فى كلتا الحالين بحكم عدم اللياقة .

٧ - ٤ - ٤ - ٦ لا تحدد محادثة ما بأنها أدوار وأفعال كلامية فحسب، بل تتضمن أيضاً ، عملاً ، آخر، وأحداثاً أخرى تؤثر فى التوجيه والتفسير الصحيحين للأفعال الكلامية وفى التفاعل الاتصالى . وقد ذكر عدد منها مع الخواص العامة للأحاديث والتفاعلات : الاتصال المرئى (بحث، تشبث، تجنب)، وحركات وتعبيرات الوجه (ضحك، وابتسام بشماتة، وغضب وانشراح الصدر، وتساؤل، وبحلقة) والإبقاء على مسافة أو الاقتراب بشدة، والإمساك، والعناق، والربت وما أشبه .

وتؤكد هذه الخواص النصية الموازية للمحادثة التماسك الأفقى

للحديث، فهى لا تحدد فقط التفسير السليم لتلك المنطوقات أيضاً، فيمكن أن تكون نتائج أو شروط عادية لأفعال كلامية متقدمة أو مضافة للمحادثة . فحين يزعم متحدث (أ) يتبع استراتيجية، لكى يقنع (ب) أيضاً، وكذلك حين لا يقال إلا : أصحيح حقاً ! . ويجوز أن يرد على رد فعل الغضب بتأكيد المقاصد الحسنة مرة أخرى . ويجب فى وصف مجرد لتلك العلاقات الاتصالية على مستويات مختلفة (نص وحركات) أن نربط عملاً نصياً موازياً مغايراً بمضامين مؤثرة وإدراكية . وهكذا تنقل على سبيل المثال إلى ›قضايا ‹ . وعلى هذا النحو ينشأ الترابط/ على المستوى الدلالى أو البراجماتى [٩] . ويصير الوجه المتسائل إذاً متكافئاً من الناحية الوظيفية مع الفعل الكلامى بوصفه حدثاً حركياً / تعبيراً بالوجه، لفعل كلامى، والوجه الغاضب مكافئاً لمضمون دلالى لجملة، مثل : سأغضب . سنتحدث عن عمد مؤقتاً عن « العمل » إذ ليس الأمر دائماً، كما هى الحال مع الفعل الكلامى، أن المتحدث على وعى بتعبيرات وجهه أو حركاته أو أحداث جسدية أخرى، وحتى حين يمكن يرجح أنه يمكن التحكم فيها أساساً . ولذلك تعد أحداثاً بمعنى صارم إلى حد ما، كارتفاع نغمة المنطوق ذاته، وسرعة الكلام والنبر وشدة الصوت وما أشبه مثلاً .

لا يمكن هنا بخلاف ما أمكننا أن نقدم من بعض الأمثلة أن نتطور نظرية حقيقية للخواص النصية الموازية للمحادثة والكيفية التى يحدد من خلالها مسار المحادثة . ومع ذلك فقد تحدد أن الأمر لا يتعلق بعوامل فرعية، ولا يوجد سبب أيضاً لماذا تجرى الأحاديث التليفونية على نحو مخالف من وجوه كثيرة للأحاديث فى حضور مباشر .

---

(٩) قد أجرى بيردوستل Birdwistle (1970) تحت اسم (Kinesics) علم حركات الجسم، تحليل الحركات خاصة .

٧-٤-٤-٧ أخيراً يجب أن نتساءل أيضاً إلى أى مدى تحدد العوامل الإدراكية والاجتماعية للتفاعل الاتصالى الترابط الأفقى للحديث . إن متحدثاً ما فى محادثة ما يمكن ابتداءً أن يرد بشكل مناسب ومترابط على ما قاله المتكلم السابق، إذا فهم منطوقه وفعله الكلامى وعمله النصى الموازى . هذه العملية للفهم قد عولجت بالتفصيل فى الفصل الأخير .

ومع ذلك ففى المحادثة لا يدور الأمر حول فهم المنطوقات ذاتها فحسب، بل حول فهم وظائفها فى الحديث . أولاً، يجب أن يفهم المستمع أى فعل كلامى يقصد المتحدث بمنطوقه . وقد رأينا ما مواضع الربط التى تتاح للمستمع بالنسبة لذلك التفسير البراجماتى . ثانياً، يجب أن يضع مستخدم اللغة فى الحديث فروضاً كافية إلى حد بعيد عن مقاصد المتحدث المتقدم أو حول قصود تتعلق بما يتوقع من السامع، وما يريد أو يأمل المتحدث أن يعمله السامع، وكيف يرد السامع بوصفه المتحدث التالى .

وعلى العكس من ذلك لا يجب أن يضع متحدث ما عند إنتاج أدوار تكملة مترابطة للحديث وفق فهمه الخاص لأدوار الفعل الكلامى المتقدم فحسب، يجب فى الوقت نفسه أن يمس الاستعدادات الضرورية والاستراتيجية، ليحقق قصود التفاعل الحقيقية . وسوف نرى فيما يلى أن هذا يتطلب فى الحديث أيضاً التخطيط التركيبى الأكبر المتحدث عنه من قبل، / ٢٥٣ ولكن المتحدث يجب أن يضمن على المستوى الجزئى لتتابع الدور أيضاً التأثير الاختيارى لفعله الكلامى . ولا تعنى ‹‹ اختيارى ›› أن يفهم ما يقصده المتحدث دائماً بسرعة ما أمكن ذلك، بل يمكن أن تعنى أيضاً أن المتحدث يريد أن يخفى مقاصد معينة . وينفذ من خلال ذلك مثلاً أفعالاً كلامية غامضة أو غير مباشرة . حين يحلل الدور الاستراتيجى أو التكتيكى لدور ما (أو لأفعال كلامية فى دور ما)، فى التفاعل، يتحدث غالباً عن حركة (move) .

وفيما يخص الاستعداد الاستراتيجي لمجرى الحديث لا يجب أن يتمكن المتحدث من قواعد الحديث العامة فحسب، بل يجب أن تكون لديه في الوقت نفسه معرفة خاصة عن السامع أيضاً، يكون من خلالها قادراً على توقع ذلك الذي سيقوله السامع أو على أي نحو آخر يمكن أو سوف يرد السامع .

وهكذا يجوز مثلاً لمتحدث ما، يعرف أن قول (ق) يمثل بالنسبة للسامع قذفاً، أن (ألا) يجعل هذا القول قصداً تبعاً لرغبة المتحدث فيما يتعلق بموقف السامع تجاهه . وقد رأينا في مثال الحوار في الفصل الثاني أن أقوالاً تخطط وتنفذ غالباً بوصفها شروطاً وظيفية (ضرورية أو ممكنة)، ليمكن إقامة المنطوقات التالية . فالشخص الذي يريد أن يقرض مبلغاً كبيراً من المال سيبدأ بالتأكيد في المقام الأول بتوضيح الأسباب التي يحتاج من أجلها للمال أو يطل هذه الحال أيضاً . وفي حال كهذه يكتسب الحديث من جوانب عدة خاصية حل المشكلة : توجد مهمة محددة والمتحدث ذاته قد قام باتخاذ خطوات (حركات) اختيارية ليمكنه إنجاز هذه المهمة إنجازاً مرضياً، يريد من خلالها مثلاً أن يحقق هدفاً معيناً مثل التأثير على معرفة المتحدث إليه أو رأيه أو قرار له أو حتى فعله . يتطلب كل ذلك جميعاً عملية إدراكية معقدة للغاية عند إنتاج تلك المنطوقات للحديث : فالمشارك يجب أن يضع تفسيراً سليماً لما قيل على المستوى الدلالي والمستوى البراجماتي أيضاً، يجب أن يختزن هذا التفسير بشكل مناسب في الذاكرة، ويجب أن يحال رد فعله الإدراكي الخاص على ما قيل، ويجب أن يرتب رغباته الخاصة المحددة لأفعال كلامية أخرى ممكنة، ويجب أن ينفذ بشكل اختياري بكل مستويات المنطوق والسلوك النصي الموازي، من الناحية الاستراتيجية كل هذه الأفعال الكلامية - طبق عملية إنتاج للجملة والتتابع، معقدة مخططة في الفصل الأخير - ويضبط ردود الفعل الظاهرة المباشرة للمشارك الآخر في الوقت

نفسه، ولذلك من المحتمل أن يغير البنية الكبرى والقضايا المفردة والأسلوب .
وهكذا نرى أن التعقد العجيب للحدث الإدراكى يتجلى بوضوح أشد فى الحديث . إننا لا نريد أيضاً أن نتعمق فى تفاصيل هذه العملية ـ إننا نريد آخر الأمر أن نفهم خاصة ما المبادئ الأساس التى تتحقق حقيقة عند الإجراء الإدراكى للحديث .

٧ ـ ٤ ـ ٤ ـ ٨ ما يزال السؤال عند تحليلنا الأصغر للحديث مطروحاً، ٢٥٤ وهو كيف تؤثر الأبنية الاجتماعية فى ترابط الحديث، وإلى أى حد تحدد فئة المشاركين مثلاً منطوقاتها الممكنة، وبخاصة تنظيمها فى تلك الأدوار الخاصة بالحديث، وكيف ترتبط الأحاديث بالإطار الاجتماعى ؟

قد صار واضحاً بالنسبة لأنواع الحديث غير الأحاديث اليومية أن دور المتحدث أو موقعه يؤثر تأثيراً معيناً فى تخصيص الأدوار ومضمونها ووظيفتها وطولها : ففى الاجتماع يحدد الرئيس، من ومتى وعن أى شيء ولأى مدة يمكن أن يتحدث، ويتحدد من خلال ذلك المسار الفعلى للاجتماع. ويسرى ما يشبه ذلك على استجواب أو مقابلة أو حديث دعاية . ولكن يمكن أن يحدث فى الحديث اليومى أيضاً أن أحد المتحدثين بناءً على دوره أو وضعه أو سلطته يؤثر فى مجرى الحديث من خلال مفهومه تأثيراً شديداً . ففى الأُسَر يحدد الوالدان بشكل تقليدى حديث المائدة ـ وثمة عرف هنا أيضاً، وهو أنه لا يجوز لمتحدثين ذوى وضع اجتماعى عال بلا شك أن يقاطعوا . وأخيراً تتعلق تلك القيود بعضها ببعض من خلال السياق الاجتماعى الخاص بإلمام المتحدثين/ بشهرتهم : ففى إطار ظروف معينة مقيدة جداً فقط يمكن أن يبلغ المرء شخصاً غريباً أشياء محددة أو يسأله عن أشياء محددة . وكذلك حين يسأل شخص ما عن الطريق فإنه يبدأ لذلك غالباً بأشكال عذر : أرجو المعذرة من فضلك، أيمكنك أن تقول (لى)، أين ... .

ويستنتج من ذلك أن أعضاء الحديث يجب أن يقوموا قبل الحديث وفى أثنائه بتصنيف مناسب للمشاركين بشكل مستمر . ويحدد هذا التصنيف أساساً أى أفعال كلامية يمكن أو يجوز أن ينشئها عضو آخر، ما يمكن أن يقال، وفى أى أسلوب ينبغى أن يعبر عن ذلك، وعلى أى نحو تقع المنطوقات فى تتابع أدوار أيضاً . وهكذا يمكن أن يفسر المنطوق ذاته فى حديث مع وجود سامع بأنه أمر، بينما يكتسب فى حديث مع ، ندٍ ، خاصية نصيحة جيدة . وخلافاً لأشكال الحديث الأخرى لا يرتبط الحديث اليومى بشكل غير مباشر إلا بإطار اجتماعى . فالأطر هى بدرجة أو بأخرى أبنية ثابتة لأطر نمطية أو تقليدية لأحداث اجتماعية، يحقق من خلالها المشاركون عادة تصنيفات خاصة .

ويمكن أن تكون الأفعال الكلامية أجزاء ملازمة لتلك الأطر، مثل طلب الطعام فى مطعم، وشراء تذكرة سفر من الشباك، والدفاع عن مدعى عليه أمام المحكمة . وتتكون الأطر أحياناً من أفعال كلامية فقط، كما هى الحال فى مناقشة عامة أو اجتماع . الحديث ككل يمكن أن يكون أيضاً عنصراً ممكناً (اختيارياً) لإطار واقعى، مثل حديث فى مترو الأنفاق مع مسافر آخر. وعلى الرغم من أنه لا توجد فى /حال كهذه قيود أعم للحديث ومدته ٢٥٥ أيضاً ـ نتيجة للحال مثلاً أو لمعرفة شركاء الحديث، فإنه يبدو أنه لا توجد بين بنية الإطار والحديث ذاته أية علاقة مباشرة : إذ يمكن أن يقع الحديث فى مواقف اجتماعية مختلفة كثيرة، ولكن يتأثر بشكل غير مباشر بالإطار المعنى: فبرغم أننا ندير حديثاً مع صديق فى مطعم أو فى الترام، فلا يؤثر ذلك فى بنية الحديث إلا بالكاد، فى الغالب فى موضوع الحديث (الطعام، وسيلة المواصلات) . إن الحرية النسبية المسلم بها من قبل، أى : ، رفع الكلفة ، لأدوار الحديث اليومى هى توضيح للحقيقة القائلة بأن الأحاديث ليست ببساطة صوراً (منسوخة) للأطر الاجتماعية المعالجة من قبل .

وفى الحقيقة يمكن فى أطر اجتماعية أن يكون ، لمفاتيح ‹ الحديث مكان، أى : يبدو أن تخصيص الحال هو أن الحديث اليومى يمكن أن يتبع حدثاً من الأحاديث العادية للإطار الاجتماعى . فالإطار السياقى الخاص بالإفطار مثلاً متساوق مع الحديث بين المشاركين فيه : يسرى ما يماثل ذلك على وسائل المواصلات العامة أو المطعم أو زيارة للمتحف . وعلى العكس من ذلك لا تجيز أطر أخرى فى الأساس تلك الأحاديث، وهو ما يتضح مثلاً فى السياقات الرسمية المؤسساتية : الدرس أو حلقة بحث فى الجامعة أو لقضية ما أو الدعاية أو الاجتماع . ويبدو بعض الأطر من ناحية الأخرى أنه يتضمن أحاديث بوصفها مكونات أساسية، مثل زيارة أو حفلة، وذلك لأن الأحاديث هى الهدف الاجتماعى لهذه المشاهد الجزئية الإطارية أيضاً .

وبذلك نصل أخيراً إلى الوظائف الاجتماعية للحديث، ولكنها تتعلق بالحديث ككل، وليست إلى حد كبير بالبنية الجزئية الأفقية للمحادثة . ولذلك سنرجع إليها عند معالجة الأبنية والوظائف العامة للحديث والمحادثة .

٧ ـ ٤ ـ ٥ تتابعات الدور وتبدل الدور

٧ ـ ٤ ـ ٥ ـ ١ قد بينا الأدوار باعتبارها وحدات وظيفية مميزة للحديث أو المحادثة، وحددنا على نحو غير شكلى كيف تترابط هذه الأدوار، منقولة إلى تتابعات المنطوق والفعل الكلامى لمتحدثين متتالين على مستويات مختلفة . ومع ذلك يتضمن مصطلح الدور مصطلح تبادل الدور، أى انتقال الكلام . لذلك نحاول أن نبدأ فى هذا المبحث بالمشكلة التالية، كيف يجزىء مشاركو محادثة هذه الأدوار، فيبدأون من خلال ذلك الأدوار أو يتابعونها أو يبقون عليها أو يتلقونها، أى نحاول أن نظهر بشكل أدق، ما القواعد والاستراتيجيات التى تحدد بنية تتابع الدور ذاته [١٠] .

(١٠) حول نظام الدور وتبادل الدور، قارن بخاصة ساكس Sacks وآخرين (1974) .

٧ - ٤ - ٥ - ٢ نظراً لأن الأدوار وحدات وظيفية للمحادثة فيجب أن ٢٥٦ تخضع للشروط العامة للتفاعلات . ففي الأساس يجب أن تنظم أفقياً زمنياً : لم يتحدث عن ذلك في الوقت نفسه بشكل متعمد . يلاحظ الأساس الإدراكي الجوهري لهذا الشرط بالنسبة لشركاء الحديث في عدم إمكانية أن تفهم منطوقاتهم حين تنتج في الوقت ذاته، بحيث يمكن ألا يتحدث على هذا المستوى عن اتصال، ومن ثم لا يتحقق المقصد العام للحديث . ووفق تعريف مصطلح الدور فثمة أمر جوهري لتتابع دور أيضاً، وهو أن يتبادل المتحدثون: فلكل دور تالٍ متحدث آخر .

لا يوجد في الحديث اليومي لكل دور طول محدد، حتى حين يمكن أن تكون الأدوار مقيدة زمنياً وألا تقاطع أدوار أطول أو تقبل . ولذلك يجب أن يوجد لكل مسار مقبول في محادثة ما مواضع توقف في الحديث، حيث يأتي الدور على المتحدث الآخر/ متحدث آخر . ويمكن أن يتحقق تبادل الدور هذا على نحو مخالف، فيمكن أن يشير متحدث ما للمتحدث التالي ذاته بالنسبة للدور التالي، يرشد فيه بوضوح هذا المتحدث مثلاً، ويوجد شروطاً كافية لدور لهذا المتحدث، من خلال توجيه سؤال إليه . وتكمن استراتيجية أخرى في الإنهاء المقصود للمنطوق الخاص بالإشارة الواضحة إلى أن المنطوق يجب أن يستمر أو أن تفسيراً ما مرغوب فيه للغاية . وفي كل الحالات يتم إدخاله في الدور عن قصد . ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن المتحدث المرسل يستخدم في الواقع أيضاً حقه في الكلام : يمكن أن يدع دوره يمر، ويبدأ المتحدث الأول بناءً على ذلك في الكلام أو يبدأ متحدث آخر - دون أن يطلب منه أو يسأل - دوره .

وفي حالات أخرى لتبادل الدور يبدأ متحدث آخر دوراً . ومع ذلك فإن هذه الإمكانية ليست غير مقيدة، لأنها ليست لها بخلاف ذلك في إطار توزيع غير مسارٍ لأنصبة الكلام، وهو أمر غير مبرر، وربما آلت إلى نتيجة .

فإذا أراد متحدث ما أن يقطع دوراً مستمراً، فعلى هذا المقاطع أن يراعى فى المقام الأول المواضع الممكنة للتقاطع فى المنطوق ذاته . ويتضح فى الحال النموذجية موضع فى نهاية سلسلة › منفردة ‹ للجمل بدرجة أو بأخرى، أى : لكم من الجمل، التى تتبع المقولة الهيكلية ذاتها أو القضية الكبرى ذاتها - على كل حال فى نهاية تتابع - يمثل موضوعاً عاماً منفرداً . ومن الناحية العملية توجه مواضع الانقطاع تلك من خلال وحدات تركيبية ودلالية على مستوى الجملة أو تُعَلَّمُ بعلامات التنغيم - كحد الجملة أو كالحد بين جمل تابعة أو بين جملة أساسية وجملة تابعة مثلاً، كذلك على الأقل مقولات تركيبية كاملة (مثل مكون اسمى) أو وقفات الحديث وأشكال النبر .

/ للمتحدث الذى يريد أن يقطع دوره، بالإضافة إلى ذلك، إمكانات ٢٥٧ عدة . فمن البدهى أنه يستطيع أن يبدأ فى موضع الانقطاع بمنطوقه فى الحال . ومع ذلك يجوز أن يشير فى حالات كثيرة ابتداءً إلى الانقطاع ذاته، بأن يرفع يده أو يبدأ بما يسمى المتصدرات/ المستهلات (pre - starters) مثل : نعم، لكن، لا، آه، الآن، اسمع، بل ... الخ . وفى هذه الحال يستطيع المتحدث أن يتوقف ويسلمه فى الواقع الدور، أو يتجاهل عمداً إشاراته، ويستمر ببساطة فى الحديث . فإذا أراد متحدث ألا يقاطع فى موضع محتمل للانقطاع، فيجب أن يحاول أن يحيد هذا الموضع الذى يستمر فيه فى الكلام فى نهاية الجملة أو التتابع . ويمكن أن يقع العكس أيضاً : إذ يمكن أن يستخدم متحدث ما ألفاظاً خاصة أيضاً لكى يفهم أنه يريد أن يقاطع أيضاً فى موضع الانقطاع الملائمة . ومن ثم يريد أن يترك دوره لمتحدث تالٍ ممكن .

وبينما يكون المتحدث › الآخر ‹ فى المحادثة - الثنائية هو الشخص ذاته دائماً، ولذلك يأتى عليه الدور هو نفسه دائماً عند الانتقال أو التلقى، فإن العلاقات فى أحاديث ذات مشاركين كثيرين تعد أكثر تعقيداً . فالاتصال اللحظى المباشر و › إشارات الاتجاه (Richtungssignale) ‹ الأخرى لا تكون

ممكنة إلا بين متحدثين؛ ولذا فإنه حين يريد متحدث ما أن يتوجه إلى أكثر من مشارك وحيد، فإنه مجبر فعلاً أن ينظر إلى مستمع معين أو أن يبدل نظره دائماً أو ينظر › بشكل محايد ‹ ، أى : إلى شخص آخر . ويجب عند استعادة الدور أن يشار فى تلك الحالات إلى الشخص المحول له الدور التالى . وإذا لم يحدث هذا فإن لكل الآخرين الحق أن يبدأوا بدور - وفق شعار : من يأت أولاً يحرز قصب السبق .

ويمكن فى تلك المحادثات لأشخاص عدة أيضاً أن يشكل المتحدثين مجموعات - أى أزواج من المتحدثين - وهو ما يميز الأزواج أو الأصدقاء الذين يديرون حديثاً مع آخرين . وفى هذه الحال يمكن أن يظل الدور داخل المجموعة، مثال ذلك حين يحكى زوجان حكاية فى أدوار متبادلة، ويكمل كل منهما الآخر، ويصحح كل منهما الآخر ... الخ . وحين لا يكون متحدث ما فى جماعة مستعداً أن يقتسم أدواراً بشكل متساوٍ مع شريكه، فإنه يمكن أن تظهر صراعات أو يهدد بأشكال رفض : لتدعنى أقل شيئاً أيضاً ! أو لماذا لا يحكى باستمرار فى حقيقة الأمر إلا أنت وحدك ! . ومن اللافت للنظر اتصالياً فى ذلك النوع من التنظيم فى مجموعات داخل المحادثة أن بعض المشاركين يعرفون تماماً أو جزئياً ما قد قيل، بحيث يمكن أن يوجهوا انتباههم إلى شيء آخر أو يمكن أن يعدوا إسهامهم (المخطط) الخاص فى الكلام .

٧ - ٤ - ٥ - ٣ يجب أن تكون هناك أدوار مهمة فى مقابل أدوار أخرى (غير مهمة) أو تفسر تلك بالأخرى . ولذلك يجب أن تفى بالمطالب المعالجة من قبل وفق ترابط أسلوبى ودلالى وبراجماتى ./ ففى الأساس ٢٥٨ يتحدث فى أثناء سلسلة كاملة مثلاً عن أدوار حول التيمة ذاتها أو الموضوع ذاته . ويعنى هذا أننا سنرى بعد قليل أن الحديث يجب أن يكون متشكلاً على المستوى الكلى أيضاً، وضمن ذلك من خلال أبنية دلالية كبرى . فتبادل دور

المتحدث على هذا المستوى الأعم مهم، إذ إنه فى هذه الحال يمكن فى الوقت نفسه أن يوجد تبادل للتيمة أيضاً . وما يزال من غير المعروف بدقة ما الشروط التى يمكن أن تتبادل التيمات من خلالها ؟ فمن الجلى أنه يمكن أن ينتقل المرء فى حديث يومى من تيمة إلى أخرى، ومن ثم يتحدث عن كم كبير من التيمات، غير أننا يمكن أن نفترض أن تبادل التيمات أيضاً يخضع لقيود . وبالإضافة إلى ذلك تكون حدود الجملة أو المجموعات الجملية فى الغالب ضرورية . ومع ذلك توجد قيود إدراكية أيضاً : ففى العادة يجب أن تتبع التيمات بعضها بعضاً على الأقل، أى : أن يكون لها مع التيمة المتقدمة مفهوم مشترك (مثلاً ، بيتر ‹،› إجازة ‹،› باريس ‹،› شرطة ‹ ترتبط بالتيمة : ، قضى بيتر إجازة فى باريس وتبرم هناك من ، الشرطة ‹) . وثمة إمكانية أخرى هى الإضافات كالاعتراضات القصيرة التى توجه فى أثناء ذلك إلى شخص آخر مثلاً، كتقديم الطعام أو الشراب والتدخين وما أشبه [11] .

وأخيراً يعرف المرء أيضاً ما وراء التتابعات، التى يبدأ متحدث ما دوره من خلالها، ولكن ليس بقصد أن يستمر فى توجيه موضوع الحديث أو يطرح موضوعاً جديداً، بل أكثر من ذلك بقصد أن يقدم شرحاً لمنطوق المتحدث المتقدم . ويمكن أن يتعلق ذلك بكل مستويات المنطوق : البناء الصوتى، والنطق والأسلوب (اختيار الكلمة وما أشبه)، والتيمة والقضايا والأفعال الكلامية ... الخ (أينبغى أن يكون ذلك تهديداً ؟) . وفى حالات كثيرة تكون الحدود بين أشكال مختلفة من التفسير (الاعتراض، والتصحيح وما أشبه) وللكلام حول الكلام غير واضحة .

ومن المحتمل أنه يمكن أن يفرق كذلك بين ما وراء التتابعات وتتابعات التنظيم . ولهذه الأدوار الأخيرة وحدها وظيفة تفريغ مسار لحديث أو التأثير أو التنظيم، من خلال ملحوظات عن توزيع أنصبة الكلام مثلاً

---

(١١) درس جيفرسون تلك التتابعات الجانبية : Jefferson (1972) .

(الآن يجب أن تقول شيئاً، الزم الصمت، أغلق فمك، وما تزال هناك أشياء أخرى أيضاً) .

٧ - ٤ - ٦ الأبنية العامة للحديث والمحادثة

٧ - ٤ - ٦ - ١ لا يتكون حديث ومحادثة أيضاً، مثل النصوص وأشكال التفاعل بوجه عام من أبنية جزئية وأبنية صغرى فحسب، بل من أبنية كلية أيضاً . وسوف نفرق هنا أيضاً على الأقل بين أبنية كلية دلالية (أبنية كبرى) وأبنية عامية هيكلية (أبنية عليا) .

٢٥٩ / إن أسباب تلك الفروق عرفت من خلال هذه الدراسة، إذ يجب دائماً أن يتجلى الترابط الأفقي المتبادل للمنطوقات والأفعال الكلامية في التتابع على أساس وحدات كبرى . ويتضح أيضاً أن خواصاً نصية على مستويات مختلفة تهمل وصفاً بمساعدة أبنية كبرى أمراً ضرورياً (تفسير الضمائر وأدوات معينة وظهور جمل محورية مثلاً وما أشبه ذلك) . فالأبنية الكبرى تقدم أيضاً توضيحاً لمفهوم ‹ تيمة نص ما › المهم حدسياً ونظرياً . وبالإضافة إلى ذلك يكون الاستيعاب الإدراكي للنص غير ممكن دون مستوى أبنية كلية . وأخيراً من غير الممكن أيضاً أن تربط أبنية هيكلية بشكل مباشر بجمل نص ما أو قضاياه، بل يجب أن تنقل إلى الأبنية الكبرى .

وفي هذا المقام ما تزال هناك في الخاتمة قضية من الأهمية بمكان؛ وهي أنه لا توجد دون أبنية كلية أية وظائف كلية للحديث والمحادثة أيضاً . آخر الأمر يتوقع من شركاء الحديث أنهم يعرفون بوجه عام بعد سلسلة الفعل الكلامي بما أُبلِغوا وماذا ينتظر منهم ... الخ .

ويمكن أن يستخلص كذلك من الأدلة الواردة أنه لا يمكن أن يدار حديث أو محادثة دون استيعاب قواعد عامة على مستوى التخطيط والتوجيه

الاستراتيجى : ليس على المتحدث أن يعرف فقط : ماذا قد قيل، بل أيضاً ماذا قيل منه ومن متحدثين آخرين فى أثناء المجرى الكلى للحديث . وقد أشير إلى أن هذا لا يمكن أن يحدث على المستوى الأصغر : إذ لا يمكن أن تختزن كل قضية فى حديث بالغ الطول . ويمكن أن يحدث أيضاً أن يكون للمتحدث خطة مضمونية أو براجماتية محددة : يريد أن يبلغ (ق) أو يطلب (ع)، ويستطيع هذا من خلال الحديث ككل و/ أو من خلال إسهاماته فى الحديث . ويجوز بالإضافة إلى ذلك أن يحافظ على استراتيجية ما لجعل شركاء الحديث الآخرين يهتمون بالموضوع ... الخ . وقد ناقشنا مثال شخص يريد أن يقترض مالاً من شخص آخر : لن يبدأ المرء عادة بالدخول إلى الموضوع دون تمهيد، بل بالتحية وتبادل بعض كلمات عن الطقس، وقول شيء عن أقارب الآخرين أو معارفهم ثم يصل الحديث الموضوع › الحساس‹، وفيه يعدد المرء ابتداءً كل الظروف التى يستنتج منها أنه، برغم أنه لا يحتاج إلى ذلك حتما، ليس لديه مال، فإنه من الصعوبة بمكان أن يقترض المال من مكان آخر . وسوف ينشد المرء ابتداءً وفى الغالب رضى المتحدث إليه المحتمل بشكل غير مباشر إلى حد بعيد أيضاً، بأن يقرض أحداً المبلغ المطلوب . وفى أثناء الحديث الكلى للمتحدث المعنى خطة (طلب) مضمونية (أريد أن يقرضنى س مالاً) وبراجماتية خاصة . بيد أنها لا تتشكل إلا على المستوى العام، برغم أنه وجد بداهة إجراء المنطوقات الصغرى وتنظيمها : الأدب والكياسة والمنطوقات غير المباشرة والأسلوب وبخاصة البناء الهيكلى › للطلب ‹ (من خلال أفعال تحضيرية، وفرضيات مسبقة وما أشبه مثلاً) .

٢٦٠ / ليست كل الأحاديث اليومية يجوز أن تجرى على هذا النحو المستهدف : إذ يتحدد الحديث البسيط أو الثرثرة من خلال أنه لا يكون فيها أية تيمة مخططة من قبل . ومع ذلك يمكن أن توجد فى الغالب جداً تيمات

نمطية . وقوالب الحديث المعتادة، مثل الطقس والصحة والأسرة (رجل وامرأة وأطفال) والإجازات والسيرة وما أشبه، وكذلك حين لا يستطيع المرء إلا بالكاد أن يقول إنها فى حد ذاتها مخططة . وحتى يمكن أن يحفز تغيير الموضوع المذكور من قبل فى حديث ما، نحتاج توضيحاً من خلال مفاهيم الأبنية الكبرى الدلالية . يجب أن نعرف أية أنصبة فى الحديث ما تزال تتبع تيمة معينة وأيها تطرح التيمة التالية .

من البدهى أن يوجد هذا الوصف على مستوى البنية الدلالية لمنطوقات الحديث : فحين لا يمكن أن يصنف تتابع فرعى للقضايا بمساعدة قواعد كبرى وأطر إدراكية فى إطار قضية كبرى مشكلة من قبل، يجب أن تخطط قضية كبرى جديدة . بيد أنه توجد هنا أيضاً فى العادة إشارات فى البنية السطحية للحديث تجعل فصلاً كهذا فى استيعاب الحديث يجرى بشكل مؤثر : ففى أحداث كثيرة يجوز أن يوضح متحدث ما تيمة جديدة فى حد ذاتها أيضاً من خلال تعبيرات مثل : علاوة على ذلك، وحتى يتحدث عن شىء مغاير تماماً، ومن خلال علامات تنصيص، وإذ إننا على كل حال مع .. وما يتصل بذلك ... وهكذا ... وما أشبه .

يلاحظ أن الكيفية التى تحال من خلالها أبنية عامة دلالية فى الحديث، وكيف تلعب دوراً إدراكياً واستراتيجياً عند توجيه (مشترك) للحديث، تتبع فى جوهرها الأوصاف السابقة للأبنية الكبرى الدلالية . بيد أن السمة النمطية للحديث اليومى هى أن بنيته الكبرى بوجه عام لم تخطط أو حتى لا يمكن أن تخطط . وحين يدل على حرية شركاء الحديث فإنه يمكن آخر الأمر أن يأتى الدور على تيمات متباينة تبايناً تاماً أيضاً، ومن بينها أيضاً تلك التى يرى أحد المشاركين أنها غير مهمة على الإطلاق . وعلى النقيض من الأنماط النصية الأخرى الكثيرة من الممكن بوجه عام أنه فى حديث ما يلزم أن تكون أجزاء متفرقة متماسكة بشكل كلى : فليست هناك

حاجة إلى أن يكون بين المحاور المختلفة أية علاقة فيما بينها أو إلى أن تكون جزءاً من موضوع أعم . وبعبارة أخرى : لا يمكن أن يكون الحديث اليومى مثالاً جيداً للغاية على أية بنية كبرى كلية .

٧ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٢ حين يتم الحديث فى شكل نصى (حوارى) خاص، فيجوز أن يتوقع أنه من الممكن أن تلعب أبنية هيكلية خاصة دوراً . ولذلك يمكن ـ عدا من خلال تفريع بناء أبنية كبرى (موضوعات الحديث) ـ أن يتشكل حديث ما وفق الشكل أيضاً، وهو ما صدق على نحو مشابه على الحكاية . وبذلك يثار السؤال التالى : هل توجد مقولات هيكلية معينة تحدد تلك البنية العليا للحديث والمحادثة، وأى قواعد تحدد نظام الحديث من خلال/ هذه المقولات .

٢٦١

وعلى نحو ما يلزم أن يقترح مصطلح ، أبنية عليا ، فإن تلك الأبنية الهيكلية تشكل إلى حد ما هيكلاً كلياً، أقيم على الحديث : إذ يتحدد على نحو مجمل ما يجب أن يقال ابتداءً، وكيف ينبغى أن يحدث هذا، وماذا يجب أن يلى لاحقاً، وكيف يجب أن يتم . ولذا فإنه يقوم فى الوقت نفسه بوظيفة هيكل إدراكى لتسهيل الإنتاج والفهم والتعرف والاستيعاب والتخزين وما أشبه، وهيكل اجتماعى أيضاً، يشار من خلاله إلى النمط النصى العرفى للتفاعل الاتصالى : وهكذا ندرك أن : شخصاً ما يريد أن يثرثر، ولا يسأل شيئاً فقط، أن يطعى أمراً أو ينجز أحداث إطار خاصة (عند الشباك فى دائرة العمدة مثلاً) .

وتقع هياكل جوهرية على المستوى الأصغر أيضاً، ولا تتكون إلا من أدوار قليلة . ويمكن فى الغالب إلى حد بعيد أن يكون للثنائيات المتجاورة السابق ذكرها مثل سؤال وإجابة، واتهام ودفاع، وتهنئة وشكر، وبخاصة

التحية ورد التحية أيضاً، هذه الخاصية الهيكلية . وليس لكل دور خاصة معنى ووظيفة برجماتية فحسب، بل إنها تعبر فى الوقت نفسه عما يمكن أن يطلق عليه وظيفة تركيبية . ولذلك فإن الإجابة ليست فى حد ذاتها حدثاً لغوياً، بل هى الحدث اللغوى الخاص . فالزعم (القول) - مثلاً - يقوم بوظيفة إجابة عن سؤال . وفضلاً عن ذلك يمكن أن ترتبط تلك الهياكل الصغرى على نحو نمطى أيضاً بقوالب الحديث النمطية stereotypen (Gesprächstopoi) من ناحية المضمون، كما هى الحال مثلاً عند تبادل عبارات التحية .

وفى الحقيقة يبدو أن الحديث على مستوى أعم ليس له بنية هيكلية واضحة فى الغالب . ومن ثم يلى ذلك الآن سلسلة المقولات المؤقتة التى تلعب هنا دوراً :

الافتتاح Eröffnung : على نحو ما تبدأ حكاية ما فى العادة بإطار، فإن الأحاديث تبدأ غالباً بسلسلة من أدوار، تقوم معاً بوظيفة الافتتاح . ومن البدهى أن صيغ الافتتاح النمطية هى قبل أى شىء عبارات التحية (أهلاً، السلام عليكم، صباح الخير ... وما أشبه) . حقاً توجد - فى الغالب متقدمة على التحية أيضاً، وربما مشكلة لمقولة خاصة هى مقولة التمهيد - تعبيرات ترمى إلى إثارة الانتباه وتمهد للاتصال وما أشبه (هه، اسمع، انظر، هنا وما أشبه) . وتتعلق بنية الافتتاح بعوامل كثيرة . إن شكلية الحديث يمكن أن تتطلب افتتاحاً طويلاً، وهذا تابع مرة أخرى للثقافة (فالحال فى البلاد العربية * وفى اليابانات أكثر تعقيداً مما هى عندنا) . وعلى كل حال فإنه من غير اللائق فى أحاديث يومية بعينها أن يبدأ مباشرة بـ (الدخول فى الموضوع دون تمهيد) وهو ما يشير على الأقل إلى ارتباط قاعدى بافتتاح ظاهر . ومن ثم فإن ألفة شركاء الحديث والمدة الزمنية التى لم يعودوا

(*) لم يقدم الباحث إيضاحاً لجهة الصعوبة . ومن ثم يصعب تصور كيف انتهى الباحث إلى هذه النتيجة غير الدقيقة من وجهة نظرى .

يتحدثون فيها لهما أهمية، فلا يحتاج شخص يكون المرء معه دائماً، إلى افتتاح مسهب للحديث فى العادة، وتكون عبارات التحية فى حال كهذه غير مقبولة غالباً .

/ **التوجيه** Orientierung : نصف بهذه المقولة التى استعرناها من ٢٦٢ بنية الحكاية، سلسلة الأدوار التى لها وظيفة التمهيد لموضوع الحديث . ويمكن أن نزعم فى التوجيه مثلاً أنه يوجد شيء أو حال أو حادثة، ينبغى أن يتعلق بها الحديث فى الحال . ومن خلال التوجيه يجب أن يثار اهتمام شركاء الحديث بوجه خاص . على كل حال يجب أن يوجه إذا ما كان هذا الاهتمام أيضاً موجوداً فعلاً . أما الاستعمالات النمطية لبداية التوجيه فهى : أتعرف ماذا فعلت أمس ؟ أتتصور ما حدث لى مرة أخرى وما أشبه .

موضوع الحديث Gesprächgegenstand : سنطلق على المقــولة المركزية للحديث ببساطة موضوع الحديث، إذ إنها من الناحية العامة والمضمونية المقولة التى يعالجها الحديث . وفى خلال موضوع النص تقدم حكاية أو يبلغ عن حدث مهم أو مضمون رغبة أو يعبر عن طلب أو أمر ... الخ . وبعبارة أخرى : موضوع الحديث هو مقولة الحديث التى تعد الأساس للوظيفة البراجماتية للحديث : ماذا يريد أن يوضح شركاء الحديث ؟ ماذا يريد بعضهم من بعض ؟

قد أشرنا آنفا إلى أن ثمة أحاديث كثيرة ليس لها تيمة وحيدة فحسب، ويتضح من ذلك أن المقولة الهيكلية لموضوع الحديث يجب أن تكون انعكاسية أو يجب أن تعطى مساحة لتتابع التيمات . ومثلما وضح أن تبادل التيمات تتاح من خلال بعض الإشارات فإن على المرء أن يتصور أيضاً الانتقال من موضوع للحديث إلى الموضوع التالى .

النتيجة Schlussfolgerung : عند غياب مصطلح أفضل نستعير

المصطلح « نتيجة » من البنية الهيكلية للجدل (الحجاج) . ويتعلق الأمر هنا بسلسلة أدوار وظيفتها إتمام الموضوع . ويمكن أن يصاحب هذا الإتمام جمل موجزة، وتقديرات سردية معتادة (مثل : هذا ما عايشته مراراً، أي نعم ربما كنت خائفاً وما أشبه) ومنطوقات الآخر التي تحث على إنهاء الموضوع (مثل : حسناً، وعلى الرحب، وهو كذلك وما أشبه) .

لا يحتاج الجزء « المضموني » للحديث وفق النتيجة أن يتم على نحو محدد، إذ يمكن لمتحدث ما أن يرغب فجأة في أن يقول شيئاً آخر، يريد أن يطرح موضوع حديث جديد أو أن يضيف بضع أشياء . فإنه يمكن أن يصير التوجيه الجديد أمراً ضرورياً . ولذلك نفترض أن المجموعة كلها : التوجيه - موضوع الحديث - النتيجة، انعكاسية .

النهاية : إن الأحاديث تفتتح بشكل خاص، بل إنها تختتم أيضاً بشكل مخطط . وهنا أيضاً تكون صيغ التحية مهمة - مرة ثانية (مثل : سلام، وإلى اللقاء وما أشبه) . ومع ذلك لا ترد صيغ التحية في الحقيقة إلا في الخاتمة تماماً، أي : إنها الأدوار الأخيرة للنهاية . ولذلك يمكن أن يتعرف مع النهاية على بنية داخلية واضحة . ابتداءً لا يمكن أن تجري النهاية ذاتها مرة أخرى[١٢] . /ويجوز لمتحدث ما أن يعلن عن أن الحديث في الحقيقة سينتهي ٢٦٣ بسرعة أو يجب أن ينتهي . ويمكنه أن يعمل ذلك حيث يقاطع آخر أو يقول إنه لم يعد لديه وقت (في الغالب استناداً إلى : النظر إلى الساعة وإحداث انطباع دال على العجلة) وإنه لديه موعد آخر وما أشبه . توجد صيغ افتتاح نمطية للنهاية، من بينها توجد الاستعمالات التالية : حسنا إذن، وفلتمر على غداً، وهو كذلك، وأظن، ويجب أن أذهب ثانية، وخلاف ذلك لم يعد هناك شيء جديد وما أشبه .

---

(١٢) يوجد تحليل لبداية الحديث ونهايته في كتاب : Schegloff & Sacks (1973) .

ويمكن أن يحدث أن النهاية يمكن أن تقطع أيضاً بدور حين يتذكر متحدث ما فجأة، أنه يجب أن يقول شيئاً مهماً من جهة المضمون (أنت، قد نسيت كلية أن أقول لك إن ... لحظة، قد نسيت شيئاً آخر وما أشبه) . ويمكن أن يكون للمضمون المركزى للنهاية وظيفتان : التعليق على الحديث أو المحادثة بشكل مجمل (حدث أن تقابلنا مرة أخرى وما أشبه) ، ووضع أوجه إعلام أو خطط لتفاعل أو محادثة مستقبلية (حسناً، إذن حتى الغد فى الساعة الثانية، كله واضح سأنتظرك إذن غداً وما أشبه) .

للنهاية من هذا لجانب وظيفة نمطية لتخطيط عام للمحيط الاجتماعى مع أفراد . فهى تعبر عن تقديرات أوجه المواجهة، وتجعل المحادثة سارية، وتخطط للمواجهات التالى . وهكذا تتاح للمرحلة الأخيرة من النهاية استعمالات النهاية › الحقيقية ‹، مثل عبارات التحية والأدوات وما أشبه : وهو كذلك !، مع السلام ! وداعاً ! سلام ! إلى الغد ! تشجع ! وقتاً ممتعاً ! إلى اللقاء ... الخ . ويمكن أن تتفرع هذه السلسلة أيضاً على مستوى جزئى مرة أخرى، باعتبارها حداً أدنى، وتبدو كل تحية ضرورية لكل متحدث، ولكن ربما يحدث غالباً أن تكرر النهاية الأولى للتحية تحية الوداع أيضاً، مثال ذلك:

(١٣) أ : وهو كذلك مع السلامة ! ب : أجل، مع السلامة .

أ : سلام ! (ب : سلام !) .

فعلى حين يرد (ب) فى المقام الأول بالتحية الأولى فإن على (أ) أن يرد أيضاً على تحية (ب) . وبذلك يتعرف بشكل محدد فى الوقت نفسه على أن التحية تعنى فى الحقيقة نهاية الحديث أيضاً . ويمكن لـ (ب) أيضاً أن يضع هذه النهاية الأخيرة كذلك . ومن البدهى أن نهايات الأحاديث تجيز بدائل كثيرة، فتكون التحية ورد التحية وأشكال التكرير الأكثر طولاً ممكنة . وأخيراً يجب أن يشار كذلك إلى أن النهاية تصاحبها أحداث أخرى، وحركات

نصية موازية . فالنظر فى الساعة والقيام باستعدادات هما حركتان استنتاجيان ونهائيتان مميزتان/، بينما تكون المصافحة والتلويح والعناق ٢٦٤ والمشى وما أشبه مصاحبات نمطية لتحية النهاية .

٧ - ٤ - ٦ - ٣ وكذلك على المستوى العام لتحليل الحديث والمحادثة يقع توضيح وظائف ممكنة للحديث، وهى النتائج أو الآثار الإدراكية والاجتماعية الممكنة لواقعة الحديث الكلية . وسوف نختصر هنا ما هو معروف عن ذلك قليل جداً .

لقد ألممنا فى تلك الأثناء بالوظائف البراجماتية العامة للنصوص، الفعل الكلامى الأكبر الذى ينفذ من خلال سلسلة من أفعال كلامية . رأينا أن هذا يمكن أن تكون الحال فى الأحاديث أيضاً، ولذا يمكن أن يعنى حديث ما بالنسبة لمتحدث معين الهدف للنطق بطلب أو الاعتراض على شىء . ويمكن أن تصاغ الوظائف السيكولوجية والاجتماعية بدقة أقل إلى حد بعيد جداً، ويمكن أن يقصد الحديث بالنسبة للشريكين فى المقام الأول حل مشكلة إزالة سوء فهم أو الحديث عن صراع مثلاً . ولذا فالحديث هو الموضع الذى يمكن أن يعبر المرء من خلاله دون عوائق عن رغباته وأشواقه ومواقفه وأحاسيسه وآرائه وخططه، وهو ما يجوز أن تكون الحال بدرجة أقل إلى حد بعيد جداً فى سياقات أكثر رسمية، أو أحاديث نمطية مؤسساتية .

ولذلك لا يمكن أن يشترط حديث ما ألفة معينة بين الشركاء فيه فحسب، بل يتضمن أيضاً رفع الكلفة بعينها . وفى العادة ينطلق المرء بشكل محدد من الحقيقة القائلة بأن ما يعبر عنه شريك حديث فى حديث شخصى وغير متكلف برأيه أو شعوره لا يجوز أن يعلنه جهاراً الشريك الآخر فى الحديث . وفى كل حال لا يمكن أن يستخلص من حديث كهذا التزامات

اجتماعية رسمية بالنسبة لفرد . وهكذا فإن تلك الخصائص تجعل الحديث بشكل مميز بوصفه صيغة اتصال مناسباً فى مواقف علاجية [١٣] . ويتوقع من المريض أن يعبر ما استطاع عن كل الرغبات والأحاسيس والأشواق والمواقف والآراء وما أشبه، بحيث يمكن أن يحلل إلى أى مدى تكون الاضطرابات النفسية (العصبية/ النفسية وما أشبه) أساس المنطوقات ، الحرة ، فى الحديث (المؤتمن عليه) . وخلافاً لأشكال الاتصال الأخرى فإن الحديث (والحكاية من خلال الحديث) يكون خالياً من وظائف براجمانية واجتماعية خاصة باستثناء تلك التى تحدد الموقف ـ العلاجى الخاص : إن الأمر لا يدور إلا حول ما يقوله المريض ... الخ وحول اقتراحات ممكنة للمعالج بالنسبة للتغيرات المتأخرة فى السلوك، حيث يستند المعالج، حين يكون ذلك ممكناً إلى أوجه النظر التى اكتسبها المريض ذاته من خلال خواص مميزة لمعارفه السلوكية المبكرة الخاصة ومعارف أناس آخرين ./ ٢٦٥ تلك الجوانب الباثولوجية والعلاجية للحديث يمكن أن يرتكز لذلك عليها هنا[١٤] . آخر الأمر يدور الكلام حول وظائف الحديث السيكولوجيا ـالاجتماعية والاجتماعية : إذ يمكن لحديث ما أن يقود إلى نزاعات المشاركين وكذلك إلى تضخيم المعرفة والثقة المبادلة أو خواص أخرى للسياق الأصغر الاجتماعى . وغالباً ما لا يراعى مع حديث ما شىء خاص خارج المحادثة ذاتها : لا يجب أن يدار بهدف أن يعمل الشريك شيئاً . هذه الخاصية الانعكاسية للحديث ـ التى يمكن أن تسرى بعد تغييرات ضرورية على الحكايات والنوادر والأدب أيضاً ـ يمكن أن تستوعب الوظيفة الاجتماعية وهى تأكيد علاقات قائمة فعلاً : نظل واقفين فى الشارع للتحدث مع أحد

---

(١٣) قارن هامش ٢٠ من الفصل الأول .

(١٤) حول تحليل جوانب باثولوجية (مرضية) للحديث والاتصال، قارن فاتسلافيك Watzlawick وآخرين (1967) .

المعارف، وذلك لأننا نريد أن تظل العلاقة بمعارف طيبين قائمة . غير أنه يمكن كذلك أن يكون للحديث وظيفة أن يبرز أو يعيد تحديد معرفة/ علاقة : ففى الحديث نتعرف على شخص ما، ونتعرف من جهة الحديث على آخر بشكل أفضل . ومن ثم فإنه يضيف بشكل أكثر ملائمة (صديقاً، عدواً... وما أشبه) .

ومن الناحية السيكولوجية الاجتماعية يعد الحديث الموضع المقدم لإعداد وتقسيم معرفية اجتماعية حدسية عن الشائعات والآراء والمواقف والقوالب والأحكام الأولية وما أشبه . ولأنه من خلال أشكال اتصال رسمية ومؤسساتية يمكن أن يتحدد ضبط / التحكم فيما يقال/ قيل تحديداً شديداً بمفهوم المعيار، ومن ثم يجوز أن يقدم المتحدثون إسهامات ، غير متوقعة اجتماعياً ، بشكل خاص، فإن الحديث اليومى غير المتكلف هو الشكل الأساسى المناسب الذى يقدم من خلاله عبر تفاعل اتصالى مباشر اللغو (القيل والقال) والثرثرة والمعرفة ووجهات النظر والآراء وما أشبه . ومن ثم تتحقق أعراف مثل المعايير والقواعد والقوالب والأحكام الأولية، وتثبت، وربما تتغير أيضاً . ولا نستطيع هنا أن نستمر فى تفصيل تلك الجوانب السيكولوجية الاجتماعية الخاصة باستيعاب النص . ونكتفى هنا بهذا الإبراز للأهمية الخاصة والعظيمة التى تكتسبها أحاديث يومية بالنسبة للاستيعاب الاجتماعى للمعلومة .

٧ ـ ٥ ملحوظات ختامية

٧ ـ ٥ ـ ١ فى هذا الفصل عرضت بعض الأفكار حول كيفية إمكان دراسة الاستعمال اللغوى والنصوص من خلال السياق الاجتماعى، وبخاصة أنه قد لقى هذا الشكل الأساسى للتفاعل الاجتماعى الأصغر والاتصال، الحديث اليومى، انتباهاً ./ وقد أدرج عدد من المفاهيم الاجتماعية الأساسية ٢٦٦

التى اتضح أنها تلعب دوراً فى تحليل الحديث، على هذا النحو الذى يمكن من خلاله أن يتناول فى بَحث تالٍ عن الوظائف الاجتماعية للنصوص بشكل أدق، مسألة أى أبنية اجتماعية أكثر خصوصية، تؤثر فى أبنية النصوص ووظائفها . وربما يكون ذا أهمية أكبر لهذا البحث الاجتماعى للنص تحليل الكيفية التى تحدد بها أيضاً الأبنية الاجتماعية ذاتها (مثل المصالح أو المؤسسات) أو تكتسب من خلال وضعها بناءً على أشكال النص المستوعبة لها، وهو ما يكون له قيمة فى المؤسسات التعليمية مثلاً .

٧ـ٥ـ٢ اتضح فى هذا الفصل من ناحية أخرى أنه أيضاً لتحليل الاستعمال النصى واللغوى والاجتماعى يجب أن نسلم بأساس معرفى : فالأفراد يتصرفون على أساس تفسيراتهم ومعرفتهم وتخميناتهم ومواقفهم وما أشبه، إذ إنهم يستهدفون أفراداً آخرين والبنية الاجتماعية و » العالم « بوجه عام.

وقد ناقشنا فى الفصل السابق بشكل خاص بإسهاب نسبياً سلسلة مبادىء الأساس المعرفية هذه أيضاً . فعند تسويغ استعمال نصى ولغوى فى سياق اجتماعى تشكل العمليات الإدراكية إلى حد ما الربط بين الأبنية النصية وأشكال السلوك الاجتماعية : فلا يمكن أن يؤثر نص ما فى المعرفة والآراء ووجهات النظر إلا حين يستوعب معرفياً على مستويات عدة . ومن ثم يعاد تركيب المعنى والإحالة الدلالية والوظيفة البراجماتية، والموقف (الأسلوبى) ومقاصد المتحدث بمساعدة هذا التفسير الإدراكى .

٧ـ٥ـ٣ تتيح الفصول الأولى من هذا الكتاب للبحث النصى اللاحق فى العلوم الاجتماعية كذلك أساساً جوهرياً، اضطلاعاً على الأبنية المختلفة للنص ذاته . وما درس حتى الآن تحت مصطلح » تحليل المضمون «

بشكل منظم وحدسي إلى حد ما يمكن أن يجرى الآن داخل إطار واضح نسبياً مكون من مستويات ومقولات وَقواعد . ومن البدهى أن ذلك التقدير المظيم لا يمكن أن يعنى أن كل الأبنية النصية المختلفة التى عولجت فى هذا الكتاب، يمكن أن تحلل فى هذه اللحظة فى الحقيقة أيضاً تحليلاً واضحاً كاملاً. فالحال هى عكس ذلك تماماً . وباستثناء النظرات القيمة غالباً، غير أنها حدسية فى أغلب أحوال، لإرث ممتد للبلاغة والشعر وعلم الجدل فقد على تحليل نظامى - لغوى أيضاً - للأبنية النصية منذ بضع سنوات بالحصول على معارف جوهرية فى النصوص وتوظيفها .

وفضلاً عن ذلك يمكن أن يتوقع أيضاً أنه إلى جانب هذا التحليل النصى سوف يتضح من خلال بحث لاحق لنصوص خاصة ووظائف نصية فى سياقات اجتماعية وثقافية متباينة، مقولات نصية أخرى أو حتى مستويات تحليل أخرى .

٧ - ٥ - ٤ على الرغم من القيود الموضحة فيما سبق للتحليل النصى ٢٦٧ والإدراكى والتفاعل الذى بُدِءَ به فى هذا الكتاب، فإننا نمتلك مجموعة من الأدوات (Instrumentarium) تسمح لنا أن نبحث أشكالاً نصية خاصة أخرى ونتناول آثار النصوص المختلفة الأخرى وشروطها ووظائفها فى سياقات اجتماعية وثقافية فى البحث العلمى . يجب بشكل خاص فى السيكولوجية الاجتماعية على أساس المبادىء النصية والمعرفية المخططة هنا أن يجرى تحليل وافٍ للآثار النصية، للآراء والمواقف وأشكال السلوك، مع اعتناء خاص بمؤسسات التربية ووسائل الاتصال بالجماهير . بسبب العدد الضخم وتعقد العوامل التى - إلى جانب فهم النص - تحدد هذه الآراء والمواقف وما أشبه، فإن الرؤية التى وقفنا عليها - إلى الآن قاصرة بشكل مخيف . ولذلك

يبدو أن التطبيق النقدى لعلم النص فى هذه المجالات البحثية مهمة من أكثر المهام ضرورة للبحث النصى .

من البدهى أن ما يشبه ذلك يصدق فضلاً عن ذلك أيضاً على مجالات اجتماعية أخرى، يلعب فيها التأثير والمناورة وأشكال أخرى لممارسة السلطة من خلال صور خاصة للاستعمال اللغوى والاستعمال النصى دوراً، وهو ما لا يظهر عند بناء الأحكام الأولية فحسب، بل أيضاً عند التصنيف النصى (التفكيك) للأفراد ـ فى الغالب باستعمال الحاسوب ـ فى مؤسسات مثل القضاء وشؤون التعليم والعناية الصحية والشرطة وأجهزة حكومية أخرى. ولذلك لا يريد هذا الكتاب أن يطلعنا على الأبنية النصية وأوجه الاستيعاب النصية فحسب، أو يثير بحوثاً أخرى فى مجالات مهملة كثيرة وقضايا، بل يسهم أيضاً فى الدفاع عن الثقافة داخل المدرسة وخارجها، ولذا فهو يريد أن يجعلنا على وعى بالعلاقات بين الاستعمال اللغوى/ النصى والمشكلات السيكولوجية والاجتماعية، والسلطة، والتباين الاجتماعى .

قائمة المصطلحات (*)

A

تصوير / نقل	Abbildung
إمكانية الاشتقاق	Ableitbarkeit,
~ نحوى	s. syntaktische
اشتقاق/ استنباط	Ableitung
خاتمة الحديث	Abschluss des Gesprächs
تخفيف	Abschwächung
قصد (ج : قصود)	Absicht
تجريد	Abstraktion
فعل	act
فعل إنجازى/ قوة فعل الكلام	s. illoctionary act
فعل قولى / فعل الكلام	locutionary act
فعل استلزامى/ لازم فعل الكلام	perlocutionary act
مواءمة	Adäquatheit
ثنائيات متجاورة	adjacency pairs
	(= aneinandergrenzende Paare)
حركة	Aktion
وحدة حركة	Aktionseinheit

(*) تضم هذه القائمة ما أورده المؤلف فى خاتمة كتابه، بالإضافة إلى المصطلحات التى وردت فى الكتاب ولم ترد فى قائمته، مما وجدته ضرورياً لفهم القارئ العربى للنص، ويلاحظ هنا عدم الفصل بين المصطلحات الإنجليزية أو الألمانية، إذ يستخدمها المؤلف بشكل متبادل أو يجمع بينها . ويشير الرمز (.s = انظر) والرمز (.vgl = قارن)، والعلامة (/) إلى معنى آخر، و (~) إلى تكرير المصطلح، و (ج) = جمع .

Akturalisierung	تحقيق
Akzeptabilität	مقبولية
Akzeptabilitätsbedingung	قيد المقبولية
akzeptierbar	مقبول
(s. passend, angemessen)	
Alltagskonversation	محادثة يومية
Alternativ	بديل
Alternativität	تبادلية
angemessen	مناسب
(= approriate)	
Angemessenheit	مناسبة
Annahme	فرض
(s. Prämisse - Schlussfolgerung)	
Anthropologie	انثربولوجيا
Anzeigentext	نص موجه/ إعلان
Aphasia	حبسة
appropriate	مناسب
(s. angemessen)	
äquivalent	متكافيء
Äquivalenz	تكافؤ
arbitrăr	جزافى/ عشوائى/ اعتباطى
Argument,	حجة/ دليل
praktisch	عملى
Argumentation	جدل/ حجاج
Argumentationstheorie	نظرية الجدل (الحجاج)
argumentative Struktur	بنية جدلية/ حجاجية
artificial intelligence	ذكاء اصطناعى
Artefakt	وسيلة فنية

Assoziation	تداعى/ تشارك
Auffälliges Detail	تفصيل عارض
Aufgabe	وظيفة/ مهمة
Auflösung	حل
(= Resolution)	
Ausdrück,	تعبير
indexikalisch	~ إشارى
modal	~ جهوى
Ausführen der Äusserung	إنجاز المنطوق
Ausgabebeschränkung	قيد المخرج
(= output constraint)	
Aussage	قول/ خبر/ جملة خبرية
ÄuBerung,	منطوق
sprachliche	~ لغوى
(= SprachäuBerung)	
ÄuBerungscharakter	خاصية المنطوق

B

Basisoperation,	بنية أساس
rhetorische	~ بلاغية
Bedeutung	دلالة
(Inhalt und Referenz)	(المضمون والإحالة)
denotative ~	~ إحالية
globale ~	~ كلية، عامة
lokale ~	~جزئية، خاصة
Bedeutungsganzheit	كلية دلالية
Bedeutungspostulat	فرض دلالى

Behauptung	زعم/ قول
Berechtigung	تسويغ
Beweisführung	إيراد الدليل
Beschluss	قرار/ حكم
(= EntschluB,	
mentale Handlungsbedingung)	قيد عقلى للحدث
Beschränkung	قصر/ تقييد
Beweis	دليل
Beziehung,	علاقة
kohärenzbeziehung	علاقة تماسك
Bezugsrahme,	إطار العلاقة
sozialer Bezugsrahme	إطار اجتماعى للعلاقة
Botschaft	رسالة

C

Charakter	خاصية
konventionell	~ عرفية
Comment	تفسير
(vgl. Topic)	(قارن : محور)
Competence	كفاءة لغوية
(s. Sprachvermögen)	
counterpart	شريك/ مشارك
(s. Gegenspieler)	

D

Deterimant,	محدد
~, situationelle	~ موقفى
Devianz	انحراف

Dialog	حوار/ ديالوج
Dialogtext	نص حوارى
direkte Rede	كلام مباشر
discourse referent	محيل الخطاب
(s. Textreferent)	
Disjunktion	فصل
dispositio	تنظيم/ ترتيب (الأفكار)

E

Ebene	مستوى
Makroebene	~ أكبر
Mikroebene	~ أصغر
Effekt des Stils	أثر الأسلوب
Effektivität des Stils	فعالية/ تأثير الأسلوب
Eigenschaft,	خاصية
--, paratextuelle	~ نصية موازية
Einbetting	تضمن
Einheit	وحدة
minimale Einheit	- صغرى
Interaktionseinheit	وحدة التفاعل
Einschübe	إضافات
Einsicht (des Lesers)	اطلاع (القارئ)/ سبر
Einstellung,	وضع
~, sehematische	~ هيكلى/ تخطيطى
elocutio	تشكيل الأفكار
Enjambement	تدوير
entailment	استدلال
Entwicklungsstörung	اضطراب النمو

Enumeration	سرد/ عد
Episode	مشهد/ حدث بينى/ حلقة
Ereignis	حادثة
-, in einem Erzähltext	ـــ، فى نص الحكى/ القص
Erinnern	تذكر
von textuellen Information	معلومة نصية
Erinnerungsprotokoll	محرر/ مدونة التذكر
Erkennen	تعرف
(von Information)	
Eröffnung	افتتاح
(des Gesprächs)	
Erwartung	توقع
Erwerb	اكتساب
(textueller Fertigkeit)	(مهارة نصية)
Erzählung	حكى / قص
-, kanonische struktur	بنية قاعدية
-, naturliche -	~طبيعية
Evaluation	تقويم
(in einem Erzähltext)	(فى نص حكى)
Explizität	وضوح/ تصريح
Extension	توسيع/ ما صدق (محيل)

F

Focus	بؤرة
Folge	عاقبة/ نتيجة
(einer Handlung)	(حدث)
Formeln	صيغ
(in eimem text)	(فى نص)

Form	صيغة/ شكل
Textform	صيغة النص (تتصل بالبنية العليا)
Formalität	شكلية/ شكلانية
Formellheit	رسمية/ شكلية
Frame (= Rhame)	إطار
Funktion (der Interaktanten)	وظيفة (المتفاعلين/ المشاركين فى التفاعل)
-, der Information	~ المعلومة
-, des Gesprächs	~ الحديث
-, in der Makrostraktur	~ فى البنية الكبرى
-, des Stils	~ الأسلوب
Informationsfunktion	وظيفة معلومية (معلوماتية)
institutionelle Funktion	وظيفة مؤسسية/ رسمية
Funktionieren	توظيف/ تفعيل

G

Gattung	جنس/ لون
Gedächtnis	ذاكرة
-, episodisches	~ مشهدية
-, kapazitat	طاقة الاستيعاب ~
-, konzeptionelles	~مفهومية
-, semahtisches	~ دلالية
Gedächtnisbesbeschränkung	قصور الذاكرة
kurzzeit - Gedächtnis (= short term memory S T M)	ذاكرة المدى القصير (ذ م ق)

Longzeit - Ggedächtnis	ذاكرة المدى الطويل
(= long term memory L T M)	(ذ م ط)
-, semantisches K G	ذاكرة المدى القصير الدلالية
Gegenspieler	مشارك/ شريك
(= counterpart)	
Gelingen von Handlungen	نجاح/ سداد الأحداث
Gespräch	حديث
-, Funktionen	وظائف ~
-, geschlossenes	~ مغلق
-, globale Strukturen	أبنية كلية (للحديث)
(des Gesprächs)	
-, kognitive Faktoren	عوامل إدراكية/ معرفية
-, lineare kohärenz	تماسك أفقى
-, Oberflächenstrukturen	أبنية سطحية
-, offenes	حديث مفتوح
-, öffentliches	~ علنى
-, privates	~ خاص
-, schematische Strukturen	أبنية هيكلية
-, soziale Strukturen	~ اجتماعية
-, Veränderung des Themas	تغيير التيمة/ الموضوع
Gesprächsanalyse	تحليل الحديث
Gesprächsgegenstand	موضوع الحديث
Gesprächsorten	ألوان الحديث
Gesprächstopoi	قوالب الحديث
stereotypen ~	~ النمطية
Gesprächszusammenhang	ترابط الحديث
Grammatik	علم القواعد
empirische Grundlage	أساس مبريقى

Geschehen	حدث
-, kommunikatives	~ اتصالى

H

Haltung	موقف
Handeln	إجراء / فعل
-, konversationelles	حوارى
-, soziales	اجتماعى
(= Interaktion)	(= تفاعل)
Handlung	حدث
-, referentielle	~ اتصالى
-, semantische	~ دلالى
-, sozaile	~ اجتماعى
-, sprachliche	~ لغوى
Handlungsbereich	الحدث
Handlungsfeld	مجال الحدث
Handlungsrahme	إطار الحدث
Handkungssequenz	تتابع الحدث
Handlunghstheorie	نظرية الحدث
Bedeutungshandlung	حدث دلالى
(= semantische ~)	
Makrohandlung	حدث أكبر
Mikrohandlung	حدث أصغر
Sprechhandlung	حدث كلامى
(- locutionary act)	
Hermeneutik	تأويل
Hintergrundsinformation	معلومة جوهرية
Hõfflichkeit	أدب، تهذيب

Hörer	سامع

I

Identifizierung	تحديد هدية
Identitiat	تطابق
-, referezielle	~ إحالى
illocutionary act	فعل إنجازى/ قوة فعل الكلام
Illustriertentext	نص مصور
Implikation	استلزام/ تضمين
-, grammatische	~ نحوى
-, semantische	~ دلالية
Implizität	تضمين/ تضمن
Indirektheit	اللا مباشرة
Inferenz	استدلال
Information	معلومة/ بيان
-, explizite	~ صريحة
-, implizite	~ ضمنية
Informationsorganisation	تنظيم المعلومة
Informationsreduktion	اختصار للمعلومة
-, semantische	~ دلالى للمعلومة
Informationsverarbeitung	استيعاب المعلومة
-, komplexe	~ معقدة
-, Prinzipien	مبادئ ~
-, semantische	~ دلالى
-, aus Texten	~ من النصوص
zyrklisches Prinzip	مبدأ دائرى / دورى
Inhalt	مضمون
-, globaler	~ كلى

-, pragmatischer	~ براجماتى
Inhaltsanalyse	تحليل المضمون
(= content analysis)	
Textinhalt	مضمون النص
	(يتصل بالبنية الكبرى)
inkompatibel	غير متساوق
Instituation	مؤسسة
Institutionalisierung	عمل مؤسسى
institutionell	مؤسسى
Instrumentarium	منظومة (مجموعة)
	الأدوات
Intension	مفهوم/ معنى
Intention	مقصد
-, korresponsierende	~ مساوق/ موازٍ
-, rationale	~ عقلى
intentionale	مقصدى
Intensität	شدة
Interaktant	متفاعل/ شريك فى التفاعل
Interaktion	تفاعل
-, akzeptierbare	~ مقبول
-, einseitige	~ أحادى (من طرف واحد)
-, und kommunikation	~ واتصال
-, kommunikative	~ اتصالى
-, soziale	~ اجتماعى
-, sprachliche	~ لغوى
-, verbale	~ فعلى
-, zweiseitige	~ ثنائى (من طرفين)
Interaktionsprogrammierung	برمجة التفاعل

Makrointeraktion	تفاعل أكبر
Mikrointeraktion	~ أصغر
interdisziplinär	متداخل الاختصاصات
Interpretation	تفسير
-, kognitive	~ إدراكى
-, pragmatische	~ براجماتى
-, relative	~ نسبى
-, semantische	~ دلالى
-, stilistische	~ أسلوبى
Textinterpretation	تفسير النص
Intresse	اهتمام
an zubehalten Information)	(بمعلومة محتفظ بها)
Beschreibungsinventar	كم الوصف
inventio	ابتكار / استجماع (الأفكار)
Inversion	قلب

K

kanonische Struktur	بنية قاعدية
(der Erzählung)	(للحكى)
Kategorie	مقولة/ فئة
(Einteilungskriterium in der Syntax)	(معيار التقسيم فى النحو)
Kategorisierung	تقسيم إلى مقولات
-, textuelle	~ نصى
Kausalität	سببية/ علية
Kennzeichnen	سمة مميزة
Klassifizierung	تصنيف
(von Sprechakten)	(أفعال الكلام)
Kognitiv	إدراكى

kognitive Einstellung	اعتبار إدراكى
kognitive Psychologie	سيكولوجيا إدراكية
kognitive Bedingung	قيد إدراكى
Kohärenz	تماسك
-, lineare	~ أفقى
-, semantische	~ دلالى
(s. Zusammenhang)	
Kohärenzbeziehung	علاقة تماسك
Kombination	تكوين
Wortkombination	تكوين لفظى
Kommunikation	اتصال
-, und Interakiton	~ وتفاعل
-, paratextuelle	~ نص مواز
Kommunikationsprozess	عملية الاتصال
Kommunikationstheorie	نظرية الاتصال
Komplikation	عقدة
(im Erzähltext)	(فى نص الحكى)
Komponent	مكون
Komposition	تأليف
Konditionalität	شرطية/ علائقية
Konjunktion	وصل
Konkurrenz	تنافس
Konnektiva	أدوات ربط (روابط)
-, pragmatische	~ براجماتية
-, semantische	~ دلالية
Konnex	مترابط داخليا
Konnexe Handlungspaare	أزواج مترابطة من الأحداث

Konnexion	ربط داخلى
(= Konnexität)	
Kontext	سياق
-. analyse des Kontextes	تحليل السياق
-, institutioneller	~ مؤسسى
-, pragmatischer	~ براجماتى
-, psychischer	~ نفسى
-, sozialischer	~ اجتماعى
-, stilistischer	~ أسلوبى
- und Text	~ والنص
konstitiv	مؤسس
Konvention (en)	عرف (ج : أعراف)
konve:tionelle	عرفى
Konversation	محادثة
-, Mehrere - Personen - Konversation	بين عدة أشخاص
Konzept	مفهوم
konzeptionelle	مفهومى
kozeptionelle Strukturen	أبنية مفهومية
Koreferenzialität	تحاول (اتحاد فى الإحالة)
Korrektheit	صحة
Kriterium	معيار
-, institutionalisiertes	~ مستقر مؤسسياً
kritische Textwissenschaft	علم نص نقدى

L

langzeit - Gedächtnis	ذاكرة المدى الطويل
(= long term memory)	

Lemma	استشهاد/ قرينة/ عبارة معضدة
Lernprozess	عملية التعلم
Lineare Zusammenhänge	أوجه ترابط أفقى
-, des Gesprächs	~ للحديث
-, von Texten	~ من النصوص
Locutionary act	فعل الكلام
Logik	منطق
Modallogik	منطق الجهات/ جهوى
Prädikatenlogik	منطق المحمولات

M

Manifestierung	تحقيق
Makrohandlung	حدث أكبر
-, semantische	~ دلالى
Makrointeraktion	تفاعل أكبر
Makroproposition	قضية كبرى
Makroregeln	قواعد كبرى
Makro - Sprechakt	فعل كلامى ـ أكبر
Makrostruktur	بنية كبرى
Funktionen in der ~	وظائف فى ~
Massenkommunikation	اتصال جماهيرى
Mechanismus	آلية
Medien	وسائل الإعلام
Menglehre	علم الكميات/ الفئات
memoria	ذاكرة
Metasequenzen	ما وراء التتابعات
Metrik (Verslehre)	عروض

Mikrohandlung	حدث أصغر
Mikrointeraktion	تفاعل أصغر
Mikrokontext	سياق أصغر
-, sozialer	~ اجتماعى
Mikroproposition	قضية صغرى
Mikroregeln	قواعد صغرى
Mikro - Sprechakt	فعل كلامى - أصغر
Mikrostruktur	بنية صغرى
Modalausdrücke	تعبيرات صيغية (موجهة)
Modalität	صيغية، خاصية الوجهة
Modellbegriff	مصطلح/ مفهوم النموذج
Modell theorie	نظرية النموذج
Modellstruktur	بنية النموذج
mögliche Welt	عالم ممكن/ محتمل
monolog	حديث فردى (مونولوج)
monologtext	نص فردى
Moral (im Erzählltext)	- أخلاقى (فى نص الحكى)
Morphologie	علم الصرف/ مورفولوجيا
Motivierung	تحفيز/ حافزية

N

narrative Strukturen	أبنية سردية
Netzwerk (von Begriffen)	شبكة (من المفاهيم)
Neuinterpretation	تفسير جديد
non - verbale Eigenschaften	خواص غير فعلية

O

Oberbegriff	مفهوم علوى

Ökonomie	اقتصاد
Operationen	عمليات
-, pragmatische	~ براجماتية
-, semantische	~ دلالية
Organisierung	تنظيم
Organisierungsseqrenzen	تتابعات التنظيم
Orientierung	توجيه
(im Gespräch)	(فى الحديث)
output containts	قيود المخرج
s. Ausgabebeschränkungen	
paratextuelle Eigenschaften	خواص نصية موازية
(non - verbale)	

P

Parameter	معيار (باراميتر)
Partikel	أداة
Modalpartikel	أداة موجهة
Partizipant	مشارك/ شريك
Performance	أداء لغوى
s. Sprachgebrauch	
performative Sätze	جمل أدائية
performative Verben	أفعال أدائية
Permanenz	استمرار
perlocutionay act	لازم فعل الكلام
Perspektive	منظور
Phonetik	علم الأصوات (الفوناتيك)
Phonologie	علم الأصـــوات الوظيـــفى /(الفونولوجيا)

Plan	خطة
-, kognitive	~ إدراكية
Planung	تخطيط
Planung der Äußerung	تخطيط المنطوق
Plot (im Erzähltext)	حبكة (فى نص الحكى)
Poetik	علم الشعر
Politologie	علم السياسة
Postulat (uber mogliche Welt)	مسلمة (عن عالم ممكن)
Bedeutungspostulate	مسلمات دلالية
Pragmatik	براجماتية
-, linguistische	~ لغوية
-, semantische	~ دلالية
pragmatische Identifizierung	تحديد هوية براجماتية
, Interpretation	تفسير براجماتى
-, Makrostrukturen	أبنية كبرى براجماتية
Prämissen	مقدمات
Präsupposition	فرضية مسبقة
Pre - starter	مستهل/ متصدر
Prinzip	مبدأ
Interpretationsprinzip	مبدأ التفسير
Problemlösung	حل المشكلة
Produktion	إنتاج
(von Texten)	(النصوص)
Produktionsplan	خطة الإنتاج
Produktionsregln	قواعد الإنتاج
Pronuntiatio	استرجاع/ استعادة النصوص
Proposition	قضية
zusammengesetzte Proposition	~ مركبة

Prozedur	إجراء
-, kognitive	~ إدراكى
ProzeB	عملية
HandlungsprozeB	~ الحدث
Psychoanalyse	تحليل نفسى
Psycholinguistik	علم اللغة النفسى
Psychologie	علم النفس/ سيكولوجيا
-, kognitive	~ إدراكى
Psychologie	سيكولوجيا استيعاب / معالجة
der Textverarbeitung	النص
Psychotherapie	علاج نفسى
Publizitik	علم النشر

R

Rahmen	إطار
(= frame)	
-, des Arguments	~ الدليل/ الحجة
-, der Erzählung	~ القص
-, formelle	~ رسمى
(= institutionelle)	(= مؤسسى)
≠ informelle	≠ غير رسمى
-, offentliche	~ عام
≠ private	≠ خاص
-, sozialer	~ اجتماعى
Rahmenerwartung	توقع الإطار
Rationalisierung	عقلنة
Realisation	تحقق

Rechte (als soziale Bedingung der Interaktion)	حقوق (بوصفها قيداً اجتماعياً للتفاعل)
Rechtswissenschaft	علم القانون
Redekunst	فن القول (الكلام)
Reduplikation	تضعيف
Referenz	إحالة
referieren	يحيل
referenzielle Identität	تطابق إحالى
Regeln	قواعد
Bildungsregel	قاعدة بناء
-, konventionelle	~ عرفية
Makroregel	قاعدة كبرى
Regelbundenheit	ربط قاعدى
Regekmäßigkeit	اطراد
Reglementierung	تقنين
Reihenfolge	توال/ تسلسل
Rekonstruktion	إعادة تركيب
(von Texten)	(للنصوص)
-, von textueller Information	~ للمعلومة النصية
Rekonstruktionsoperation	عملية إعادة التركيب
Rekursion	تكرير
rekursiv	عكسى/ تكريرى
Rekrusivität	ارتداد/ رد
Relation	علاقة
-, extensionale	~ ماصدقية (إحالية)
-, intensionale	~ مفهومية (دلالية)
-, implikative	~ ضمنية

-. konzeptuelle	~ مفهومية
-, logische	~ منطقية
-, zusammengestzte	~ مركبة
Zusammenhangsrelation	علاقة ترابط
Relevanz	أهمـيـة/ اتصـال وثيق بالموضوع
-, affektive	~ تأثيرية
-, kognitive	~ إدراكية
-, strukturelle	~ تركيبية
Relevanzwert	قيمة جوهرية/ أساسية
-, funktioneller	~ وظيفية
von Textinformation	للمعلومات النصية
Resultat	نتيجة
(Endzustand einer Handlung)	(حال أخيرة للحدث)
retrievability	إمكان الاستعادة/ الاسترجاع
s. Wiederauffindlichbarkeit	
retrieval	ممكن الاستعادة
s. Wiederauffinden von	للمعلومة النصية
textueller Information	
Rhetorik	بلاغة (ريطوريقا)
- rhetorische	~ بلاغى
Rolle	دور

S

Sachverhalt	واقعة / حال
Sanktion	جزاء/ دفع
Satz	جملة
-. zusammengesetzter	~ مركبة

German	Arabic
Satzsequenzen	تتابعات الجملة
Schema	هيكل/ مخطط
-, abstraktes	~ مجرد
-, inhaltisches	~ مضمونى
-, narratives	~ سردى
-, semantisches	~ دلالى
-, strukturelles	~ تركيبى
schematische Strukturen des Gesprachs	أبنية هيكلية للحديث
schematische Superstrukturen	أبنية عليا هيكلية
Reim- Schema	مخطط القافية
Schichtung	تدرج/ تراكب طبقى
Schizophrenie	فصام/ شيزوفرنيا
Schlussfolgerung	نتيجة
(Argumentation)	(جدل/ حجاج)
Segmentierung	تجزئة
Semantik	علم الدلالة
-, kognitive	~ إدراكى
-, konkextuelle	~ سياقى
-, linguistische	~ لغوى
semantisches Gedächtnis	ذاكرة دلالية
(= konzeptionelles Gedächtnis)	(~مفهومية)
-,Textstrukturen im	أبنيـة نصـيـة فى الذاكـرة
semantischen Gedächtnis	الدلالية
semantische Information	معلومة دلالية
semantische Informationsverarbeitung	استيعاب دلالى للمعلومة
samantische Transformationen	تحويلات دلالية
Semiotik	علم العلامات
short term memory	ذاكرة المدى القصير

s. kurzzeit - Gedächtnis	
Sinn	معنى/ مغزى
-, strategischer	~ استراتيجى
Sinnesorgane	الحواس
Slot	موضع/ مكان
soziale Informationsverarbeitung	استيعاب اجتماعى للمعلومة
soziale Interaktionsveraussetzungen	شروط اجتماعية للتفاعل
sozialer kontext	سياق اجتماعى
soziale Rahmen	أطر اجتماعية
soziale Situation	موقف اجتماعى
(vs. sozialer kontext)	(سياق اجتماعى)
Sozialekt	خاصية اجتماعية
Sozialpsychologie	سيكولوجيا اجتماعية
Sozialogie	علم الاجتماع
Speechact	فعل كلامى
s. Sprechakt	
Sprachstudium	دراسة اللغة
Sprachgebrauch	استعمال لغوى
(performance)	(أداء)
Sprachvermögen	كفاءة/ قدرة لغوية
(s. Competence)	
Sprachwissenschaft	علم اللغة
Sprechakt	فعل الكلام/ كلامى
(speech act,	
illocutionary act	
locutionary act	
perlocutionary act)	
-, direkter	فعل كلامى مباشر

-, Haupt - Sprechakt	~ ـ رئيس
-, indirekter	~ غير مباشر
Makro - Sprechakt	فعل كلامى أكبر
Sprechaktsequenzen	تتابعات الفعل الكلامى
Sprecher	متكلم/ متحدث
Steuerung	توجيه
-, programmierende	مبرمج
-, strategische	~ استراتيجى
Stil	أسلوب
-, lexikalischer	~معجمى
-, pragmatischer	~ براجمانى
-, semantischer	~ دلالى
Stilfiguren	صور أسلوبية
Stilistik	أسلوبية
(s. Stilwissenschaft)	(علم الأسلوب)
-, quantitische	~ كمية
stilistische Strukturen	أبنية أسلوبية
-, verarbeitung	ـ استيعاب
Textstilistik	أسلوبية نصية/ النص
Strategien	استراتيجيات
Struktur	بنية/ تركيب
Strukturmerkmal	ملمح تركيبى
Strukturprinzip	مبدأ تركيبى
Alliterations - Struktur	بنية الاستهلال
-, globale	بنية كلية/ عامة
	(تتصل بالبنية الكبرى)
-, hierarchische	~ متدرجة
-, pragmatische	~ براجماتية

-, syntaktische	~ نحوية
Hyperstruktur	بنية كبرى مضمونية
lokale Struktur	بنية جزئية (خاصة) (تتصل بالبنية الصغرى)
Makrostruktur	بنية كبرى
Mikrostruktur	~ صغرى
narrative Struktur	~ سردية
Superstruktur	بنية عليا (على المستوى النحوى)
-, Arten	ألوان/ أنواع
-, empirische Basis	أساس امبريقى
-, pragmatische Funktionen	وظائف براجماتية
-, soziale Funktionen	~ اجتماعية
-, Typologie	نمطية/ جدولة
Strukturierung	عملية تشكيل
Syntax	نحو/ تركيب
System	نسق/ نظام
Systematik	نسقية/ نظامية/ بناء نسقى
systematisch	نسقى/ منظم

T

Tatsachen	حقائق
tautologisch	مطنب/ مسهب
Teilnehmer	شريك/ مشارك
Text und Interaktion	نص وتفاعل
-, und kontext	وسياق
Gesamttext	نص كلى
Metatext	ما وراء النص/ نص واصف

Monologtext	نص أحادى فردى
-, makro - mehrdeutiger	نص متعدد المعنى أكبر
Textbasis	أساس نصى
-, implizite	~ ضمنى
Textform	شكل/ صيغة النص
Textgattung	جنس النص
Textinhalt	مضمون النص
Textkanäle	قنوات النص
Textprasentation	تمثيل النص
Textproduktion	إنتاج النص
Textreferent	محيل نصى
(= discourse referent)	(محيل خطابى)
Textsorten	ألوان/ أنواع نصية
Textstilistik	أسلوبية النص
Textstrukturen	أبنية النص
-, pragmatische Eigenschaften	خواص نصية
-, im semantischen Gedächtnis	فى الذاكرة الدلالية
Textträger	حامل النص
Texttypen	أنماط نصية
(s. Gattung, Textsort)	
-, institutionelle	~ مؤسسية
Texttypologie	نمطية النص
Textuelle Fertigkeiten	مهارات النص
Erwerb von ~	اكتساب ~
Textverarbeitung	استيعاب النص
Psychologie der ~	سيكولوجيا ~
-, Psychopathologie der	علم النفس المرضى

Textwissenschaft	علم النص
als neue interdisziplinäre Wissenschaft	بوصفه علماً متداخل الاختصاصات
-, Aufgaben	وظائف/ مهام
-, historische	~ تاريخية
Thema	تيمة/ موضوع
-, des Ggesprächs	~ الحديث
(topic of conversation)	
vgl. Gesprächgegenstand	موضوع الحديث
-, des Textes	~ النص
(topic of discourse)	
Themasatz	الجملة التيمة/ الموضوع
Themawort	الكلمة التيمة/ الموضوع
Themenwechsel	تبادل التيمات/ الموضوعات
Theologie	علم اللاهوت
therapeutisches Gespräch	حديث علاجى
Titel	عنوان
Ton	نغمة
Topic	محور
Topic - comment	محور - تفسير
Topic of conversation	محور المحادثة
s. Thema des Gesprächs	(تيمة الحديث)
Topic of discourse	محور الخطاب
s. Thema des Textes	(تيمة النص)
Topos	صيغة ثابتة (قالب)
(pl.) Topoi	
Transformation	تحويل
-, semantische	~ دلالى

Tun	عمل
(gegensatz Handlung)	(عكس حدث)
Turn	دور/ تناوب
-, freies	~ حر
-, gebundenes	~ مقيد
Turn - Sequezen	تتابعات الأدوار
Turn - Wechsel	تبادل الأدوار
Typologie	تنميط/ جدولة
Typus	نمط
-, konventioneller	~ عرفى

U

Unerwartetheitswert	قيمة اللاتوقع
Unterstellung	زعم
Untersuchungsbericht	تقرير بحثى
(über Exprimente in Psychologie)	(عن تجارب فى علم النفس)
Unterstutzung	دعم/ تدعيم
(= backing)	

V

Variante	بدائل/ متغيرات
-, funtionelle	~ وظيفية
-, stilistische	~ أسلوبية
Variation	تنوع/ تغير
-, pragmatische	~ براجماتى
-, semantische	~ دلالى
Verǎnderung	تَغَيُّر
Verb	فعل

Modalverb	فعل صيغى (جهدى)
-, performatives	~ أدائى
Verbindbarkeit	إمكانية ربط
von Präpositionen	القضايا
vergleichbar	ممكن مقارنته
Verhaltensnormen	معايير السلوك
Verpflichtungen	التزامات
(Pflichten)	
Verstehen	فهم
-, pragmatisches	~ براجماتى
-, des globalen Textinhaltes	للمضمون الكلى للنص
-, von Satzsequenzen	~ لتتابعات الجملة (الجمل)
-, von Texten	~ للنصوص
Versuchsperson	الشخص الخاضع للتجربة
Verursuchung	سببية / علية
Vollstandigkeit	تمام/ اكتمال
-, relative	~نسبى
Vorannahme	فرض
Vorlieben	ميول
(des Sprachgebrauchers)	(مستخدم اللغة)

W

Wahl	اختيار
(= option)	
Wahrheitswerte	قيم الحقيقة
Welt	عالم
-, mögliche	~ ممكن/ محتمل
Weltkenntnis	معرفة بالعالم
Weltwissen	معرفة العالم

Werbetexte	نصوص الدعاية
Werbung	دعاية/ إعلان
Wiederauffindbarkeit	إمكانية الإعادة/ الاسترجاع
(= retrievability)	
Wiederauffinden von	استعادة معلومات نصية
textuellen Informationen (retrieval)	
Wirklichkeit	واقع/ وجود خارجى
alternative	~ بديل
aktuelle	~ فعلى
Wissen	معرفى
-, konventionelles	~ عرفية
wissenschaftliche	علمى
Abhandlung	معالجة / مقال
Wissenrahmen	إطار المعرفة (إطار معرفى)
Wortform	صورة لفظية
	(كلمة/ لفظ)

Z

Zeitungswissenschaft	علم الصحافة
Ziel	هدف/ غرض
Zug	حركة
(= move)	
Zuordnung	نظام/ ترتيب
Zusammenarbeitsprinzipien	مبادئ التعاون
Zusammenfasung eines Textes	اختصار النص
Zusammenhang	سياق/ ترابط
Bedeutungszusammenhang	ترابط دلالى
-, globaler	~ كلى

·, pragmatischer	~ براجماتى
-, linearer	~ أفقى
(Kohärenz	
Anfangszustand	حال المدخل
Zustand als	حال
Ausgangspunkt für Handlung	بوصفه منطلقاً للحدث
Endzustand	حال المخرج
zyklisches Prinzip	مبدأ دائرى
textueller informationsverarbeitung	للاستيعاب النصى للمعلومة

قائمة المراجع

AMMON, ULRICH
1973 Probleme der Soziolinguistik (Tübingen: Niemeyer, GA 15)

APPEL, RENÉ, HUBERS, GERARD & MEIJER, GUUS
1976 Sociolinguistiek (Utrecht: Het Spectrum, Aula 575)

AUFERMANN, JÖRG, BOHRMANN, HANS & SÜLZER, ROLF (eds.)
1973 Gesellschaftliche Kommunikation und Information. 2 Bde. (Frankfurt: Athenäum-Fischer, FAT 4021/4022)

AUSTIN, JOHN LANGSHAW
1962 How to do things with Words (London: Oxford) (Dt. Übers.: Zur Theorie der Sprechakte. Stuttgart: Reclam 1976, RUB 9396)

BAR-HILLEL, JEHOSHUA (ed.)
1972 Pragmatics of Natural Languages (Dordrecht: Reidel)

BARTLETT, F. C.
1932 Remembering (London: Cambridge U. P.)

BAUMAN, RICHARD & SCHERZER, JOEL (eds.)
1974 Explorations in the Ethnography of Speaking (London: Cambridge U. P.)

BEARDSLEY, MONROE C.
1958 Aesthetics (New York: Harcourt, Brace & World)

BENEŠ, EDUARD & VACHEK, JOSEPH (eds.)
1971 Stilistik und Soziolinguistik (Berlin: List)

BEN AMOS, DAN & GOLDSTEIN, KENNETH (eds.)
1975 Folklore, Performance and Communication (Den Haag: Mouton)

BERNSTEIN, BASIL
1971 Class, Codes and Control (London: Routledge & Kegan Paul) (Dt. Übers.: Studien zur sprachlichen Sozialisation. Düsseldorf: Schwann 1972)

BINKLEY, ROBERT T., BRONAUGH, RICHARD & MARRAS, AUSONIO (eds.)
1971 Agent, Action, Reason (Oxford: Blackwell)

BIRDWHISTLE, RAY I.
1970 Kinesics and Context (Philadelphia: Univ. of Philad. Press)

BITZER, LLOYD & BLACK, EDWIN (eds.)
1971 The Prospect of Rhetoric (Englewood Cliffs N. J.: Prentice Hall)

BOBROW, DANIEL G. & COLLINS, ALLAN (eds.)
1975 Representation and Understanding (New York: Academic Press)

BÖCKELMANN, FRANZ
1975 Theorie der Massenkommunikation (Frankfurt: Suhrkamp, es 658)

BOOTH, WAYNE C.
1961 The Rhetoric of Fiction (Chicago: Chicago U. P.)

BRANDT CORSTIUS, H.
1974 Algebraïsche taalkunde (Utrecht: Oosthoek)

Bransford, John D. & Franks, Jeffery J.
1971 The Abstraction of Linguistic Ideas. in: *Cognitive Psychology* 2, 331–350
1972 The Abstraction of Linguistic Ideas: A Review. in: *Cognition* 1, 211–249

Bremond, Claùde
1973 Logique du récit (Paris: Seuil)

Brittan, Arthur
1973 Meaning and Situation (London: Routledge & Kegan Paul)

Bünting, Karl-Dieter
1972 Einführung in die Linguistik (Frankfurt: Athenäum, FAT 2011)

Care, Norman S. & Landesman, Charles (eds.)
1968 Readings in the Theory of Action (Bloomington: Indiana U. P.)

Chatman, Seymour (ed.)
1971 Literary Style (London: Oxford U. P.)

Charniak, Eugene
1972 Towards a Model of Children's Story Comprehension (MIT, Ph. D. Diss.)

Cicourel, Aaron W.
1968 The Social Organization of Juvenile Justice (New York: Wiley)
1973 Cognitive Sociology (Harmondsworth: Penguin) (Dt. Übers.: Sprache in der sozialen Interaktion. München: List 1975, LTW 1432)

Clark, Herbert H.
1976 Semantics and Comprehension (Den Haag: Mouton)

Clark, Herbert H. & Clark, Eve
1977 Psychology and Language (New York: Harcourt Brace)

Cofer, Charles N. (ed.)
1976 The Structure of Human Memory (San Francisco: Freeman)

Cole, Peter & Morgan, Jerry L. (eds.)
1975 Syntax and Semantics. Vol. 3 Speech Acts (New York: Academic Press)

Communications
1976 L'analyse structurale du récit, 8 (Paris: Seuil)
1970 Recherches rhétoriques, 16 (Paris: Seuil)

Corcoron, John P.
1969 Discourse Grammars and the Structure of Mathematical Reasoning. in: J. Scandura (ed.), Structural Learning (Englewood Cliffs: Prentice Hall)

Cresswell, M. J.
1973 Logics and Languages (London: Methuen)

Culler, Jonathan
1975 Structuralist Poetics (London: Routledge & Kegan Paul)

Danto, Arthur C.
1965 Analytical Philosophy of History (London: Cambridge U. P.)

Dascal, Marcele & Margalit, Avishai
1974 A new »revolution« in Linguistics? »Text Grammars« versus »Sentence Grammars«. in: *Theoretical Linguistics* 1, 195–213

Davidson, Donald D. & Harman, Gilbert (eds.)
1972 Semantics of Natural Language (Dordrecht: Reidel)

VAN DIJK, TEUN A.
1971a Moderne Literatuurteorie (Amsterdam: van Gennep)
1971b Taal. Tekst. Teken (Amsterdam: Athenaeum)
1972a Some Aspects of Text Grammar (Den Haag: Mouton)
1972b Beiträge zur generativen Poetik (München: Bayerischer Schulbuch-Verlag)
1973 Text Grammar and Text Logic. in: PETÖFI & RIESER (eds.) 17–78
1974 »Relevance« in Text Grammar and Text Logic. in: Paper Int. Congress of Relevance Logics, St. Louis, USA
1975a Discourse Meaning and Memory: Review Article of W. KINTSCH, The Representation of Meaning in Memory (1974). in: *Journal of Reading Behaviour* 8
1975b Recalling and Summarizing Complex Discourse (Universiteit van Amsterdam, mimeo), erscheint in: W. BURGHARDT & K. HÖLZER (eds.), Text Processing (New York, Berlin: de Gruyter, 1979)
1975c Formal Semantics of Metaphorical Discourse. in: *Poetics* 14/15, 173–198
1976a Philosophy of Action and Theory of Narrative. in: *Poetics* 5, 287–338
1976b Narrative Macro-Structures. Logical and Cognitive Foundations. in: *PTL* 1, 547–568
1976c Complex Semantic Information Processing (UvA, 1976). in: D. WALKER e. a. (eds.), Natural Languages in Information Science (Stockholm: Skriptor, 1977), 127–163
1977a Text and Context. Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse (London: Longman)
1977b Het Literatuuronderwijs op school. Een kritische analyse (Amsterdam: van Gennep)
1977c Context and Cognition: Knowledge Frames and Speech Act Comprehension. in: *Journal of Pragmatics* 1, 211–231
1977d Connectives in Text Grammar and Text Logic (1973). in: VAN DIJK & PETÖFI (eds.) 11–63
1977e Semantic Macro-Structures and Knowledge Frames in Discourse Comprehension. in: JUST & CARPENTER (eds.) 3–32
1978 Taal en handelen. Interdisciplinaire inleiding in de Pragmatiek (Muiderberg: Coutinho)
1980a Macro-Structures. An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse, Cognitions and Interaction (Hillsdale, N. J.: Erlbaum)
1980b Studies in the Pragmatics of Discourse (Den Haag: Mouton)

VAN DIJK, TEUN A. (ed.)
1975 Pragmatics of Language and Literature (Amsterdam: Noord Holland)

VAN DIJK, TEUN A. & KINTSCH, WALTER
1977 Cognitive Psychology and Discourse. in: DRESSLER (ed.)

VAN DIJK, TEUN A. & PETÖFI, JANOS S. (eds.)
1975 Theory of Metaphor. in: *Poetics* 14/15
1977 Grammars and Descriptions (New York, Berlin: de Gruyter)

DITTMAR, NORBERT
1973 Soziolinguistik. Exemplarische und kritische Darstellung ihrer Theorie, Empirie und Anwendung. Mit kommentierter Bibliographie (Frankfurt: Fischer Athenäum, FAT 2013)

DOLEŽEL, LUBOMIR & BAILEY, CHARLES W. (eds.)
1969 Statistics and Style (New York: Elsevier)

DOUGLAS, JACK D. (ed.)
1973 Understanding Everyday Life (London: Routledge & Kegan Paul)

DRESSLER, WOLFGANG U.
1972 Einführung in die Textlinguistik (Tübingen: Niemeyer, Konzepte 13)

DRESSLER, WOLFGANG, U. (ed.)
1977 Current Trends in Text Linguistics (New York, Berlin: de Gruyter)

DRESSLER, WOLFGANG U. & SCHMIDT, SIEGFRIED J.
1973 Textlinguistik. Eine kommentierte Bibliographie (München: Fink)

DUBOIS, J. e. a.
1970 Rhétorique générale (Paris: Larousse)

ECO, UMBERTO
1976 A Theory of Semiotics (Bloomington: Indiana U. P.)

ENGEL, DOROTHEA
1977 Textexperimente mit Aphatikern (Tübingen: Narr)

ENKVIST, NILS ERIK
1973 Linguistic Stylistics (Den Haag: Mouton)

ERLICH, VICTOR
1955 Russian Formalism (Den Haag: Mouton) (Dt. Übers.: Russischer Formalismus. Frankfurt: Suhrkamp, stw 21)

FESTINGER, LEON
1957 A Theory of Cognitive Dissonance (Stanford: Stanford U. P.)

FILLMORE, CHARLES
1968 The Case for Case. in: E. BACH & R. T. HARMS (eds.), Universals in Linguistic Theory (New York: Holt, Rinehart & Winston), 1–88

FISHBEIN, MARTIN & AJZEN, ICEK
1975 Belief, Attitude, Intention, and Behavior (Reading Mass.: Addison-Wesley)

FLADER, DIETER
1974 Strategien der Werbung (Kronberg: Scriptor)

FLORES D'ARCAIS & LEVELT, W. J. M. (eds.)
1970 Advances in Psycholinguistics (Amsterdam: Noord Holland)

FODOR, J. A., BEVER, T. G. & GARRETT, M. F.
1974 The Psychology of Language (New York: McGraw Hill)

FOWLER, ROBERT (ed.)
1966 Essays on Style and Language (London: Routledge & Kegan Paul)

FRANCK, DOROTHEA
1975 Zur Analyse indirekter Sprechakte. in: V. EHRICH & P. FINKE (eds.), Beiträge zur Grammatik und Pragmatik (Kronberg: Scriptor), 219–232
1979 Grammatik und Konversation (Diss. Universiteit van Amsterdam) (erscheint bei Scriptor, 1980)

FREDERIKSEN, CARL H.
1972 Effects of task induced cognitive operations on comprehension and memory processes. in: J. B. CARROLL & R. O. FREEDLE (eds.), Language Comprehension and the Acquisition of Knowledge (New York: Winston/Wiley), 211–245
1975a Acquisition of Semantic Information from Discourse: Effects of Repeated Exposures. in: *Journal of Verbal Learning and Verbal Behaviour* 14, 158–169
1975b Effects of Context-Induced Processing Operations on Semantic Information Acquired from Discourse. in: *Cognitive Psychology* 7, 139–166

FREEDLE, ROY O. (ed.)
1977 Discourse Processes. Vol. 1 (Norwood, N. J.: Ablex)

FREEMAN, DONALD C. (ed.)
1970 Linguistics and Literary Style (New York: Holt, Rinehart & Winston)

GADAMER, HANS GEORG
1960 Wahrheit und Methode (Tübingen: Mohr)

GARFINKEL, HAROLD
1972 Studies of Routine Grounds of Everyday Activities. in: SUDNOW (ed.) 1–30

GERBNER, GEORGE e. a. (eds.)
1969 The Analysis of Communication Content (New York: Wiley)

GÖTTERT, KARL-HEINZ
1978 Argumentation (Tübingen: Niemeyer, GA 23)

GOFFMAN, ERVING
1967 Interaction Ritual (Harmondsworth: Penguin)
1971 Relations in Public (New York: Harper & Row)
1974 Frame Analysis (New York: Harper & Row)

GRAY, WILLIAM H.
1971 On the Nature and Role of Narrative in Historiography. in: *History and Theory* 10, 153–171

GRICE, H. PAUL
1967 Logic and Conversation, William James Lectures, mimeo (teilweise in COLE & MORGAN (eds.))

GRIMES JOSEPH E.
1975 The Thread of Discourse (Den Haag: Mouton)

GROENENDIJK, JEROEN & STOKHOF, MARTIN
1975 Modality and Conversational Information. in: *Theoretical Linguistics* 2, 61–112
1976 Some Aspects of the Semantics and Pragmatics of Performative Sentences. in: *Amsterdam Papers in Formal Grammar* Vol. 1 (Universiteit van Amsterdam)
1978 Epistemic Pragmatics (Diss. Universiteit van Amsterdam, i. V.)

GÜLICH, E. & RAIBLE, W.
1977 Linguistische Textmodelle (München: Fink, UTB 130)

GUMPERZ, JOHN D. & HYMES, DELL (eds.)
1972 Directions in Sociolinguistics. The Ethnography of Communication (New York: Holt, Rinehart & Winston)

HAGER, FRITHJOF, HABERLAND, HARTMUT & PARIS, RAINER
1973 Soziologie + Linguistik (Stuttgart: Metzler)

HALLIDAY, M. A. K.
1967 Explorations in the Functions of Language (London: Arnold)

HALLIDAY, M. A. K. & HASAN, RUQAIYA
1976 Cohesion in English (London: Longman)

HAMBURGER, KÄTE
1968 Die Logik der Dichtung (Stuttgart: Klett)

HAUSWALDT-WINDMÜLLER, BRIGITTE
1977 Sprachliches Handeln in der Konsumwerbung (Weinheim/Basel: Beltz)

HELBIG, GERHARD
1974 Geschichte der neueren Sprachwissenschaft (Reinbek: Rowohlt, rororo studium 48)

HENNE, HELMUT & REHBOCK, HELMUT
1979 Einführung in die Gesprächsanalyse (Berlin/New York: de Gruyter, Slg. Göschen 2212)

HIMMELFARB, SAMUEL & EAGLY, ALICE H. (eds.)
1974 Reading in Attitude Change (New York: Wiley)

HOLSTI, OLE
1969 Content Analysis for the Social Sciences and the Humanities (Reading, Mass.: Addison-Wesley)

HUGHES, G. E. & CRESSWELL, M. J.
1968 An Introduction to Modal Logic (London: Methuen)

HUNDHAUSEN, CARL
1975 Propaganda (Essen: Girardet)

HYMES, DELL (ed.)
1964 Language in Culture and Society (New York: Harper & Row)

IHWE, JENS
1972 Linguistik in der Literaturwissenschaft (München: Bayerischer Schulbuch-Verlag)

IHWE, JENS (ed.)
1971/72 Literaturwissenschaft und Linguistik. 3 Bde. (Frankfurt: Athenäum)

JAKOBSON, ROMAN
1960 Linguistics and Poetics. in: SEBEOK (ed.) 350–377 (Dt. Übers.: Linguistik und Poetik. in: JAKOBSON, Poetik. Ausgewählte Aufsätze 1921–1971. Frankfurt: Suhrkamp 1979, stw 262)

JEFFERSON, GAIL
1972 Side-Sequences. in: SUDNOW (ed.) 294–338

JUST, MARCEL & CARPENTER, PATRICIA (eds.)
1977 Cognitive Processes in Comprehension (Hillsdale, N. J.: Erlbaum)

KALLMEYER, KLEIN, MEYER-HERRMANN, NETZER & SIEBERT
1974 Lektürekolleg zur Textlinguistik, Band 1: Einführung, Band 2: Reader (Frankfurt: Athenäum, auch als FAT 2050/2051)

KATZ, JERROLD J.
1972 Semantic Theory (New York: Harper & Row)

KEENAN, EDWARD L. (ed.)
1975 Formal Semantics of Natural Language (London: Cambridge U. P.)

KEMPEN, GERARD
1977 On Conceptualizing and Formulating in Sentence Production. in: S. ROSENBERG (ed.), Sentence Production (Hillsdale, N. J.: Erlbaum)

KEMPSON, RUTH M.
1975 Presupposition and the Delimitation of Semantics (London: Cambridge U. P.)

KERKHOFF, EMMA L.
1962 Kleine deutsche Stilistik (Bern: Franke, Dalp-Tb. 364)

KINTSCH, WALTER
1974 The Representation of Meaning in Memory (Hillsdale, N. J.: Erlbaum)
1976 Memory for Prose. in: COFER (ed.) 90–113
1977a Memory and Cognition (New York: Wiley)
1977b Comprehending Stories. in: JUST & CARPENTER (eds.)

KINTSCH, WALTER & VAN DIJK, TEUN A.
1975 Comment on se rappelle et on résume des histoires. in: *Langages* 40, 98–116
1978 Toward a Model of Discourse Comprehension and Production. in: *Psychological Review* 85

KLAUS, GEORG
1971 Sprache der Politik (Berlin, DDR: Deutscher Verlag der Wissenschaften)

KOPPERSCHMIDT, JOSEF
1973 Allgemeine Rhetorik (Stuttgart: Kohlhammer)

KUMMER, WERNER
1975 Grundlagen der Texttheorie (Reinbek: Rowohlt, rororo studium 51)

KURODA, S.-Y.
1975 Reflections on the Foundations of Narrative Theory – From a Linguistic Point of View. in: VAN DIJK (ed.) 107–140

LABOV, WILLIAM
1972a Language in the Inner City (Philadelphia: University of Philadelphia Press)
1972b Sociolinguistic Patterns (Philadelphia: University of Philadelphia Press)
1972c Rules for Ritual Insults. in: LABOV (1972a) 297–353

LABOV, WILLIAM & FANSHEL, DAVID
1977 Therapeutic Discourse (New York: Academic Press)

LABOV, WILLIAM & WALETZKY, JOSHUA
1967 Narrative Analysis: Oral Versions of Personal Experience. in: J. HELM (ed.), Essays on the Verbal and Visual Arts, 12–44

LÄMMERT, EBERHARD
1955 Bauformen des Erzählens (Stuttgart: Metzler)

LAKOFF, GEORGE
1968 Counterparts and the Problem of Reference in Transformational Grammar. Paper LSA Meeting, July (mimeo)

LASSWELL, HAROLD D. & LEITES, NATHAN and associates (eds.)
1949 Language of Politics. Studies in Quantitative Semantics (Cambridge, Mass.: MIT Press)

LAUSBERG, HEINRICH
1960 Handbuch der literarischen Rhetorik, 2 Bde. (München: Fink)

LEECH, GEOFFREY N.
1966 English in Advertising (London: Longman)
1969 Towards a Semantic Description of English (London: Longman)

LEODOLTER, RUTH
1975 Das Sprachverhalten von Angeklagten bei Gericht (Kronberg: Scriptor)

LEWIS, DAVID
1968 Convention (Cambridge, Mass.: MIT Press)
1973 Counterfactuals (Oxford: Blackwell)
1970 General Semantics. in: *Synthese* 22, 18–67

LINDSAY, PETER H. & NORMAN, DONALD A.
1972 Human Information Processing (New York: Academic Press)

LISCH, RALF & KRIZ, JÜRGEN
1978 Grundlagen und Modelle der Inhaltsanalyse (Reinbek: Rowohlt, rororo studium 117)

LONGACRE, ROBERT E. (ed.)
1976 Discourse Grammar. 3 vols. (Dallas: Summer Institute of Linguistics)

LOTMANN, JURIJ M.
1972a Vorlesungen zu einer strukturalen Poetik (München: Fink)
1972b Die Struktur literarischer Texte (München: Fink, UTB 103)

LURIA, A. R.
1973 The Working Brain (Harmondsworth: Penguin)

LYONS, JOHN
1977 Semantics, 2 vols. (London: Cambridge U. P.)

MAAS, UTZ & WUNDERLICH, DIETER
1972 Pragmatik und Sprachliches Handeln (Frankfurt: Athenäum)

MANDLER, JEAN M.
1978 A Code in the Node: The Use of Story Schema in Retrieval. in: FREEDLE (ed.), Vol. 2

MANDLER, JEAN M. & JOHNSON, NANCY S.
1977 Remembrance of Things Parsed: Story Structure and Recall. in: *Cognitive Psychology* 9, 111–151

MEAD, GEORGE H.
1934 Mind, Self and Society (Chicago: University of Chicago Press) (Dt. Übers.: Geist, Identität und Gesellschaft. Frankfurt: Suhrkamp, stw 28, 1968)

MEYER, BONNIE F.
1975 The Organization of Prose and its Effects on Memory (Amsterdam: Noord Holland)

MILLER, GEORGE A.
1956 The Magical Number Seven, Plus or Minus Two. in: *Psychological Review* 63, 81–97

MILLER, GEORGE A., GALANTER, EUGENE & PRIBRAM, KARL H.
1960 Plans and the Structure of Behavior (New York: Holt, Rinehart & Winston)

MINSKY, MARVIN
1975 A Framework of Representing Knowledge. in: P. WINSTON (ed.), The Psychology of Computer Vision (New York: McGraw Hill)

MONTAGUE, RICHARD
1974 Formal Philosophy (New York: Yale U. P.)

MORRIS, CHARLES W.
1938 Foundations of the Theory of Signs (Chicago: International Encyclopedia of Unified Science)
1946 Signs, Language and Behavior (New York: Prentice Hall) (Dt. Übersetzung: Zeichen, Sprache und Verhalten. Düsseldorf: Schwann 1973)

NEISSER, ULRIC
1967 Cognitive Psychology (New York: Appleton-Century Crofts)

NORMAN, DONALD D. & RUMELHART, D. E. (eds.)
1975 Explorations in Cognition (San Francisco: Freeman)

NUSSER, PETER (ed.)
1975 Anzeigenwerbung (München: Fink)

PAIVIO, ALLAN
1971 Imagery and Verbal Processes (New York: Holt, Rinehart & Winston)

PAUL, I. H.
1959 Studies in Remembering. Psychological Issues. Monograph Series I

PEIRCE, CHARLES SANDERS
1960 Collected Papers. Vol. 2 (Cambridge: Harvard U. P.)

PERELMAN, CH. & OLBRECHTS-TYTECA, L.
1969 The New Rhetoric. A Treatise on Argumentation (1958) (Notre Dame: University of Notre Dame Press)

PETÖFI, JANOS S. (ed.)
1979 Text versus Sentence (Hamburg: Buske)

PETÖFI, JANOS S. & FRANCK, DOROTHEA (eds.)
1973 Präsuppositionen in der Linguistik und Philosophie/Presuppositions in Linguistics and Philosophy (Frankfurt: Athenäum)

PETÖFI, JANOS S. & RIESER, HANNES (eds.)
1973 Studies in Text Grammar (Dordrecht: Reidel)

PIAGET, JEAN
1959 The Language and Thought of the Child (1926) (London: Routledge & Kegan Paul) (Dt. Übers.: Sprechen und Denken des Kindes. Düsseldorf: Schwann 1972)

Pike, Kenneth L.
1967 Language in Relation to a Unified Theory of Human Behavior (Den Haag: Mouton)

Plett, Heinrich F.
1975 Textwissenschaft und Textanalyse (Heidelberg: Quelle & Meyer, UTB 328)

Projektgruppe Textlinguistik Konstanz (eds.)
1974 Probleme und Perspektiven der neueren textgrammatischen Forschung I (Hamburg: Buske)

Prokop, Dieter (ed.)
1972/77 Massenkommunikationsforschung, 1: Produktion, 2: Konsumtion, 3: Produktanalysen (Frankfurt: Fischer, Tb. 6151/6152/6343)

Propp, Vladimir
1968 Morphology of the Folktale (Austin: Texas U. P.) (Dt. Übers.: Morphologie des Märchens. Frankfurt: Suhrkamp, stw 131)

Rave, Dieter e. a. (eds.)
1971 Paraphrasen juristischer Texte (Darmstadt: Interdisziplinäre Arbeitsgruppe »Analyse der juristischen Sprache«)

Rescher, Nicholas
1975 A Theory of Possibility (Pittsburgh: Pittsburgh U. P.)

Riffaterre, Michael
1971 Essais de stylistique structurale (Paris: Seuil) (Dt. Übers.: Strukturalistische Stilistik. München: List, LTW 1422. 1973)

Robinson, W. P.
1972 Language and Social Behaviour (Harmondsworth: Penguin)

Römer, Ruth
1971 Die Sprache der Anzeigenwerbung (Düsseldorf: Schwann, 2. Aufl.)

Rommetveit, Ragnar
1974 On Message Structure (New York: Wiley)

Rothkopf, Ernst K.
1972 Structural Text Features and the Control of Processes in Learning from Written Material. in: Freedle & Carroll (eds.), Language Comprehension and the Acquisition of Knowledge, 315–335

Rumelhart, David
1975 Notes on a Schema for Stories, in: Bobrow & Collins (eds.) 211–236

Sachs, Jacqueline Strunk
1967 Recognition Memory for Syntactic and Semantic Aspects of Connected Discourse. in: *Perception and Psychophysics* 2, 437–442

Sacks, Harvey
1972a On the Analyzability of Stories by Children. in: Gumperz & Hymes (eds.) 325–345
1972b An Initial Investigation of the Usability of Conversational Data for Doing Sociology. in: Sudnow (ed.) 31–74

Sacks, Harvey, Schegloff, Emmanuel A. & Jefferson, Gail
1974 A Simplest Systematic for the Organization of Turntaking for Conversation. in: *Language* 50, 696–735

Sadock, Jerrold D.
1974 Towards a Linguistic Theory of Speech Acts (New York: Academic Press)

Sandell, Rolf
1977 Linguistic Style and Persuasion (New York: Academic Press)

SANDERS, WILLY
1973 Linguistische Stiltheorie (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, VR 1386)

SANDIG, BARBARA
1978 Stilistik (Berlin: de Gruyter)

SASSE, GÜNTER & TURK, HORST (eds.)
1978 Handeln, Sprechen und Erkennen (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, VR 1447)

SCHANK, ROGER & ABELSON, ROBERT
1977 Scripts, Plans, Goals and Understanding (Hillsdale, N. J.: Erlbaum)

SCHEGLOFF, EMMANUEL A. & SACKS, HARVEY
1973 Opening Up Closings. in: *Semiotica* 8, 289–327

SCHLIEBEN-LANGE, BRIGITTE
1973 Soziolinguistik (Stuttgart: Kohlhammer, Urban-Tb. 176)
1975 Linguistische Pragmatik (Stuttgart: Kohlhammer, Urban-Tb. 198)

SCHMIDT, SIEGFRIED J.
1973 Texttheorie (München: Fink, UTB 202)

SCHMIDT, SIEGFRIED J. (ed.)
1976 Pragmatik II/Pragmatics (München: Fink)

SEARLE, JOHN
1969 Speech Acts (London: Cambridge U. P.) (Dt. Übers.: Sprechakte. Frankfurt: Suhrkamp 1971)
1975 Indirect Speech Acts. in: COLE & MORGAN (eds.) 59–82

SEBEOK, THOMAS A. (ed.)
1960 Style in Language (Cambridge, Mass.: MIT Press)

SGALL, PETR, HAJIČOVA, EVA & BENEŠOVA, EVA
1973 Topic, Focus and Generative Semantics (Kronberg: Scriptor)

SLOBIN, DAN
1971 Psycholinguistics (Glenview, Ill.: Scott, Foresman & Co.)

SOLA POOL, ITHIEL DE & SCHRAMM, WILBUR e. a. (eds.)
1973 Handbook of Communication (Chicago: Rand McNally)

SOSA, ERNEST (ed.)
1975 Causation and Conditionals (London: Oxford U. P.)

SOWINSKI, BERNHARD
1973 Deutsche Stilistik (Frankfurt: Fischer, Tb. 6147)

STANZEL, FRANZ K.
1964 Typische Formen des Romans (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, VR 187)

STEINMAN, MARTIN, jr. (ed.)
1967 New Rhetorics (New York: Scribner's)

STEVICK, PHILIP (ed.)
1967 The Theory of the Novel (New York: Free Press)

STRIEDTER, JURIJ (ed.)
1969 Texte der russischen Formalisten, Bd. I (München: Fink)

SUDNOW, DAVID (ed.)
1972 Studies in Social Interaction (New York: Free Press)

TAUSCH, REINHARD
1974 Gesprächspsychotherapie (Göttingen: Hogrefe, 6. Aufl.)

THORNDYKE, PERRY W.
1975 Cognitive Structures in Human Story Comprehension and Memory (Ph. D. Diss. Stanford)

TOULMIN, STEPHEN
1958 The Uses of Argument (London: Cambrigde U. P.) (Dt. Übers.: Der Gebrauch von Argumenten (Kronberg: Scriptor 1975)

TULVING, ENDEL & DONALDSON, WAYNE (eds.)
1972 Organization of Memory (New York: Academic Press)

TURNER, ROY (ed.)
1974 Ethnomethodology (Harmondsworth: Penguin)

UEDING, GERT
1976 Einführung in die Rhetorik (Stuttgart: Metzler)

WATZLAWICK, PAUL, BEAVIN, JANET H. & JACKSON, DOND.
1967 Pragmatics of Human Communication (New York: Norton) (Dt. Übers.: Menschliche Kommunikation. Bern: Huber 1969)

WEINGARTEN, SACKS & SCHENKEIN (eds.)
1976 Ethnomethodologie (Frankfurt: Suhrkamp, stw 71)

WERLICH, EGON
1976 A Text Grammar of English (Heidelberg: Quelle & Meyer, UTB 597)

WERSIG, EGON
1968 Inhaltsanalyse (Berlin: Spieß)

WHITE, ALAN R.
1968 The Philosophy of Action (London: Oxfort U. P.)

WILSON, DEIDRE
1975 Presuppositions and non-truth conditional Semantics (New York: Academic Press)

WRIGHT, GEORG HENRIK VON
1967 The Logic of Action: A Sketch. in: N. RESCHER (ed.), The Logic of Decision and Action (Pittsburgh: Pittsburgh U. P.) 121–136

WUNDERLICH, DIETER
1974 Grundlagen der Linguistik (Reinbek: Rowohlt, rororo studium 17)
1976 Studien zur Sprechakttheorie (Frankfurt: Suhrkamp, stw 172)

WUNDERLICH, DIETER (ed.)
1972 Linguistische Pragmatik (Wiesbaden: Athenaion)

ZIMMERMANN, HANS DIETER
1969 Die politische Rede. Der Sprachgebrauch Bonner Politiker (Stuttgart: Kohlhammer)

قائمة مختارة فى علم النص

A. Bibliographie Textwissenschaft

DRESSLER & SCHMIDT (1973), vor allem zur Textlinguistik.

B. Allgemeine Übersicht (interdisziplinär)

DRESSLER (ed.) (1977).

C. Textlinguistik/Textgrammatik

HALLIDAY & HASAN (1976) und WERLICH (1976) zur Beschreibung von Textstrukturen im Englischen. Zu den nicht-indoeuropäischen Sprachen vgl. z. B. LONGACRE (ed.) (1976).
Beispiele von Textbeschreibungen mit verschiedenen Methoden finden sich in VAN DIJK & PETÖFI (eds.) (1977).
Eher theoretisch gehen vor: PETÖFI & RIESER (eds.) (1973), SCHMIDT (1973), GRIMES (1975), VAN DIJK (1972a, 1977a), KUMMER (1975) sowie PETÖFI (ed.) (1979).
Zur Textpragmatik vgl. VAN DIJK (1980b).

D. Literaturwissenschaft/Stilistik/Rhetorik als Textwissenschaften

SCHMIDT (1973), IHWE (1972), PLETT (1975), GÜLICH & RAIBLE (1977), SANDERS (1973), SOWINSKI (1973), VAN DIJK (1971a, b; 1972a, b).
Zur Rhetorik vgl. UEDING (1976).

E. Psychologie der Textverarbeitung

KINTSCH (1974), MEYER (1975), JUST & CARPENTER (eds.) (1977), FREEDLE (ed.) (1977) und VAN DIJK & KINTSCH (1977).
Psychotherapie: LABOV & FANSHEL (1977).
Psychopathologie der Textverarbeitung (Aphasie): ENGEL (1977).

F. Gesprächsanalyse: Text und Interaktion

SUDNOW (ed.) (1972), TURNER (ed.) (1973), SACKS e. a. (1974), HENNE & REHBOCK (1979).

G. Soziale Psychologie und Soziologie der Textverarbeitung: Massenkommunikation

ROBINSON (1972), GERBNER e. a. (eds.) (1969) und LISCH & KRIZ (1978) zur Inhaltsanalyse. SANDELL (1977) zum Einfluß des Stils im persuasiven Kontext. FISHBEIN & AJZEN (1975) zur Manipulation im Sinne von Beeinflussung i. a.
Außer für spezifische Textsorten (Reklame, Propaganda, Nachrichten u. ä.) existieren auf diesem Gebiet nur wenig allgemeine Studien über Textverarbeitung; viel dagegen findet sich für das Gebiet der allgemeinen Kommunikation(sforschung), beispielsweise DE SOLA POOL & SCHRAMM e. a. (eds.) (1973) und PROKOP (ed.) (1972–1977).

H. Anthropologie/Ethnographie: Text, Kommunikation und Kultur

GUMPERZ & HYMES (eds.) (1972), BAUMAN & SCHERZER (eds.) (1974).

I. Reihen, Reihenausgaben

Es gibt einige wenige Reihen, innerhalb deren Bücher zur Textwissenschaft (Textlinguistik/Textverarbeitung/usw.) herausgegeben werden:

a. *Papiere zur Textlinguistik/Papers in Textlinguistics* (Hamburg: Buske; seit 1972);
b. *Research in Text Theory/Untersuchungen zur Texttheorie* (New York, Berlin: de Gruyter; seit 1977);
c. *Discourse Processes* (Norwood, N. J.: Ablex; seit 1977).

J. Zeitschriften

a. *Discourse Processes* (Ablex, Norwood, N. J.) (seit 1978),
b. *TEXT* (Mouton, Den Haag) (ab 1980).

List of Publications

and a Summary of Curriculum Vitae

Teun A. van Dijk

A. BOOKS. MONOGRAPHS

1. *Moderne literatuurtheorie. Een experimentele inleiding.* (Modern theory of literature. An experimental introduction). Amsterdam: van Gennep, 1971.

2. *Taal. Tekst. Teken. Bijdragen tot de literatuurtheorie*. (Language. Text. Sign. Contributions to the theory of literature). Amsterdam: Atheneum, Polak & van Gennep, 1971.

This book won the Essay Award of the City of Amsterdam.

3 *Beiträge zur generativen Poetik*. München: Bayerischer Schulbuch Verlag, 1972.

Italian translation: *Per una poetica generativa*. Bologna: Il Mulino, 1976.

4. *Some aspects of text grammars. A Study in theoretical poetics and linguistics*. The Hague: Mouton, 1972.

5. *Kontekst en kommunikatie* (Context and Communication). University of Amsterdam, Unpublished ms. (Completely new version in A.8).

6. *Text and context. Explorations in the semantics and pragmatics of discourse*. London: Longman, 1977.

- Spanish translation: *Texto y contexto*. Madrid: Catedra, 1980.
- Italian translation: *Testo e contesto*. Bologna: Il Mulino, 1981.

7. *Het literatuuronderwijs op school. Een kritische analyse*. (Teaching literature at school. A critical analysis). Amsterdam: Van Gennep, 1977.

8. *Taal en handelen. Een interdisciplinaire inleiding*. (Language and action. An interdisciplinary introduction). Muiderberg: Coutinho, 1978. (New version of A.5).

9. *Tekstwetenschap. Een interdisciplinaire inleiding*. (Discourse studies. An interdisciplinary introduction). Utrecht: Het Spectrum, 1978.

- German translation: *Textwissenschaft*. Tuebingen: Niemeyer, 1980.
- Spanish translation: *La ciencia del texto*. Barcelona/Buenos Aires: Paidos, 1983.

10. *The structures and functions of discourse. An interdisciplinary introduction to textlinguistics and discourse studies*. Text of lectures given at the University of Puerto Rico at Rio Piedras. University of Amsterdam, Unpublished ms. 1978.

- Spanish translation: *Las estructuras y funciones del discurso*. Mexico: Siglo XXI, 1981. (7a edición 1993).

11. *Macrostructures. An interdisciplinary study of global structures in discourse, interaction, and cognition*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

- NB. A new edition of this book is in preparation for 2000.

12. *Studies in the pragmatics of discourse*. The Hague/Berlin: Mouton, 1981.

13. *Toward a model of ethnic prejudice in discourse and cognition.* University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Sectión of Discourse Studies. Unpublished ms. 1982.

14. *Minderheden in de media*. (Minorities in the media). Amsterdam: SUA, 1983.

15. *Prejudice in discourse.* Amsterdam: Benjamins, 1984.

16. *Structures of international news*. Report to UNESCO. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, Unpublished ms., 1984.

17. *Communicating Racism. Ethnic Prejudice in Thought and Talk.* Newbury Park, CA: Sage, 1987.

18. *News as Discourse*. Hillsdale, NJ: Erlbaum, 1988.

- Spanish translation, *La noticia como discurso. Comprensi n, estructura y producci n de la informaci n.* Barcelona, Paidos, 1990.

19. *News Analysis. Case studies of international and national news in the press*. Hillsdale, NJ: Erlbaum, 1988.

20. *Schoolvoorbeelden van racisme. De reproduktie van racisme in maatschappijleerboeken*

(Textbook examples of racism. The reproduction of racism in social science textbooks). Amsterdam: Socialistische Uitgeverij Amsterdam, 1987.

21. *Jazyk, poznanie, kommunikatsia* (Language, Cognition and Communication). Moscow: Progress, 1989 (Collection of articles, translated from English).

22. *Racism and the Press.* London: Routledge, 1991.

23. *Discurso, cognicpo, interacpo* . (Discourse, Cognition, Interaction). São Paulo: Contexto, 1992. (Collection of articles translated from English).

24. *Elite discourse and racism.* Newbury Park, CA: SAGE, 1993.

25. (*Society, cognition and discourse:* In Chinese). Beijing: China Book Company, 1993.

26. *Il discurso razzista. La riproduzione del pregiudizio nei discorso quotidiani.* Presentazione di Laura Balbo. Messina (Italy): Rubbettino. (Translation of publication nr. 131 below).

27. *Discurso, poder y cognici n social. Conferencias de Teun A. van Dijk* . Special issue of *Cuadernos Maestrسa en Lingüسstica*(Universidad del Valle, Cali, Colombia), 2(2), 1994.

28. *Pr nsa, racismo y poder*. México: Universidad IberoAmericana, 1995. (Translation in Spanish of the papers "Power and the News Media" and "Elites, Racism and the Press").

29. *De Rasoel-Komrij affaire.* (The Rasoel-Komrij Affair). (Published on Homepage Teun A. van Dijk: www.let.uva.nl/~teun).

30. *Discourse, racism and ideology.* La Laguna (Spain): RCEI Ediciones, 1996.

31. *Racismo y anلisis crسtico de los medios*Barcelona: Paidos, 1997

32. *Ideology.* London: Sage, 1998

-Spanish translation, *Ideologسa*(Barcelona/Buenos Aires Gedisa, 1999).

B. BOOKS WITH OTHER AUTHORS

1 (with J. Ihwe, J.S. Petöfi & H. Rieser)

Zur Bestimmung narrativer Strukturen aud der Grundlage von Textgrammatiken Hamburg: Buske Verlag, 1972. Second edition, 1974.

2. (with Walter Kintsch):

Strategies of discourse comprehension. New York Academic Press, 1983

- This book was awarded the Outstanding Book Award of the American Association of Educational Psychology, AERA, in 1984

C. EDITED BOOKS

1 *Pragmatics of language and literature* Amsterdam North Holland. 1976

2. (with Janos S. Petöfi)

Grammars and descriptions. Berlin/New York: de Gruyter, 1977.

3. *Handbook of Discourse Analysis*. 4 vols. I. *Disciplines of discourse*. II. *Dimensions of discourse*. III. *Discourse and dialogue*. IV. *Discourse analysis in society*. London: Academic Press, 1985.

4. *Discourse and literature*. Amsterdam: Benjamins. 1985.
- Spanish version, *Discurso y literatura. Nuevos planteamientos sobre el anJlisis de los géneros literarios.* Madrid, Visor, 1999.

5. *Discourse and communication.* Berlin/New York: de Gruyter, 1985.

6. (with Iris M. Zavala and Myriam Díaz-Diocaretz)

Approaches to discourse, poetics and psychiatry. Amsterdam: Benjamins, 1987.

7. (with Geneva Smitherman-Donaldson)

Discourse and Discrimination. Detroit, MI: Wayne State University Press, 1988.

8. *Discourse Studies. A multidisciplinary introduction.* 2 vols. London: Sage, 1997.

--Spanish translation, *Estudios del discurso.* Barcelona/Buenos Aires: Gedisa, 1999-2000).

D. EDITOR OF SPECIAL (BOOKLENGTH) JOURNAL ISSUES

1. Text grammar and narrative structures. *Poetics* 3, 1972.

2. (with J.S. Petöfi) Theory of Metaphor. *Poetics* 4(2/3), 1975.

3. The future of structuralist poetics. *Poetics* 8(6), 1976.

4. Story comprehension. *Poetics* 9(1/3), 1980.

5. Advances in models of discourse processing, *Text* 2(1/3), 1982.

6. Vooroordelen in verhalen. (Prejudice in stories). *TTT* 4(2), 1984.

7. (With R. Wodak) Discourse, racism and ideology. Special issue of *TEXT*, 8(1), 1988.

8. Critical Discourse Analysis. Special issue of *Discourse & Society*, 4(2), 1993.

E. ARTICLES, PAPERS, REPORTS, ETC.

(NB. *The articles or papers are ordered by approximate date of writing, not of publication*)

1. Quelques problèmes a propos d'une théorie du signe poétique. Paper 2nd Int. Congress of

Semiotics, Warsaw, 1968. In: J. Rey-Debove, (Ed.) *Recherches sur les systèmes signifiants*. The Hague: Mouton, 1973, 381-392.

- German translation in A.3.

2. Tel Quel en het telquelisme (Tel Quel and telquelism). *Raster* 2, 1968, 143-156. (Also in A.2.).

3. De nieuwe poezie in Zweden (The new poetry in Sweden). *Litterair Paspoort* 23, 1968, 101-104.

4. Taaltheorie en literatuurtheorie (Theory of language and theory of literature). *Raster* 3, 1969, 162-182. (Also in A.2.).

5. Sémantique structurale et analyse thématique. Un essai de lecture: André du Bouchet "Du Bord de la Faux". *Lingua* 23, 1969, 28-53.

6. Des fautes de grammaire a la grammaire des fautes. *Manteia* 7, 1969, 29-36.

7. La métatheorie du récit. Paper 2nd. Int. Colloquium on story analysis. Urbino, 1969. University of Amterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms.

- Italian translation: La metateoria del racconto. *Strumenti Critici* 12, 1970, 141-164.
- German translation in A.3

8. Développements récents en sémantique littéraire. Paper Colloquium 'Probleme der semantischen Textanalyse'. Karlsruhe, 1969. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms.

- German translation: In: J.S. Schmidt, (Ed.) *Text. Bedeutung. aesthetik*. München: Bayerischer Schulbuch Verlag, 1970, 106-135.

9. Methodologie en literatuurwetenschap (Methodology and the study of literature). *Levende Talen* 267, 1970, 267-286.

10. Theorie en praktijk van de semantische analyse van literaire teksten (Theory and practice of the semantic analysis of literary texts). *De Nieuwe Taalgids* 63, 1970, 340-355. (Also in A.2.).

11. Semiotiek en literatuur (Semiotics and literature). *Raster* 4, 1970, 200-225. (Also in A.2.).

12. Tekstgenerering en tekstproduktie (Text generation and text production). *Studia Neerlandica* 1, nr. 4, 1970, 1-40. (Also in A.2.).

- German translation in A.3
- Italian translation (partial) also in: M. Garavelli, (Ed.) *Letteratura e linguistica*. Bologna, Zanichelli, 1977:129-141.

13. Informatietheorie en literatuurtheorie (Information theory and theory of literature). *Forum der Letteren* 11, 1970, 203-233. (Also in A.2.).

14. Semantique generative et theorie des textes. *Linguistics* 62, 1970, 66-95.

- German translation in A.3

Semiotics, Warsaw, 1968. In: J. Rey-Debove, (Ed.) *Recherches sur les systèmes signifiants*. The Hague: Mouton, 1973, 381-392

- German translation in A.3.

2. Tel Quel en het telquelisme (Tel Quel and telquelism). *Raster* 2, 1968, 143-156. (Also in A.2.).

3. De nieuwe poezie in Zweden (The new poetry in Sweden). *Litterair Paspoort* 23, 1968, 101-104.

4. Taaltheorie en literatuurtheorie (Theory of language and theory of literature). *Raster* 3, 1969, 162-182. (Also in A.2.).

5. Sémantique structurale et analyse thématique. Un essai de lecture: André du Bouchet "Du Bord de la Faux". *Lingua* 23, 1969, 28-53.

6. Des fautes de grammaire a la grammaire des fautes. *Manteia* 7, 1969, 29-36.

7. La métatheorie du récit. Paper 2nd. Int. Colloquium on story analysis. Urbino, 1969. University of Amterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms.

- Italian translation: La metateoria del racconto. *Strumenti Critici* 12, 1970, 141-164.
- German translation in A.3.

8. Développements récents en sémantique littéraire. Paper Colloquium 'Probleme der semantischen Textanalyse'. Karlsruhe, 1969. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms.

- German translation: In: J.S. Schmidt, (Ed.) *Text. Bedeutung. aesthetik*. München: Bayerischer Schulbuch Verlag, 1970, 106-135.

9. Methodologie en literatuurwetenschap (Methodology and the study of literature). *Levende Talen* 267, 1970, 267-286.

10. Theorie en praktijk van de semantische analyse van literaire teksten (Theory and practice of the semantic analysis of literary texts). *De Nieuwe Taalgids* 63, 1970, 340-355. (Also in A.2.).

11. Semiotiek en literatuur (Semiotics and literature). *Raster* 4, 1970, 200-225. (Also in A.2.).

12. Tekstgenerering en tekstproduktie (Text generation and text production). *Studia Neerlandica* 1, nr. 4, 1970, 1-40. (Also in A.2.).

- German translation in A.3.
- Italian translation (partial) also in: M. Garavelli, (Ed.) *Letteratura e linguistica*. Bologna, Zanichelli, 1977:129-141.

13. Informatietheorie en literatuurtheorie (Information theory and theory of literature). *Forum der Letteren* 11, 1970, 203-233. (Also in A.2.).

14. Semantique generative et theorie des textes. *Linguistics* 62, 1970, 66-95.

- German translation in A 3

15. Teksttheorie en literaire tekstinterpretatie, en een illustratie aan Lucebert's 'Orphuis' (Text theory and literary text interpretation, with an illustration on Luceberts 'Orphuis' In A.3., 192-224.

16. Some problems of generative poetics. Paper Int. Symposium on French and Russian semiotics, Nitra (CSSR), 1970. *Poetics* 2, 1971, 5-35.

- German translation in A.3. Also in: R. Brutting & B. Zimmermann, (Eds.) *Theorie - Literatur -Praxis.* Arbeitsbuch zur Literaturtheorie seit 1970. Frankfurt: Athenaion, 1975, 42-62.

- Slovaque translation in *Slavica Slovaca*, 1972.

- Swedish translation in: J. Kaminski & G. Laven, (Eds.) *Textkoherens*. Uppsala University: Uppsala Slavic Papers 2, 1981, 115-145.

17. Literary semiotics. Some recent developments in France. Paper Int. Symposium on French and Russian semiotics, Nitra (CSSR). University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms. 1970.

-German translation in A.3.

18 Text and context. Towards a theory of literary performance. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms. 1970.

- German translation in A.3.

20. Nogle aspekter af en generativ-transformationel tekstteori. *Poetik* (Copenhagen) 3, 1970, 155-176.

21. Quelques aspects d'une theorie du texte poetique. 1970. In: A.J. Greimas, (Ed.) *Essais de poétique sémiotique.* Paris: Larousse, 1972, 180-206.

- Hebrew translation in Hasifrut (Tel Aviv) 2, 1970, 447-462.
- Italian, Spanish and Portuguese translations of book (Ed.) by Greimas.

22. 'Methodologie en literatuurwetenschap: een misser': een voltreffer? *Levende Talen* 274, 1970, 57-62.

23. On the foundations of poetics. Methodological prolegomena to a generative grammar of literary texts. Paper Int. Colloquium 'Zur wissenschaftstheoretischen Grundlegung der Literaturwissenschaft', Karlsruhe, 1970. *Poetics* 5, 1972, 84-118.

- German translation: In: S.J. Schmidt, (Ed.) *Zur Grundlegung der Literaturwissenschaft*. Munich: Bayerischer Schulbuch Verlag, 1972.

24. Aspekten van een tekstgrammatika. Paper Taalwetenschap in Nederland, 1971. In: S.C. Dik, (Ed.) *Taalwetenschap in Nederland 1971* (Linguistics in the Netherlands, 1971). Amsterdam: University of Amsterdam: Dept. of Linguistics, 1971, 103-113.

- German translation: In: W.U. Dressler, (Ed.) *Textlinguistik*. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1978, 268-239.

25. Content analysis en tekstgrammatika. Paper Vlaams Filologenkongres, Leuven, 1971. In *Handelingen van het Vlaams Filologenkongres*, Leuven, 1971, 228-239.

26. Foundations for typologies of texts. *Semiotica* 6, 1972, 297-323

27. Models for text grammars. Paper 4th Int. Congress of Logic, Methodology and Philosophy of Science. Bucharest, 1971. *Linguistics* 105, 1972, 35-68.

- Also in: R.J. Bogdan & I. Niiniluoto, (Eds.) *Logic, language and Probability* Dordrecht: Reidel, 1973, 145-180

28. Een tekst over teksten (A text about texts). *Raster* 5, 1972, 542-562.

29. Modèles génératifs en theorie litteraire. Paper Int. Symposium on generative grammar and its applications, Gol (Norway), 1972. In: Ch. Bouazis, (Ed.) *Essais de la theorie des textes*. Paris: Galilee, 1973, 79-99.

30. Grammaires textuelles et structures narratives. In Cl. Chabrol, (Ed.) *Sémiotique narrative et textuelle*. Paris: Larousse, 1973, 177-207

- Spanish, Italian and Portuguese translations of book of Chabrol.

31. Text grammar and text logic. Paper int. Symposium on Textlinguistics, 'Zur Form der textgrammatischen Basis', Constance, 1972. In: J.S. Petoefi & H. Rieser, (Eds.) *Studies in Text Grammar*. Dordrecht: Reidel, 1973, 17-78.

- Also in: M. Ruttenauer, (Ed.) *Textlinguistik und Pragmatik*. Hamburg: Buske Verlag, 1973. Second edition, 1977, 83-173.

32. A note on linguistic macrostructures. Paper 7th Linguistic Colloquium, Nijmegen, 1972. In: A.P. Ten Cate & P. Jordens, (Eds.) *Linguistische Perspektiven.* Tuebingen: Niemeyer, 1973, 75-87

- Italian translation in: M.-E. Conte, (Ed.) *La linguistica testuale*. Milano: Feltrinelli, 1977, 181-194.

33. Pragmatics, presuppositions and context grammars. Paper Int. Colloquium 'Zur Grundlegung einer expliziten Pragmatik', Bielefeld-Rheda, 1973. In: S.J. Schmidt, (Ed.) *Pragmatik/Pragmatics II* Munich: Fink, 1976, 53-82.

34. Connectives in text grammar and text logic. Paper 2nd Int. Colloquium on Textlinguistics, Kiel, 1973. In: van Dijk & Petöfi, (Eds.) (D.2), 11-63.

35. 'Relevance' in grammar and logic. paper Int. Congress on Relevance Logics, St. Louis, 1974. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. 1974. In J. Norman & R. Sylvan (Eds.), *Directions in relevant Logic*. Dordrecht: Reidel, pp. 25-57, 1989.

36. Philosophy of action and theory of narrative. 1974. *Poetics* 5, 1976, 287-332.

37. Models of macrostructures. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1974

38. Acts and speech acts. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1974.

39. Analyse-eenheden in de pragmatiek (Analytical units in pragmatics). Paper Symposium 'Analyse-eenheden in de pragmatiek', University of Antwerp, 1974. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms.

40. A note on the partial equivalence of text grammars and context grammars. 1974. In: M. Loflin & J. Silverberg, (Eds.) *Discourse and inference in cognitive anthropology*. The Hague: Mouton, 1978, 135-144. (Also in A. 12.).

41. De noodzaak van (kon-)tekstgrammatika's. (The necessity of (con-)text grammars). *Forum der Letteren* 15 (1974), 233-243.

42. Acceptability in context. 1974. In: S. Greenbaum, (Ed.), *Acceptability in Language*. The Hague: Mouton, 1977, 39-62.

43. Formal semantics and metaphorical discourse. *Poetics* 4, 1975, 173-198.

- Also in: M.K.L. Ching, M.C. Haley & R.F. Lunsford, (Eds.) *Linguistic perspectives on literature*. London: Routledge & Kegan Paul, 1980, 115-138.

44. Action, action description, narrative. *New Literary History* 6, 1975, 273-294.

- German translation in: J.S. Petöfi & S.J. Schmidt, (Eds.) *Texttheorie*. Cologne: Kiepenheuer & Witsch, 1980,

45. Narrative macrostructures. Cognitive and logical foundations. Paper Colloquium 'Linguistics and literary studies', Thaxsted (Essex), 1975. *PTL* 1, 1976, 547-568.

46. Recalling and summarizing complex discourse. 1975. In: W. Burghardt & K. Holker, (Eds.) *Textverarbeitung/ Text Processing*. Berlin/New York: de Gruyter, 1979, 49-118.

47. Pragmatics and poetics. In: van Dijk, (Ed.) 1976. (C.1.), 23-58.

48. Het literatuurboek op school. (Text books at School), University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1975.

49. Discourse meaning and memory. Review article of W. Kintsch, The Representation of Meaning in Memory (1974). *Journal of Reading Behavior* 8, 1976.

- German translation in: J. Wirrer, (Ed.) *Textgrammatische Konzepte und Empirie*. Hamburg: Buske Verlag, 1977, 1-49.

50. Issues in the pragmatics of discourse. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1975. In: A.12.

- Russian translation in: T.M. Nikolaeva, (Ed.) *Novoe v zarubeznoj lingvistike*, Vypusk VIII *Lingvistika Teksta* Moscow: Progress, 1978, 259-336

51. Logical and natural connectives. 1976. In: J.S. Petoefi, (Ed.) *Logic and the formal theory of natural language.* Selective Bibliography. Hamburg: Buske, 1978, 213-220

52. Complex semantic information processing. Paper Int. Workshop on Linguistics and Documentation, Stockholm, 1976. In: D. Walker, et al., (Eds.) *Natural language in information science*. Stockholm: Skriptor, 1977, 127-164.

53. Knowledge frames, macrostructures and discourse comprehension. Paper 12th Carnegie-Mellon Symposium on Cognition, Pittsburgh, 1976. In: M. Just & P. Carpenter, (Eds.) *Cognitive Processes in Comprehension*. Hillsdale, NJ: Erlbaum, 1977, 3-32.

54. Sentence topic and discourse topic. *Papers in Slavic Philology* 1, 1977, 49-61. Also in A.12

55. Pragmatic macrostructures in discourse and cognition. Paper Int. Colloquium 'The Cognitive Viewpoint', Ghent, 1977. In: M. de Mey, et al., (Eds.) *CC 77*, University of Ghent, 1977, 99-113. Also in A. 12.

56. Context and cognition. Knowledge frames and speech act comprehension. *Journal of Pragmatics* 1, 1977, 211-232. Also in A.12.

57. Action description. Paper Int. Colloquium 'Le discours descriptif', Urbino, 1977. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1977

58. Pragmatic connectives. Paper Int. Congress of Linguists, Vienna, 1977. *Journal of Pragmatics* 3, 1979, 447-456.

- Also in *Interlanguage Studies Bulletin* (University of Utrecht) 2, 77-93. Also in A.12.

59. The pragmatics of literary communication. Paper Int. Conference on Methodological Problems of Text and Context, University of Puerto Rico, Rio Piedras, 1977. In: E.Forastieri-Braschi, G. Guinness & H. Lopez-Morales, (Eds.) *On text and context*. Rio Piedras, Puerto Rico: Editorial Universitaria, 1980, 3-16. Also in A.12.

- Spanish translation in J. A. Mayoral (Ed.), *Pragmática de la comunicación literaria*. (pp. 170-194). Madrid: Arco, 1987.

60. The semantics and pragmatics of functional coherence in discourse. 1978. In: A. Ferrara, (Ed.) *Speech act theory: Ten years later*. Special issue of *Versus* (Milano), 26/27, 1980. Also in A.12.

61. Tekstonderwijs (Teaching discourse studies). Talk Studium Generale. University of Leyden, 1978. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1978.

62. New developments and problems in textlinguistics. In: J.S. Petöfi, (Ed.) *Text vs. Sentence. Basic questions of textlinguistics*. Hamburg: Buske Verlag, 2 vols., 1979, 509-523.

63. Cognitive set in discourse comprehension. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1978.

64. Relevance assignment in discourse comprehension. *Discourse Processes* 2, 1979, 113-126.

65. De tekst: Strukturen en funkties. Elementaire inleiding in de tekstwetenschap (The text: Structures and functions. Elementary introduction into discourse studies). University of

Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms. 1978. Partly in: B. Tervoort, (Ed.) *Wetenschap en taal, II* Muiderberg: Coutinho, 1979, 50-71 (under the title: Wat is tekstlinguistiek (What is textlinguistics?)).

- French translation in: S.A. Varga, (Ed.) *Théorie de la littérature*. Paris: Picard, 1980, 63-93

66. FACTS. The organization of propositions in discourse comprehension. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1978

67. Cognitive processing of literary discourse. Paper Coloquio Int. sobre Poetica, Semiologia y Teoria de la Significacion. Mexico City, 1978 *Poetics Today* 1, 1979, 143-160.

-Spanish translation: *Acta Poetica* 2, 1980, 4-26.

68. Dialogue and cognition. 1978. In: L. Vaina & J. Hintikka, (Eds.) *Cognitive constraints on communication*. Dordrecht: Reidel, 1983, 1-18.

69. Literature and cognition. Paper Int. Congress on Poetics and Linguistics. Benalmadena (Malaga, Spain). 1978. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms.

70. Discourse studies and education. Paper Applied Linguistics in Language Teaching Conference, Berne, 1979. Read at the Annual Meeting of the Australian Applied Linguistics Association, Sydney, 1979. *Applied Linguistics* 2, 1981, 1-26.

- French translation in: J.P. Davoine, (Ed.) *Linguistique et enseignement des langues* Lyon: Presses Universitaires de Lyon, s.d., 11-82.

71. Advice on theoretical poetics. *Poetics* 8, 1979, 569-608.

72. Les textes de l'enfermement Vers une sociologie critique du texte. Paper Colloquium Maison Descartes, Amsterdam, 1979. In. Ch. Grivel, (Ed.) *L'enfermement*. Lille: Presses Universitaires de Lille, 1981, 25-42.

73. From text grammar to interdisciplinary discourse studies. Developments and implications for cognitive science. Paper Cognitive Science Conference, La Jolla, Ca., 1979. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, Unpublished ms., 1979. 122 p.

74. Story comprehension. An introduction. *Poetics* 9, 1980, 1-21.

75. Anatomie van de alfa-ideologie. Kultuur- en literatuurideologie in Nederland. (Anatomy of the alpha ideology. Cultural and literary ideology in the Netherlands). University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

76. Relevance in text and context. Paper Nobel Symposium on Text Processing, Stockholm, 1980. In: S. Allen, (Ed.) *Text processing*. Stockholm: Almqvist & Wiksell, 1982, 415-432.

77. Some working notes on the cognitive representation of attitudes and prejudice. 1980. *Forum Linguisticum* 7, 1983, 189-204

78. Some notes on FACTS. Mexico City, 1980/University of Amsterdam, Dept of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

79. Some notes on ideology and discourse. 1980. Mexico City, Colegio de Mexico / University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

- Spanish translation (Algunas notas sobre la ideologia y la teoria del discurso). *Semiosis* (Jalapa, Mexico) 5, 1980, 37-54.

80. Etnische minderheden in schoolboeken (Ethnic Minorities in Text Books). University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

81. The role of beliefs, opinions and attitudes in discourse understanding. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

82. A propositional system for scoring content in protocols. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

83. Text representation and world representation in episodic memory. A theoretical note. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

84. Level of description and degree of completeness in discourse as factors in the assignment of macrostructures. Notes University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1980.

85. Review of R.O. Freedle, (Ed.) New directions in discourse processing (1979). *Journal of Linguistics,* 1980.

86. Empirische pragmatiek. Enkele sociaal-psychologische aspekten van taalgebruik. (Empirical pragmatics. Some social psychological aspects of language use). *Tijdschrift voor Taalbeheersing* 2, 1980, 1-16.

87. Towards an empirical pragmatics. Some social psychological conditions of speech acts. *Philosophica* 27, 198X, 127-138. (English version of 82.).

88. Subjektieve interpretatie (Subjective interpretation). *TTT* 1, 1981, 56-72.

89. Etnische minderheden in gesprekken. Inleiding en Konklusies (Ethnic minorities in conversation. Introduction and Conclusions). University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1981.

90. Moderne verhaaltheorie. Interdisciplinaire ontwikkelingen in de verhaaltheorie 1970-1980. (Modern theory of narrative. Interdisciplinary developments in narrative theory, 1970-1980). University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1981.

91. Some misconceptions about textlinguistics. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1981.

92. Episodes as units of discourse analysis. Paper 32nd Georgetown Round Table on Language and Linguistics, 1981. In: D. Tannen, (Ed.) *Analyzing Discourse: Text and Talk*. Washington, D.C.: Georgetown U.P., 1982, 177-195.

93. News production as discourse processing. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1981.

94. Opinions, attitudes, discourse. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1981.

95. Semiotics and mass communication. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1982.

- Catalan translation: *Analisi* (Barcelona) 7/8, 1983, 19-28.

96. Textual structures of news. University of Amsterdam, Dept. of General literary studies. Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1982.

- Spanish translation: *Analisi* 7/8, 1983, 77-105.

97. Texte. 1982. Article for the *Dictionnaire des littératures en langue francaise*. J.P. de Beaumarchais, et al., (Eds.) Paris: Bordas, 1984, 2281-2288.

98. Semantic discourse analysis. 1982. In: van Dijk, (Ed.) *Handbook of Discourse Analysis* (C3), 1985, vol. 2, 103-136.

- Italian translation, "Semantica del discurso" in D. Corno & G. Pozzo (Eds.), *Mente, linguaggio, appredimento. L'apporto delle scienze cognitive all'educazione*. Firenze: La Nuova Italia, 1991, pp. 137-177.

99. Taalwetenschappelijk onderzoek in de jaren Tachtig (Linguistic research in the 1980s). In. A.D. Wolff-Albers & H.F.M. Crombag, (Eds.) *Visies op onderzoek in enkele sociale wetenschappen* (Outlooks on research in some social sciences). The Hague: Staatsuitgeverij, 1982, 85-110.

100. Attitudes et compréhension de textes. *Bulletin de psychologie* 35, 1982, 557-569.

101. Opinions and attitudes in discourse comprehension. In: J.F. Le Ny & W. Kintsch, (Eds.) *Language and comprehension.* Amsterdam: North Holland, 1982, 35-51.

102. When majorities talk about minorities. Notes on ethnic prejudice in cognition and discourse. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies. Unpublished ms., 1982. New version published in M. McLaughlin (Ed.), *Communication Yearbook* 9 (1985). (pp. 57-82). Beverly Hills, CA: Sage

103. Strategic discourse comprehension. Paper XVth Int.Congress of the Italian Linguistic Society, Santa Margarita Ligure, 1981. In: L. Coveri, (Ed.) *Linguistica testuale*. Rome: Bulzoni, 1984, 31-62.

- Also in: Th. Ballmer, (Ed.) *Dynamic linguistics*. pp. 29-61. Berlin/New York: de Gruyter, 1985

104. News. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, Unpublished ms., 1980.

105. Minderheden in de media (Minorities in the media). In: J. Onstenk, (Ed.) *Etniese minderheden in Nederland* (Ethnic minorities in the netherlands). University of Delft: Studium Generale, 1982, 59-78.

106. Cognitive and conversational strategies in the expression of ethnic prejudice. Paper 2nd. Int Conference social Psychology and Language, Bristol, 1983. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, Unpublished ms., 1983. Shorter version in *Text* 3, 1983, 375-404.

107. A pointless approach to stories. Commentary to R. Wilensky, 'Story Grammars versus story points'. *The Behavioral and Brain Sciences* 6, 1983, 598-599.

108. Episodic models in discourse processing. 1983. In: R. Horowitz & S.J. Samuels, (Eds.) *Comprehending oral and written language*, 161-196. New York: Academic Press, 1987.

109. Discourse analysis: Its development and application to the structures of news. *Journal of Communication* 33/2, 20-43.

110. Processes of prejudice and the roots of racism. Paper SSRC Workshops on Intergroup Theory and British Race Relations, Bristol, 1983/1984. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, Unpublished ms., 1983.

111. Social attribution in interethnic situation. Comments on Miles Hewstone's paper "Explaining social behaviour and group differences: The impact of 'attribution theory' for race relations". Contribution to the SSRC Workshops on Intergroup Theory and British Race Relations, Bristol, 1983/1984. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, Unpublished ms., 1983.

112. Cognitive situation models in discourse processing. The expression of ethnic situation models in prejudiced stories. 1983. In: J.P. Forgas, (Ed.) *Language and social situations*, 61-79. New York: Springer, 1985.

113. Cognitive strategies of ethnic prejudice. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, Unpublished ms., 1983.

114. Psychologie en racisme-onderzoek (Psychology and racism research). University of Amsterdam, Laboratory of Psychology: *Spiegeloog*, 11, 1984, 3-4.

115. Introduction: Discourse analysis in (mass) communication research. 1983. In: van Dijk, (Ed.) *Discourse and Communication*, 69-93, 1985. (C.5.).

116. Introduction: Discourse analysis as a new cross-discipline. 1983. In: van Dijk, (Ed.) *Handbook of Discourse Analysis* (C3), 1985. (C.3.), Vol. 1., pp. 1-10.

117. Introduction: Levels and dimensions of discourse analysis. 1983. In: van Dijk, (Ed.) *Handbook of Discourse Analysis* (C3) 1985. (C.3.), Vol. 2., pp. 1-11.

118. Introduction: Dialogue as discourse and interaction: 1983. In: van Dijk, (Ed.) *Handbook of Discourse Analysis* (C3) 1985. (C.5.), Vol. 3., pp. 1-11.

119. Introduction: The role of discourse analysis in society. 1983. In: van Dijk, (Ed.) *Handbook of Discourse Analysis* (C3) 1985. (C.5.), Vol. 4., pp. 1-8.

- Bulgarian translation in *B'lgarski Folklor*, 3 (1993), 90-95.

120. Introduction: The common roots of the studies of discourse and literature. 1983. In: van Dijk, (Ed.) *Discourse and Literature*, 1985. (C.4.), pp. 1-9.

121. Structures of news in the press. In: van Dijk, (Ed.) *Discourse and Communication*, 1985 (C.5.), pp. 69-93.

124. News schemata. In: S. Greenbaum & Cooper, (Eds.) *Studying Writing. Linguistic approaches*, pp. 155-186. Beverly Hills, CA: Sage, 1986.

125. Elite discourse and racism. Paper Utrecht Summer School on Critical Theory. June 10-15, 1985. In I. Zavala, T.A. van Dijk, & M. Diaz- Diocaretz (Eds.), *Approaches to discourse, poetics and psychiatry*, pp. 81-122. Amsterdam: Benjamins, 1987.

- French translation (partial), "Discours de l'élite et racisme", *Cahiers de praxématique* 17, 1991, 49-71.
- Spanish translation of French translation, "El racismo de la elite", Archipielago 14 (1993), 106-111.

126. Mediating racism. The role of the media in the reproduction of racism. Short version In R. Wodak (Ed.), *Language, Power and Ideology*, pp. 199-226. Amsterdam: Benjamins, 1987. Long version in A.19.

128. Models in memory. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, 1987.

- Spanish translation "Modelos en la memoria. El papel de las representaciones de situación en le procesamiento del discurso", *Revista Latina de Pensamiento y Lenguaje* (Mexico), 2(1), 39-56 (1993-1994).

129. How 'They' Hit the Headlines. Ethnic Minorities in the Press. In Geneva Smitherman-Donaldson & Teun A. van Dijk (Eds.), *Discourse and Discrimination*. (C.6). pp. 221-262. Detroit, MI: Wayne State University Press, 1988.

130. Semantics of a press panic: The Tamil "invasion". *European Journal of Communication*, 3, 1987, 167-187. (Short version of a chapter in A.19.).

131. Discourse and the reproduction of racism. Paper World Congress of Sociology. Delhi, Summer 1986. CRES Publication Series. Working paper No 6 Center for Race and Ethnic Studies (CRES), University of Amsterdam, 1987.

- Spanish translation in *Lenguaje en Contexto* 1 (1988), pp. 131-180.
- Italian translation (partial) in: *Democrazia e diritto*, 6 (1989), 127-150.
- Russian Translation (*Rasizm i jazyk*), Akademia Nauk, Moskva, 1989.

132. Discourse and Power. University of Amsterdam, Dept. of General Literary Studies, Section of Discourse Studies, 1987. Unpublished paper. (Long version of 133).

133. Structures of discourse and structures of power In J A Anderson (Ed), *Communication Yearbook* 12, pp. 18-59. Newbury Park, CA: Sage, 1989

134. Social cognition, social power and social discourse. Paper for the International Conference on Social Psychology and Language. Bristol, July 1987. *TEXT*, 8, 129-157. Text 8 (1988).

- Chinese translation in *Linguistics Abroad* 3 (1991), 17-24

135. Critical news analysis. Paper Instito Internacional de Semiotica y de Comunicacion, Granada, September 10-12, 1987. *Critical Studies* 1 (1989) 103-126

136. Structures and strategies of discourse and prejudice. Social psychological and methodological perspectives. Paper Int. Conference 'Ethnic Minorities in Social Psychological Perspective. Leiden, October 30, 1987. In J.P. van Oudenhoven & T.M. Willemsen (Eds.), *Ethnic minorities. Social psychological perspectives.* Amsterdam/Lisse: Swets & Zeitlinger, 1989, pp. 115-138.

137. New developments in discourse analysis (1978-1988). *Journal of Interdisciplinary Literary Studies* 1, 1989, 119-145.

- Spanish translation in a new (6th) edition of A10 (1990).

138. Social cognition and discourse. In: H. Giles & R.P. Robinson (Eds), *Handbook of social psychology and language*, pp. 163-183. Chichester: Wiley, 1989

139. Headlining 'race' in the British press. University of Amsterdam, August 1988, Unpublished paper.

140. Race, riots and the press. An analysis of editorials in the British press about the 1985 disorders. *Gazette*, 43, 1989, 229-253.

141. Select bibliography on racism in the press. University of Amsterdam: Program of Discourse Studies, 1989. Unpublished report.

142. Politieke teksten. *Onze Taal* 58, sept. 1989, 150-151.

143. Discourse analysis en de sociaal-kulturele en politieke wetenschappen [Discourse analysis and the socio-cultural and political sciences]. University of Amsterdam. Reader Students Social and Political Sciences.

144. Politiek taalgebruik in hoofdartikelen. De reproduktie van racisme in Britse hoofdartikelen over de 'riots'. [Political language use in editorials. The reproduction of racism in British editorials about the 'riots']. Talk given at a meeting of the Dutch Association of Political Psychology on the study of political language. February 17, 1989.

145. Discourse & Society: A new journal for a new research focus. *Discourse & Society* 1, 5-16, 1990.

146. The future of the field: Discourse analysis in the 1990. Special Anniversary issue. *TEXT*, 10 (1990), 133-156.

147. Issues in functional discourse analysis. In H. Pinkster (Ed.), *Liber Amicorum for Simon Dik* (pp. 27-46). Dordrecht: Foris, 1990.

148. The interdisciplinary study of news in the press. In K. Bruhn-Jensen & N. Jankowksi (Eds.), *Handbook of Qualitative Methods in Mass Communication Research.* (pp. 108-120). London: Routledge, 1991.

149. Racism and argumentation: "Race Riot" Rhetoric in Tabloid Editorials. In F. H. van Eemeren, et al. (Eds.) *Argumentation illuminated.* Dordrecht: Foris, 1992, pp. 242-259.

150. Discourse and Inequality. Keynote address Int. Conference of the International Communication Association (ICA), Dublin, June 29, 1990. *Lenguas Modernas* (Universidad de Chile), 21 (1994), 19-37.

- Spanish translation: "Discurso y desigualdad", *Estudios de Periodismo* 1, 1992, 5-22

151. Towards a social psychology of literary criticism. Paper contributed to the conference "Il Discorso della Critica Letteraria. Rome, March 6-8, 1986. An abbreviated version was published as "Verso una psicologia sociale della critica letteraria", *Allegoria* 5, 1990, 37-59.

152. Elite discourse and the reproduction of racism. Paper for the Int. Conference on European Racism. Hamburg, September 25-30, 1990. In R. K. Slayden & D. Slayden (Eds.) *Hate Speech.* (pp. 1-27). Newbury Park: Sage, 1995.

- German translation, "Rassismus heute: Der diskurs der Elite und seine Functional fuer die Reproduktion des Rassismus". *DISS-Texte*, 14, Dordmund, 1991. pp. 8-50.
- Portuguese translation, "Discurso de elite e reproducão do racismo", *Delta* (SÆo Paulo), 8, 1992, 1-36.

153. Stories and Racism. In D. Mumby (Ed.). *Narrative and social control*. (Newbury Park, CA: Sage, 1993, 121-142.

154. Discourse and the denial of racism. Paper Int. Congress "The decolonization of imagination", Amsterdam, May 3-5, 1991. *Discourse & Society*, 3 (1992), 87-118.

- German translation: "Rassismus-Leugnung im Diskurs." *OBST. Osnabrücker Beiträge zur Sprachtheorie*, 46 (1992) 103-129.

- German translation (partial) "Subtiler Rassismus in westlichen Parlamenten". In C. Butterwegge & S. Jaeger (Hrsg.), *Rassismus in Europa*. Koeln: Bund Verlag, 1992, pp. 200-212.

155. Text, talk, elites and racism. *Discours Social/Social Discourse* (Montreal), 4 (1/2), 1992, 37-62.

156. Editorial: Discourse analysis with a cause. *Semiotic Review of Books* 2.1 (1991) 1-2.

157. Discourse, power and access. In Carmen Rosa Caldas-Coulthard and Malcolm Coulthard (Eds.), *Texts and Practices. Readings in Critical Discourse Analysis*. (pp. 84-104). London Routledge, 1996

- Translation in Galician: Discurso, poder e acceso. *A trabe de ouro* (Santiago de Compostela, Spain), 4 (1993), 11-34.

- Translation in portuguese: Discurso, poder e acesso. In: Mônica Rector & Eduardo Neiva (organizadores), *Comunicaçro na Era P's-moderna.* (pp. 128-150). Petrópolis (Brasil): Editora Vozes, 1997.

158. Discourse and cognition in society. In D. Crowley & D. Mitchell, *Communication Theory Today.* (pp. 107-126). Oxford: Pergamon Press, 1993.

159. Power and the news media. Paper contributed to the international conference "The role of communication and information in contemporary societies", Mundaka, Vizcaya, Spain, September 13-15, 1992. In D. Paletz (Ed.), Political *Communication and Action.* (pp. 9-36). Cresskill, NJ: Hampton Press, 1995.

- Catalan translation: "El poder e els mitjans de comunicacio", *Periodistica* 6 (1993), 11-38.
- Spanish translation in Teun A. van Dijk, *Prensa, racismo y poder.* Mexico: Universidad Ibero-Americana, 1995.
- Portuguese translation "O poder e a Midia Jornalistica. *Palavra [Rio de Janeiro]* 4(1997), 167-187.

160. Principles of critical discourse analysis. In Teun A. van Dijk (Ed.), Studies in Critical Discourse Analysis. Special issue of *Discourse & Society*, 4(2), 1993, 249-283.

- Short version in: J. Cheshire & P. Trudgill (Eds.), *The sociolinguistics Reader.* Volume 2, Gender and Discourse. (pp. 367-393). London: Arnold.

161. Elites, Racism and the Press. Paper for the International Congress of the International Association of Mass Communication Research (IAMCR), Guaruja (SP), Brazil, August 1992. Zeitschrift fuer Literaturwissenschaft und Linguistik, 97 (1995), 86-115.

- German translation (partial), "Intellektuelle, Rassismus und die Presse", *Forum der Wissenschaft* 9(3), 1992, 22-27.
- German translation (total), "Eliten, Rassismus und die Press". In S. Jäger & J. Link (Hrsg.). *Die vierte Macht. Rassismus und die Medien.* (pp. 80-130). Duisburg: DISS.

- Finnish translation: "Eliitit, rasismi ja lehdistoe". *Tiedotustutkimus,* 15/4 (1992), 55-69.

- Spanish translation in Teun A. van Dijk, Prensa, racismo y poder. México: Universidad Iberoamericana, 1995.

162. Racism, elites and conversation. *Atlantis (Revista de la Asociacion espa□ola de estudios anglo-norteamericanos)*. 14 (1/2), 201-257.

163. Analyzing racism through discourse analysis. Some methodological reflections. In J. Stanfield (Ed.), *Race and ethnicity in Research Methods*. (pp. 92-134). Newbury Park, CA: Sage, 1993.

164. Theses on the Rise of European Racism, and How to Combat it. *Socialist Studies Bulletin*, 30, 1992, 17-23.

- Also published in *The Statesman* (Calcutta, India).

165. The Tamil Panic in The Dutch Press. (In Tamil). Europe Tamil's Sixteenth Literary

:onference Souvenir. Collection of Articles submited to the conference and otger articles. Utrecht: ;rilanka Cultural Group Netherland, August 1993. pp. 7-10

66. On macrostructures, mental models and other inventions. A brief personal history of the <intsch-Van Dijk Theory. In Charles Weaver III, Suzanne Mannes, & Charles R. Fletcher (Eds.), *Discourse comprehension. Essays in honor of Walter Kintsch.* (pp. 383-410). Hillsdale, NJ: ;rlbaum, 1995.

67. Political discourse and racism. Describing Others in Western Parliaments. Paper for the nternational Conference on "Others" in Discourse. Toronto, May 1993. In S. H. Riggins (Ed.), *The Language and Politics of Exclusion. Others in Discourse.* (pp. 31-64). Thousand Oaks, CA: ;age, 1997.

68. Discourse structures and ideological structures. Paper AILA Congress. Amsterdam. August 993. University of Amsterdam: Section of Discourse Studies. August 1993. 72 pp.

169. Discourse analysis as ideology analysis. (Short version of 168). In C. Schäffner & A. Wenden Eds.). *Language and Peace*. (pp. 17-33). Aldershot: Dartmouth Publishing. 1995.

170. Denying Racism: Elite discourse and racism. In J. Solomos & J. Wrench (Eds.). *Racism and Migration in Western Europe.* (pp. 179-193). Oxford: Berg, 1993. (Short version of 154).

171. Aims of Critical Discourse Analysis. *Japanese Discourse*, 1 (1), 17-28, 1995.

172. Racism, Nationalism, Media and Discourse in Europe: Relevance of the ZiF Project. In Elisabeth Guelich (Ed.), Final Report of the Project Nationale Selbst- und Feinbilder in osteuropaeischen Staaten -Manifestationen im Diskurs. Bielefeld: Zentrum fuer Interdiszaiplinare Forschung (ZiF), University of Bielefeld. 1994.

173. Bibliography on Ethnic Minorities, Racism and the Mass Media. University of Amsterdam: Program of Discourse Studies. Version 4.0. April 1995.

174. Ideological discourse analysis. *New Courant* (English Dept, University of Helsinki), 4 (1995), 135-161. Special issue *Interdisciplinary approaches to Discourse Analysis*, ed. by Eija Ventola and Anna Solin.

- Also published in *Moara. Estudos de anUise do discurso.* Out-Dez, 1996. Belem, UFPA, 13-45.
- Spanish translation in *Versi'n* (Mexico), 6, 1996, pp. 15-43.

175. Discourse semantics and ideology. *Discourse & Society* 5(2), 243-289, 1995.

176. Postscript: The New Pragmatics. In A. Kasher (Ed.), *Pragmatics. Critical Concepts.* London: Routledge, 1999.

177. Context models and text processing. In M. Stamenow (Ed.). *Language Structure, Discourse and the Access to Consciousness*. (pp. 189-226). Amsterdam: Benjamins, 1997.

178. Discourse, opinions and ideologies. Paper colloquium Aston University, May 16, 1995. *Discourse and ideologies.* Special issue of *Current Issues in Language and Society* 2(2), 115-145, 1995. Special issue also published as book: Christina Schaeffner & Helen Kelly Holmes (Eds.), *Discourse as Ideologies.* Clevedon: Multilingual Matters, 1996.

179. Against Reductionism: A rejoinder. *Discourse and Ideologoies* special issue of *Current Issues in Language and Society* 2(2), 168-172, 1995. Special issue also published as book: Christina Schaeffner & Helen Kelly Holmes (Eds.), *Discourse as Ideologies*. Clevedon: Multilingual Matters, 1996.

180. From Text Grammar to Critical Discourse Analysis. University of Amsterdam. Program of Discourse Studies. April 1995. (Published on Homepage).

- Spanish translation published in *Beliar* (Buenos Aires), 2(6), 20-40, 1995.

- French translation ("De la grammaire de textes a l'analyse socio-politique du discourse") published in *Le francais dans le monde* (Paris). Numero special "Le discours: Enjeux et perspectives" , coordonne par Sophie Moirand. Juillet 1996, pp. 16-29.

181. Opinions and ideologies in the press. Paper Round Table on Media Discourse, Cardiff, July 8-10, 1995. Published in Allan Bell and Peter Garrett (Eds.), *Approaches to Media Discourse*. (pp. 21-63). Oxford: Blackwell, 1998.

- Spanish translation in *Voces y culturas* (Barcelona) 10 (1996), 9-50.

182. The mass media today: Discourses of domination or diversity? *Javnost/The Public* (Ljubljana), 2(2), 1995, 27-45.

183. What is political discourse analysis? Key-note address Congress Political Linguistics. Antwerp, 7-9 -December 1995. In Jan Blommaert & Chris Bulcaen (Eds.), *Political linguistics*. (pp. 11-52). Amsterdam: Benjamins, 1997.

184. Opinions and ideologies in editorials. Paper Symposium of Critical Discourse Analysis *Language, social life and critical thought*, Athens, 14-17 december 1995. (On homepage).

187. Towards a Theory of Context and Experience Models in Discourse Processing. In Herre van Oostendorp & Susan Goldman (Eds.), *The construction of mental representations during reading*. (pp. 123-148). Hillsdale, NJ: Erlbaum, 1999.

188. The Discourse-Cognition-Society Triangle. In: Cleve, G., Ruth, I., Schulte-Holtey, E., & Wichert, F. (Eds.). (1997). *Wissenschaft, Macht, Politik. Intervention in aktuelle gesellschaftliche Diskurse. Siegfried Jaeger zum 60. Geburtstag*. (Science, Power, Politics. Intervention in contemporary social discourses. To honor the 60th birthday of Siegfried Jaeger). (pp. 20-36). Münster: Westfälisches Dampfboot.

- Spanish version: *Discurso, cognici'n y sociedad* , in *Signos* 8(22), 1997, 66-74.

189. Racism, monitoring and the media. In Kaarle Nordenstreng & Michael Griffin (Eds.), *International Media Monitoring*. Internet publication.

190. New(s) Racism. A discourse analytical approach. In: Simon Cottle (Ed.), *Changing Cultural Boundaries: Ethnic Minorities and Media Research*. (Milton Keynes, UK: OPen University Press). (In Press) (On homepage).

- Indonesian version (Rasisme Baru Dalam Pemberitaan) in Sandra Kartika & M. Mahendra (Eds.), Dari Keseragaman. Menuju Keberagaman. Wacana Multikultural Dalam Media.

(pp. 3-42). Jakarta, Lembaga Studi Pers & Pembangunan.

191. Mental models of context. Paper *Society for Text and Discourse,* Utrecht 11-11 July, 1997.

192. Political Discourse and Political Cognition. Paper Congress Political Discourse, Aston University July 1997. To be published in a book edited by Paul Chilton & Christina Schäffner. (On homepage)

193. Ideologies in political discourse on immigration. First draft of a paper for the international conferences "Challenges in a Changing World. - Issues in Critical Discourse Analysis (Vienna, 16-19 April, 1998) and "New Directions in comparative research on racism and xenophobia" (Utrecht, 23-25 April, 1998). To be published in a book edited by Jessika Terwal & Maykel Verkuyten (On homepage)

194. Categories for the Critical Analysis of Parliamentary Debates about Immigration. Working paper for the "Racism at the Top" project. Version 1.0.; May 14, 1998. (On Homepage).

195. Sinterklaas en Zwarte Piet: Is het racism of is 't het niet? In L. Helder & S. Gravenbergh (Eds.), *Sinterklaasje, kom maar binnen met je knecht,* (pp: 118-135). Berchem: Epo.

196. Parliamentary debates. Working paper for the "Racism at the Top" project. Version 2.0. February 1999. (On Homepage).

197. Discourse and racism. Second draft. August 1999. To be published in David Goldberg & John Solomos (Eds.), *The Blackwell Companion to Racial and Ethnic Studies.* Oxford: Blackwell. In preparation. (On Homepage).

198. Discourse and Access. April 1999. To be published in Robert Phillipson (Ed.), Festschrift for Tove Skutbabb-Kangas.

199. Chile's New Textbooks: An International Example. August 1999. Spanish version to be published in a Chilean newspaper. (On Homepage).

200. A Linguistic Study of Ideology?

- Spanish version in G. Parodi Sweis (Ed.), Discurso, cognición y educación. Ensayos en Honor de Luis A. Gómez Macker. Valparaiso: Ediciones Universitarias de Valparaíso de la Universidad Católica de Valparaíso, 1999, pp. 27-42.

201. Critical Discourse Analysis. In D. Tannen, D. Schiffrin & H. Hamilton (Eds.), Handbook of Discourse Analysis. In press. (Longer version on homepage).

- Spanish version in *Anthropos* (Barcelona), 186 (Septiembre-Octubre, 1999), 23-36.

F. ARTICLES, PAPERS WITH OTHER AUTHORS

1. *With J. Ihwe, J.S. Pet.fi, & H. Rieser:*

Textgrammatische Grundlagen für eine Theorie narrativer Strukturen. *Linguistische Berichte* 1971, 1-38.

2. *With J. Ihwe, J.S. Petőfi & H.Rieser:*

Thesen. In: E. Gülich & W. Raible, (Eds.) *Textsorten.* Frankfurt: Athenaeum, 1972, 7-9.

3. *With Walter Kintsch:* Recalling and summarizing stories. University of Colorado, Dept. of Psychology, Unpublished ms. , 1974.

- French translation: *Langages* 40, 1975, 98-116.

4. *With Walter Kintsch:*

Cognitive psychology and discourse. In: W.U. Dressler, (Ed.) *Current Trends in Textlinguistics*. Berlin/New York: de Gruyter, 1978, 61-80.

5. *With Walter Kintsch:*

Towards a model of text comprehension and production. *Psychological Review* 85, 1978, 363-394.

6. *With Pierre Spaninks:*

Etnische minderheden in schoolboeken. (Ethnic minorities in textbooks). *Sociale Vorming* 10, 1981, 149-154.

7. *With Martijn den Uyl:*

Ethnic attitude in.discourse: A competition frame analyse. Proceedings of the 6th Annual Conference of the Cognitive Science Society, Boulder, Colorado, 1984, 132-136.

8. *(with Geneva Smitherman-Donaldson)*Words that hurt. Introduction. In G. Smitherman-Donaldson & T.A. van Dijk (Eds.), *Discourse and Discrimination.* Detroit, MI: Wayne State University Press, 1987.

9. *With Luisa Martin Rojo:*

"There was a problem and it was solved". Legitimating the Expulsion of 'Illegal' Migrants in Spanish Parliamentary Discourse. Discourse & Society 8(4), 523-566. 1997.

--Spanish translation in Luisa Martin Rojo & Rachel Whittaker (Eds.), *Poder-Decir, o el poder de los discursos.* (pp. 169-234). Madrid: Arrecife.

10. *With Ineke van der Valk:*

Racismes et discours publics aux Pays-Bas. *Quaderni,* Automne 1998, 145-163.

G. REVIEWS

About 20 reviews in various Dutch journals about French and Scandinavian literature, literary theory and related subjects, appearing between 1968 and 1972.

H. POLICY PAPERS AND REPORTS

A large number of discussion papers, reports, plans and other documents on university and academic policies, programs and the organization of the Faculty of Letters. Several of these have been published in various Dutch journals and newspapers.

I. FOUNDER AND EDITOR OF:

Journals

1. *Poetics*. International Journal for the Theory of Literature. The Hague: Mouton, and later Amsterdam: North Holland. 1971-1979. At present edited by Kees van Rees (University of Brabant, Tilburg).

2. *TTT*. Interdisciplinair Tijdschrift voor Taal- en Tekstwetenschap (TTT. Interdisciplinary Journal for Linguistics and Discourse Studies). Deventer: Bohn, Scheltema & Holkema, and Dordrecht: Foris. 1981-1986. As from 1987 edited by a collective editorship.

3. *TEXT*. An Interdisciplinary Journal for the Study of Discourse. Amsterdam/Berlin: Mouton, 1981-1997.

4. *Discourse and Society. International Journal for the study of discourse and communication in their social, cultural and political contexts.* London: Sage Publications, 1990-

5. *Discourse Studies. Interdisciplinary Journal for the Study of Text and Talk.* London, Sage, 1999-

Organizations

5. *PAREL* (Project Anti-Racistische Evaluatie van Leermiddelen) - PEARL (Project for Anti-Racist Evaluation of Learning Materials). Founder and President of a Foundation and Working Group which produces critical studies of textbooks in the Netherlands, and advises on the improvement of learning materials in a multicultural society.

6. *IASR* (International Association for the Study of Racism). Founder and Secretary.

7. *CRITICS* (Centers for Research into Texts/Talk, Information and Communication in Society). Founder and Secretary of an international foundation, and an international network that promotes critical research and organizes critical scholars in the field of language, discourse and communication.

8. *CRITICS-L*. An internet discussion list of the CRITICS Foundation. Since May 1995.

J. TRADUCCIONES EN ESPAÑOL

Libros

1. ***Texto y contexto***. Madrid: Catedra, 1980.

2. ***La ciencia del texto***. Barcelona/Buenos Aires: Paidos, 1983

3. ***Las estructuras y funciones del discurso***. Mexico: Siglo XXI, 1981. (7a Edicion, 1991).

4. ***La noticia como discurso. Comprensi'n, estructura y producci'n de la informaci'n***. Barcelona, Paidos, 1990.

5. ***Prensa, racismo y poder***. Mexico: Universidad IberoAmericana, 1995.

6. ***Racismo y an∂lisis crçtico de los medios*** Barcelona: Paidos, 1997.

7. ***Ideologça. Una aproximaci'n multidisciplinaria*** Barcelona/Buenos Aires: Gedisa, 1999.

8. (Editor) ***Estudios del discurso***. 2 vols. Barcelona/Buenos Aires: Gedisa, 2000.

9. ***De la poética generativa hasta el an∂lisis crçtico del discurso. Artçculos seleccionados 1976-1998.*** Amsterdam: Universidad de Amsterdam. Enero 1999.

Articulos

(Por orden de año de publicación en español)

8. Aspectos de una teoria generativa del texto poetico. In A. J. Greimas, y aa.vv. *Ensayos de semi'tica poética.* (pp. 239-271).Barcelona: Planeta, 1976.

9. Gramaticas de texto y estructuras narrativas. In C. Chabrol, *Semiotica narrativa y textual.* (Barcelona: Planeta, 1976.??)

10. El procesamiento cognoscitivo del discurso literario. *Acta Poetica* 2, 1980, 4-26.

11. Algunas notas sobre la ideología y la teoría del discurso. *Semiosis* (Jalapa, Mexico) 5, 1980, 37-54.

12. Estructuras textuales de las noticias de la prensa, *Analisi* 7/8, 1983, 77-105.

13. La pragmática de la comunicación literaria. In J. A. Mayoral (Ed.), *Pragm∂tica de la comunicaci'n çpoliteraria*. (pp. 170-194). Madrid: Arco, 1987.

14. El discurso y la reproducción del racismo. *Lenguaje en Contexto* 1 (1988), pp. 131-180.

15. Nuevos desarrollos en el análisis del discurso, 1978-1988. In Teun A. van Dijk, *Estructuras y funciones del discurso* (7a edición). (pp. 147-185). México: Siglo XXI, 1991.

16. Discurso y desigualdad, *Estudios de Periodismo* 1, 1992, 5-22.

17. El racismo de la elite. *Archipielago* 14 (1993), 106-111.

18. Modelos en la memoria. El papel de las representaciones de situacion en le procesamiento del discurso", *Revista Latina de Pensamiento y Lenguaje* (Mexico), 2(1), 39-56 (1993-1994).

19. Prensa y poder. In Teun A. van Dijk, *Prensa, racismo y poder.* (pp. 5-44). Mexico:

Universidad Iberoamericana, 1995.

20. Elites, prensa y racismo. In Teun A. van Dijk, *Prensa, racismo y poder.* (pp. 45-95). Mexico: Universidad Iberoamericana, 1995.

21. De la gramática del texto al análisis crítico del discurso. *Beliar* (Buenos Aires), 2(6), 20-40, 1995.

22. Análisis ideológico del discurso. *Versión* (Mexico) 6, (1996), pp. 15-43.

23. Opiniones e ideologias en la prensa. *Voces y Cultura* (Barcelona), 10, 1996, pp. 9-50.

24. Los textos escolares ayudan a reproducir nuestros prejuicios. *El Clarín* (Buenos Aires), Guia de la enseñanza, domingo 19 de julio 1998.

25. Un estudio lingüístico de la ideológia? In G. Parodi Sweis (Ed.), Discurso, cognición y educación. Ensayos en Honor de Luis A. Gómez Macker. Valparaiso: Ediciones Universitarias de Valparaíso de la Universidad Católica de Valparaíso, 1999, pp. 27-42.

26. El análisis crítico del discurso. *Anthropos* (Barcelona), 186 (Septiembre-Octubre, 1999), 23-36.

CURRICULUM VITAE (Summary)

Teun A. van Dijk (1943) studied French Language and Literature at the Free University (Amsterdam), and Theory of Literature at the (City) University of Amsterdam, in which he obtained degrees equivalent to an M.A., and got his Ph.D. in Linguistics from the Faculty of Letters of the University of Amsterdam.

He also studied for a year (1965) in Strasbourg (France), at the Ecole Pratique des Hautes Etudes (now Ecole des Etudes en Sciences Sociales) in Paris (1969), and at the University of California, at Berkeley (1973).

He was lecturer and senior lecturer from 1968 to 1980 in the Dept, of General Literary Studies of the University of Amsterdam, where he is now professor of Discourse Studies (since 1980).

He held visiting professorships at the University of Bielefeld, at the University of Puerto Rico (twice), at the Colegio de Mexico, the Universidad Nacional Autonoma de Mexico (UNAM), the University of Campinas (Brazil), the University of Recife (Brazil) and the Universities of Rio de Janeiro. He lectured widely in Europe and the Americas, as well as in other countries.

Research

His research has taken place in several (sub-)disciplines of the humanities and the social sciences:

1968-1972. Theory of Literature, especially the development of the semantic aspects of literary language, with applications mainly in the area of modern (surrealist) French Poetry.

1970-1974. Development of a text grammar, with special attention for local and global semantics (coherence). Development of the notion of 'macrostructure'.

1972-1977. Special attention for the logical aspects of text grammars (model theories of coherence).

1973-1980. Various studies in the pragmatics of discourse. Development of the notion of pragmatic macrostructures ('macro - speech acts').

1974-1984. Extensive research (partly in collaboration with Walter Kintsch) in the psychology of text processing. Development of a model of strategic discourse comprehension.

1976-1977. Study of literature curricula in high school.

1980- Extension of the cognitive model of discourse understanding towards a social psychological model of discourse processing (the role of social cognition --opinions, attitudes, ideologies-- in discourse production, comprehension and communication.

1980- Special applications of earlier work on discourse structures and cognitive and socio-cognitive processes in the study of news structures and news production and understanding in the press.

1980- Further applications, both analytical and critical, of this earlier work in the study of the structures, expression, and communication of ethnic prejudices in discourse, e.g., conversation, news in the press and social science textbooks, as part of a study into the mechanisms of the discursive reproduction of racism in society.

1985- Increasing interest in a more general account of the role of power and ideologies in society and their reproduction and legitimation through discourse.

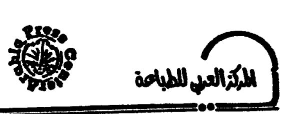
(Updated: March 31, 2000)

Address:

UNIVERSITY OF AMSTERDAM
Program of Discourse Studies
210, Spuistraat, 1012 VT Amsterdam
E-Mail: teun@hum.uva.nl
Homepage: http://www.hum.uva.nl/teun

Temporary address 1999-2000:

Teun A. van Dijk
Universitat Pompeu Fabra
Institut Universitari de
Lingüística Aplicada (IULA)
La Rambla 30-32
08002 Barcelona (Spain)
E-mail remains the same: teun@hum.uva.nl



الملاحة ـ دار السلام ٥٦ ش حسين الفخراني من ش الفيوم ت ٣١٧٤٧٨٢